حاشية الصاوي

على

تفسير الجلالين

شرح

العلامة الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي

١١٧٥ - ١٢٤١هـ

ضبطه وصححه

محمد عبد السلام شاهين

الجزء الثالث

المحتوى:

أول سورة الأنفال - آخر سورة الإسراء

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
هاتف و فاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤١ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق البريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floor
Tel.+ Fax : 00 (961 1) -378541 - 366135 - 364398
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-0707-0

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنفال

مدنيّة

أو إلا ﴿وإذ يمكر بك﴾ الآيات السبع فمكية. وهي خمس أو ست أو سبع وسبعون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لما اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشبان هي لنا لأنا باشرنا القتال وقال الشيوخ كنا ردءاً لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم إلينا فلا تستأثروا بها نزل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يجعلانها حيث شاءا فقسمها ﷺ بينهم على السواء رواه الحاكم في المستدرك ﴿فَٱتَّقُواْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنفال مدنية

أو إلا ﴿وإذ يمكر بك﴾ الآيات السبع فمكية. وهي خمس أو ست أو سبع وسبعون آية

قوله: **(سورة الأنفال)** مبتدأ مضاف إليه، و **(مدنية)** خبر أول و **(خمس إلخ)** خبر ثان. قوله: **(أو إلا)** أو لحكاية الخلاف، فإنه اختلف هل هى مدنية كلها وهو الصحيح، أو إلا سبع آيات أولها ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ وآخرها ﴿بما كنتم تكفرون﴾ فمكيات وهو ضعيف، ولا يلزم كونها في شأن أهل مكة أنها نزلت بها بل نزلت بالمدينة حكاية عما وقع في مكة. قوله: **(في غنائم بدر)** أي لأنها أول غنيمة في الإسلام. قوله: **(وقال الشيوخ)** أي وكانوا محدقين برسول الله خوفاً عليه من العدو. قوله: **(كنا ردءاً)** أي عوناً لكم. قوله: **(ولو انكشفتم)** أي انهزمتم. قوله: **(لفئتم)** أي رجعتم.

قوله: **﴿يَسْأَلُونَكَ﴾** السؤال إن كان تعيين الشيء وتبيينه، تعدى للمفعول الثاني بعن كما هنا، وإن كان بمعنى طلب الإعطاء، تعدى للمفعولين بنفسه، كسألت زيداً مالاً، خلافاً لمن فهم أن ما هنا من الثاني وادعى زيادة عن. قوله: **﴿عَنِ الأَنْفَالِ﴾** جمع نفل مثل سبب وأسباب، ويقال نفل بسكون الفاء أيضاً وهي الزيادة، لزيادة هذه الأمة بها عن الأمم السابقة، فإنها لم تكن حلالاً لهم، بل كانوا إذا غنموا غنيمة وضعوها في مكان، فإن قبلها الله منهم، أنزل عليها ناراً أحرقتها، وإلا بقيت. قوله: **﴿لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾** قيل: إن معنى ذلك، أنها مملوكة لله، وأعطاها ملكاً لرسوله يتصرف فيها كيف يشاء، وعلى هذا فقوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم﴾ الآية ناسخة لها، وقيل إن ما يأتي توضيح لما هنا وتفصيل له، والآية محكمة، فيكون المعنى لله والرسول من حيث قسمتها على المجاهدين. قوله: **(يجعلانها حيث شاءا)** أي فامتثلوا ما يأمركم به.

ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ أي حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ ﴿١﴾ حقاً ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ أي وعيده ﴿وَجِلَتۡ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ تصديقاً ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ به يثقون لا بغيره ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ ﴿٣﴾ في طاعة الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ صدقاً بلا شك ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ ﴿٤﴾ في الجنة ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ

قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ﴾ أي امتثلوا أمره وأمر نبيه. قوله: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي الحالة وهي الوصلة الإسلامية، فالمعنى اتركوا النزاع والشحناء، والزموا المودة والمحبة بينكم، ليحصل النصر والخير لكم. قوله: ﴿وَاطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي فيما يأمركم به. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: (حقاً) أي كاملين في الإيمان، فعلامة كمال الإيمان، طاعة الله والرسول، وعدم وجود الحرج في النفس، قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾.

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ استئناف مسوق لبيان صفات المؤمنين، فهو كالدليل لما قبله. قوله: (الكاملون الإيمان) بالنصب على نزع الخافض، أي فيه، وفي بعض النسخ بحذف النون، فيكون مضافاً للإيمان. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ﴾ وصل ﴿الَّذِينَ﴾ بثلاث صلات كلها متعلقة بالقلب. قوله: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي فزعت لاستيلاء هيبته على قلوبهم. قوله: (تصديقاً) أشار بذلك إلى أن التصديق يقبل الزيادة، إذ لا يصح أن يكون إيمان الأنبياء كإيمان الفساق، وما قبل الزيادة قبل النقص، وبذلك أخذ مالك والشافعي وجمهور أهل السنة. قوله: (به يثقون) أشار بذلك إلى أن ﴿عَلَى﴾ بمعنى الباء، و ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ بمعنى يثقون، و قوله: (لا بغيره) حصر أخذ من تقديم المعمول، والمعنى أن ثقتهم بالله لا بغيره، فلا يعتمدون على عمل ولا على مال، ولا يخافون من غيره.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي يلازمونها في أوقاتها، مستوفية الشروط والأركان والآداب. قوله: ﴿يُنْفِقُونَ﴾ أي النفقة الواجبة كالزكاة، أو المندوبة كالصدقة. قوله: ﴿حَقًّا﴾ صفة لمصدر محذوف، أي إيماناً حقاً. قوله: (بلا شك) أي لظهور علامة الإيمان الكامل فيهم. قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ العندية عندية مكانة لا مكان. قوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي غفران لذنوبهم. قوله: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي دائم مستمر لا نكد فيه ولا تعب، مقرون بالتعظيم والتكريم.

قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ﴾ الكاف بمعنى مثل، وما مصدرية خبر لمحذوف، والتقدير قسم الغنائم عموماً، والحال أن بعض الصحابة كارهون لذلك، مثل إخراجك من بيتك، والحال أنهم كارهون لذلك، فهو تشبيه حكم بحكم، أو قصة بقصة، وهذا أحسن الأعاريب، ولذا درج عليه المفسر، فالمشبه: قسم الغنائم عموماً، والمشبه به: الخروج لقتال ذي الشوكة، بجامع أن كلاً كان فيه كراهة لبعض المؤمنين، بحسب الصورة الظاهرية، وفي الواقع: ونفس الأمر خير ومصلحة للعموم في كل، لأن الأول ترتب عليه إصلاح ذات البين، والثاني ترتب عليه عز الإسلام ونصره.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بأخرج ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ الخروج والجملة حال من كاف أخرجك وكما خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم وقد كان خيراً لهم فكذلك أيضاً وذلك أن أبا سفيان قدم بعير من الشام فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها وهم النفير وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لأبي جهل ارجع فأبى وسار إلى بدر فشاور ﷺ أصحابه وقال إن الله وعدني إحدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ﴾ القتال ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ

قوله: ﴿مِنْ بَيْتِكَ﴾ أي الكائن بالمدينة، أو المراد بالبيت نفس المدينة، قوله: **(متعلق بإخراج)** أي والباء سببية، والمعنى: أخرجك من بيتك بسبب الحق، أي إظهار الدين ورفع شأنه، ويصح أن تكون الباء للملابسة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الكاف في أخرجك، أي أخرجك متلبساً بالحق أي الوحي، لا عن هوى نفسك. قوله: **(والجملة حال)** أي مقدرة، لأنهم وقت الخروج لم يكونوا كارهين، وإنما طرأت الكراهة عند الأمر بقتال ذي الشوكة. قوله: **(أي هذه الحال)** أي وهي قسم الغنائم على العموم. قوله: **(في كراهتهم لها)** هذا هو وجه المماثلة والمشابهة بينهما. قوله: **(فكذلك أيضاً)** أي قسم الغنائم كان خيراً انتهاء لما فيه من إصلاح ذات البين. قوله: **(قدم بعير)** أي إبل حاملة تجارة، وكان فيها أموال كثيرة ورجال قليلة نحو الأربعين. قوله: **(فعلمت قريش)** إي بإخبار ضمضمة بن عمرو الغفاري الذي اكتراه أبو سفيان، ليعلم قريشاً بذلك. قوله: **(ومقاتلو مكة)** أي وكانوا ألفاً إلا خمسين. قوله: **(وأخذ أبو سفيان)** أي عدل عن الطريق المعتاد للمدينة، وسار بساحل البحر. قوله: **(فشاور ﷺ أصحابه)** أي في المضي إلى بدر لقتال النفير. قوله: **(فوافقوه)** أي آخراً، بعد أن توقف بعضهم محتجاً بعدم التهيؤ، وكان إذ ذاك ﷺ بوادي دقران، بدال وقاف وراء، بوزن سلمان، واد قريب من الصفراء، وعند المشاورة قام أبو بكر وعمر فأحسنا في القول، ثم قام سعد بن عبادة فقال: انظر أمرك فامض فيه، فوالله لو سرت إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال مقداد بن عمرو: امض كما أمرك الله، فإنا معك حيثما أحببت، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون)، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون. فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس أشيروا علي، وهو يريد الأنصار، فقام سعد بن معاذ، فقال: كأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال أجل، قال إنا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أنا ما جئت به هو الحق، فامش يا رسول الله لما أردت فإنا لا نكره أن يلقى عدونا، وإنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، ثم قال رسول الله: سيروا على بركة الله وأبشروا؛ فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم.

قوله: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ أي يقيمون حجة قبالة حجة، فليس المراد بالجدال، الجدال في الباطل. قوله: **(ظهر لهم)** أي تحتم القتال. قوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتَ﴾ أي كأنهم مثل من يساق

يَنظُرُونَ ﴾ ﴿٦﴾ إليه عياناً في كراهتهم له ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ أي البأس والسلاح وهي العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلة عددها وعددها بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ يظهره ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٧﴾ آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ﴾ يمحق ﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾ الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٨﴾ المشركون ذلك اذكر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي بأني ﴿مُمِدُّكُم﴾ معينكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ﴿٩﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً وعدهم بها أولاً ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في آل عمران وقرىء بألف كأفلس جمع ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾ اذكر ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ أمناً مما حصل لكم من الخوف ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

إلى القتال، وهو ينظر بعينه أسبابه. قوله: **(في كراهتهم له)** هذا هو وجه المشابهة، وسبب تلك الكراهة قلة عددهم وعددهم، فقد ورد أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر، والكل رجال، وليس فيهم إلا فرسان. قوله: **(بخلاف النفير)** أي فإنه كثير العدد والعدد. قوله: **(يظهره)** جواب عما يقال إن فيه تحصيل الحاصل، وكذا يقال في قوله: **﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾**. قوله: **﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾** ليس مكرراً مع ما قبله، لأن المراد بالأول، تثبيت ما وعد به في هذه الواقعة من النصرة والظفر بالأعداء، والمراد بالثاني، تقوية الدين وإظهار الشريعة مدى الأيام.

قوله: **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾** إما خطاب للنبي ﷺ فقط، فيكون الجمع للتعظيم، أو خطاب للنبي وأصحابه، روي عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال، لما كان يوم بدر، نظر ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه يقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فنزلت هذه الآية. قوله: **(تطلبون منه الغوث)** أشار بذلك إلى أن السين والتاء للطلب.

قوله: **﴿مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ﴾** ورد أن جبريل نزل بخمسمائة وقاتل بها في يسار الجيش وفيه علي، ولم يثبت أن الملائكة قاتلت في وقعة إلا في بدر، وأما في غيرها فكانت تنزل الملائكة لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل. قوله: **(يردف بعضهم بعضاً)** أي يعقبه في المجيء. قوله: **(وعدهم بها أولاً)** أشار بذلك إلى الجمع بين ما هنا وبين ما في آل عمران. وقوله: **(قرىء)** أي شذوذاً. قوله: **(كأفلس)** أي فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً. قوله: **﴿إِلَّا مِن عِنْدِ اللَّهِ﴾** أي فلا يتوقف على تهيؤ بعدد ولا عدد.

قوله: **﴿إِذْ يَغْشَاكُمُ النُّعَاسُ﴾** أي دفعة واحدة فناموا كلهم، وهذا على خلاف العادة، فهي معجزة لرسول الله، حيث غشي الجميع النوم في وقت الخوف، وفيه ثلاث قراءات سبعية، **يغشاكم**

مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ من الأحداث والجنابات ﴿وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمآى محدثين والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرۡبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ ﴿١١﴾ أن تسوخ في الرمل ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾ أي بأني ﴿مَعَكُمۡ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالإعانة والتبشير ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ الخوف ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ أي الرؤوس ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ ﴿١٢﴾ أي أطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة

كيلقاكم، والنعاس مرفوع على الفاعلية، ويغشيكم بتشديد الشين وضم ياء المضارعة، ويغشيكم بتخفيف الشين وضم ياء المضارعة، والنعاس منصوب على المفعولية في هاتين القراءتين. قوله: ﴿أَمَنَةً﴾ منصوب على الحال على القراءة الأولى، أو المفعول لأجله على القراءتين الأخرتين، قال عبد الله بن مسعود: النعاس في القتال أمنة في الصلاة من الشيطان، قيل إنهم لما خافوا على أنفسهم، لكثرة عدد العدو وعددهم، وقلة المسلمين، وعطشوا عطشاً شديداً ألقى الله عليهم النوم، حتى حصلت لهم الراحة، وزال عنهم العطش، وتمكنوا من قتال عدوهم، فكان ذلك النوم نعمة في حقهم، لأنه كان خفيفاً، بحيث لو قصدهم العدو لتنبهوا له، وقدروا على دفعه. قوله: (من **الخوف**) بيان لما. قوله: ﴿**لِيُطَهِّرَكُمْ**﴾ إلخ أي وذلك أنهم وقفوا في كثيب رمل، فشق المشي عليهم فيه من لينه ونعومته، واشتد عليهم الخوف من أن يأتيهم العدو في تلك الحالة، فألقى الله عليهم النعاس، فاحتلم معظمهم فاشتد احتياجهم إلى الماء، فوسوس لهم الشيطان بما ذكره المفسر، فرد الله كيده بإنزال المطر الكثير عليهم، فشربوا وتطهروا وملؤوا القرب، وتلبد الرمل حتى سهل المشي عليه.

قوله: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ**﴾ معمول لمحذوف أي اذكر، ولم يقدره المفسر اتكالاً على تقديره فيما سبق. قوله: ﴿**إِلَى الْمَلائِكَةِ**﴾ أل للعهد الذكرى، أي المذكورين فيما سبق في قوله: ﴿**أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ**﴾ كما أشار إليه المفسر. قوله: ﴿**أَنِّي مَعَكُمْ**﴾ الجملة في محل نصب مفعول ليوحي. قوله: ﴿**فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي قووا قلوبهم، واختلف في كيفية هذه التقوية، فقيل إن الشيطان كما أن قوة في إلقاء الوسوسة في قلب آدم بالسوء، كذلك الملك له قوة في إلقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير، ويسمي ما يلقيه الملك إلهاماً، وقيل إن ذلك التثبيت حضورهم القتال معهم، ومعونتهم لهم بالقتال بالفعل، وقيل معناه بشرورهم بالنصر والظفر، فكان الملك يمشي في صفة رجل أمام الصف ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم عليهم.

قوله: ﴿**سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**﴾ كالتفسير لقوله: ﴿**وإِنِّي معكُم**﴾ وقوله: ﴿**فاضربُوا**﴾ الخ. كالتفسير لقوله: ﴿**فَثَبِّتُوا**﴾ فهو لف ونشر مرتب. قوله: (**الرؤوس**) تفسير للفظ ﴿**فَوْقَ**﴾ وقد توسع فيه حيث استعملوه مفعولاً به، وإن كان أصله ظرف مكان ملازم للظرفية، وقيل إن لفظة ﴿**فَوْقَ**﴾ زائدة، وقد أشار له المفسر بقوله: (**يقصد** ضرب **رقبة الكافر**) إلخ، فقد أشار المفسر إلى قولين، وقيل إن فوق باقية على ظرفيتها والمفعول محذوف، أي فاضربوهم فوق الأعناق، وقيل إن فوق بمعنى على، والمفعول محذوف أيضاً، أي فاضربوهم على الأعناق. قوله: (**أي أطراف اليدين والرجلين**)

الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه ورماهم ﷺ بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء فهزموا ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿١٣﴾ له ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ أي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ ﴿١٥﴾ منهزمين ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم لقائهم ﴿دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ منعطفاً ﴿لِّقِتَالٍ﴾ بأن يريهم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ منضماً ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٦﴾ المرجع هي وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على

في المصباح: البنان الأصابع، وقيل أطرافها، والواحدة بنانة. قوله: (إلا دخل في عينيه) أي وفي فمه وأنفه.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾(العذاب) أي من إلقاء الرعب والقتل والأسر، وقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ الباء سببية. قوله: (خالفوا) ﴿الله وَرَسُولَهُ﴾ أصل معناها المجانبة، لأنهم صاروا في شق، وجانب عن النبي والمؤمنين. قوله: ﴿فَإِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي وما نزل بهم في هذا اليوم قليل، بالنسبة لما ادخر لهم عند الله. قوله: ﴿ذلِكُمْ﴾(العذاب) اسم إشارة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر، وقوله: ﴿فَذُوقُوهُ﴾ لا تعلق له بما قبله من جهة الإعراب. قوله: ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ عطف على ذلكم، أو نصب على المفعول معه.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ﴾ خطاب لكل من يحضر القتال. قوله: ﴿زَحفاً﴾ حال من المفعول به وهو ﴿الذين﴾ فهو مؤول بالمشتق، أي حال كونهم زاحفين. قوله: (أي مجتمعين) إلخ، أي فالمعنى على التشبيه بالزاحفين على أدبارهم في بطء السير، وذلك لأن الجيش إذا كثروالتحم بعضه ببعض، يتراءى أن سيره بطيء، وإن كان في نفس الأمر سريعاً، وفي المصباح زحف القوم زحفاً من باب نفع. قوله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ ويطلق الدبر على مقابل القبل، ويطلق على الظهر وهو المراد هنا، والمقصود ملزوم تولية الظهر وهو الانهزام، فهذا اللفظ استعمل في ملزوم معناه كما أشار المفسر بقوله: (منهزمين) و ﴿الْأَدْبَارَ﴾ مفعول ثان لتولوهم. وكذا ﴿دُبُرَهُ﴾ مفعول ثان ليولهم، وفي الآية تعريض، حيث ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها في تعبيره بلفظ الدبر دون الظهر. قوله: (أي يوم لقائهم) حل معنى، وإلا فمقتضى التنوين في إذ، أن يقول: يوم لقيتموهم، لأنه عوض عن جملة.

قوله: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفاً﴾ في نصبه مع ما عطف عليه وجهان: أحدهما أنه حال، والثاني أنه مستثنى من ضمير المؤمنين. قوله: (الفرة) بفتح الفاء، وهي المرة من الفر، بمعنى الفرار، أي الهرب، وقوله: (مكيدة) أي خديعة ومكراً، قوله: (وهو يريد الكرة) أي الرجعة، لأن الكرة المرة من الرجوع، والكر الرجوع، وهذا أحد أبواب الحرب ومكايدها. قوله: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً﴾ التحيز والتحوز الانضمام، وأصل تحيز: تحيوز، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وادغمت الياء في الياء قوله: (يستنجد) أي يستنصر ويستعين.

قوله: ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ﴾ جواب الشرط وهو من، والباء للملابسة، أي ملتبساً ومصحوباً بغضب. قوله: ﴿وَمَأْوَاهُ﴾ أي مسكنه، وفي الآية وعيد عظيم، ولذلك قيل: إن الفرار أكبر الكبائر بعد

الضعف ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ ببدر بقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى لأن كفاً من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ بإيصال ذلك إليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ بأحوالهم ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ﴾ مضعف ﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾ أيها الكفار أي تطلبوا الفتح أي القضاء حيث قال أبو جهل منكم اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرفه فأحنه الغداة

الكفر. قوله: (**مخصوص**) أي مقصور، أي فإن زادت عن الضعف، كما إذا كان المسلمون ربع الكفار، فلا يحرم الفرار.

قوله: ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ**﴾ نزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون بعد رجوعهم من بدر، فكان الواحد منهم يقول: أنا قتلت كذا، أسرت كذا، فعلمهم الله الأدب بقوله: ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ**﴾ إلخ، والفاء واقعة في جواب شرط مقدر، أي افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم. قوله: ﴿**وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ**﴾ قرىء بتشديد لكن وتخفيفها، فعلى التخفيف تكون مهملة، ولفظ الجلالة مرفوع على الابتداء، وعلى التشديد تكون عاملة عمل إن، ولفظ الجلالة منصوب على أنه اسمها، وهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ**﴾ ظاهره التناقض، حيث جمع بين النفي والإثبات، والجواب أن المنفي الرمي، بمعنى إيصال الحصى لأعينهم، والمثبت فعل الرمي، كما أشار لهذا الجواب المفسر بقوله: (**بإيصال ذلك اليهم**). قوله: ﴿**وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى**﴾ فيه القراءتان المتقدمتان، وقد علمت أن حكمة قوله تعالى: ﴿**فَلم تَقتُلُوهم**﴾ التأديب لبعض المؤمنين، وأما حكمة قوله تعالى: ﴿**وَمـا رَمَيْتَ**﴾ إثبات أنها معجزة من الله لنبيه، لتذكر من جملة معجزاته التي أمر بالتحدث بها، قال تعالى: ﴿**وَأَما بِنِعْمَةِ رَبّك فَحدّث**﴾، وقال البوصيري:

ورمى بالحصى فأقصد جيشاً   ما الحصا عنده وما الإلقاء

قوله: (**فعل**) أي الله ذلك، أي القتل والرمي، وقوله: (**ليقهر**) إلخ قدره ليعطف عليه ﴿**وَلِيُبْلِيَ**﴾. قوله: (**عطاء**) أي فالمراد من الإبلاء الإعطاء، فهو إبلاء بخير لا بشر، فإن البلاء يقع على النعمة وعلى المحنة لأن أصله الاختيار، وذلك كما يكون بالمحنة لإظهار الصبر، يكون بالنعمة لإظهار الشكر. قوله: ﴿**ذٰلِكُمْ**﴾ مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله: (**حق**)، وقوله: ﴿**وَأَنَّ اللهَ**﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على ﴿**ذٰلِكُمْ**﴾ فيكون في محل رفع بالابتداء، وخبره محذوف أيضاً، والمعنى ذلكم الإبلاء للمؤمنين حق، وتوهين كيد الكافرين حق و﴿**مُوهِنُ**﴾ بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين، فكيد منصوب على المفعولية به، ويقرأ بسكون الواو، وتخفيف الهاء من أوهن، كأكرم، منوناً أو مضافاً، إلى كيد، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعية. قوله: (**أيها الكفار**) أي فهو خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم، لأنهم الذين وقع بهم الهلاك، والفتح وقع لغيرهم. قوله: (**أي القضاء**) أي الحكم بينكم وبين محمد، بنصر المحق وخذلان المبطل. قوله: (**حيث قال أبو جهل**) أي وغيره من قريش، حين أرادوا الخروج إلى بدر، وتعلقوا بأستار الكعبة، ودعوا بما ذكره المفسر. قوله: (**أينا**) أي الفريقين، يعني نفسه ومن معه، ومحمداً ومن معه، وهو يزعم أن محمداً هو القاطع للرحم، حيث خرج من بلده وترك أقاربه. قوله: (**فأحنه**

أي أهلكه ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ لنصره عليكم ﴿وَلَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعاتكم ﴿شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٩﴾ بكسر إن استئنافاً وفتحها على تقدير اللام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ القرآن والمواعظ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢١﴾ سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ عن النطق به ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضاً وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّواْ﴾ عنه ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر

الغداة) الحين، بالفتح الهلاك، حان الرجل: هلك، وأحانه الله: أهلكه، والغداة ظرف للحين أي أهلكه فيها يستقبل. قوله: **(وفتحها على تقدير اللام)** أي فهما قراءتان سبعيتان، أي واللام المقدرة للتعليل.

قوله: **﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ﴾** أي دوموا على طاعته وعلى عدم التولي يدم لكم العز الذي حصل ببدر. قوله: **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾** إلخ نزلت في جماعة من بني عبد الدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد، وتوجهوا مع أبي جهل حاملين اللواء لقتال النبي وأصحابه ببدر، فقتلوا جميعاً، ولم يسلم منهم إلا اثنان، مصعب بن عمير، وسبيط بن حرملة، والدواب في اللغة ما دب على وجه الأرض، عاقلاً أو غيره، وفي العرف، مخصوص بالخيل والبغال والحمير، وفي الآية غاية الذم لهم، بأنهم أشر من الكلب والخنزير والحمير. قوله: **﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً﴾** هذا تسلية للنبي ﷺ على عدم إيمانهم، ولو حرف امتناع لامتناع، والمعنى امتنع سماعهم الخير، سماع تفهم لامتناع علم الخير فيهم.

قوله: **﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾** هذا ترق في التسلية، والمعنى لو فرض أن الله أسمعهم سماع تفهم، لتولوا وهم معرضون عنه عناداً فلا تحزن على كفرهم، فإن كفرهم ثابت مطلقاً، فهموا الحق أولا، هذا حاصل معنى الآية، واستشكل ظاهرها بأن الآية دلت على القياس، حاصله لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا، ينتج: لو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهو فاسد، إذ لو علم الله الخير فيهم لآمنوا ولم يكفروا، وأجيب بجوابين، الأول: أن الحد المكرر لم يتحد معنى، وشرط الإنتاج اتحاده معنى، لأن المراد بالإسماع الأول الموجب للفهم والإذعان، والإسماع الثاني للفهم من غير إذعان. الثاني: أن الكلام تم عند قوله: **﴿لأَسْمَعَهُمْ﴾** وقوله: **﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾** ترق في التشنيع عليهم، فالمعنى هم لم يؤمنوا ولم ينقادوا عند التفهم على فرض حصوله، فعدم إيمانهم عند عدمه أولوي، نظير لو لم يخف الله لم يعصه، ولكن توليهم عند ظهور الحق عناد وجحود، وعند عدمه جهل.

قوله: **﴿اسْتَجِيبُوا﴾** السين والتاء زائدتان للتوكيد. قوله: **﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾** أفرد لأن دعوة الرسول في الحقيقة هي لله، وذكر الرسول أولاً، لأنه المبلغ عن الله، فعدم طاعته مخالفة لله. قوله: **﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾**

الدين لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ لمن خالفه ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَآوَاكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ قوّاكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ

ما إما نكرة وجملة يحييكم صفة، أو اسم موصول وما بعدها صلة، والمعنى لما فيه حياتكم الأبدية. قوله: **(من أمر الدين)** أي وهو الإيمان والإسلام، وقيل هو القرآن، لأنه حياة القلوب، وبه النجاة من أهوال الدنيا والآخرة، وقيل هو الحق مطلقاً، وقيل الجهاد في سبيل الله وأتمها ما قاله المفسر.

قوله: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾** أي يفصل بينهما بتصاريفه وأحكامه، وذلك كناية عن كونه أقرب للشخص من قلبه ومن قلبه لذاته، بل هو أقرب من السمع للأذن، ومن البصر للعين، ومن اللمس للجسد، ومن الشم للأنف، ومن الذوق للسان، فشبه القرب بالحيلولة، واستعير اسم المشبه به، وهو الحيلولة للمشبه، ووهو القرب واشتق من الحيلولة يحول بمعنى يقرب، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. قوله: **(فلا يستطيع أن يؤمن أو يفكر إلا بإرادته)** تقدم أنه لا مفهوم للفكر والإيمان بل السمع والبصر والشم والذوق واللمس في قبضة الله سبحانه، إن شاء أبقاه وإن شاء أذهبه، وإنما خص الإيمان والكفر لأن مناط السعادة والشقوة بهما. قوله: **(فيجازيكم بأعمالكم)** أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾** أي سبب فتنة وهي المعاصي، فإنها سبب لنزول المصائب الدنيوية. قوله: **﴿تُصِيبَنَّ﴾** الجملة صفة لفتنة، و **﴿لَا﴾** نافية، و **﴿تُصِيبَنَّ﴾** فعل مضارع مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو واقع في جواب شرط مقدر، قدره المفسر بقوله: **(إن أصابتكم)** وليس جواباً للأمر، لأن المرتب على تقواها عدم إصابتها أحداً لا خصوصاً ولا عموماً، وإنما أكد الفعل المضارع المنفي بالنون، إجراء له مجرى النهي. قوله: **(بل تعمهم وغيرهم)** أي فالظالم لظلمه، وغير الظالم لإقراره وسكوته وعدم نهيه عن المنكر، وفي الحديث ما معناه «مثل الظالم كمثل جماعة في أسفل مركب، ومثل غير الظالم كمثل جماعة في أعلى المركب، فأراد أهل الأسفل أن يخرقوا خرقاً يستقون منه، فإن سلم لهم أهل الأعلى هلكوا جميعاً، وإن قاموا عليهم نجوا جميعاً. قال ابن عباس: إن الله أمر المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم الله بالعذاب، فيصيب الظالم وغير الظالم، وفي الحديث: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك، عذب الله العامة والخاصة»، وورد «إذا عمت الخطيئة في الأرض، كان من شهدها فأنكر، كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها، كان كمن شهدها»، إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في ذلك، فإذا علمت ذلك، فلا تشكل هذه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تزر وازرة وزر أخرى﴾، بما علمت أن الساكت على المنكر، مؤاخذ بوزر نفسه لا بوزر المباشر.

قوله: **﴿وَاذْكُرُوا﴾** خطاب للنبي وأصحابه، نزلت بعد غزوة بدر. قوله: **﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾** أي

﴿تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ نعمه. ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار إليهم أنه الذبح لأن عياله وماله فيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ

مظهرون الضعف لعدم أمركم بالقتال. قوله: **(الغنائم)** أي فلما هاجروا وأمروا بالقتال، تركوا التجارة وصار رزقهم من الغنائم، وفي الحديث: «جعل رزقي تحت ظل رمحي».

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي فتزدادوا من النعم، لأن بالشكر تزداد النعم، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾. قوله: **(ونزل في أبي لبابة)** اسمه مروان كما في بعض النسخ، وقيل رفاعة. قوله: **(وقد بعثه)** إلخ حاصل قصته: أن رسول الله حاصر قريظة خمساً وعشرين ليلة، وقيل خمسة عشر، وقيل بضعة عشر يوماً، فلما اشتد عليهم الأمر، قام عليهم رئيسهم كعب بن أسد، وعرض عليهم الإيمان، فقال: يا معشر اليهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني أعرض عليكم خصالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، فأبوا، فقال: هلم نقتل أبناءنا ونسائنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه، رجالاً مجردين السيوف من أغمادها، ولم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فقالوا: أي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟ فقال: إن هذه الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غزوة، فقالوا: نفسد سبتنا، وقد علمت مسخ من خالف السبت، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث لنا أبا لبابة نستشيره في أمرنا فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وفزع النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم، وقالوا: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال نعم، وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح، فقال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني خنت الله ورسوله، ثم انطلق وسلك طريقاً أخرى، فلم يأتِ رسول الله حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت، فلما بلغ خبره رسول الله وقد استبطأه قال: أما لو جاءني لاستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه، فأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال، وقيل بضعة عشر ليلة، حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره، وكانت امرأته تأتيه في وقت كل صلاة، فتحله للصلاة ثم تربطه، ثم نزلت توبته في بيت أم سلمة على رسول الله ﷺ سحراً، فقام يضحك، فقالت أم سلمة: مم تضحك أضحك الله سنك؟ قال: تِيب على أبي لبابة، قالت: أفلا أبشره، يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت، فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، فتسارع إليه الناس ليطلقوه، فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده، فلما أصبح الصبح أطلقه فلما اشتد الحصار على بني قريظة، أطاعوا وانقادوا أن ينزلوا على حكم رسول الله، فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان في خيمة في المسجد الشريف لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة، وكانت تداوي الجرحى حسبة، فأتي به، فلما حضر قال رسول الله ﷺ قوموا لسيدكم، فقاموا إليه، فقالوا: إن رسول الله ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبي الذراري والنساء، فقال عليه الصلاة والسلام: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، والرقيع السماء، ففعل بهم كما قال سعد.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إنما عمم الخطاب إشارة إلى الستر عليه، وأن العبرة بعموم اللفظ لا

﴿ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ لا ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾ ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لكم صادة عن أمور الآخرة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾ فلا تفوتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم. ونزل في توبته ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بالإنابة وغيرها ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون فتنجون ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ

بخصوص السبب. قوله: ﴿وَتَخُونُوا﴾ معطوف على الفعل قبله، فهو في حيز النهي، ولذا قدر المفسر لا، فهو نهي عن الخيانتين. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿تخُونُوا﴾. قوله: **(صادة)** أي مانعة. قوله: **(فلا تفوتوه بمراعاة الأموال)** إلخ. أي لأنها أمور زائلة فانية، وسعادة الآخرة لا نهاية لها فهي أولى بتقديمها على ما يفنى. قوله: ﴿فُرْقَاناً﴾ أي نجاة مما تخافون، وقد أشار لهذا المفسر بقوله: **(فتنجون)** وقيل: المراد بالفرقان النور الكائن في القلب الذي يفرق به بين الحق والباطل، وهو أولى. قوله: ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي يمحها، فقوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ عطف مرادف عليه.

قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾ إذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(اذكر)** وهذا تذكير لنعمة الله على نبيه، إثر تذكير نعمة الله على المؤمنين بقوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾، والمكر الاحتيال على إيصال الضر للغير. وحاصل ذلك: أن قريشاً عرفوا لما أسلم الأنصار، أن أمر رسول الله يتفاخم ويظهر، فاجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، وكان رؤساؤهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل، وأبو سفيان، وطعمة بن عدي، والنضر بن الحرث، وأبو البحتري بن هشام، وزمعة بن الأسود، فجاءهم إبليس في صورة شيخ نجدي، فلما رأوه قالوا له: من أنت؟ قال: أنا شيخ من نجد، سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، فقالوا له: ادخل فدخل، فقال أبو البحتري: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت مقيداً، وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه حتى يهلك، فصرخ ذلك الشيخ النجدي وقال: بئس الرأي، إن أصحابه يقاتلونكم ويخرجونه قهراً عليكم، فقالوا: صدق الشيخ النجدي، فقال هشام بن عمرو: إني أرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنع، فقال الشيخ النجدي: ما هذا برأي، تعمدون إلى رجل قد اتبعه سفهاؤكم، فتخرجوه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه، لئن فعلتم ذلك، يذهب ويستميل قلوب آخرين، فيسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم، فقال أبو جهل: إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيباً، ويعطى كل شاب سيفاً صارماً، ثم يضربونه به ضربة واحدة، فإذا قتل تفرق دمه في القبائل، ولا أظن أن هذا الحي من بني هاشم، يقوون على حرب قريش كلها، غايته يطلبون ديته وهو أمر سهل، فقال إبليس: إنه أجودكم رأياً فتفرقوا على ذلك، فأتى جبريل وأخبر رسول الله بذلك، وبأن الله أذن له في الخروج إلى المدينة، فلما كان الليل، اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام، فأمر رسول الله علياً أن يبيت بمضجعه، وقال له: تسج ببردتي، فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه، ثم خرج رسول الله ﷺ عليهم، وقد أخذ أبصارهم، فلم يره منهم أحد، ونثر على رؤوسهم التراب وهو يتلو قوله تعالى ﴿يس﴾ إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ ثم أتاهم آت فقال لهم: إن محمداً خرج عليكم ووضع التراب على

﴿يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يوثقوك ويحسبوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كلهم قتلة رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ أعلمهم به ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ قاله النضر بن الحرث لأنه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ المنزل ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾ مؤلم على إنكاره قاله النضر وغيره استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة وجزم ببطلانه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

رؤوسكم، فما من رجل منهم أصابه ذلك التراب، إلا قتل يوم بدر كافراً. قوله: **(بدار الندوة)** أي بالدار التي يقع فيها الحديث والاجتماع، وهي أول دار بنيت بمكة، فلما حج معاوية، اشتراها من الزبير العبدري بمائة الف درهم، ثم صارت كلها بالمسجد الحرام، وهي في جانبه الشمالي. قوله: ﴿**لِيُثْبِتُوكَ**﴾ هذا إشارة لرأي أبي البحتري.

قوله: ﴿**أَوْ يَقْتُلُوكَ**﴾ أي شبان القبائل كلهم قتلة رجل واحد، وهو إشارة لرأي أبي جهل. قوله: ﴿**أَوْ يُخْرِجُوكَ**﴾ هو إشارة لرأي هشام بن عمرو. قوله: ﴿**وَيَمْكُرُونَ**﴾ **(بك)** أي يحتالون ويتدبرون في أمرك. قوله: **(بتدبير أمرك)** جواب عما يقال: إن حقيقة المكر محالة على الله تعالى، لأنه الاحتيال على الشيء من أجل حصول العجز عنه، وأجيب أيضاً: بأن المراد بمكر الله، معاملته لهم معاملة الماكر، حيث خيب سعيهم وضيع أملهم، أو المراد جازاهم على مكرهم، فسمى الجزاء مكراً لأنه في مقابلته. قوله: **(أعلمهم به)** دفع بذلك ما يقال: إن المكر لا خير فيه، وأجيب أيضاً: بأن اسم التفضيل ليس على بابه.

قوله: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾ هذا من جملة قبائح أهل مكة. قوله: ﴿**مِثْلَ هٰذَا**﴾ تنازعه كل من سمعنا وقلنا. قوله: **(الحيرة)** بلدة بقرب الكوفة. قوله: **(اخبار الأعاجم)** أي كالفرس والروم قوله: ﴿**إِلَّا أَسَاطِيرُ**﴾ جمع اسطورة، كأكاذيب جمع أكذوبة وزنا ومعنى، وقد رد الله عليهم تلك المقالة بقوله تعالى: ﴿قل فائتوا بعشر سور منه﴾، وقال أيضاً ﴿قُل فَائتوا بسورة مثله﴾، فعجزوا عن ذلك وقال البوصيري:

سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء

قوله: ﴿**وَإِذْ قَالُوا**﴾ هذا من جملة قبائحهم الشنيعة. قوله: ﴿**هُوَ الْحَقَّ**﴾ القراء السبعة على نصب الحق خبراً لكان، وهو ضمير فصل لا محل له من الإعراب، وقرىء شذوذاً برفعه على أنه خبر للضمير، والجملة خبر لكان. قوله: ﴿**مِنْ عِنْدِكَ**﴾ حال من الحق. قوله: ﴿**حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ**﴾ أي من سجيل مسومة كما أرسلتها على اصحاب الفيل. قوله: ﴿**بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ أي كالصيحة والخسف. قوله: **(قاله النضر)** أي ابن الحرث، وقوله: **(وغيره)** أي وهو أبو الجهل، ولا مانع من أن كلا قال ذلك. قوله: **(استهزاء)** أي سخرية به ﷺ. قوله: **(وإيهاماً أنه على بصيرة)** أي لأن اصعب الأيمان الدعاء على النفس.

﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بما سألوه ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل عم ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ حيث يقولون في طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الأول هي ناسخة لما قبلها وقد عذبهم الله ببدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أن يطوفوا به ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ كما زعموا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ أن لا ولاية لهم عليه ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً﴾ صفيراً ﴿وَتَصْدِيَةً﴾

قوله: **(بما سألوه)** أي وهو الحجارة أو العذاب الأليم، ولا بالعذاب العام، لرفعه ببركته ﷺ. قوله: **﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾** أي في بلدهم، فإن خرجت منها أنت والمؤمنون، عذبهم الله على أيديكم عذاباً خاصاً بهم.

قوله: **﴿وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ﴾** أي عذاباً عاماً ولا خاصاً. قوله: **﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرونَ﴾** الجملة حالية من الضمير في معذبهم. والمعنى أن الله لا يعذبهم، والحال أنهم يستغفرون، فاستغفارهم نافع لهم، بعدم نزول العذاب عليهم. إن قلت: يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه منثوراً﴾، وقوله تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في تباب﴾، أجيب: بأن استغفارهم نافع لهم في الدنيا فقط، وأما هاتان الآيتان فالمراد منهما ما يحصل في الآخرة، فأعمال الكفار الصالحة التي لا تفتقر إلى نية، كالصدقات وفعل المعروف والاستغفار، تنفعهم في الدنيا وتمنع عنهم العذاب فيها، ولا تنفعهم في الآخرة. قوله: **(وقيل هم المؤمنون)** أي فضمير معذبهم يعود إلى أهل مكة، وقوله: **﴿وَهُمْ﴾** الضمير عائد على أهل مكة باعتبار مجموعهم وهم المؤمنون. قوله: **(تزيلوا)** أي تميز المؤمنون على الكفار.

قوله: **﴿وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يُعَذِّبُهُمُ الله﴾** أي: أي شيء ثبت لهم في عدم تعذيب الله لهم، أي لا مانع لهم منه. قوله: **(والمستضعفين)** أي وخروج المستضعفين أيضاً. قوله: **(وعلى القول الأول)** أو وهو كون الضمير عائد على الكفار. قوله: **(هي ناسخة لما قبلها)** أي وهي قوله: **﴿وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** لأنه اخبر أولاً أنه لا يعذبهم مع استغفارهم، وأخبر ثانياً أنه يعذبهم ولا يبالي باستغفارهم، والوجه أنها ليست منسوخة لأنها خبر، والأخبار لا تنسخ، وايضاً استغفارهم قد انقطع بخروجهم للمقاتلة، لارتباط استغفارهم بالبيت. قوله: **﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾** الجملة حالية من ضمير **﴿يُعَذِّبَهُمْ﴾**. قوله: **(أن يطوفوا به)** أي النبي والمؤمنون.

قوله: **﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾** رد لقولهم نحن ولاة البيت فنصد من نشاء، وندخل من نشاء. قوله: **﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾** أي المجتنبون الشرك. قوله: **(أو لا ولاية لهم عليه)** أشار بذلك إلى أن مفعول **﴿يَعْلَمُونَ﴾** محذوف. قوله: **﴿إِلَّا مُكَاءً﴾** استثناء من الصلاة على حسب زعمهم، حيث ادعوا أن المكاء والتصدية من جنس الصلاة، فالإستثناء زيادة في التشنيع عليهم. قوله: **(صفيراً)** أي فكان الواحد منهم يشبك اصابع إحدى كفيه بأصابع الأخرى ويضمها وينفخ فيها، فيظهر من ذلك صوت. قوله:

تصفيقاً أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ ببدر ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ في حرب النبي ﷺ ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ندامة لفواتها وفوات ما قصدوه ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحْشَرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ يساقون ﴿لِيَمِيزَ﴾ متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أي يفصل ﴿ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾ الكافر ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ المؤمن ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ يجمعه متراكماً بعضه على بعض ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ كأبي سفيان وأصحابه ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من أعمالهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ أي سنتنا فيهم بالاهلاك فكذا نفعل بهم ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾

(تصفيقاً) أي ضرباً بأحدى اليدين على الأخرى. قوله: **(أي جعلوا ذلك)** إلخ، جواب عما يقال: إن المكاء والتصدية ليسا من جنس الصلاة، فكيف يصح استثناؤهما منها؟ فأجاب بأنهم كانوا يعتقدون أنهما من جنسها، فجرى الاستثناء على معتقدهم، كانوا يفعلون ذلك حين يشتغل النبي والمؤمنون بالصلاة وقراءة القرآن، كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾.

قوله: **﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** نزلت في كفار مكة، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن المشاهد في الكفار ذلك إلى يوم القيامة. قوله: **﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا﴾** أي يعلمون عاقبة إنفاقها. قوله: **﴿ثُمَّ تَكُونُ﴾(في عاقبة الأمر)** أي وهي عدم وصولهم لمقصودهم. قوله: **﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾** التعبير بثم إشارة إلى أنهم يمهلون استدراجاً لهم، وزيادة حسرة لهم في العاقبة. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿جَمِيعاً﴾** إما حال من الهاء في **﴿فَيَرْكُمَهُ﴾** أو توكيد لها. قوله: **(يجمعه متراكماً بعضه على بعض)** ظاهر الآية أن هذا الجمع قبل دخولهم النار، وحينئذ فيكون بياناً لحالهم في الموقف كما تقدم أنه يكون سبعون ألف قدم على قدم. قوله: **﴿أولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** أي الخائبون في الدنيا وفي الآخرة.

قوله: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أمر للنبي ﷺ أن يبلغ الكفار ما ذكر. قوله: **(كأبي سفيان وأصحابه)** إنما خصهم لأنهم هم الباقون من كفار مكة، لأن الآية نزلت بعد بدر، وفيها قتل من قتل من صناديدهم، وبقي من بقي، فالخطاب لمن بقي. قوله: **﴿إنْ يَنْتَهُوا﴾(عن الكفر)** أي بأن ينطقوا بالشهادتين صادقين مصدقين، فكلمة التوحيد سبب للانتقال من ديوان الأشقياء لديوان السعداء إذا علمت أن هذا الفضل لمن سبق له الكفر، فما بالك بمن لم يسبق له الكفر وعاش مؤمناً ومات كذلك، قال السنوسي: فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضراً لما احتوت عليه المعاني، حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب ما لا يدخل تحت حصر. قوله: **(من أعمالهم)** أي السيئة وأعظمها الكفر.

قوله: **﴿وَإنْ يَعُودُوا﴾** وأصل العود الرجوع عن الشيء بعد التلبس به، وحينئذ فيكون المعنى وإن يرتدوا عن الإسلام بعد تلبسهم به، ويصح أن يفسر العود بالاستمرار على الكفر. قوله: **﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾** أي كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن هلك، إن قلت: إن هؤلاء قد أصابهم الهلاك

توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وحده ولا يعبد غيره ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ فيجازيهم به ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ ﴿٤٠﴾ أي الناصر لكم ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ أخذتم من الكفار قهراً ﴿مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من

العام، وأما أمة محمد ﷺ فمحفوظة منه. وأجيب: بأن التشبيه في مطلق هلاك، وإن كان ما سبق عاماً وهذا خاص، والأقرب أن يراد بالأولين من سبق قبلهم من أولاد عمهم وأقاربهم ممن قتل ببدر، وجملة ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ تعليل لمحذوف ولا يصلح للجواب، وتقدير الجواب: إن يعودوا نهلكهم كما أهلكنا الأولين.

قوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ أي الكفار مطلقاً، مشركين أو غيرهم. قوله: ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي شوكة لأهل الشرك، أي بأن ينقرضوا رأساً، أو بدخولهم في الإسلام، أو بأن يؤدوا الجزية بدليل قوله تعالى: ﴿قَاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخِرِ﴾ إلى أن قال: ﴿حتى يعطوا الجزية﴾ فالمكلف به مأخوذ من مجموع الآيتين. قوله: (توجد) أشار بذلك إلى أن كان تامة و ﴿فِتْنَةٌ﴾ بالرفع فاعلها. قوله: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ﴾ ﴿يَكُونْ﴾ ناقصة و ﴿الـدِّينُ﴾ اسمها و ﴿لِلَّهِ﴾ متعلق بمحذوف خبرها. قوله: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ القراء السبعة على الياء التحتية، وقرأ يعقوب من العشرة بالتاء الفوقية. قوله: (فيجازيهم به) أي بالذي تعملونه من خير وشر. قوله: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي اعرضوا ولم يمتثلوا. قوله: ﴿وَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ هذا ثناء من الله على نفسه، فهو حمد قديم لقديم، والمعنى أن الله ينصر العبد ويشكره ولا يضيعه، بخلاف الناصر من الخلق، ينصر ويمنّ بذلك النصر. قوله: (هو) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف.

قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ تقدم أن الحق أن هذه الآية مفصلة لآية: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لما ونكرة ليشمل الجليل والحقير، والشريف والوضيع. قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ بفتح الهمزة خبر لمحذوف، والتقدير فحكمه أن خمسه لله. قوله: (يأمر فيه بما يشاء) أي فالخمس يقسم ستة أقسام: قسم لله يصرف في الكعبة، والخمسة أقسام: للنبي، ولآله، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وبذلك قال بعض الأئمة غير الأربعة، وقال الأربعة: إنه يقسم خمسة أقسام فقط للخمسة المذكورين، وذكر الله للتعظيم، وهذا ما كان في زمنه، وأما بعد وفاته، فالخمس الذي كان يأخذه النبي يوضع في بيت المال، يصرف في مصالح المسلمين، وهو كواحد منهم، وبهذا قال الشافعي، وقال مالك: النظر فيه للإمام، وقال أبو حنيفة: سقط سهمه وسهم القربى بوفاته، وصار الكل للثلاثة فقط. قوله: (من بني هاشم وبني المطلب) هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: الآل بنو هاشم فقط، وعند أبي حنيفة فرق خمسة: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، وآل الحرث.

قوله: ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ المراد بهم ما يشمل الفقراء. قوله: (المنقطع في سفره) أي المحتاج ولو غنياً

المسلمين أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل خمس الخمس والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ فاعلموا ذلك ﴿وَمَآ﴾ عطف علي بالله ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفار ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤١﴾ ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم ﴿إِذْ﴾ بدل من يوم ﴿أَنتُم﴾ كائنون ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ القربى من المدينة وهي بضم العين وكسرها جانب الوادي ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ البعدى منها ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ العير كائنون بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ مما يلي البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم والنفير للقتال ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ في علمه وهو نصر الإسلام ومحق الكفر فعل ذلك ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ يكفر ﴿مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ يؤمن ﴿مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٤٢﴾ اذكر

بلده. قوله: (أي يستحقه النبي) إنما لم يقل الله، و ﴿النَّبِيَّ﴾ إشار إلى أن ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك، كما هو التحقيق. قوله: (من أن لكل) أي من الأصناف الخمسة. قوله: (والأخماس الأربعة) بيان لمفهوم قوله خمسة. قوله: (فاعلموا ذلك) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف، لدلالة ما قبله عليه، والمراد علم ذلك مع العمل بمقتضاه، لأن العلم المجرد لا ثمرة له. قوله: (عطف على بالله) أي على مدخول الباء، وهو لفظ الجلالة. قوله: (من الملائكة) إلخ بيان لما. قوله: (الفارق بين الحق) أي بظهوره واتضاحه. وقوله: (والباطل) أي بخموده وذهابه. قوله: ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بدل من يوم الأول.

قوله: ﴿والله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كالتذييل والتدليل لما قبله. قوله: (بدل من يوم) أي الثاني بدل اشتمال. قوله: (بضم العين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان، والعدوة الشاطىء والشفير والجانب، سميت بذلك لأن السيل يعدوها ويتجاوزها لعلوها عن الوادي، والمعنى أنتم بالجانب القريب من المدينة، وهم بالجانب الآخر، وبينهما مقدار الرامي. قوله: (كائنون بمكان) ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿الرَّكْبُ﴾ مبتدأ خبره محذوف وقوله: ﴿أَسْفَلَ﴾ ظرف صفة لمحذوف، والمعنى أن ﴿الرَّكْبُ﴾ في مكان ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ بحيث لو استغاثوا بقومهم لأغاثوهم.

قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أي أعلم كل منكم الآخر بالخروج للقتال. قوله: ﴿لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أي لأمكن اختلافكم في التواعد، بمعنى انكم لم توفوا بذلك، بل قد تتخلفون عن الخروج. قوله: ﴿لِيَهْلِكَ﴾ علة لمحذوف قدره المفسر بقوله: (فعل ذلك) وهو جمعهم بغير ميعاد، وإخراجهم بغير تأهل. قوله: (يكفر) أي يستمر على كفره. قوله: (أي بعد حجة) أشار بذلك إلى أن ﴿عَنْ﴾ بمعنى بعد، على حد قوله تعالى: ﴿ولتركبن طبقاً على طبق﴾، والمعنى أنه لم يبق لهم عذر في عدم إيمانهم، بل صار كفرهم عناداً. قوله: ﴿وَيَحْيَى﴾ أي يستمر على الحياة وهي الإيمان. قوله: ﴿مَنْ حَيَّ﴾ بالفك والإدغام، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَإِنَّ الله لَسَمِيعٌ﴾ أي بأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم فيجازيكم عليها. قوله:

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ﴾ أي نومك ﴿قَلِيلًا﴾ فأخبرت به أصحابك فسروا ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ جبنتم ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أمر القتال ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ كم من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿٤٣﴾ بما في القلوب ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ نحو سبعين أو مائة وهم ألف لتقدموا عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما في آل عمران ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿ٱلْأُمُورُ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعة كافرة ﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ ادعوه بالنصر ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ تفوزون ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟﴾ تختلفوا فيما بينكم

﴿قَلِيلاً﴾ مفعول ثالث، لأن رأي العلمية تنصب مفعولين بلا همز، فإذا دخلت عليها الهمزة نصبت ثلاثة. والمعنى اذكر يا محمد هذه النعمة العظيمة، وهي رؤيتك إياهم في المنام قليلاً، تشجيعاً لأصحابك وتثبيتاً لهم، وإشارة إلى ضعف الكفار، وأنهم يهزمون، وبهذا اندفع ما يقال: إن رؤيا الأنبياء حق، فكيف يراهم قليلاً مع كثرتهم.

قوله: ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً﴾ أي وأخبرت أصحابك بذلك. قوله: ﴿لَتَنَازَعْتُمْ﴾ عطف على فشلتم، عطف سبب على مسبب. قوله: ﴿وَلَكِنَّ الله سَلَّمَ﴾ مفعوله محذوف قدره المفسر، وقوله: **(من الفشل)** إلخ، متعلق بسلم. قوله: **(بما في القلوب)** أي الخطرات والسرائر التي احتوت عليها القلوب، فالمراد بصاحبات الصدور والسرائر، و﴿الصُّدورِ﴾ القلوب، من باب تسمية الحال باسم محله، قوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ هذه الرؤية بصرية، فتنصب مفعولاً واحداً إن لم تدخل عليها الهمزة، وإلا نصبت مفعولين، فالكاف مفعول أول، والهاء مفعول ثان، و﴿قَلِيلاً﴾ حال. قوله: **(أيها المؤمنون)** تفسير للكاف. قوله: **(وهم ألف)** أي في الواقع ونفس الأمر. قوله: **(لتقدموا عليهم)** علة لقوله: ﴿يُرِيكُمُوهُمْ﴾ إلخ. قوله: **(ليقدموا)** علة لقوله: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ﴾. قوله: **(وهذا)** أي تقليلكم في أعينهم. قوله: **(أراهم)** أي الكفار، **(إياهم)** أي المسلمين **(مثليهم)** أي مثلي الكفار وكانوا ألفاً، فرأوا المسلمين قدر ألفين، لتضعف قلوبهم، ويتمكن المسلمون منهم، فلا تنافي بين ما هنا، وبين ما تقدم.

قوله: ﴿لِيَقْضِيَ الله أَمْراً﴾ علة لمحذوف تقديره فعل ذلك ليقضي إلخ. قوله: ﴿تُرْجَعُ﴾ بالبناء للفاعل أو للمفعول، قراءتان سبعيتان، و﴿الأُمُورُ﴾ فاعل على الأول، ونائب فاعل على الثاني. قوله: **(تصير)** هذا على قراءة البناء للفاعل، وأما على قراءة البناء للمفعول، فمعناه ترد. قوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ أي حاربتم جماعة، والفئة إسم جمع لا واحد له من لفظه. قوله: ﴿فَاثْبُتُوا﴾ أمر للمؤمنين في أي زمان. قوله: **(ادعوه بالنصر)** أي فالمراد بالذكر ما يشمل الدعاء، ويصح أن يبقى الذكر على إطلاقه، فيشمل ملاحظته تعالى بالقلوب، وأنه معهم بالعون والنصر. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الترجي بمنزلة التحقق لأنه وعد ووعد الله لا يخلف.

قوله: ﴿وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ﴾ أي فيما يأمركم به. قوله: ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ عطف مسبب على سبب

﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾ تجبنوا ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ قوتكم ودولتكم ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ بالنصر والعون ﴿وَلَا تَكُونُواْ كالذين خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ حيث قالوا لا نرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُحِيطٞ﴾ ﴿٤٧﴾ علماً فيجازيهم به ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ إبليس ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ من كنانة وكان أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ﴾ التقت ﴿ٱلۡفِئَتَانِ﴾ المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده في يد الحرث بن هشام ﴿نَكَصَ﴾ رجع ﴿عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ هارباً ﴿وَقَالَ﴾ لما قالوا له أتخذ لنا على هذا الحال ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ﴾

قوله: (**تجبنوا**) أي عن الحرب. قوله: ﴿**وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ عطف مسبب على سبب أيضاً، وهذا على الترتيب، فالاختلاف ينشأ عنه الجبن، والجبن ينشأ عنه ذهاب الريح. قوله: (**قوتكم**) أي ويطلق على الغلبة والرحمة والنصرة. قوله: (**ودولتكم**) الدولة في الحرب بفتح الدال وجمعها دول بكسر الدال، وأما دولة المال فبضم الدال وجمعها دول بضم الدال. قوله: ﴿**وَاصْبِرُوا**﴾ أي على قتالهم.

قوله: ﴿**كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ**﴾ أي وهم أبو جهل ومن ذلك أنهم لما بلغوا الجحفة، وافاهم رسول الله أبي سفيان وقال لهم: ارجعوا فقد سلمت عيركم، فقال أبو جهل: لا والله حتى نقدم بدراً، ونشرب الخمر، وننحر الجزور، وتضرب علينا القيان، فيتسامع بذلك الناس ويهابوننا. قوله: (**ليمنعوا عيرهم**) أي ليمنعوا المسلمين عن قافلتهم التي كانت مع أبي سفيان. قوله: (**ولم يرجعوا بعد نجاتها**) قدره المفسر إشارة إلا أن ﴿**بَطَراً**﴾ وما عطف عليه علة لمحذوف لا، لقوله: ﴿**خَرَجُوا**﴾ لأن خروجهم ليس للبطر، بل لمنع الناس عن العير، والبطر علة لعدم رجوعهم بعد نجاحها. قوله: ﴿**بَطَراً**﴾ هو وما بعده مفعول لأجله، والبطر كفران النعمة وعدم شكرها. قوله: (**القيان**) جمع قينة، وهي الجارية المغنية. قال ابن مالك: فعل وفعله قيام لهما. قوله: (**فيتسامع بذلك الناس**) أي القبائل فيهابوننا، وقد بدلهم الله شرب الخمور بشرب كأس الموت، وضرب القيان بنوح النائحات، ونحر الجزور بنحر رقابهم.

قوله: ﴿**وَيَصُدُّونَ**﴾ عطف على بطرا، فهو في قوة المصدر أي وصداً، قال ابن مالك: واعطف على اسم شبه فعلى فعلاً. قوله: (**بالياء والتاء**) ظاهره أنهما سبعيتان وليس كذلك، بل التاء الفوقية لم يقرأ بها السبعة ولا العشرة، فذكرها سبق قلم. قوله: ﴿**وَإِذْ زَيَّنَ**﴾ عطف على ﴿**ولا تكونوا**﴾ عطف قصة على قصة ﴿**وَإِذْ**﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره بقوله: (**اذكر**). قوله: (**لما خافوا الخروج**) أي لما خافوا من أعدائهم حين الخروج من مكة لقتالهم. قوله: (**بني بكر**) أي وهم قبيلة كنانة، وكانت قريبة من قريش، وبينهم الحروب الكثيرة.

قوله: ﴿**وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ**﴾ أي مجير ومعين. قوله: (**وكان أتاهم**) إلخ، قال ابن عباس: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين، معه راية في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة بن مالك، فقال المشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس. قوله: (**ورأى الملائكة**) أي نازلين من السماء. قوله: (**أتخذلنا**)

مِنكُمْ﴾ من جواركم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أن يهلكني ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهماً أنهم ينصرون بسببه قال تعالى في جوابهم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يثق به يغلب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٤٩﴾ في صنعه ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ حال ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ بمقامع من حديد ﴿وَ﴾ يقولون لهم ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ ﴿٥٠﴾ أي النار وجواب لو لرأيت أمراً عظيماً ﴿ذَٰلِكَ﴾ التعذيب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر

أي تترك نصرتنا في هذه الحالة فعلى بمعنى في. قوله: (أن يهلكني) أي بتسليط الملائكة علي. إن قلت: إنه من المنظرين، فكيف يخاف الهلاك حينئذ؟ أجيب: بأنه لشدة ما رأى من الهول، نسي الوعد بأنه من المنظرين، وما أشار له المفسر جواب عما يقال، إن الشيطان لا خوف عنده، وإلا لما كفر وأضل غيره. وأجيب أيضاً بأن قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ الله﴾ كذب ولا مانع من ذلك. قوله: ﴿والله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ يصح أن يكون من جملة قول الشيطان واعتذاره، أو مستأنف تهديد له من كلام الله تعالى.

قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ أي الكائنون بالمدينة، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي الكائنون بمكة، إذ لم يحضر وقعة بدر منافق، إلا عبد الله بن أبي فقط، ولم يكن فيها ضعيف إيمان. قوله: (توهماً) مفعول لخرجوا والضمير في (بسببه) عائد على الدين. قوله: (يغلب) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فَإِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ دليل عليه.

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ الرؤية بصرية، ومفعولها محذوف تقديره حال الكفار وقت الموت. ﴿وَلَوْ﴾ حرف شرط تقلب المضارع ماضياً عكس إن. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الياء الأمر ظاهر، وعلى التاء فلأن الجمع يجوز تذكيره وتأنيثه. قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل المراد جمع الكفار من وجد وسيوجد، وقيل المراد الكفار الذين قتلوا ببدر، واختلف أيضاً في وقت الضرب، فقيل عند الموت تعجيلاً للمساءة، وقيل ذلك يوم القيامة، ولا مانع من الجميع. قوله: (حال) أي من الملائكة. قوله: ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ المراد أمامهم وخلفهم فيعمون جميع أجسادهم بالضرب. قوله: (بمقامع من حديد) جمع مقمعة بكسر الميم، وهي العصا من الحديد المحماة بالنار، ولو وضعت على جبال الدنيا لدكت.

قوله: ﴿وَذُوقُوا﴾ قدر المفسر (يقولون) إشارة إلى أنه معطوف على ﴿يَضْرِبُونَ﴾ فهو حال أيضاً. قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، وقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ متعلق بمحذوف خبر، والباء سببية. قوله: (عبر بها) إلخ. دفع بذلك ما يقال إن إذاقة العذاب حاصلة، بسبب ما فعلوا بجميع أعضائهم، فلم خصت الأيدي؟ فأجاب بما ذكر، وبعضهم فسر الأيدي بالقدر جمع قدرة، فيكون المعنى ذلك، بسبب ما قدمته قدرتكم وكسبكم، فإن اليد تطلق ويراد بها القدرة، قال تعالى: ﴿يَد الله فوق أيديهم﴾. قوله: ﴿وأَنَّ الله﴾ معطوف على ﴿مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، والمعنى ذلك بسبب ما قدمت أيديكم، وبسبب

بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلۡعَبِيدِ﴾ ﴿٥١﴾ فيعذبهم بغير ذنب دأب هؤلاء ﴿كَدَأۡبِ﴾ كعادة ﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾ جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ﴾ على ما يريده ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي بسبب أن ﴿ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف وبعث النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ﴾ قومه معه ﴿وَكُلّٞ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُواْ

﴿أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ونفي الظلم عن الله كناية عن العدل، فكأنه قال ذلك بسبب الذي قدمته أيديكم، وبسبب عدل الله فيكم. قوله: **(أي بذي ظلم)** دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر الآية، أن أصل الظلم ثابت لله، والمنفي كثرته، فأجاب المفسر بأن هذه الصيغة ليست للمبالغة بل للنسب، قال ابن مالك:

ومع فعل وفعال فعل ... في نسب أغنى عن اليا فقبل

وحينئذ فقد انتفى أصل الظلم، بل لا يريده أصلاً، قال تعالى: ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ لأن الإرادة لا تتعلق إلا بالجائز، والظلم من الله مستحيل عقلاً، لأن حقيقة التصرف في ملك الغير من غير إذنه، ولا يتصور العقل ملكاً لغير الله. قوله: **﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾** الكاف متعلقة بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: **(دأب هؤلاء)** وهذا تسلية له ﷺ. قوله: **﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾** تفصيل للدأب وتفسير له، كما قال المفسر. قوله: **﴿فَأَخَذَهُمْ اللهُ﴾** أي أهلكهم، لكن هلاك غير هذه الأمة بالرجفة والزلزلة والكسف والمسخ من كل عذاب عام، وهلاك كفار هذه الأمة بالسيف، فالمماثلة في مطلق الهلاك. قوله: **﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾** الباء سببية.

قوله: **﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** كالدليل لما قبله. قوله: **(أي تعذيب الكفرة)** أي بسبب ما قدمت أيديهم. قوله: **﴿بِأَنَّ اللهَ﴾** الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن اسم الإشارة، والجملة تعليل لمجموع المعلول وعلته السابقين. قوله: **﴿لَمْ يَكُ﴾** مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفاً، قال ابن مالك:

ومن مضارع لكان منجزم ... تحذف نون وهو حذف ما التزم

وأصله يكون دخل الجازم فسكنت النون فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، ثم حذفت النون تخفيفاً. قوله: **(يبدلوا نعمتهم كفراً)** أي يتركوا ما يجب للنعم من شكرها والقيام بحقها، ويرتكبوا عدم الشكر، وعدم القيام بحقها، والمعنى يبدولون ما بهم من الحال إلى حال أسوأ منه، فتغيرت نعمة إمهالهم بمعاجلة العذاب لهم. قوله: **﴿وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾** أي لأقوالكم عليم بأحوالكم. قوله: **﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾** إلخ، كرر تفصيلاً لما قبله، لأنه مقام ذم وهو كالمدح، البلاغة فيه الإطناب. قوله: **﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** أي كقوم نوح وهود، وقوم صالح وغيرهم. قوله: **﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾** أي بسببها. قوله: **(قومه معه)** أشار بذلك إلى أن المراد بآل فرعون هو وآله.

ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ .ونزل في قريظة ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ الله في غدرهم ﴿فَإِمَّا﴾ فيه ادغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿تَثۡقَفَنَّهُمۡ﴾ تجدنهم ﴿فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ﴾ فرق ﴿بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ أي الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يتعظون بهم ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةٗ﴾ في عهد بأمارة تلوح لك ﴿فَٱنۢبِذۡ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حال أي مستوياً أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ ونزل فيمن أفلت يوم بدر ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾ الله أي

قوله: ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ فيه مراعاة معنى كل، ولو روعي لفظها لقيل وكل كان ظالماً، وكل صحيح، وإنما روعي معناها مراعاة للفواصل. قوله: (ونزل في قريظة) أي حين قدم رسول الله المدينة، وعاهدهم أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، فنقضوا عهده وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح ثم قالوا نسينا وأخطأنا، فعاهدهم الثانية، فنقضوا ايضاً، وتمالؤوا مع الكفار على قتال رسول الله ﷺ يوم الخندق.

قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ في ذلك إشارة إلى أنهم بمعزل من جنسهم، وإنما هم من جنس الدواب ومع ذلك هم شر من جميع أفرادها، قال تعالى: ﴿وإن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾. قوله: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ بدل من الموصول قبله، أو نعت أو عطف بيان. قوله: (لا يعينوا المشركين) أي كفار مكة، فنقضوا أولاً وثانياً. قوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ أي تظفرن بهم. قوله: ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ﴾ الباء سببية، والكلام على حذف مضاف، أي سبب عقوبتهم وتنكيلهم. قوله: ﴿مِنْ خَلْفَهُمْ﴾ مفعول لشرد، والمراد بمن خلفهم كفار مكة، والمعنى إذا ظفرت بقريظة فعاقبهم، ليتفرق كفار مكة وغيرهم بمن نقض عهدك ويتعظوا بهم، فصيرهم عبرة لغيرهم، حتى لا يكون لهم قوة على محاربتك. قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ خطاب عام للمسلمين وولاة الأمور، وإن كان أصل نزولها في قريظة قوله: ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي أعلمهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم فشبه العهد بالشيء الذي يرمى، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو النبذ، فإثباته تخييل. قوله: (بأن تعلمهم به) أي لم يكن عذرهم ظاهراً طهوراً بينا، وإلا فلا يحتاج للإعلان. والحاصل: أنه إذا ظهرت أمارات نقض العهد، وجب على الإمام أن ينبذ عهدهم، ويعلمهم بالحرب قبل الركوب عليهم، بحيث لا يعد الإمام غادراً لهم، وإن ظهرت الخيانة ظهوراً مقطوعاً به، فلا حاجة إلى نبذ العهد ولا الإعلام، بل يبادرهم بالقتال. قوله: ﴿إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ تعليل للأمر بنبذ العهد. قوله: (ونزل فيمن أفلت) أي في الكفار الذين خلصوا وهربوا، وهذا تسلية لرسول الله وأصحابه، حيث حزنوا على نجاة من نجا من الكفار، وكان غرضهم استئصالهم بالقتل والأسر.

قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ الخطاب لرسول الله، والمعنى لا تظن يا محمد الذين كفروا فائتين الله وفارين من عقابه، إنهم لا يعجزونه، وهذا وإن كان في أهل بدر، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وحسب تتعدى للمفعولين: الأول ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، والثاني: جملة سبقوا، وهذا على قراءة التاء

فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ لا يفوتونه وفي قراءة بالتحتانية فالمفعول الأول محذوف أي أنفسهم وفي أخرى بفتح أن على تقدير اللام ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم﴾ لقتالهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ هي الرمي رواه مسلم ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ مصدر بمعنى حبسها في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي غيرهم وهم المنافقون أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ تنقصون منه شيئاً ﴿وَإِن جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ بكسر السين وفتحها الصلح ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ وعاهدهم قال ابن عباس هذا منسوخ بآية السيف ومجاهد مخصوص بأهل الكتاب

الفوقية، وأما على قراءة الياء التحتية، فالذين كفروا فاعل، والمفعول الأول محذوف تقديره أنفسهم كما قال المفسر، والمفعول الثاني جملة ﴿سَبَقُوا﴾. قوله: **(وفي قراءة بفتح أن)** أي مع الياء التحتية لا غير، فالقراءات ثلاث، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع: وحاصلها أن التاء فيها وجهان، فتح إن وكسرها، والياء فيها وجه واحد، وهو فتح أن لا غير. قوله: **(تقدير اللام)** أي التي للتعليل.

قوله: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾** أي للكفار مطلقاً، أو لناقضي العهد. قوله: **﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾** بيان لما. قوله: **(هي الرمي)** هذا الحديث رواه عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾** ألا إن القوة الرمي» ثلاثاً، أخرجه مسلم وقيل: المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو، من سلاح ورمي وخيل ورجال ودروع وغير ذلك، ولا منافاة بين هذا وبين قوله عليه الصلاة والسلام: «ألا إن القوة الرمي»، لأن المراد معظم القوة الرمي على حد الحج عرفة، والندم توبة، وهذا هو الأحسن. قوله: **(مصدر)** أي سماعي، وإلا فالقياسي لما يقتضي الاشتراك، كقاتل وخاصم وضارب.

قوله: **﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾** أي بالرباط الذي هو بمعنى الربط. قوله: **(أي كفار مكة)** هذا باعتبار سبب نزول الآية، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ، فالمراد جميع الكفارة في أي زمان. قوله: **(وهم المنافقون)** أورد عليه أن المنافقين لا يقاتلون. أجيب بأن المراد بإرهابهم، ادخال الرعب والحزن في قلوبهم، لأنهم إذا شاهدوا قوة المسلمين وشهامتهم، كان ذلك مرهباً ومخوفاً لهم. قوله: **(أو اليهود)** أو مانعة خلو، فتجوز الجمع. قوله: **﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾** أي لا تعلمون بواطنهم وما انطووا عليه. قوله: **﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾** أي في جهاد الكفار. قوله: **﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾(جزاؤه)** أي فالحسنة بسبعمائة، قال تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبَّة﴾ الآية. قوله: **(تنقصون منه شيئاً)** أي وسماه ظلماً لأن وعده بالخير لا يتخلف فكأنه واجب، وضده مستحيل، وليس المراد الظلم الحقيقي، لأنه التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد معه،

قوله: **﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾** أي الكفار مطلقاً وبنو قريظة، وعلى هذين القولين، يتخرج القول بالنسخ والقول بالتخصيص، الذي أشار له المفسر بقوله: **(قال ابن عباس)** الخ، وهذا مبني على أن المراد بالصلح عقد الجزية، وأما إن أريد بالصلح غيره من الهدنة والأمان فلا نسخ، إذ يصح عقد ذلك لكل كافر، وهذا التقرير مرور على مذهب الشافعي، من أن الجزية لا تضرب إلا على أهل الكتاب فقط، وقال

إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿٦١﴾ بالفعل ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح ليستعدوا لك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾ كافيك ﴿ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿وَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحن ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾ لا يخرج شيء عن حكمته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَ﴾ حسبك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ﴾ حث ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ للكفار ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ وهذا خبر بمعنى الأمر أي ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة الألف ويثبتوا ثم نسخ لما كثروا بقوله ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة أمثالكم ﴿فَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ منهم

مالك: إن الجزية تضرب على كل كافر صح سباؤه، كان من أهل الكتاب أو لا، فعلى مذهبه ليس في الآية نسخ أصلاً. قوله: (بكسر السين وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ أي فوض أمرك له. قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ شرط حذف جوابه، تقديره فصالحهم ولا تخف من عذرهم. قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي قواك بأسباب باطنية، وهي نصره لك من غير واسطة، وبأسباب ظاهرية وهم المؤمنون. قوله: (بعد الإحن) جمع إحنة وهي العداوة والشحناء التي كانت بين الأوس والخزرج. قوله: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي بعد أن كان ما كان بينهم من البغضاء والعداوة والحروب العظيمة، مائة وعشرين سنة، حتى لو أن رجلاً من قبيلة لطم لطمة واحدة لقاتل عنه أهل قبيلته، حتى يدركوا ثأرهم، فلما آمنوا برسول الله، زالت تلك الحالة، وانقلبت العداوة محبة في الله ورسوله، فكان معجزة عظيمة لرسول الله ﷺ. قوله: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ الخ، هذا امتنان من الله على نبيه بتلك النعمة العظيمة.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ﴾ قيل نزلت ببدر، فالمراد بالمؤمنين: الذين كانوا حاضرين وقعتها، فيكون في ذلك مدح عظيم لهم، ودليل على شرفهم، ويؤخذ من ذلك، أن المؤمنين إذا اجتمعت قلوبهم مع شخص لا يخذلون أبداً، وليس في ذلك اعتماد على غير الله، لأن المؤمنين ما التفت لهم إلا لإيمانهم وكونهم حزب الله، فرجع الأمر لله، وقيل: نزلت في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد إسلام ثلاثة وثلاثين رجلاً وست نسوة، فيكون هو متمماً للأربعين، فعلى الأول الآية مدنية كبقيتها، وعلى الثاني تكون الآية مكية، اثناء سورة مدنية، ولا مانع أنها نزلت مرتين بمكة يوم إسلام عمر، ومرة بالمدينة في أهل بدر. قوله: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ معطوف على لفظ الجلالة. قوله: ﴿حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ أي مرهم أمراً أكيداً، أو رغبهم فيه. قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ﴾ إما تامة وفاعلها ﴿عِشْرُونَ﴾ و ﴿مِنْكُمْ﴾ حال، وإما ناقصة، فعشرون اسمها، ومنكم خبرها، وهكذا يقال فيما بعدها. و﴿يَكُنْ﴾ وقع هنا خمس

﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ بإرادته وهو خبر بمعنى الأمر أي لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ بعونه. ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ

مرات: الأول والرابع بالياء لا غير، والثاني والثالث والخامس بالياء والتاء، كما سيأتي للمفسر، فيما سكت عنه فبالياء لا غير، وما نبه عليه ففيه الوجهان.

قوله: ﴿صَابِرُونَ﴾ أي محتسبون أجرهم عند الله، وهذا خبر بمعنى الأمر، لقلة المسلمين وكثرة الكافرين، وحكمة ذلك: التكليف أن المسلمين وليهم الله، فهم معتمدون عليه، ومتوكلون عليه، فبذلك الوصف كان الواحد مكلفاً بقتال عشرة، وأما الكفار فلا ناصر لهم، وهم معتمدون على قوتهم، وذلك داع للضعف والهزيمة، وفي الآية من المحسنات البديعية الاحتباك، وهو الحذف من كل نظير ما أثبت في الآخر، فقد أثبت صابرون في الأول، وحذف الذين كفروا منه، وأثبت الذين كفروا في الثاني، وحذف لفظ الصبر منه. قوله: **(وهذا خبر بمعنى الأمر)** أي وقد كان هذا في صدر الإسلام، وكان فرار المائة من الألف حراماً، ثم نسخ. قوله: **(بضم الضاد وفتحها)** أي فيهما قراءتان سبعيتان، والمراد الضعف في الأبدان، لكثرة العبادة والتعب، فرحمهم الله وأكرمهم، وأيضاً علم الله ضعف ما يأتي بعد الصدر الأول عن القتال، فخفف الله عن الجميع. قوله: **(وهو خبر بمعنى الأمر)** أي وقد استمر ذلك الأمر إلى يوم القيامة. قوله: **(ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر)** أي وكانوا سبعين من صناديدهم، روي أنه لما جيء بالأسارى، قال رسول الله ﷺ :«ما تقولون في هؤلاء؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله، أهلك وقومك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فداء يكون لنا قوة على الكفار، وقال عمر: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك، قدمهم نضرب أعناقهم، مكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكن حمزة من العباس يضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر، وقال ابن رواحة: انظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبهم، ثم دخل، فقال ناس يأخذ بقول عمر، وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة، ثم خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: «إن الله ليلين قلوب رجال، حتى تكون ألين من اللبن، ويشد قلوب رجال، حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم.﴿قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ومثل عيسى قال: ﴿إنْ تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ومثلك يا عمر مثل نوح قال:﴿رَب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ومثل موسى:﴿قَال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾ الآية، ثم قال رسول: اليوم أنتم عالة، فلا يفلتن أحد منهم، إلا بفداء أو ضرب عنقه» قال عمر بن الخطاب: فهوى رسول الله ما قاله أبو بكر، ولم يهوه ما قلت، وأخذ منهم الفداء وهو عن كل واحد عشرون أوقية من الذهب، وقيل أربعون أوقية، إلا العباس فأخذ منه ثمانون أوقية عن نفسه، وعن ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث ثمانون، وأخذ منه وقت الحرب عشرون، فجملة ما أخذ منه مائة وثمانون أوقية، قال عمر: فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله وأبو بكر يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله: ابكي للذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء، فقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه ﷺ فنزلت الآية، وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، فرسول الله

﴿أَن يَكُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيا المؤمنون ﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٧﴾ وهذا منسوخ بقوله فإما منا بعد وإما فداء ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ باحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ وفي قراءة الأسرى ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ

لن يعمل إلا ما أبيح له، وإنما عتابه تعليماً لمن يتولى الأمور من أمته حسن السياسة، من أنه لا يقبل الفداء من الكفار، حتى يكون قادراً عليهم، وظافراً بهم. قوله: (بالتاء والياء) أي فهما سبعيتان، لكن على الفوقية تتعين الإمالة في أسرى، وعلى التحتية تجوز الإمالة وعدمها.

قوله: ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ أي حتى تظهر شوكة الإسلام وقوته، وذل الكافرين. قوله: ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ أي متاعها، سمي عرضاً لزواله وعدم ثباته. قوله: ﴿والله يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ أي يرضاها لكم. قوله: (وهذا منسوخ) أي قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ هكذا مشى المفسر على هذا القول وهو ضعيف، بل ما هنا مقيد بالإثخان، أي كثرة القتال المترتب عليها عز الإسلام وقوته، وما يأتي في سوة القتال من التخيير محله بعد ظهور شوكة الإسلام حيث قال: فإذا أثختنموهم فشدوا الوثاق، فإذا علمت ذلك، فالآيتان متوافقتان في أن كلاً يدل على أنه لا بد من تقديم الإثخان ثم بعده الفداء.

قوله: ﴿لَوْلاَ كِتَابٌ﴾ ﴿لَوْلاَ﴾ حرف امتناع لوجود، و ﴿كِتَابٌ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿مِنَ الله﴾ صفة له، وكذا قوله: ﴿سَبَقَ﴾ والخبر محذوف تقديره موجود، والمعنى لولا وجود حكم من الله مكتوب بإحلال الغنائم لمسكم إلخ، فهو عتاب على ترك الأولى، لا على فعل منهي عنه، تنزيهاً لرسول أي أكلاً حلالاً. قوله: ﴿طَيِّباً﴾ أي خالصاً لا شبهة فيه.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسَارَى﴾ نزلت في العباس عم رسول الله، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة لبدر، وكان معه عشرون اوقية من ذهب، فلما أخذ اسيراً أخذت منه، فكلم رسول الله ﷺ أن يحسبها من فدائه فأبى وقال له: شيء خرجت به لتسعين به علينا فلا نتركه لك، فقال العباس: يا محمد أتتركني اتكفف قريشاً ما بقيت؟ فقال رسول الله: فأين الذهب الذي وضعته عند أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حادث فهذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل، فقال العباس: وما يدريك يا ابن أخي؟ فإني اعطيتها إياه في سواد الليل، ولم يطلع عليه أحد إلا الله، فقال: أخبرني به ربي، فقال: اشهد أن لا إله إلا الله، واشهد أنك عبده ورسوله، وأنك صادق، وامر ابني اخيه عقيلاً ونوفل بن الحرث فأسلما، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ الآية، فكان العباس يقول: ابدلني الله خيراً مما أخذ مني، عشرين عبداً تجاراً يضربون بمال كثير، ادناهم يضرب بعشرين الفاً مكان العشرين اوقية، واعطاني زمزم، وما أحب أن لي بها جميع أموال اهل مكة، وأنا انتظر المغفرة من ربي. قوله: ﴿مِنَ الأَسَارَى﴾ بالإمالة لا غير. قوله: (وفي قراءة الأسرى) أي بالإمالة وتركها، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعية.

أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿وَإِن يُرِيدُوا﴾ أي الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بما أظهروا من القول ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ ببدر قتلاً وأسراً فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٧١﴾ في صنعه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المهاجرون ﴿وَالَّذِينَ آوَوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَّنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار ﴿أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم﴾ بكسر الواو وفتحها ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لهم على الكفار ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم

قوله: (من الفداء) بيان لما قوله: ﴿خِيَانَتَكَ﴾ أي بنقض العهد الذي عاهدوك عليه، وهو أن لا يحاربوك، ولا يعاونوا عليك المشركين. قوله: (بما اظهروا من القول) أي قولهم: (رضينا بالإسلام). قوله: (فليتوقعوا) هذا في الحقيقة جواب الشرط الذي هو قوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ أي سبق لهم الإيمان والانتقال مع رسول الله من مكة إلى المدينة، وهم السابقون الأولون الذين حضروا الغزوات قبل الفتح، الذين قال الله فيهم للفقراء المهاجرين﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ .قوله: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ متعلق بجاهدوا أي بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا﴾(النبي) أي والمهاجرين، ولم يذكرهم المفسر لأنهم تبع لرسول الله. قوله: (وهم الأنصار) أي الذين قال الله فيهم (والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة). قوله: (في النصرة والإرث) أي فكان الأنصار ينصرون المهاجرين وبالعكس، وكان المهاجري يرث الأنصاري الذي آخاه معه رسول الله وبالعكس. قوله: ﴿وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾ أي بأن أقاموا بمكة. قوله: (بكسر الواو وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾(من) زائدة، و ﴿شَيْءٍ﴾ مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. قوله: (فلا إرث بينكم وبينهم) أي لا إرث بين المهاجرين والأنصار، وبين الذين لم يهاجروا. قوله: (ولا نصيب لهم في الغنيمة) اعترض بأن الغنيمة لا يأخذها إلا من قاتل، وهؤلاء لم يقاتلوا، فالأولى حذف هذه العبارة. قوله: (وهذا منسوخ) اسم الإشارة على ما تقدم، ن أن الإرث بين المهاجرين والأنصار ثابت بالإيمان والهجرة، ومنفي بين من لم يهاجر وبين الأنصار والمهاجرين. قوله: (بآخر السورة) أي وهو قوله:﴿وَأُولُو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾

قوله: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي طلبوا منكم النصرة لأجل إعزاز الدين، والضمير عائد على ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾. قوله: ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي من الكفار، وهم

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث فلا إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي تولي المسلمين وقطع الكفار ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ في الجنة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ﴾ أي بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ ومنه حكمة الميراث.

أهل مكة. قوله: **(وتنقضوا عهدهم)** أي الصلح الكائن بالحديبية سنة ست على ترك القتال عشر سنين. قوله: **(في النصرة والإرث)** أي فهما ثابتان بين الكفار بعضهم لبعض. قوله: **(فلا إرث بينكم وبينهم)** أي ولا نصرة. قوله: **﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾** إن شرطية مدغمة في لا النافية، و **﴿تَفْعَلُوهُ﴾** فعل الشرط، و **﴿تَكُنْ﴾** جواب الشرط. والمعنى: إن لم تفعلوا ما ذكر من تولي المؤمنين وقطع الكفار، بل توليتم الكفار، وقطعتم المؤمنين، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، لأنه يترتب على ذلك، قوة الكفار، وضعف المسلمين، وهذا ما حل به المفسر، ويحتمل أن لا زائدة والمعنى: إن تفعلوا ما نهيتم عنه من موالاة الكفار وقطع المؤمنين.

قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾** إلخ ليس مكرراً مع ما تقدم، لأن ما هنا بيان لفضلهم، وما تقدم بيان لكونهم أولياء بعض، وأيضاً ما تقدم في الهجرة قبل عام الحديبية، وما هنا في الهجرة قبل الفتح، وكان قبل الحديبية أو بعدها. قوله: **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾** أي الكاملون في الإيمان بلا شك. قوله: **(لهم مغفرة)** أي لذنوبهم. قوله: **﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** أي لا تعب فيه ولا مشقة، ويؤخذ من هذه الآية أن جميع المهاجرين والأنصار مبشرون بالجنة من غير سابقة عذاب، وأما ما ورد من أن المبشرين عشرة، فلأنهم جمعوا في حديث واحد. قوله: **﴿مِنْ بَعْدِ﴾** أي بعد الحديبية قبل الفتح، ولأنه بعد الفتح لا هجرة. قوله: **﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾** أي محسوبون منكم، وفي الآية دليل على أن المهاجرين الأولين أعلى وأجل من المتأخرين بالهجرة، لأن الله ألحقهم بهم، ومن المعلوم أن المفضول يلحق بالفاضل. قوله: **﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ﴾** هذه الآية نزلت بعد الفتح، وهي ناسخة للآية المتقدمة، وهي ميراث المهاجرين للأنصار. قوله: (من التوارث) متعلق بأولى. قوله: **(أي اللوح المحفوظ)** وقيل المراد بها القرآن، لأن قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن. قوله: **(ومنه حكمة الميراث)** أي التوارث بمقتضى الإيمان والهجرة بدون قرابة ونسخة والتوارث بالقرابة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ التَّوۡبَةِ

مدنيّة

أو إلا الآيتين آخرها. وهي مائة وثلاثون أو إلا آية

ولم تكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج في معناه عن علي أن البسملة أمان وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة

سورة التوبة مدنية

أو إلا الآيتين آخرها. وهي مائة وثلاثون أو إلا آية

مبتدأ، و (**مدنية**) خبر أول. و (**مائة**) إلخ، خبر ثان. قوله: (**أو إلا الآيتين**) إشارة إلى قول آخر. قوله: (**آخرها**) حال من آيتين، وأولهما (لقد جاءكم رسول) فعلى أنهما مكيتان يكون معنى قوله: (**فقل حسبي الله**) اكتف بالله واترك قتالهم، ويكون منسوخاً بآية السيف، وعلى أنهما مدنيتان، يكون المعنى: كن مستعيناً بالله واثقاً به في قتالهم ولا نسخ، وهذه السورة من آخر القرآن نزولاً، لأنها نزلت بعد عزة الإسلام وانتشاره. قوله: (**ولم تكتب فيها البسملة**) إلخ، جواب عما يقال: إن كل سورة مبتدأ بالبسملة إلا هذه السورة، فما الحكمة في ذلك، فأجاب: بأن رسول الله لم يأمر بذلك، أي لكونه لم ينزل عليه وحي بها، وهذا أصح الأقوال، ولذا صدر به المفسر. وحاصل الخلاف في حكمة عدم الإتيان بالبسملة خمسة أقوال: أولها: **ما قاله المفسر**، الثاني: أنه سئل عثمان عن ذلك، فأجاب بأنه ظن أنها مع الأنفال سورة، لأن قصتها تشبه قصتها، فعلى هذا القول تكون مع الأنفال تمام السبع الطوال. الثالث: أنها نزلت لنقض عهد الكفار وفضيحة المنافقين، فهي سورة عذاب، والبسملة رحمة، ولا تجتمع رحمة مع عذاب، وتسمى أيضاً الفاضحة، لفضيحة المنافقين بها، وسورة العذاب، وسورة التوبة، لاشتمالها على ذكرها، وغير ذلك من أسمائها. الرابع: تركت البسملة لاختلاف الصحابة في أن الأنفال وبراءة سورة واحدة أو سورتان. فتركت البسملة لقول من قال: هما سورة واحدة، وتركت بينهما فرجة لقول من قال: هما سورتان. الخامس: أن ذلك على عادة العرب في الجاهلية، إذا كان بينهم وبين قوم عهد فأرادوا نقضه، كتبوا إليهم كتاباً، ولم يكتبوا فيه البسملة، وهذه السورة نزلت لنقض عهود المشركين فلم تكتب فيها، ثم اختلف العلماء في ابتداء تلك السورة بها، فقال ابن حجر من الشافعية بالحرمة، وقال الرملي بالكراهة، وفي الأثناء يكره عند الأول، ويجوز عند الثاني، ومذهب مالك كذلك، وقد أشار لذلك صاحب الشاطبية بقوله:

ومهما تصلها أو بدأت براءة ... لتنزيلها بالسيف لست مبسملا
ولا بد منها في ابتدائك سورة ... سواها وفي الأجزاء خير من تلا

التوبة وهي سورة العذاب وروى البخاري عن البراء أنها آخر سورة نزلت. هذه ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ واصلة ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾﴿١﴾ عهداً مطلقاً أو دون أربعة أشهر أو فوقها ونقض العهد بما يذكر في قوله ﴿فَسِيحُوا۟﴾ سيروا آمنين أيها المشركون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أولها شوال بدليل ما سيأتي ولا أمان لكم بعدها ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي فائتي عذابه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾﴿٢﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل والأخرى بالنار ﴿وَأَذَٰنٌ﴾ إعلام ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ﴿أَنَّ﴾ أي بأن ﴿ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بريء أيضاً وقد بعث النبي ﷺ علياً من السنة وهي ستة تسع

قوله: **(إنها آخر سورة نزلت)** أي من الآخر، وإلا فالمائدة متأخرة عنها، وهذه السورة نزلت كاملة، لما ورد أن رسول الله ﷺ قال: «ما أنزل علي القرآن إلا آية آية، وحرفاً حرفاً، إلا سورة براءة وسورة قل هو الله أحد، فإنهما نزلتا ومعهما سبعون الف صف من الملائكة». قوله: **﴿بَرَاءَةٌ﴾** أشار المفسر إلى أن قوله: **﴿بَرَاءَةٌ﴾** خبر لمحذوف قدره بقوله: **(هذه)**. قوله: **﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾** متعلق بمحذوف صفة لبراءة قدره المفسر بقوله: **(واصلة)** والمعنى هذه قطع واصلة صادرة **﴿مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾**، واصلة **﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**. قوله: **(ونقض العهد)** أي في الصورة الثلاثة.

قوله: **﴿فَسِيحُوا﴾** أمر إباحة للمشركين، وهو مقول لقول محذوف، والتقدير فقولوا لهم سيحوا، وهذا بيان لعقد الأمان لهم أربعة أشهر، وإنما اقتصر عليها لقوة الإسلام وكثرة المسلمين، بخلاف صلح الحديبية، فكان عشر سنين، لضعف المسلمين إذ ذاك. قوله: **(أولها شوال)** أي آخرها المحرم، وقيل: أولها عشر ذي القعدة، وآخرها العاشر من ربيع الأول، لأن الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء، ثم صار في السنة القابلة في العاشر من ذي الحجة، وفيها حج رسول الله ﷺ وقال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله» الحديث، وقيل: أولها عاشر ذي الحجة، وآخرها عاشر ربيع الثاني. قوله: **(بدليل ما سيأتي)** أي في قوله: **(فإذا انسلخ الأشهر الحرم)**.

قوله: **﴿وَاعْلَمُوا﴾** إلخ، أي فلا تغتروا بعقد الأمان لكم. قوله: **﴿وَأَذَانٌ﴾** معطوف على قوله: **﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾** عطف مفصل على مجمل. قوله: **(اعلام)** أي فالمراد الأذان اللغوي لا الشرعي الذي هو الإعلام بألفاظ مخصوصة. قوله: **(يوم النحر)** إنما سمي يوم الحج الأكبر لأن معظم أفعال الحج يكون فيه، كالطواف والرمي والنحر والحلق، واحترز بالحج الأكبر عن العمرة، فهي الحج الأصغر، لأن أعمالها أقل من أعمال الحج، لأنه يزيد عليها بأمور: كالرمي والمبيت والوقوف.

قوله: **﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ﴾** إلخ، هذه الجملة خبر عن قوله: **﴿وَأَذَانٌ﴾**. وقوله: **﴿يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾** ظرف للأذان، والمعنى وإعلام من الله ورسوله إلى الناس، كائن في يوم الحج الأكبر، بأن الله بريء إلخ. قوله: **﴿وَرَسُولُهُ﴾** القراءة السبعة بل العشرة، على الرفع عطف على الضمير المستتر في بريء، ووجد الفاصل وهو قوله: **﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره وبريء منهم أيضاً، وقرىء شاذاً بالنصب، ووجهت بوجهين: الأول أن الواو بمعنى مع، ورسوله مفعول معه، الثاني أنه

فأذن يوم النحر بمنى بهذه الآيات وأن لم يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان رواه البخاري ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ مؤلم وهو القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾

معطوف على اسم أن وهو لفظ الجلالة، وقرىء شاذاً أيضاً بالجر، ووجهت بأن الواو للقسم، واستبعدت تلك القراءة لإيهام عطفه على المشركين، حتى أن بعض الأعراب سمع رجلاً يقرأ بها، فقال الأعرابي: إن كان الله بريئاً من رسول فأنا بريء منه، فلببه القارىء إلى عمر، فحكى الأعرابي الواقعة، فأمر عمر بتعليم العربية، وتحكى هذه أيضاً عن علي وأبي الأسود الدؤلي. قوله: (**وقد بعث**) إلخ حاصل ذلك، أن رسول الله ﷺ عاهد قريشاً يوم الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، ثم عدت بنو بكر على خزاعة، وأعانتهم قريش بالسلاح، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، ونقضوا عهدهم، خرج عمرو بن سلام الخزاعي، ووقف على رسول الله وأخبره بالخبر، فقال رسول الله: لا نصرت إن لم أنصرك، وتجهز إلى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة، فلما كان سنة تسع، أراد رسول الله أن يحج، فقيل إن المشركين يحضرون ويطوفون بالبيت عراة، فقال لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك، فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج، وبعث معه أربعين آية من صدر براءة، آخرها ﴿ولو كره المشركون﴾ ثم بعث بعده علياً على ناقته العضباء، ليقرأ على الناس صدر براءة، فلحق أبا بكر بالعرج ـ بفتح العين وسكون الراء، قرية جامعة بينها وبين المدينة ستة وسبعون ميلاً ـ فلما تلاقيا، ظن أبو بكر أنه معزول، فرجع إلى رسول الله فقال: يا رسول أنزل في شأني شيء؟ فقال لا، ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي، أما ترضى أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك معي على الحوض، فقال: بلى يا رسول الله، فسار أبو بكر أميراً على الحاج، وعلي بن أبي طالب يؤذن ببراءة، فلما كان قبل يوم التروية بيوم، قام أبو بكر فخطب الناس، وحدثهم على مناسكهم، وأقام للناس الحج، حتى إذا كان يوم النحر، قام علي فأذن بما أمر به، وهو لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي عهد فهو منقوض، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في الحج، ثم حج رسول الله سنة عشر حجة الوداع، إذا علمت ذلك، تعلم أن هذه الآيات نزلت بعد فتح مكة في نقض عهود ما عدا قريش، فإن قريشاً تم أمرهم بفتح مكة، وفي ذلك قال المفسرون: لما خرج رسول الله إلى تبوك، فكان المنافقون يرجفون الأراجيف، وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وإما تخافن من قوم خيانة﴾ الآية، ففعل رسول الله ما أمر به، ونبذ لهم عهودهم. قوله: (**بهذه الآيات**) أي وهي ثلاثون أو أربعون آية آخرها ﴿ولو كره المشركون﴾ قوله: (**وأن لا يحج**) أي وبأن لا يحج، فهو وما بعده من جملة ما أذن به.

قوله: ﴿فَهُوَ﴾ أي التوبة المفهومة من قوله: ﴿تُبْتُمْ﴾. قوله: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي من بقائكم على الكفر الذي هو خير في زعمكم، أو اسم التفضيل ليس على بابه. قوله: (**أخبر**) اشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة مطلق الإخبار، وعبر عنه بالبشارة تهكماً بهم. قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم﴾ استثناء من المشركين

يعاونوا ﴿ عَلَيْكُمْ أَحَدًا ﴾ من الكفار ﴿ فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ ﴾ انقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ التي عاهدتم عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾﴿٤﴾ بإتمام العهود ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ خرج ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ وهو آخر مدة التأجيل ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ في حل أو حرم ﴿ وَخُذُوهُمْ ﴾ بالأسر ﴿ وَٱحْصُرُوهُمْ ﴾ في القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام ﴿وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض ﴿ فَإِن تَابُواْ﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾﴿٥﴾ لمن تاب ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿ فَأَجِرْهُ ﴾ أمنه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ اللهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ أي موضع أمنه وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر في أمره ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾﴿٦﴾ دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا ﴿ كَيْفَ ﴾ أي لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ وهم كافرون بهما غادرون ﴿إِلَّا

في قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وهو منقطع والتقدير لكن الذين عاهدتم فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم، وهذا أولى من جعله متصلاً، لما يلزم عليه من الفصل بين المستثنى والمستثنى منه.

قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ﴾ قرأ الجمهور بالصاد المهملة من النقصان، وهو يتعدى لواحد واثنين، فالكاف مفعول، و ﴿شَيْئاً﴾ إما مفعول ثان أو مصدر، أي لا قليلاً ولا كثيراً من النقصان، وقرىء شذوذاً بالضاد، والمعنى لم ينقضوا عهدكم، وهي مناسبة لذكر العهد، والقراءة الأولى مناسبة لذكر التمام في مقابلتها. قوله: ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾ أي هؤلاء المشركون وهم بنو ضمرة حي من كنانة. قوله: ﴿إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ أي وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر. قوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ أي انقطعت وفرغت، وتقدم للمفسر أن هذا يدل على أن أول المدة شوال، وهو أحد أقوال ثلاثة تقدمت. قوله: ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ أي في أي مكان. قوله: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ أي لئلا ينتشروا في البلاد.

قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ﴾ الخ، المراد أتوا بأركان الإسلام، وإنما اقتصر على الصلاة والزكاة، لأنهما رأس الأعمال البدنية والمالية، قوله: (ولا تتعرضوا لهم) أي لا لأنفسهم ولا لأموالهم، فلا تأخذوا منهم جزية ولا أعشاراً، ولا غير ذلك. قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إن حرف شرط جازم، وأحد فاعل بفعل محذوف يفسره قوله: ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ وهو فعل الشرط، وقوله: ﴿فَأَجِرْهُ﴾ جواب الشرط، وإنما أعرب أحد فاعلاً بفعل محذوف، لأن أدوات الشرط لا يليها إلا الأفعال لفظاً أو تقديراً سيما إن. قوله: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ أي فيتدبره ويعلم كيفية الدين وما انطوى عليه من المحاسن. قوله: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي إن أراد الانصراف ولم يسلم وصله إلى قومه ليتدبر في أمره، ثم بعد ذلك يجوز لك قتالهم، لقيام الحجة عليهم. قوله: (المذكور) أي من الإجارة والإبلاغ. قوله: (ليعلموا) أي ما لهم من الثواب إن آمنوا، وما عليهم من العقاب إن لم يؤمنوا. قوله: (أي لا) ﴿يَكُونُ﴾ أشار بذلك إلى أن الاستفهام للتعجب بمعنى النفي، وهذا تأكيد لإبطال عهدهم ونقضه في الآية المتقدمة.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ على الوفاء به وما شرطية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٧﴾ وقد استقام ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا۟﴾ يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلًّا﴾ قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهداً بل يؤذوكم ما استطاعوا وجملة الشرط حال ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بكلامهم الحسن ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ الوفاء به ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ﴿٨﴾ ناقضون العهد ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا أي تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ دينه ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩﴾ بـه عملهم هذا ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾

قوله: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ**﴾ يصح أن يكون الاستثناء منقطعاً أو متصلاً، فعلى الانقطاع يكون الموصول مبتدأ خبره جملة الشرط وهي قوله: ﴿**فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ**﴾ الخ، وعلى الاتصال يكون الموصول منصوباً على الاستثناء. قوله: (**يوم الحديبية**) اسم مكان بينه وبين مكة ستة فراسخ. قوله: (**وهم قريش المستثنون من قبل**) أي في قوله: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ وقد تبع المفسر في ذلك ابن عباس وهو مشكل، لأن هذه الآيات نزلت في شوال في السنة التاسعة، وقريش إذ ذاك مسلمون، لأنها كانت نقضت في السنة السابعة، وحصل الفتح في الثامنة، فالصواب كما قال الخازن: إن ذلك محمول على بني ضمرة، الذين دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية مع جملة من القبائل، فكلهم نقضوا إلا بين ضمرة فلم ينقضوا، فلذا أمر رسول الله بإتمام عهدهم إلى مدتهم. قوله: (**وما شرطية**) أي بمعنى إن، ويصح كونها مصدرية ظرفية، أي فاستقيموالهم مدة استقامتهم لكم. قوله: (**حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة**) هذا مبني على ما فهمه أولاً، ولو مشى على الصواب لقال: حتى فرغت مدتهم.

قوله: ﴿**كَيْفَ**﴾ (**يكون لهم عهد**) كرر الاستفهام زيادة في التأكيد. قوله: ﴿**إِلًّا**﴾ مفعول ليرقبوا، وجمعه إلال كقداح. قوله: (**قرابة**) وقيل المراد به العهد، وقيل المراد به الله تعالى، وقيل الجوار وهو رفع الصوت عند المحالفة، لأنهم كانوا يفعلون ذلك عند المحالفة، والأقرب ما قاله المفسر. قوله: (**عهداً**) أي فالعطف للتفسير على تفسير إلال بالعهد. قوله: ﴿**يُرْضُونَكُمْ**﴾ هذا بيان لحالهم، عند عدم الظفر بالمسلمين، إثر بيان حالهم عند الظفر بهم. قوله: (**وتأبى قلوبهم**) أي تمتنع من الإذعان والوفاء بما أظهروه.

قوله: ﴿**اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ**﴾ أي استبدلوا آيات الله بالأعراض الفانية والشهوات الزائلة. قوله: ﴿**فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ أي منعوا الناس من اتباع دين الإسلام والإيمان. قوله: ﴿**إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ أي لضلالهم وكفرهم وإضلالهم غيرهم.

قوله: ﴿**لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ**﴾ كرر ذلك لمزيد التشنيع والتقبيح عليهم، لأن مقام الذم كمقام المدح، البلاغة فيه الإطناب. قوله: ﴿**فَإِنْ تَابُوا**﴾ الخ ليس فيه تكرار مع ما تقدم، لاختلاف جواب

﴿وَنُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ⑪ يتدبرون ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟﴾ نقضوا ﴿أَيْمَـٰنَهُم﴾ مواثيقهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ عابوه ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ رؤساءه فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ﴾ عهود ﴿لَهُمْ﴾ وفي قراءة بالكسر ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ ⑫ عن الكفر ﴿أَلَا﴾ للتحضيض ﴿تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟﴾ نقضوا ﴿أَيْمَـٰنَهُمْ﴾ عهودهم ﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أتخافونهم ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ⑬ ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ بقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ

الشرط، لأن الأول أفاد تخليه سبيلهم، وهنا أفاد أنهم إخواننا في الدين. قوله: **(أي فهم إخوانكم)** أشار بذلك إلى أن ﴿**إِخْوَانُكُمْ**﴾ خبر لمحذوف، والجملة في محل جزم جواب الشرط. قوله: **(يتدبرون)** أي يتعظون فيؤمنون، وإنما فسر العلم بالتدبر، لأن المراد به علم يحصل معه الإذعان لا مطلق علم. قوله: ﴿ **وَإِنْ نَكَثُوا**﴾ النكث في الأصل الرجوع إلى خلف، ثم استعمل في النقض مجازاً بجامع أن كلاً متأخر عن مطلوبه وهو مقابل قوله: **(فإن تابوا)** إلخ، والمعنى فإن أظهروا ما في ضمائرهم من الشر فقاتلوا إلخ. قوله: ﴿**وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ عطف تفسير أو سبب على مسبب والأقرب الأول.

قوله: ﴿**فَقَاتِلوا**﴾ أمر لسيدنا محمد وأمته. قوله: ﴿**أَئِمَّةَ الْكُفْرِ**﴾ بتحقيق الهمزتين وإدخال ألف بينهما وتركه، وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما وتركه، وبإبدال الثانية ياء، فهذه خمس قراءات غير شاذة هنا، وفي الأنبياء، وفي موضعي القصص، وفي السجدة وأصله أأئمه بوزن أفعله، أريد إدغام أحد الميمين في الأخرى، فنقلت حركة الميم الأولى للساكن قبلها، وهو الهمزة الثانية. قوله: **(فيه وضع الظاهر)** إلخ أي زيادة في التقبيح عليهم، حيث وصفهم بكونهم رؤساء في الكفر، وكان مقتضى الظاهر فقاتلوهم. قوله: ﴿**لَا أَيْمَانَ لَهُمْ**﴾ بفتح الهمزة جمع يمين بمعنى الحلف، والمعنى لا عهود لهم متممة. قوله: **(وفي قراءة بالكسر)** أي فيكون مصدر آمن بمعنى أعطاه الأمان، أو من الإيمان وهو التصديق. قوله: ﴿**إلَا**﴾ **(للتحضيض)** أي وهو الطلب، بحث وإزعاج لاتصافهم بصفات ثلاثة، كل واحد منها يقتضي القتال.

قوله: ﴿**وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ**﴾ إنما اقتصر على الإخراج، مع أنه وقع منهم الهم بالقتل والهم بالإيثاق أيضاً، لأن أثر الإخراج ظهر عقبه، وهو خروجه منها بإذن ربه لا خوفاً منهم، ولذا ورد: «اللهم كما أخرجتني من أحب البلاد إلي، فأسكني في أحب البلاد إليك». قوله: **(بدار الندوة)** تقدم أنها مكان اجتماع القوم للمشاورة والحديث. والباني لها قصي، وقد أدخلت الآن في المسجد، فهي في مقام الحنفي. قوله: **(حيث قاتلوا خزاعة)** أي أعانوهم بالسلاح، ثم اعلم أن صريح المفسر على ذلك على قريش، وهو مناف لما تقدم، من أن السورة نزلت سنة تسع، وقريش إذ ذاك مسلمون. قوله: **(فما يمنعكم أن تقاتلوهم)** أشار بذلك إلى أن المراد من التحضيض الأمر مع التوبيخ. قوله: **(في ترك قتالهم)** يتعلق بقوله: ﴿**أَتَخْشَوْنَهُمْ**﴾. قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: ﴿**قَاتِلُوهُمْ**﴾ هذا أمر ذكر في جوابه خمسة أمور، قوله: **(بنوا خزاعة)** يؤخذ من ذلك أنهم مؤمنون إذ ذاك.

﴿وَيُخۡزِهِمۡ﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾ ﴿١٤﴾ مما فعل بهم هم بنو خزاعة ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾ كربها ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ بالرجوع إلى الإسلام كأبي سفيان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿أَمۡ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعۡلَمِ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾ بالإخلاص ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ﴾ بطانة وأولياء المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ بالأفراد والجمع والقعود فيه ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ﴾ بطلت ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ﴾ أحداً ﴿إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ

قوله: ﴿وَيَتُوبُ اللهُ﴾ بالرفع استئناف، ولم يجزم لأن التوبة على من يشاء، ليست جزاء على قتال الكفار. قوله: (**بمعنى همزة الإنكار**) الحق أنها بمعنى بل، والهمزة معاً كما تقدم له. قوله: ﴿**أَنْ تُتْرَكُوا**﴾ أي يترككم الله من غير قتال. قوله: ﴿**وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ**﴾ الجملة حالية. قوله: (**علم ظهور**) دفع بذلك ما يقال كيف ينفى علم الله مع أنه متعلق بكل شيء وجد أو لم يوجد. قوله: (**بالإخلاص**) أي مع إخلاص. قوله: ﴿**وَلِيجَةً**﴾ من الولوج وهو الدخول، والمعنى بل ظننتم أن تتركوا من غير قتال بمجرد قولكم آمنا، بل يظهر المجاهد منكم الإخلاص من غيره، ولم تتخذوا في الله ورسوله ولا المؤمنين شيئاً تدخلونه في قلوبكم، غير محبة الله ورسوله والمؤمنين.

قوله: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللهِ**﴾ إلخ. سبب نزول هذه الآية وما بعدها أن جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر، منهم العباس عم رسول الله، فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله يعيرونهم بالشرك، وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوينا، وتكتمون محاسننا؟ فقيل له: وهل لكم محاسن؟ قال: نعم، نحن أفضل منكم، نعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة أي نخدمها، ونسقي الحجيج، ونفك العاني. قوله: (**بالإفراد والجمع**) أي فهما قراءتان سبعيتان، فالإفراد إما على أن المراد بالمسجد الحرام، أو على أن المسجد اسم جنس، فيدخل فيه جميع المساجد، والجمع إما على أن كل بقعة من المسجد الحرام يقال لها مسجد، أو الجمع باعتبار أنه قبلة لسائر المساجد.

قوله: ﴿**شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ**﴾ قيل: المراد به السجود للأصنام، لأن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، كلما طافوا طوفة سجدوا للأصنام، فلم يزدادوا بذلك إلا بعداً من الله. قوله: ﴿**حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾ أي الحسنة التي افتخروا بها من خدمة المساجد، وفك الأسير، وسقاية الحاج، وغير ذلك. قوله: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ**﴾ بالجمع باتفاق السبعة، وعمارتها تكون ببنائها من المال الحلال والصلاة فيها وغير ذلك. قوله: ﴿**أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾ أي أن يحشروا في زمرتهم يوم القيامة.

ﵟالْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِﵞ أي أهل ذلك ﵟكَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِﵞ في الفضل ﵟوَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٩ﵞ الكافرين نزلت رداً على من قال ذلك هو العباس أو غيره ﵟالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةًﵞ رتبة ﵟعِنْدَ اللَّهِﵞ من غيرهم ﵟوَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝٢٠ﵞ الظافرون بالخير ﵟيُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ۝٢١ﵞ دائم ﵟخَالِدِينَﵞ حال مقدرة ﵟفِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٢ﵞ ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته ﵟيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّواﵞ اختاروا ﵟالْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ

قوله: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ**﴾ رد على العباس وغيره كما يأتي للمفسر، حيث افتخروا بذلك وقالوا إن هذا شرف لا يضاهى، والسقاية في الأصل هي المحل الذي يجعل فيه الشراب في الموسم، كانوا ينبذون الزبيب في ماء زمزم ويسقونه الناس أيام الحج، وكان الفاعل لذلك العباس في الجاهلية، واستمرت معه السقاية في الإسلام، فهي لآل العباس أبداً. قوله: (**أي أهل ذلك**) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف، والتقدير أجعلتم أهل سقاية الحاج إلخ، وقد دفع بذلك ما يقال: كيف يشبه المعنى، وهو السقاية بالذات، وهو من آمن. قوله: ﴿**لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ**﴾(**في الفضل**) أي الأخروي، لأن فضل أهل السقاية والعمارة دنيوي. قوله: (**أو غيره**) أو بمعنى الواو، لأن أهل مكة كانوا يفتخرون بذلك، ويزعمون أن هذا فخر لا يضاهى.

قوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي اتصفوا بالإيمان، وما عطف عليه وهو الهجرة والجهاد. قوله: (**من غيرهم**) يدخل فيه أهل السقاية والعمارة من الكفار، فمقتضاه أن لهم درجة لكنها ليست أعظم، والجواب: أن ذلك إما باعتبار ما يعتقدونه من أن لهم درجة ورتبة، أو اسم التفضيل باعتبار المؤمنين الذين لم يستكملوا الأوصاف الثلاثة. قوله: ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ أي الكاملون في الفوز، بالنسبة للمؤمن الذي لم يستكمل الأوصاف الثلاثة، أو المراد الذي لهم أصل الفوز بالنسبة لأهل السقاية والعمارة.

قوله: ﴿**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ**﴾ إلخ. ذكر الله سبحانه وتعالى ثلاثة أشياء، جزاء على الصفات الثلاثة، فالرحمة في مقابلة الإيمان لتوقف الرحمة عليه، والرضوان في مقابلة الجهاد، لأنه بذل الأموال والأنفس في مرضاة الله، والرضوان نهاية الإحسان، فكان في مقابلته، والجنة في مقابلة الهجرة، لأن الهجرة ترك الأوطان، فبدلوا وطناً في الآخرة أعلى وأجل مما تركوه، وإنما قدمت الرحمة والرضوان، إشارة إلى أنهما يكونان في الدنيا والآخرة، وأخرت الجنة إشارة إلى أنها مختصة بالآخرة، ولأنها آخر العطايا. قوله: (**حال مقدرة**) أي لأنهم حين الدخول ليسوا خالدين، وإنما هم منتظرون. قوله: (**ونزل فيمن ترك الهجرة**) قال ابن عباس: لما أمر النبي ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة، فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون: ننشدكم بالله أن لا تضيعنا، فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ**﴾ نزلت لما قال الذين أسلموا ولم يهاجروا، نحن إن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا، وتخربت ديارنا، وتقطعت أرحامنا، ويؤخذ من ذلك، أنه إذا تعارض أمر من أمور

﴿يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أقرباؤكم وفي قراءة عشيراتكم ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ عدم نفاقها ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ تهديد لهم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدر وقريظة والنضير ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ واد بين مكة والطائف أي يوم قتالكم فيه هوازن وذلك في شوال سنة ثمان ﴿إِذْ﴾ بدل من يوم ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فقلتم لن نغلب اليوم من قلة وكانوا اثني عشر ألفاً والكفار أربعة آلاف ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ما مصدرية أي

الدين، مع مصالح الدنيا، يقدم أمر الدين، ولو لزم عليه تعطيل أمر الدنيا. قوله: ﴿وَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي حواشيكم، والمراد هنا إخوان النسب، وإن شاع جمع أخ النسب على إخوة، وأخ الدين على إخوان. قوله: (**أقرباؤكم**) وقيل هم من بينك وبينهم معاشرة مطلقاً ولو غير قريب، فهو عطف عام على ما قبله على كل حال. قوله: (**وفي قراءة عشيراتكم**) أي وهي سبعية، وقرأ الحسن عشائركم. قوله: ﴿تَرْضَوْنَهَا﴾ أي ترضون الإقامة فيها. قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ﴾ خبر كان، واسمها ﴿آبَاؤُكُمْ﴾ وما عطف عليه. قوله: (**فقعدتم لأجله**) قدره ليرتب عليه قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ وجملة ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ جواب الشرط.

قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ قال ابن عباس هو فتح مكة. إذا علمت ذلك، تعلم أن هذا مشكل مع ما تقدم، ومع ما يأتي من أن السورة نزلت بعد الفتح، إلا أن يقال إن بعض السورة نزل قبل الفتح، بحسب الوقائع والسورة بتمامها نزلت بعد الفتح، ولا غرابة في ذلك فتدبر. قوله: (**تهديد لهم**) أي تخويف. قوله: ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ عبر عنهم أولاً بالظالمين. إشارة إلى أن الكفار موصوفون بكل وصف قبيح. قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ﴾ الخطاب للنبي وأصحابه، بتعداد النعم عليهم. قوله: ﴿فِي مَوَاطِنَ﴾ جمع موطن كمواعد وموعد، ويرادفه الوطن وهو محل السكنى. قوله: (**وقريظة والنضير**) الكلام على حذف مضاف، أي وموطن قريظة وموطن النضير.

قوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله: (**اذكر**) وقيل معطوف على ﴿مَوَاطِن﴾ من عطف ظرف الزمان على ظرف المكان، ورد بأنه يقتضي أن قوله: ﴿وَإِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ يرجع لقوله: ﴿مَوَاطِن﴾ أيضاً لأنه بدل من يوم حنين، ولا يصح ذلك، لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن، بل في خصوص حنين، فتعين ما قدره المفسر. قوله: (**واد بني مكة والطائف**) أي وبينهما ثمانية عشر ميلاً، وفي بعض العبارات ثلاث ليال. قوله (**هوازن**) أي وهم قبيلة حليمة السعدية. قوله: (**سنة ثمان**) أي من الهجرة، وهي سنة فتح مكة، لأن مكة فتحت في رمضان، وغزوة هوازن في شوال عقبه. قوله: (**من قلة**) أي من عدد قليل. قوله: (**وكانوا اثني عشر ألفاً**) عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وألفان من الذين أسلموا في مكة بعد فتحها. قوله: (**والكفار أربعة آلاف**) الذي في شرح المواهب أنهم أكثر من عشرين ألفاً.

قوله: ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾ أي لم تنفعكم ولم تدفع عنكم شيئاً. قوله: (**أي مع رحبها**) أشار

مع رحبها أي سعتها فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ منهزمين وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان آخذ بركابه ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فردوا إلى النبي ﷺ لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قذر لخبث باطنهم ﴿فَلَا

بذلك إلى أن الباء بمعنى مع، والجملة حال أي متلبسة برحبها، والرحب بالضم السعة، وبالفتح الواسع. قوله: **(وليس معه غير العباس)** أي وقد كان آخذاً بلجام بغلته. قوله: **(وأبو سفيان)** أي ابن الحرث بن عبد المطلب. وقد أسلم هو والعباس يوم الفتح، وفي بعض السير: أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في حنين مائة وثلاثة وثلاثون من المهاجرين، وستة وستون من الأنصار، ويجمع بين ما قاله المفسر وغيره بأنه لم يبق متصلاً بالبغلة إلا اثنان، والباقون مشتغلون بالحرب لم يفروا. قوله: **(فردوا)** أي رجعوا جميعاً كالفصيل الضال عن أمه إذا وجدها. قوله: **(لما ناداهم العباس)** أي وكان صيتاً يسمع صوته من نحو ثمانية أميال.

قوله: **﴿لَمْ تَرَوْهَا﴾** قيل كانوا خمسة آلاف، وقيل ستة عشر الفاً ولم يقاتلوا، بل نزلوا لتقوية قلوب المسلمين، وروي عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين، لم يقوموا لنا حلب شاة، فلما القيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ، قال: فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا، قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا، وروي أن الملائكة الذين نزلوا يوم حنين، عليهم عمائم حمر، راكبين خيلاً بلقاً. قوله: **(بالقتل)** أي لبعضهم وهم أكثر من سبعين. قوله: **(والأسر)** أي للنساء والذراري وكانوا ستة الآف، ولم تقع غنيمة أعظم منها، فقد كان فيها من الإبل اثنا عشر الفاً، وقيل أربعة وعشرون ألفاً، ومن الغنم ما لا يحصى، وكان فيها غير ذلك، ولما هزمهم قصد إلى الطائف، وأمر بجعل الغنائم في الجعرانة حتى يأتي إليهم، فلما رجع ﷺ من الطائف، انتظر هوازن بضعة عشر يوماً، ليقدموا عليه مسلمين، ثم أخذ في قسمة الغنائم، وكان في السبي اخت رسول الله من الرضاع، وهي بنت حليمة السعدية، فأطلقها رسول الله واكرمها وردها لقومها، فأخبرتهم بما وقع لها من رسول الله من الإكرام، فكان ذلك باعثاً على إسلامهم، أتى منهم جماعة وقالوا: يا رسول الله، أنت خير الناس وأبرهم، فاردد علينا أموالنا وأهلينا، فقال لهم: أن خير القول أصدقه، اختاروا إما أموالكم، وإما ذراريكم ونساءكم، قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً، فقال لهم: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وأما ما كان لغيرهم فسأطلب فيه معروفهم، ثم قال لهم: إذا أنا صليت فتقدموا إلي وأخبروني بذلك، ففعلوا كما أمروا، فقال ﷺ: من طابت نفسه بشيء أن يرده فليفعل، فقالوا: رضينا بذلك وسلموه الأموال والأسارى.

قوله: **﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾** القراءة السبعية بفتحتين، وفيه لغات أخر ككتف وعضد، والمعنى

يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ عام تسع من الهجرة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ وقد أغناهم بالفتوح والجزية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وإلا لآمنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ الثابت الناسخ

انهم نجس نجاسة معنوية لا حسية، وقال ابن عباس: اعيانهم نجس كالكلاب والخنازير، وقال الحسن: من صافح مشركاً توضأ، وأهل المذهب على خلاف ذلك، فإنهم طاهرون لأنهم داخلون في آية (**ولقد كرمنا بني آدم**). قوله: **﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾** إلخ، قال العلماء: جملة بلاد الإسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام، احدها: الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال، وجوز أبو حنيفة دخول المعاهد، الثاني: الحجاز فلا يجوز للكافر دخوله إلا بإذن، ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام، لما في الحديث: «لا يبقين دينان في جزيرة العرب وحدها طولاً من أقصى عدن إلى ريف العراق، وعرضاً من جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام» الثالث: سائر بلاد الإسلام، يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة أو أمان، لكن لا يدخل المساجد إلا لغرض شرعي. قوله: (**عام تسع**) أي وهو عام نزول جملة السورة على الصحيح، وما يوهم خلاف ذلك يجب تأويله.

قوله: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾** إلخ، سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ لما أمر علياً أن يقرأ على المشركين أول براءة، خاف أهل مكة الفقر وضيق العيش، لامتناع المشركين من دخول الحرم واتجارهم فيه، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت. قوله: (**فقراً**) في المصباح معيلة بالفتح الفقر، وهي مصدر عال يعيل، من باب سار، فهو عائل، والجمع عالة، وفي المختار: وعيال الرجل من يعولهم، وواحد العيال، عيل كجيد، والجمع عيائل كجيائد، وأعال الرجل كثرت عياله. قوله: (**وقد أغناهم بالفتوح**) أي فأسلم أهل صنعاء وجدة وتبالة بفتح التاء، وجرش بضم الجيم وفتح الراء بعدها شين معجمة، قريتان من قرى اليمن وجلبوا إليهم الميرة، وصاروا في أرغد عيش.

قوله: **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾** إلخ، شروع في ذكر قتال أهل الكتابين، أثر بيان قتال مشركي العرب، وهذه الآية نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بقتال الروم، فلما نزلت توجه رسول الله ﷺ لغزوة تبوك. قوله: (**وإلا لآمنوا بالنبي**) جواب عما يقال: إن ظاهر الآية يقتضي نفي إيمانهم بالله واليوم الآخر، مع أنهم يزعمون الإيمان بالله واليوم الآخر، وفي كلام المفسر إشارة بالقياس استثنائي وتقريره أن يقال: لو آمن اليهود والنصارى بالله واليوم الآخر، لآمنوا بالنبي ﷺ، لكنهم لم يؤمنوا بالنبي، فلم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر، وأيضاً دعواهم الإيمان بالله باطلة، لأنهم يعتقدون التجسيم والتشبيه، ولا شك في كونه كفراً، وكذلك دعواهم الإيمان باليوم الآخر باطلة، لأنهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد، وأن أهل الجنة لا يأكلون فيها، ولا يشربون، ولا ينكحون، فتحصل أن كفرهم بهذه الأمور، وتكذيبهم النبي، ومن كذب نبياً، فقد كفر بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً اولئك هم الكافرون حقاً﴾ قوله: (**كالخمر**) أي والخنزير والربا وكل محرم في شرعنا، فإنهم مخاطبون بفروع الشريعة، ويعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر.

لغيره من الأديان وهو دين الإسلام ﴿مِنَ﴾ بيان للذين ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَن يَدٍ﴾ حال أي منقادين أو بأيديهم لا يوكلون بها ﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ﴾ عيسى ﴿ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ لا مستند لهم عليه

قوله: ﴿دِينَ الْحَقِّ﴾ من إضافة الموصوف لصفته. قوله: (**الناسخ لغيره**) أي الماحي له، فمن اتبع غير الإسلام فهو كافر، قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وقال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، ويصح أن يراد بالحق الله سبحانه وتعالى، لأن من أسمائه الحق، والمراد بدين الله الإسلام.

قوله: ﴿**حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ**﴾ غاية لقتالهم، وسميت جزية لأنها جزاء لكف القتال عنهم وتأمينهم. قوله: (**الخراج المضروب عليهم**) أي الذي يجعله الإمام على ذكورهم الأحرار البالغين الموسرين. قوله: (**أي منقادين**) تفسير باللازم، أي فاليد كناية عن الانقياد. قوله: (**لا يوكلون بها**) أي فاليد على حقيقتها، وهذا التفسير يناسب مذهب مالك، لأن عنده لا يجوز التوكيل في دفعها، بل كل واحد يدفع جزيته بيده وحين دفعها يبسط الكافر يده بها، ويأخذها المسلم من يده، لتكون يد المسلم هي العليا، ثم بعد أخذها يصفعه المسلم على قفاه، وعند الشافعي يجوز التوكيل في دفعها.

قوله: ﴿**وَقَالَت الْيَهُودُ**﴾ إلخ، هذا من تفصيل عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر، و ﴿**عُزَيرٌ**﴾ بالصرف وعدمه قراءتان سبعيتان، فالصرف على أنه عربي فلم توجد فيه إلا علة واحدة، وعدمه على أنه أعجمي ففيه العلتان و ﴿**ابْنُ**﴾ خبر عزير فيرسم بالألف لأنه ليس بصفة للعلم، وسبب تلك المقالة على ما قاله ابن عباس، أن عزيراً كان فيهم، وكانت التوراة عندهم، والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، فرفع الله عنهم التابوت، وأنساهم التوراة، ومسحها من صدورهم، فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرد إليه التوراة، فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه، فأذن في قومه وقال: يا قوم، قد آتاني الله التوراة وردها علي، فعلقوا به يعلمهم، ثم مكثوا ما شاء الله، ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت، عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله، فقالوا: ما أوتي عزير هذا، إلا لأنه ابن الله.

قوله: ﴿**وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ**﴾ المسيح لقب له، إما لأنه ما مسح على ذي عاهة إلا بريء، أو لأنه ممسوح بالبركة، وسبب مقالتهم، أنهم كانوا على الدين الحق، بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وثمانين سنة، يصلون إلى القبلة ويصومون، حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص، قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام، ثم قال بولص لليهود: إن كان الحق مع عيسى، فقد كفرنا والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة، فإني سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا، ثم إنه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه، فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه، ثم إنه أتى إلى النصارى فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عدوكم بولص، قد نوديت من السماء، أنه ليست لك توبة حتى تتنصر، وقد تبت وأتيتكم، فأدخلوه الكنيسة ونصروه، ودخل

بل ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ من آبائهم تقليداً لهم ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾ لعنهم ﴿ٱللَّهُ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ (٣٠) يصرفون عن الحق مع قيام الدليل ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ عباد النصارى ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم وتحريم ما أحل ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟﴾ أي بأن يعبدوا ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣١) ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بأقوالهم فيه ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ﴾ يظهر ﴿نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (٣٢) ذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمداً ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ يعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ

بيتنا فيها، فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الإنجيل، ثم خرج وقال: قد نوديت أن الله قد قبل توبتك، فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم، ثم إنه عهد إلى ثلاثة رجال، اسم واحد نسطورا، والآخر يعقوب والآخر ملكان، فعلم نسطوراً أن عيسى ومريم آلهة ثلاثة، وعلم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان وأنه ابن الله، وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل، فلما تمكن ذلك فيهم، دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له: أنت خالصتي، وادع الناس لما علمتك، وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد، ثم قال لهم: إني رأيت عيسى في المنام وقد رضي عني، وقال لكل واحد منهم إني سأذبح نفسي تقرباً إلى عيسى، ثم ذهب إلى المذبح فذبح نفسه، وتفرق أولئك الثلاثة، فذهب واحد إلى الروم، وواحد إلى بيت المقدس، والآخر إلى ناحية أخرى، وأظهر كل واحد منهم مقالته، ودعا الناس إليها، فتبعه على ذلك طوائف من الناس، فتفرقوا واختلفوا.

قوله: ﴿**بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ من المعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه، فذكرها مبالغة في الرد عليهم، قوله: ﴿**يُضَاهِؤُنَ**﴾ بضم الهاء بعدها واو، وبكسر الهاء بعدها همزة مضمومة، ثم واو، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**قَاتَلَهُمُ اللهُ**﴾ أي أبعدهم عن رحمته، فهو دعاء عليهم. قوله: ﴿**أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ استفهام تعجب، والاستفهام رجع إلى الخلق، لأن الله يستحيل عليه التعجب. قوله: ﴿**اتَّخَذُوا**﴾ أي اليهود والنصارى. قوله: ﴿**أَحْبَارَهُمْ**﴾ جمع حبر بالفتح والكسر، والثاني أفصح، العالم الماهر. قوله: (**حيث اتبعوهم**) أشار بذلك إلى أنهم لم يتخذهم أرباباً حقيقة، بل المعنى كالأرباب في شدة امتثالهم أمرهم.

قوله: ﴿**وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**﴾ بالنصب على عطف على ﴿**أَحْبَارَهُمْ**﴾ والمفعول الثاني محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ربا. قوله: ﴿**وَمَا أُمِرُوا**﴾ إلخ، الجملة حالية. قوله: ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾ صفة ثانية لإلهاً. قوله: (**شرعه وبراهينه**) أي الدالة على صدقه ﷺ، وهي ثلاثة أمور: أحدها المعجزات الظاهرات، ثانيها القرآن العظيم، ثالثها كون دينه الذي أمر باتباعه، وهو دين الإسلام، ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والانقياد لأمره ونهيه، والتبري من كل معبود سواه، فهذه أمور نيرة واضحة في صحة نبوته ﷺ، فمن أراد إبطال ذلك فقد خاب سعيه. قوله: ﴿**إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ**﴾ أي يعليه ويرفع شأنه. قوله: ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: ولو كره الكافرون إتمامه لأتمه ولم يبال بهم. قوله: ﴿**بِالْهُدَى**﴾ أي القرآن. قوله: ﴿**وَدِينِ الْحَقِّ**﴾ أي دين الإسلام. قوله: (**جميع

﴿كُلِّهِۦ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾ يأخذون ﴿أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كالرشا في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي الكنوز ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لا يؤدون منها حقه من الزكاة والخير ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣٤﴾ مؤلم ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ

الأديان المخالفة له) أي بنسخه لها. قوله: ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ كرر لمزيد التهكم بهم والرد عليهم، ووصفهم أولاً بالكفر، وثانياً بالإشراك، إشارة إلى أنهم اتصفوا بكل منهما.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ**﴾ إلخ لما بين عقائد الأتباع وصفاتهم، شرف في بيان صفات الرؤساء والأحبار علماء اليهود، والرهبان عباد النصارى. وفي قوله: ﴿**كَثِيراً**﴾ إشارة إلى أن الأقل من الأحبار والرهبان لم يكونوا كذلك، كعبد الله بن سلام وأضرابه من الأحبار، والنجاشي وأضرابه من الرهبان. قوله: **(يأخذون)** أشار بذلك إلى أن المراد بالأكل الأخذ، فأطلق الخاص وأريد العام، من باب تسمية الشيء باسم جزئه الأعظم، لأن معظم المقصود من أخذ الأموال أكلها.

قوله: ﴿**بِالْبَاطِلِ**﴾ قيل هو تخفيف الشرائع والتساهل فيها لسفلتهم، وقيل هو تغيير صفات المصطفى ﷺ الكائنة في التوراة والإنجيل، وقيل ما هو أعم وهو الأحسن، والباعث لهم على ذلك حب الرياسة وأخذ الأموال. قوله: **(كالرشا)** بضم الراء وكسرها، جمع رشوة، بالضم على الأول، والكسر على الثاني، وفي القاموس: الرشوة مثلثة وهي الجعل على الحكم، وهي حرام ولو على الحكم بالحق، فما بالك بأخذها على الحكم بالباطل، أما حبل الاستقاء، فيقال فيه رشاء بالكسر والمد. قوله: ﴿**وَيُصدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي يمنعون الناس عن الدخول في دين الإسلام. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ**﴾ الكنز في الأصل جمع المال ودفنه وعدم الإنفاق منه، واختلف في المراد بالذين يكنزون الذهب والفضة، فقيل المراد بهم أهل الكتاب، لأن شأنهم الحرص وكنز المال، وقال ابن عباس: نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين والحقوق الواجبة، وقال أبو ذر: نزلت في أهل الكتاب والمسلمين، الذين يمنعون الزكاة والحقوق الواجبة. روي أن أبا ذر اختلف مع معاوية في هذه الآية، فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب، وقال أبو ذر: نزلت فينا وفيهم، فكتب معاوية وكان أميراً على الشام إلى عثمان يشكوه، فكتب عثمان إلى أبي ذر أن أقدم المدينة فقدم، فازدحم عليه الناس حتى كأنهم لم يروه قبل ذلك، فأخبر عثمان بذلك، فقال له: إن شئت تنحيت، فكنت قريباً منا، فنزل بالربذة وقال: ولو أمروا علي عبداً حبشياً لسمعت وأطعت. قوله: **(أي الكنوز)** أي المدلول عليها بقوله: ﴿**يَكْنِزُونَ**﴾ ودفع بذلك ما يقال: إن المتقدم شيئان، الذهب والفضة، فكان مقتضاه تثنية الضمير، فلم أفرد؟ فأجاب: بأنه عائد على الكنوز المفهومة من السياق.

قوله: ﴿**فَبَشِّرْهُمْ**﴾ إنما سمي بشارة تهكماً بهم، وإشارة إلى أنه بمنزلة الوعد في عدم تخلفه. قوله: ﴿**يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا**﴾ ظرف لقوله: ﴿**بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ و ﴿**يُحْمَى**﴾ يجوز أن يكون من حميته وأحميته ثلاثياً ورباعياً، يقال: حميت الحديدة وأحميتها، أوقدت عليها لتحمى، والفاعل محذوف تقديره يوم تحمى النار عليها، أي تتقد على تلك الكنوز، ﴿**فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ**﴾ إلخ، فلما حذف الفاعل، ذهبت علامة

﴿وَظُهُورُهُمْ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ أي جزاءه ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة ﴿عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا﴾ أي الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ محرمة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي تحريمها ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ أي الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي فإنها فيها أعظم وزراً وقيل في الأشهر كلها ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ جميعاً في كل الشهور ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ

التأنيث، ولذلك قرىء بالتاء من فوق، وأنيب الجار والمجرور منابه، ولتضمنه معنى الانقياد عدي بعلى. قوله: ﴿جِبَاهُهُمْ﴾ المراد بها جهة الإمام بدليل المقابلة. قوله: **(وتوسع جلودهم)** أي حتى لا يوضع دينار على دينار، ولا درهم على درهم، وذلك بعد جعلها صفائح من نار. قوله: **(أي جزاؤه)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، لأن الكنوز لا تذاق، وهذا عذابه في الآخرة، وورد أنه يصور ماله في قبره بصورة شجاع أقرع له زبيبتان، يأخذ بلزمتيه أي شدقيه ويقول: أنا كنزك، أنا مالك، فلا مانع من حصول الجميع له، أجارنا الله من أسباب ذلك.

قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ إلخ المقصود من ذلك الرد على الجاهلية، حيث يزيدون في الأشهر، بحسب أهوائهم الفاسد، فراراً من القتال في الأشهر الحرام، فإنهم كانوا يعظمون الأشهر الحرم، فلا يقاتلون فيها، فكانوا إذا اضطروا للقتال فيها، ادعوا أنها لم تأت وقاتلوا فيها، فربما جعلوا السنة أربعة عشر شهراً أو أزيد بحسب ما تسوله عقولهم الفاسدة. قوله: ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ ظرف متعلق بمحذوف صفة للشهور.

قوله: ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْراً﴾ وهذه شهور السنة القمرية العربية التي يعتد بها المسلمون في عباداتهم كالصيام والحج وسائر أمورهم، وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوماً، والسنة الشمسية وتسمى القبطية، وهي عبار عن دور الشمس في الفلك دورة تامة، وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع، فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية، إما عشرة أيام، أو أحد عشر يوماً، خمسة أيام نقص الشهور العربية، وخمسة أيام النسيء إن كانت السنة بسيطة، وستة أيام إن كانت كبيسة، فكل أربع سنين تأتي فيها سنة كبيسة، فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية، فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف. قوله: ﴿فِي كِتَابِ اللهِ﴾ صفة لاثنا عشر. قوله: **(محرمة)** أي معظمة محترمة تتضاعف فيها الطاعات. قوله: **(ذو القعدة)** بفتح القاف وكسرها، والفتح أفصح عكس الحجة. قوله: **(بالمعاصي)** أي فظلم النفس يكون بمخالفة الله، لأنه بسبب ذلك تعرض لغضب الله الموجب لدخول النار. قوله: **(فإنها فيها أعظم وزراً)** أي أشد إثماً منه في غيرها.

قوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ هذه الآية ناسخة لآية البقرة المفيدة حرمة القتال في الأشهر الحرم، قال تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير﴾ الآية، وقوله: ﴿كَافَّةً﴾ مصدر في موضع الحال من فاعل ﴿قَاتِلُوا﴾ أو من ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ ولا يثنى ولا تجمع ولا تدخل عليه أل ولا

﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ ٣٦ بالعون والنصر ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ أي التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا هل وهم في القتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها ﴿بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ﴾ أي النسيء ﴿عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عِدَّةَ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ من الأشهر فلا

يتصرف فيه بغير الحال. قوله: **(بالعون والنصر)** أي فمعيته مع المتقين زائدة على معيته مع الخلق أجمعين، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾ لأنها معية تصريف وتدبير، وذلك لا يختص بالإنسان، بل مع كل مخلوق حيواناً وجماداً.

قوله: **﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾** فعيل بمعنى مفعول، والمراد به تأخيرهم حرمة المحرم إلى صفر، كما في المختار، وهذه قراءة الجمهور بهمزة بعد الياء، وفي قراءة سبعية بإبدال الهمزة ياء، أو إدغام الياء فيها، وقرىء شذوذاً، بسكون السين وبفتح النون وبضم السين بوزن فعول. قوله: **(كما كانت الجاهلية تفعله)** أي لأن الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرام وتعظيمها، وكانت معائشهم من الغزو، وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية، فأخروا تحريم شهر إلى شهر آخر، فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر، فإذا احتاجوا إلى القتال، أخروا التحريم إلى ربيع الأول، وهكذا، حتى استدار التحريم على السنة كلها، وكانوا يحجون في كل شهر عامين، فحجوا في ذي الحجة عامين، والمحرم كذلك، وهكذا باقي الشهور، فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة ذا القعدة، ثم حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، فوافقت شهر الحج المشروع، وهو ذو الحجة، فوقف بعرفة في اليوم التاسع، وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى حيث قال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر، الذين بين جمادى وشعبان، أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى، قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليست البلدة؟ قلنا: بلى. قال: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، قال: فإن دماؤكم وأموالكم ـ قال محمد وأحسبه قال: وأعراضكم ـ عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم بعضاً، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، ثم قال: ألا هل بلغت؟ مرتين. قوله: **(إذا هل)** بالبناء للفاعل وللمفعول، ويقال استهل وهل: إذا رفع الصوت عند ذكره، وبذلك سمي الهلال. قوله: **(بضم الياء)** أي مع فتح الضاد مبنياً للمفعول في السبعة، ومع كسر الضاد مبنياً للفاعل في العشرة. قوله: **(وفتحها)** أي مع كسر الضاد لا غير، وهي سبعية أيضاً، فتكون القراءات ثلاثاً: واحدة عشرية، واثنتان سبعيتان. قوله: **(أي النسيء)** المراد به هنا اسم المفعول أي المنسوء أي المؤخر، وهو تحريم بعض الشهور.

قوله: **﴿يُحِلُّونَهُ عَاماً﴾** فيه وجهان: أحدهما: أن الجملة تفسيرية للضلال، الثاني: أنها حالية. قوله: **﴿لِيُوَاطِئُوا﴾** تنازعه كل من يحلونه ويحرمونه، فيجوز الثاني أو الأول. قوله: **(إلى أعيانها)** أي الأربعة التي اشتهر تحريمها، لأنهم لو التزموا أعيانها لم يضلوا. قوله: **﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾** بالبناء

يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون ولا ينظرون إلى أعيانها ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسناً ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ ونزل لما دعا ﷺ الناس إلى غزوة تبوك وكانوا في عسرة وشدة حر فشق عليهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾ بادغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل أي تباطأتم وملتم عن

للمفعول والمزين لهم الشيطان. قوله: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا يوصلهم للسعادة. قوله: (ونزل لما دعا) إلخ أي من هنا إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ فهذه الآيات متعلقة بغزوة تبوك والمتخلفين عنها من المنافقين وغيرهم. قوله: (إلى غزوة تبوك) بالصرف على إرادة البقعة، ومنع للعلمية والتأنيث، وكانت في السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه من الطائف، وسبب توجهه لها أنه بلغ رسول الله ﷺ أن هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام، وأنهم قدموا مقدماتهم إلى البلقاء، وكان ﷺ قليلاً ما يخرج في غزوة إلا ورى عنها بغيرها، إلا ما كان من غزوة تبوك، وذلك لبعد المسافة، لأنها على طرف الشام، بينها وبين المدينة أربع عشرة مرحلة، فأمرهم بالجهاد، وبعث إلى مكة وقبائل العرب، وهي آخر غزواته ﷺ، وأنفق عثمان نفقة عظيمة، فجهز عشرة آلاف، وأنفق عليها عشرة آلاف دينار، غير تسعمائة بغير ومائة فرس وما يتعلق بذلك، وجاء أبو بكر بجميع ماله أربعة آلاف درهم، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء ابن عوف بمائة أوقية، وجاء العباس بمال كثير، وكذا طلحة، وبعثت النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهن، فلما تجهز رسول الله ﷺ بالناس، وهم ثلاثون ألفاً، وقيل أربعون ألفاً، وقيل سبعون ألفاً، وكانت الخيل عشرة آلاف فرس، وخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، وقيل علي بن أبي طالب، وتخلف عبد الله بن أبيّ ومن كان معه من المنافقين، فبعد أن خرج بهم إلى ثنية الوداع متوجهاً إلى تبوك، عقد الألوية والرايات، فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر، ورايته العظمى للزبير، وراية الأوس لأسيد بن حضير، وراية الخزرج للحباب بن المنذر، ودفع لكل بطن من الأنصار، ومن قبائل العرب، لواء وراية، ولما نزلوا تبوك، وجدوا عينها قليلة الماء، فاغترف رسول الله ﷺ غرفة من مائها، فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها، ففارت عينها حتى امتلأت وارتووهم وخيلهم وركابهم، وأقام بتبوك بضع عشرة ليلة، وقيل عشرين ليلة، فأتاه يحنة ـ بضم التحتية وفتح الحاء المهملة والنون المشددة ثم تاء التأنيث ـ ابن رؤبة ـ بضم الراء فهمزة ساكنة فموحدة ـ صاحب أيلة، وأهدى له بغلة بيضاء، فكساه النبي رداء وصالحه على إعطاء الجزية، بعد أن عرض عليه الإسلام فلم يسلم وكتب له ولأهل أيلة كتاباً تركه عندهم ليعلموا، وقد استشار ﷺ أصحابه في مجاوزة تبوك، فأشاروا عليه بعدم مجاوزتها، فانصرف وهو والمسلمون راجعين إلى المدينة، ولما دنا من المدينة، تلقاه المتخلفون، فقال لأصحابه: لا تكلموا رجلاً منهم، ولا تجالسوهم، حتى آذن لكم، فصار الرجل يعرض عن أبيه وأخيه. قوله: (وكانوا في عسرة) أي قحط وضيق عيش، حتى أن الرجلين ليجتمعان على التمرة الواحدة. قوله: (وشدة حر) أي حتى كانوا يشربون الفرث. قوله: (فشق عليهم) أي فتخلف عنهم عشرة قبائل، ويقال لها غزوة العسرة الفاضحة، لأنها اظهرت حال المنافقين.

قوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ ما مبتدأ، و ﴿لَكُمْ﴾ خبره، و ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ حال، و ﴿إِذَا﴾ ظرف لتلك الحال مقدم عليها، والتقدير أي شيء ثبت لكم من الضرر حال كونكم متثاقلين وقت قول الرسول لكم انفروا إلخ. قوله: (بادغام التاء إلخ) أي فالأصل تثاقلتم، أبدلت التاء ثاء وأدغمت فيها، وأتى بهمزة الوصل

الجهاد ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ والقعود فيها والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾ أي بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى﴾ جنب متاع ﴿ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٣٨﴾ حقير ﴿إِلَّا﴾ بادغام لا في نون إن الشرطية في الموضعين ﴿تَنفِرُوا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي يأتي بهم بدلكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ أي الله أو النبي ﷺ ﴿شَيْـًٔا﴾ بترك نصره فإن الله ناصر دينه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ ومنه نصر دينه ونبيه ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة أي ألجأوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ حال أي أحد اثنين والآخرة أبو بكر المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿بدل ثان ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أبي بكر وقد قال له لما رأي أقدام المشركين لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل على النبي ﷺ وقيل على أبي بكر ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أي النبي ﷺ ﴿بِجُنُودٍ

توصلاً للنطق بالساكن. قوله: **(وملتم)** قدره إشارة إلى أنه ضمن اثاقلتم معنى ملتم فعداه بإلى.

قوله: ﴿**أَرَضِيتُمْ**﴾ الاستفهام للتوبيخ والتعجب. قوله: **(حقير)** أي لأن لذات الدنيا خسيسة مشوبة بالمكدرات والآفات سريعة الزوال، بخلاف لذات الآخرة، فهي شريفة منزهة عن الأقذار والأكدار، باقية لا منتهى لها. قوله: **(بإدغام لا في نون إن)** العبارة فيها قلب، والأصل بإدغام إن في لام لا. قوله: **(في الموضعين)** أي هذا وقوله: ﴿**إلَّا تَنْصُرُوهُ**﴾. قوله: ﴿**يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾ قيل: المراد في الآخرة، وقيل المراد في الدنيا باحتباس المطر، لما روي أنه سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: استنفر رسول الله ﷺ حياً من أحياء العرب فتثاقلوا، فأمسك الله عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم. قوله: ﴿**وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ**﴾ قيل المراد بهم أبناء فارس، وقيل أهل اليمن. قوله: **(ومنه نصر دينه)** أي ولو من غير واسطة.

قوله: ﴿**إلَّا تَنْصُرُوهُ**﴾ شرط حذف جوابه تقديره فسينصره الله، وأما قوله: ﴿**فَقَدْ نَصَرَهُ الله**﴾ فتعليل للجواب، ولا يصلح أن يكون جواباً لأنه ماض، وقوله: ﴿**إِذْ أَخْرَجَهُ**﴾ ظرف لقوله: ﴿**نَصَرَهُ**﴾ وهذا خطاب لمن تثاقل عن تلك الغزوة. قوله: **(بدار الندوة)** تقدم إيضاح ذلك في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَإِذ يمكر بك الذين كفروا﴾ إلخ. قوله: **(حال)** أي من الهاء في ﴿**أَخْرَجَهُ**﴾ والتقدير: إذ أخرجه الذين كفروا، حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر. قوله: **(بدل من إذ قبله)** أي بدل بعض من كل، لأن الإخراج زمنه ممتد، فيصدق على زمن استقرارهما في الغار، وإلا فزمن الإخراج مباين لزمن حصولهما في الغار، لأن بين الغار ومكة مسيرة ساعة.

قوله: ﴿**لَا تَحْزَنْ**﴾ أي لا تهتم، وكان حزن الصديق على رسول الله لا على نفسه، ورد أنه قال له: إذا مت فأنا رجل واحد، وإذا مت أنت، هلكت الأمة والدين. قوله: ﴿**إِنَّ الله مَعَنَا**﴾ أي معية معنوية خاصة. قوله: **(قيل على النبي)** أي فيكون المراد، زاده سكينة وطمأنينة حتى عمت أبا بكر، وإلا

﴿لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ ملائكة في الغار ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي دعوة الشرك ﴿ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾ المغلوبة ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ أي كلمة الشهادة ﴿هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ في صنعه ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ نشاطاً وغير نشاط وقيل أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء وهي منسوخة بآية ليس على الضعفاء ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٤١﴾ أنه خير لكم فلا تثاقلوا. ونزل في المنافقين الذين تخلفوا ﴿و كان﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضٗا﴾ متاعاً من الدنيا ﴿قَرِيبٗا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرٗا قَاصِدٗا﴾ وسطاً ﴿لا تبعوك﴾ طلباً للغنيمة ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ المسافة فتخلفوا ﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا﴾ الخروج ﴿لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالحلف الكاذب ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ في قولهم ذلك وكان ﷺ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد

فرسول الله لم يسبق له انزعاج، لمزيد ثقته بربه. قوله: **(وقيل على أبي بكر)** أي لأنه هو المنزعج. قوله: **(ملائكة في الغار)** أي يحرسونه من أعدائه. قوله: **(ومواطن قتاله)** الواو بمعنى أو، لأنه تفسير ثان. قوله: **(أي دعوة الشرك)** أي دعوة أهل الشرك الناس إليه، أو المراد عقيدة أهل الشرك. قوله: **﴿وَكَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا﴾** القراء السبعة على الرفع مبتدأ، وهي إما ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والعليا إما خبر عن كلمة، أو عن الضمير، والجملة خبر كلمة وقرىء شذوذاً بالنصب، معطوفاً على مفعول **﴿جَعَلَ﴾**.

قوله: **﴿انْفِرُوا خُفَافاً وَثِقَالاً﴾** ذكر المفسر في معنى ذلك ثلاثة أقوال، وهي من جملة أقوال كثيرة ذكرها المفسرون، فقيل الخفيف الذي لا ضيعة له، والثقيل الذي له الضيعة، وقيل الخفيف الشاب، والثقيل الشيخ، وقيل غير ذلك فالمقصود تعميم الأحوال، أي انفروا على أي حال كنتم عليه، وهذا الحكم باق، إذا تعين الجهاد بأن فجأ العدو، وأما في حال كونه فرض كفاءة، فليس حكم العموم باقياً، بل منسوخ إما بآية ﴿وما كان المؤمنون ليفروا كافّة﴾ أو بآية ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرْضى﴾ إلخ. قوله: **(نشاطاً)** بكسر النون جمع نشيط، ككرام وكريم. قوله: **(وهي منسوخة)** أي على القولين الأخيرين، لا على الأول فهي محكمة. قوله: **(أنه خير)** مفعول **﴿تَعْلَمُونَ﴾**. قوله: **(فلا تثاقلوا)** جواب الشرط. قوله: **(في المنافقين)** أي كعبد الله بن أبي وأضرابه. قوله: **(متاعاً من الدنيا)** سمي عرضاً لسرعة زواله كالعرض. قوله: **(المسافة)** أي التي تقطع بالمشقة، فهي مشتقة من المشقة.

قوله: **﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾** هذا إخبار من الله بالغيب، فإن هذه الآية نزلت قبل رجوعه من تبوك. قوله: **﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾** هذه الجملة سدت مسد جواب القسم والشرط. قوله: **﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾**، هذا مرتب على قوله: **﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾** المعنى يزدادون بها هلاكاً لأنهم هالكون بالكفر، ويزيدون هلاكاً باليمين الكاذبة، لما في الحديث: «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع». قوله: **(لجماعة)** أي من المنافقين. قوله: **(باجتهاد منه)** هذا أحد قولين، والآخر أنه لا يجتهد، والحاصل أنه اختلف هل يجوز على النبي الاجتهاد في غير الأحكام التكليفية الصادرة من الله تعالى، أو لا يجوز؟ والصحيح الأول، ولكنه في اجتهاده دائماً مصيب، وعتاب الله له إنما هو على فعل أمر مباح له، فهو من باب حسنات الأبرار، سيئات المقربين، لا على وزر فعله، فاعتقاد ذلك كفر.

منه فنزل عتاباً له وقدم العفو تطميناً لقلبه ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في التخلف وهلا تركتهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في العذر ﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٤٣﴾ فيه ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ في التخلف عن ﴿أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۝٤٤﴾ ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ في التخلف ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ﴾ شكت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ في الدين ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝٤٥﴾ يتحيرون ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ أهبة من الآلة والزاد ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي لم يرد خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ كسلهم ﴿وَقِيلَ﴾ لهم ﴿ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾ المرضى والنساء والصبيان أي قدر الله تعالى ذلك ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فساداً بتخذيل المؤمنين ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟

قوله: ﴿**عَفَا الله عَنْكَ**﴾ أي عن هذا الأمر الذي فعلته. قوله: ﴿**لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ**﴾ اللام الأولى للتعليل، والثانية للتبليغ، وكلاهما متعلق بأذنت، فلم يلزم عليه تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد، والمعنى لأي شيء أذنت لهم في التخلف عن الجهاد. قوله: (**وهلا تركتهم**) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿**حَتَّى يَتَبَيَّنَ**﴾، غاية ذلك المحذوف. قوله: ﴿**لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ**﴾ أي لا يليق منهم، وليس من عادتهم الاستئذان في الواجب عليهم، بل الخالص في الإيمان، يبادر إليه من غير توقف، فحيث وقع من هؤلاء الاستئذان، كان دليلاً على نفاقهم. قوله: (**في التخلف**) أي من غير عذر. قوله: ﴿**وَارْتَابَتْ قُلُوبُهمْ**﴾ إنما أسند الريب للقلب، لأنه محله، كما أنه محل الإيمان والمعرفة.

قوله: ﴿**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ**﴾ إلخ، هذا تسلية له ﷺ على عدم خروج المنافقين معه، إذ لا فائدة فيه ولا مصلحة، وعتاب الله على الأذن لهم في التخلف، إنما هو لأجل إظهار حالهم وفضيحتهم، كأن الله يقول لنبيه: كان الأولى لك عدم الإذن لهم في التخلف ليظهر حالهم، فإن القرائن دالة على أنهم لا يريدون الخروج لعدم التأهب له.

قوله: ﴿**وَلَكِنْ كَرِهَ الله انْبِعَاثَهُمْ**﴾ استدراك على قوله: ﴿**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعدُّوا لَهُ عُدَّةً**﴾ لأنه في معنى النفي، فهو استدارك على ما يتوهم ثبوته، وهو محبة الله منهم الخروج، والمعنى لو أرادوا الخروج لأعدوا، ولكن لم يريدوه لكراهة الله انبعاثهم، لما فيه من المفاسد، فلم يعدوا له عدة، وهذا أحسن ما يقال. قوله: (**أي قدر الله تعالى ذلك**) جواب عما يقال: حيث أمرهم الله بالقعود، كان قعودهم محموداً لا مذموماً، فأجاب بأنه ليس المراد بالقول حقيقته، بل المراد به الإرادة والتقدير. وأجيب أيضاً بأن القائل الشيخان وهو يأمر بالفحشاء والمنكر، وأجيب أيضاً: بأن القائل الله حقيقة والقول على حقيقته، وهو أمر تهديد على حد: اعملوا ما شئتم.

قوله: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً**﴾ هذا بيان للمفاسد التي تترتب على خروجهم. إن قلت: إن مقتضى العتاب المتقدم أن خروجهم فيه مصلحة، ومقتضى ما هنا أن خروجهم مفسدة، فكيف الجمع بينهما؟ أجيب بأن خروجهم مفسدة عظيمة، وعتاب الله لنبيه، إنما هو على عدم التأني، حتى يظهر نفاقهم وفضيحتهم، وليس في خروجهم مصلحة أصلاً، كما علمت. قوله: ﴿**مَا زَادُوكُمْ إِلَّا**

خِلَٰلَكُمۡ﴾ أي أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة ﴿يَبۡغُونَكُمُ﴾ يطلبون لكم ﴿ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ بإلقاء العداوة ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ ما يقولون سماع قبول ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ﴾ لك ﴿ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ﴾ أول ما قدمت المدينة ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ أي أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ النصر ﴿وَظَهَرَ﴾ عز ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ له فدخلوا فيه ظاهراً ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾ وهو الجد بن قيس قال له النبي ﷺ هل لك في جلاد بني الأصفر فقال إني مغرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فأفتتن. قال تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ بالتخلف. وقرىء سقط ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ لا محيص لهم عنها ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ﴾ شدة ﴿يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿مِن قَبۡلُ﴾ قبل هذه

خَبالاً﴾ يصح أن يكون استثناء منقطعاً، والمعنى ما زادوكم قوة ولكن خبالاً أو متصلاً من عموم الأحوال، والمعنى ما زادوكم شيئاً أصلاً إلا خبالاً.

قوله: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ الإيضاع في الأصل سرعة سير البعير، ثم استعير الإيضاع لسرعة الإفساد، ففي الكلام استعارة تبعية، حيث شبه سرعة الإفساد بسرعة سير الركائب، ثم اشتق منه أوضعوا بمعنى أسرعوا، وفي الخلال استعارة مكنية، حيث شبه الخلال بركائب تسرع في السير، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو أوضعوا بمعنى أسرعوا فإثباته تخييل.

قوله: ﴿يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ﴾ حال من فاعل أوضعوا، والتقدير طالبين لكم الفتنة. قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ يحتمل أن يكون المراد جواسيس منهم يتسمعون لهم الأخبار منكم، ويحتمل أن يكون الضمير في فيكم، عائداً على المؤمنين، والمعنى أن في المؤمنين ضعفاء قلوب، يصغون إلى قول المنافقين بالتخذيل والإفساد، لظنهم صحة إيمانهم. قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل هذه الغزوة، كالواقع من المنافقين في أحد وفي الأحزاب. قوله: ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ أي استمروا على تقليب الأمور حتى إلخ. قوله: **(وهو الجد بن قيس)** وهو منافق عنيد، حتى أنه من قباحته امتنع من مبايعة رسول الله تحت الشجرة في بيعة الرضوان، واختفى تحت بطن ناقته. قوله: **(في جلاد بني الأصفر)** أي ضربهم بالسيوف، وفي نسخة جهاد، وهي ظاهرة، وبنو الأصفر هم ملوك الروم، أولاد الأصفر بن روم بن عيص بن إسحاق. قوله: **(وقرىء سقط)** أي بالإفراد مراعاة للفظ من، والضمير عائد على الجد بن قيس، وهي شاذة كما هي قاعدته.

قوله: ﴿إِنَّ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ أي في بعض الغزوات. قوله: ﴿وإِنَّ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ أي في بعضها، وقابل الحسنة بالمصيبة، إشارة إلى أن الثواب مترتب على كل منها، وإنما قابلها بالسيئة في آل عمران، لأنها خطاب للمؤمنين، وفيهم من يراها سيئة. قوله: ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي أدركنا ما أهمنا من

المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ بما أصابك ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل أي تنتظرون أن يقع ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ تثنية حسنى تأنيث أحسن النصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾ ننتظر ﴿بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ عاقبتكم ﴿قُلْ أَنفِقُواْ﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ والأمر هنا بمعنى الخبر ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ﴾ بالتاء الياء ﴿مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾ فاعل وأن تقبل مفعول ﴿كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلون ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ النفقة لأنهم يعدونها مغرماً ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ أي لا تستحسن نعمنا عليهم فهي استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ أي أن يعذبهم ﴿بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة وفيها من المصائب ﴿وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد

الأمور، وهو موالاة الكفار، واعتزال المسلمين، وغير ذلك من أنواع النفاق. قوله: ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يَتَوَلَّوْا﴾. قوله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا﴾ أي رداً لقولهم: ﴿قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾. قوله: ﴿الْحُسْنَيَيْنِ﴾ صفة لموصوف محذوف، قدره المفسر بقوله: **(العاقبتين)**. قوله: ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ أي العاقبتين السيئتين. قوله: **(بقارعة)** أي صاعقة. قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ إلخ، أي فإنا منتظرون ما يسرنا وأنتم منتظرون ما يسوؤكم.

قوله: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ إلخ، نزلت في الجد بن قيس، حيث قال للنبي ﷺ: ائذن لي في القعود، وأنا أعطيك مالي والمعنى قل لهم اتصافكم بصفات المؤمنين في الإنفاق والصلاة لا يفيدكم شيئاً. قوله: ﴿طَوْعاً﴾ أي من غير إلزام. وقوله: ﴿أَوْ كَرْهاً﴾ أي بإلزام. قوله: ﴿إِنَّكُم كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ أي ولم تزالوا كذلك، فالمراد فاسقون فيما مضى وفي المستقبل. قوله: **(والأمر هنا بمعنى الخبر)** أي فالمعنى نفقتكم طوعاً أو كرهاً غير مقبولة. قوله: **(بالتاء والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ استثناء من عموم الأشياء، كأنه قيل: ما منعهم قبول نفقتهم لشيء من الأشياء إلا لثلاثة أمور: كفرهم بالله ورسوله، وإيتائهم الصلاة في حال كسلهم، وإنفاقهم مع الكراهة. قوله: **(لأنهم يعدونها مغرماً)** أي لأنهم لا يرجون عليها ثواباً، ولا يخافون على تركها عقاباً. قوله: **(فهي استدارج)** أي ظاهرها نعمة، وباطنها نقمة. قوله: **(بما يلقون في جمعها من المشقة)** جواب عما يقال: إن المال والولد سرور في الدنيا، فأجاب بأن المراد بكونهما عذاباً، باعتبار ما يترتب عليهما من المشقة. إن قلت: إن هذا ليس مختصاً بالمنافق، بل المؤمن كذلك بهذا الاعتبار. أجيب: بأن المؤمن يرجو الآخرة والراحة فيها والتنعم بسبب المشقات، فكأنها ليست مشقة، والمنافق ليس كذلك، فهي حينئذ مشقة في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ أي أرواحهم. قوله: ﴿يَفْرَقُونَ﴾ الفرق بالتحريك الخوف.

العذاب ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي مؤمنون ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝٥٦﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ يلجؤون إليه ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ سراديب ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعاً لا يرده شيء كالفرس الجموح ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك ﴿فِي﴾ قسم ﴿الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ۝٥٩﴾ أن يغنينا وجواب لو: لكان خيراً لهم ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم

قوله: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ إلخ، أي لو قدروا على الهروب منكم، ولو في شر الأمكنة وأخسها لفعلوا لشدة بغضهم لكم، والمعنى أنهم وإن كانوا يحلفون لكم أنهم منكم، فهم كاذبون في ذلك، لأنهم لو وجدوا مكاناً يلجؤون إليه، من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة أو مغارات، وهي الأماكن المنخفضة في الأرض أو في الجبل أو سراديب، أي أماكن ضيقة لفروا إليها. قوله: ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ في المصباح: جمع الفرس براكبه يجمح: استعصى حتى غلبه اهـ. ففيه إشارة إلى أنهم كالدابة الجموح التي لا تقبل الإنقياد بوجه من الوجوه.

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ هذا بيان لحال بعض المنافقين، وقوله: ﴿يَلْمِزُكَ﴾ من باب ضرب واللمز الإشارة بعين ونحوها على سبيل التنقيص، فهو أخص من الغمز، إذ هو الإشارة بعين ونحوها مطلقاً، والمراد هنا الإعابة بالقول. قيل: نزلت في أبي الجواظ المنافق، بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء، ومعناه الضخم المتكبر الكثير الكلام، حيث قال: ألا ترون إلى صاحبكم يقسم صدقاتكم على رعاء الغنم، ويزعم أنه يعدل. وقيل: نزلت في ذي الخويصرة التميمي، وقيل اسمه حرقوص بن زهير، وهو أصل الخوارج. قوله: ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾ المراد بها قيل الزكاة، وقيل الغنائم، وقيل ما هو أعم، وهو الأولى بدليل ما يأتي للمفسر. قوله: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا﴾ أي ما يريدون. قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ إذا فجائية قامت مقام الفاء، والأصل فهم. قوله: ﴿مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ نسبة الإعطاء لله حقيقة، وللرسول مجازية، وفيه إشارة إلى أن ما فعله الرسول، إنما هو على طبق ما أمر الله به.

قوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ﴾ أي (كافينا). قوله: (أن يغنينا) أي في أنه يغنينا، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بفي متعلقة بيغنينا، ويؤخذ من الآية تعليم العباد التعفف، والاعتماد على الله تعالى، وتفويض الأمور إليه، فإن الأرزاق بيده تعالى متكفل بها، لا يقطعها عن عباده ولو خالفوه.

قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ رد على المنافقين الذين يزعمون أن رسول الله يأخذ الصدقات لنفسه ولأهل بيته، فبين في هذه الآية المستحقة لها الأصناف الثمانية، ورسول الله وأهل بيته محرمة عليهم، تشريفاً لهم وتطهيراً، والآية من قصر الموصوف على الصفة، أي الصدقات مقصورة على الإتصاف، بصرفها لهؤلاء الثمانية. قوله: (مصروفة) قدره ليتعلق به الجار والمجرور. قوله: (الذي لا يجدون ما يقع

﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾ أي الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وعاشر ﴿وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ ليسلموا أو يثبت إسلامهم أو يسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام والأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لعز الإسلام بخلاف الأخيرين فيعطيان على الأصح ﴿وَفِي﴾ فك ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ أي المكاتبين ﴿وَٱلۡغَٰرِمِينَ﴾ أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي القائمين بالجهاد ممن لا فيء لهم ولو أغنياء ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ المنقطع في سفره

موقعاً من كفايتهم) صادق بأن لا يجدون شيئاً أصلاً، أو لا يجدون شيئاً لا يقع الموقع من كفايتهم.

قوله: **﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾(الذين لا يجدون ما يكفيهم)** صادق بأن لا يجدوا شيئاً أصلاً، أو يجدوا شيئاً لا يقع الموقع أو يقع، ولكن لا يكفيهم، فالفقير على هذا أسوأ حالاً من المسكين، وهذا مذهب الإمام الشافعي، وعند مالك بالعكس، فالمسكين من لا يملك شيئاً أصلاً، والفقير من عنده شيء لا يكفيه، والمراد بالكفاية عند مالك كفاية سنة، وعند الشافعي كفاية العمر الغالب، وهو ستون سنة. قوله: **(من جاب إلخ)** أي وهو الذي يجمع الزكوات من أربابها، والقاسم الذي يقسمها على المستحقين، والكاتب الذي يكتب ما أعطاه أرباب الأموال، والعاشر الذي يجمع أرباب الأموال ليأخذ منهم الجابي الزكاة. قوله: **(ليسلموا)** أي يرجى بإعطائهم إسلامهم. بقوله: **(أو يثبت إسلامهم)** أي فهم حديثو عهد بالإسلام، فنعطيهم ليتمكن الإسلام من قلوبهم. قوله: **(أو يسلم نظراؤهم)** أي فهم كبار قبيلة أسلموا، فيعطون ليسلم نظراؤهم من الكفار. قوله: **(أو يذبوا عن المسلمين)** أي يدفعوا الكفار ويردوهم عن المسلمين، والحال أنهم مسلمون. قوله: **(والأول والأخير)** أي الكافر ليسلم والذاب عن المسلمين. قوله: **(لا يعطيان)** هذا ضعيف عندهم، والمعتمد عندهم إعطاء الأول. قوله: **(بخلاف الأخيرين)** أي الثاني والثالث، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك المؤلفة قلوبهم، إما كفار يعطون ليسلموا، أو مسلمون يعطون ليثبت إسلامهم.

قوله: **﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾** إنما أضيفت الصدقات إلى الأصناف الأربعة الأول باللام، وإلى الأربعة الأخيرة بفي، إشارة إلى أن الأربعة الأول يملكونها ويتصرفون فيها كيف شاؤوا، بخلاف الأربعة الأخيرة فيقيد بما إذا صرفت مصارفها، فإذا لم يحصل نزعت منهم. قوله: **(أي المكاتبين)** أي ليستعينوا بها على فك رقابهم، وهذا التفسير على مذهب الإمام الشافعي، وعند مالك وأحمد: أن معناه يشترى بها رقيق كامل الرق، ويعتق ولاؤه للمسلمين، وعند أبي حنيفة: يشترى بها بعض رقبة، ويعان بها مكاتب، لأن قوله: **﴿في الرِّقَابِ﴾** يقتضي التبعيض. قوله: **(لغير معصية)** أي بأن استدانوا المباح، ولو صرفوه في معصية، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك: إذا صرفوه في معصية، لا يعطون منها إلا إذا تابوا. قوله: **(أو تابوا)** أي ظهرت توبتهم، لا بمجرد قولهم تبناً مثلاً. قوله: **(أو لإصلاح ذات البين)** أي كأن خيف فتنة بين قبيلتين تنازعتا في قتيل لم يظهر قاتله، فتحملوا الدية تسكيناً للفتنة. قوله: **(أي القائمين بالجهاد)** إلخ، أي ويشتري منها آلته من سلاح ودرع وفرس، ومذهب مالك أن طلبة العلم المنهكين فيه، لهم الأخذ من الزكاة ولو أغنياء، إذا انقطع حقهم من بيت المال، لأنهم مجاهدون.

قوله: **﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** الإضافة لأدنى ملابسة، أي الملازم للطريق. قوله: **(المنقطع في سفره)** أي

﴿فَرِيضَةً﴾ نصب بفعله المقدر ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا يمنع صنف منهم إذا وجد فيقسمها الإمام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع وبينت السنة أن شرط المعطى منها الإسلام وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً ﴿وَمِنْهُمُ﴾ أي المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ بعيبه وبنقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذ نهوا عن ذلك لئلا يبلغه ﴿هُوَ أُذُنٌۚ﴾ أي يسمع كل قيل ويقبله فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدقنا ﴿قُلْ﴾ هو ﴿أُذُنُ﴾ مستمع ﴿خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ لا مستمع شر ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع عطفاً على أذن والجر عطفاً

إن كان سفره في غير معصية، وإلا فلا يعطى، ولو خيف عليه الموت ما لم يتب، ويعطى بشرط أن لا يجد مسلفاً، وهو مليء ببلده. قوله: **(فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء)** أخذ ذلك من الحصر وهو محل وفاق. قوله: **(ولا يمنع صنف منهم)** هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: لا يلزم تعميم الأصناف، فاللام في (للفقراء) إلخ، لبيان المصرف لا للاستحقاق. قوله: **(فيقسمها الإمام عليهم على السواء)** هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: لا يلزم ذلك، بل يندب إيثار المضطر. قوله: **(لعسره)** علة لعدم وجوب الاستغراق. قوله: **(الإسلام)** هذا في غير المؤلفة قلوبهم. قوله: **(وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً)** هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: الذين تحرم عليهم الزكاة بنوا هاشم فقط، وهذا إن كان حقهم من بيت المال جارياً، وإلا فهم أولى من غيرهم، فإعطاؤهم أسهل من تعاطيهم خدمة الذمي والفاجر.

قوله: **﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾** سبب نزولها: أن جماعة من المنافقين تكلموا في حقه ﷺ بما لا يليق، فقال بعضهم لبعض: كفوا عن ذلك الكلام لئلا يبلغه ذلك، فيقع لنا منه الضرر، فقال الجلاس، بضم الجيم وفتح اللام المخففة، ابن سويد: نقول ما شئنا، ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فيما نقول، فإنما محمد أذن. قوله: **(أي يسمع كل ما قيل)** أي من غير أن يتأمل فيه، ويميزنا باطنه من ظاهره، فقصدوا بذلك وصفه ﷺ بالغفلة، لأنه كان لا يقابلهم بسوء أبداً، وتحمل أذاهم ويصفح عنهم، فحملوه على عدم التنبه والغفلة، وإنما كان يفعل ذلك رفقاً بهم، وتغافلاً عن عيوبهم، وفي تسميته إذناً مجاز مرسل، من إطلاق الجزء على الكل للمبالغة في استماعه، حتى صار كأنه هو آلة السماع، كما يسمى الجاسوس عيناً.

قوله: **﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾** أي يسمع الخير، ولا يسمع الشر. قوله: **(يُؤْمِنُ بالله)** إلخ، هذا إيضاح لكونه أذن خير. قوله: **(واللام زائدة)** جواب عما يقال: لم زيدت اللام مع أن الإيمان يتعدى بالباء. فأجاب: بأنها زيدت للفرق بين إيمان التسليم وهو قوله: **﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**، أي يسلم لهم قولهم ويصدقهم فيما يقولونه، وبين إيمان التصديق المقابل للكفر وهو قوله: **﴿وَيُؤْمِنُ بالله﴾**، أي يصدق بالله ويوحده. قوله: **﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾** أي أظهروا الإيمان منكم، وهذه الرحمة بمعنى الرفق بهم،

على خير ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بالطاعة ﴿إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٢﴾ حقاً، وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أو خبر الله ورسوله محذوف ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ بـ ﴿أَنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿مَن يُحَادِدِ﴾ يشاقق ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاء ﴿خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿يحذر﴾ يخاف ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْۚ﴾ من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلِ

وعدم كشف أسرارهم، لا بمعنى التصديق لهم، فإن رحمته في الدنيا عامة للبر والفاجر، وفي الآخرة مختصة بالبر دون الفاجر، إذ هي تابعة لرحمة الله تعالى وإحسانه.

قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ﴾ أي يحلف المنافقون للمؤمنين، أنه ما وقع منهم الإيذاء للنبي، وقصدهم بذلك إرضاء للمؤمنين ليذبوا عنهم، إذا أراد رسول الله أن يفتك بهم، وسبب نزولها: أنه اجتمع ناس من المنافقين، منهم الجلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت، فوقعوا في رسول الله قالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير، وكان عندهم غلام يقال له عامر بن قيس، ثم أتى النبي ﷺ وأخبره، فدعاهم وسألهم، فأنكروا وحلفوا أن عامراً كذاب، وحلف عامر أنهم كذبوا، فصدقهم النبي ﷺ، فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدق الصادق، وكذب الكاذب. قوله: (ما أتوه) أي ما فعلوه، وفي نسخة آذوه. قوله: ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ علة لقوله: ﴿يَحْلِفُونَ﴾. قوله: ﴿والله وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ الجملة حالية من ضمير يحلفون، والمعنى يحلفون لكم لإرضائكم، والحال أن الله ورسوله أحق بالإرضاء.

قوله: ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، أي فليرضوا الله ورسوله. قوله: (وتوحيد الضمير) إلخ، أشار المفسر لثلاثة أجوبة عن سؤال وارد على الآية حاصله أن لفظ الجلالة مبتدأ، و ﴿رَسُولُهُ﴾ مبتدأ ثان معطوف عليه، وجملة ﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ خبر، والضمير مفرد، وما قبله مثنى، فلم أفرد الضمير؟ فأجاب المفسر: بأنه أفرده، لأن الرضاءين واحد، لأن رضا رسول الله تابع لرضا الله ولازم له، فالكلام جملة واحدة، أو الجملة خبر عن رسوله، وحذف خبر لفظ الجلالة لدلالة ما بعده عليه، أو خبر عن لفظ الجلالة، وخبر رسوله محذوف، لدلالة ما قبله عليه، ففيه: إما الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، أو بالعكس.

قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ الإستفهام للتوبيخ. قوله: ﴿مَنْ يُحَادِدِ اللهَ﴾ من: شرطية مبتدأ، وقوله: ﴿فَإِنَّ﴾ إلخ خبر لمحذوف أي فحق أن له الخ، والجملة جواب الشرط، وجملة فعل الشرط وجوابه خبر ﴿مِنْ﴾، ومجموع اسم الشرط وفعله وجزائه خبر أن الأولى، وجملة أن الأولى من اسمها وخبرها، سدت مسد مفعولي يعلم. قوله: (جزاء) تمييز. قوله: ﴿خَالِداً فِيهَا﴾ حال مقدرة. قوله: ﴿أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين، وقوله: ﴿تُنَبِّئُهُمْ﴾ أي تخبر المؤمنين، وقوله: ﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي المنافقين من الحقد والحسد للمؤمنين.

﴿ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ إخراجه من نفاقكم ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ معتذرين ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ﴾ عنه ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي ظهر كفركم بعد إظهار الأيمان ﴿إِن نَّعْفُ﴾ بالياء مبنياً للمفعول والنون مبنياً للفاعل ﴿عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ باخلاصها وتوبتها كمخشي بن حمير ﴿نُعَذِّبْ﴾ بالتاء والنون ﴿طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ مصرين على النفاق والاستهزاء ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾

قوله: ﴿قُلْ اسْتَهْزِئوا﴾ إلخ، نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين، وقفوا لرسول الله على العقبة، لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها، وتنكروا عليه في ليلة مظلمة، فأخبر جبريل رسول الله بما قد أضمروا، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم؛ وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله، وسراقة يسوقها، فقال لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم، فضربها حذيفة حتى نحاها عن الطريق، فلما نزل قال لحذيفة: هل عرفت من القوم أحداً؟ فقال: لم أعرف منهم أحداً يا رسول الله، فقال رسول الله: إنهم فلان وفلان، حتى عدهم كلهم، فقال حذيفة: هلا بعثت إليهم من يقتلهم؟ فقال: أكره أن تقول العرب: لما ظفر بأصحابه أقبل بقتلهم، بل يكفينا الله بالديلة، وهي خراج من نار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم. قوله: (**وهم سائرون معك**) أي فكانوا يقولون: هيهات هيهات، يريد هذا الرجل أن يفتح حصون الشام وقصورها، فأطلع الله نبيه على ما قالوه، فقال لهم: هل قلتم كذا وكذا؟ فقالوا: لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك، ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بنا السفر.

قوله: ﴿**أَبِاللهِ**﴾ أي بفرائضه وحقوقه. قوله: ﴿**وَآيَاتِهِ**﴾ أي كلماته القرآنية. قوله: ﴿**رَسُولِهِ**﴾ أي محمد ﷺ. قوله: (**عنه**) أي الاستهزاء. قوله: (**مبنياً للمفعول**) إلخ، أي ونائب الفاعل عن طائفة، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**كمخشي بن حمير**) وفي بعض النسخ كجحش بن حمير، أسلم وحسن إسلامه، كان يضحك ولا يخوص، وكان ينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال: اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ تقشعر منها الجلود، وتخفق منها القلوب، اللهم اجل وفاتي قتلاً في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة، فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه. قوله: ﴿**الْمُنَافِقونَ**﴾ أي وكانوا ثلثمائة. قوله: ﴿**وَالْمُنَافِقَاتُ**﴾ أي وكن مائة وسبعين. قوله: (**أي متشابهون في الدين**) أي الذي هو النفاق فهم على أمر واحد مجتمعون عليه.

قوله: ﴿**وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**﴾ كناية عن عدم الإنفاق، لأن شأن المعطي بسط اليد، وشأن الممسك

عن الإنفاق في الطاعة ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ﴾ جزاء وعقاباً ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٦٨﴾ دائم. أنتم أيها المنافقون ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟﴾ تمتعوا ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ أيها المنافقون ﴿بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل والطعن في النبي ﷺ ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ أي كخوضهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ قرى قوم لوط أي أهلها ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات فكذبوهم فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

قبضها. قوله: (تركوا) ﴿الله﴾ جواب عما يقال: إن النسيان لا يؤاخذ به الإنسان. فأجاب: بأن المراد به الترك. قوله: (تركهم) جواب عما يقال: إن النسيان مستحيل على الله تعالى. فأجاب بأن المراد به الترك. قوله: ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي الكاملون في التمرد والفسق والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقريع.

قوله: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ يستعمل وعد في الخير والشر، وإنما يفترقان في المصدر، فمصدر الأول وعد، والثاني وعيد. قوله: ﴿وَالْكُفَّارَ﴾ أي المتجاهرين بالكفر، فهو عطف مغاير. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ أي غير النار كالزمهرير، أو المراد عذاب في الدنيا. قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الجار والمجرور خبر لمحذوف، قدره المفسر بقوله أنتم، وهذا خطاب للمنافقين، ففيه التفات من الغيبة للخطاب، والمثلية في الأوصاف المتقدمة، وهي الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، وقبض اليد، ونسيان حقوق الله الآتية بقوله: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا﴾ إلخ. قوله: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخِلَاقِهِمْ﴾ أي بحظوظهم الفانية، والتشاغل بها عما يرضي الله تعالى. قوله: (أي كخوضهم) مشى المفسر على أن الذي حرف مصدري، وهي طريقة ضعيفة لبعض النحاة، وعليه فيقدر في الكلام مفعول مطلق، ليكون مشبهاً بالمصدر المأخوذ من الذي، والتقدير وخضتم خوضاً كخوضهم، والصحيح أن الذي اسم موصول صفة لموصوف محذوف، والعائد محذوف تقديره كالخوض الذي خاضوه.

قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾ أي المنافقين والاستفهام للتقرير. قوله: ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ إلخ، أي وقد أهلكوا بالطوفان، ﴿وَعَادٍ﴾ أهلكوا بالريح العقيم. ﴿وَثَمُودَ﴾ أهلكوا بالرجفة، ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أهلكوا بسلب النعمة عنهم وبالبعوض، ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ أهلكوا بالظلة. قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ أي المنقلبات التي جعل الله عليها سافلها. قوله: ﴿فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ معطوف على مقدر قدره المفسر بقوله: (فكذبوهم فأهلكوا). قوله: (بأن يعذبهم بغير ذنب) تفسير للظلم المنفي أي الواقع أن الله لم يعذبهم بغير ذنب، بل لو فرض أنه عذبهم بغير ذنب لم يكن ظلماً، لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير من غير إذنه، ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى، ولكن تفضل الله بأنه لا يعذب بغير ذنب، ولا يجوز عليه شرعاً أن يعذب في الآخرة عبداً بغير ذنب، وإن جاز عقلاً.

يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ بارتكاب الذنب ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٧١﴾ لا يضع شيئاً إلا في محله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أعظم من ذلك كله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٧٣﴾ المرجع هي ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي المنافقون ﴿بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك

قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ إلخ، لما بين حال المنافقين والمنافقات عاجلاً وآجلاً، ذكر حال المؤمنين والمؤمنات عاجلاً وآجلاً. قوله: ﴿أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي في الدين، وعبر عنهم بذلك دون المنافقين، فعبر في شأنهم بمن، إشارة إلى أن نسبة المؤمنين في الدين كنسبة القرابة، وأما المنافقون فنسبتهم طبيعية نفسانية، فهم جنس واحد. قوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي يحبونه لأنفسهم ولإخوانهم، والمعروف كل ما عرف في الشرع وهو كل خير. قوله: ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي ينفرون منه ولا يرضون به، والمراد بالمنكر كل ما خالف الشرع. قوله: ﴿وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي باللسان والجنان وسائر الأعضاء. قوله: ﴿سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ﴾ أي في الدنيا بالإيمان والمعرفة، وفي الآخرة بالخلود في الجنة ونعيمها، ورضا الله عنهم، وهذه الأوصاف مقابلة لأوصاف المنافقين المتقدمة. قوله: **(عن إنجاز وعده)** أي للمؤمنين والمؤمنات. قوله: **(ووعيده)** أي للمنافقين والمنافقات، فهو لف ونشر مشوش.

قوله: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هذا تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ﴾. قوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي بساتين، لكل مؤمن ومؤمنة ليس فيها شركة لأحد. قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي بأرضها. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال من المؤمنين والمؤمنات. قوله: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ أي تستطيبها النفوس وتألفها فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قوله: ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي في بساتين إقامة، لا تحول ولا تزول، روي أنه سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ قال: قصر من لؤلؤة، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريراً، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، وفي رواية: في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام.

قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ التنوين للتقليل، أي أقل رضوان يأتيهم من الله، أكبر من ذلك كله، فضلاً عن أكثره، ورد أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً. قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي الرضوان. قوله: ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي الظفر بالمقصود الذي لا يضاهى. قوله: **(بالسيف)** المراد به جميع آلات الحرب. قوله: **(باللسان والحجة)** أي لا بالسيف لنطقهم بالشهادتين، فالمراد بجهادهم بذل الجهد في نصيحتهم وتخويفهم. قوله: **(بالانتهار والمقت)** المراد به القتل بالنسبة للكفار، والإهانة والزجر بالنسبة للمنافقين. قوله: ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ جملة مستأنفة بيان لعاقبة أمرهم.

عنهم من السب ﴿ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلاً فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾ أنكروا ﴿ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم. والمعنى لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما ينقم ﴿ فَإِن يَتُوبُواْ ﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ ﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَٱلْأٓخِرَةِ﴾ بالنار ﴿ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٧٤﴾ يمنعهم ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل

قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا﴾ هذا بيان لقبحهم وخيانة باطنهم. قوله: ﴿كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ قيل هي كلمة الجلاس بن سويد حيث قال: إن كان محمد صادقاً فيما يقول فنحن شر من الحمير، وقيل: هي كلمة ابن أبي ابن سلول حيث قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قوله: **(أظهروا الكفر)** إلخ، دفع بذلك ما يقال: إن ظاهر الآية يقتضي أنهم مسلمون ثم كفروا بعد ذلك مع أنهم لم يسلموا أصلاً. فأجاب: بأن المراد أظهروا الكفر بعد أن أظهروا الإسلام. قوله: **(من الفتك)** مثلث الفاء الأخذ على حين غفلة. قوله: **(ليلة العقبة)** أي التي بين تبوك والمدينة. قوله: **(وهم بضعة عشر رجلاً)** قيل اثنا عشر، وقيل أكثر من ذلك، لكن لم يبلغوا العشرين، وقد اجمع رأيهم على أن يفتكوا بالنبي في العقبة ليقع في الوادي فيموت، فأخبره الله بما دبروه، فلما وصل إلى العقبة، نادى منادي رسول الله بأمره: إن رسول الله يريد أن يسلك العقبة، فلا يسلكها أحد غيره، واسلكوا يا معشر الجيش بطن الوادي، فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي، وسلك النبي العقبة، وكان ذلك في ليلة مظلمة، فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا العقبة، فلما ازدحموا على رسول الله، نفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه، فصرخ بهم فولوا مدبرين، وأمر عمار بن ياسر، وقيل حذيفة، بضرب وجوه رواحلهم، فانحطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي واختلطوا بالناس، فقال له النبي: هل عرفت أحداً منهم؟ قال: لا، كانوا متلثمين والليلة مظلمة، قال: هم فلان وفلان حتى عدهم، قال: هل عرفت مرادهم؟ قال: لا، قال: إنهم مكروا وأردوا الفتك بي، وإن الله أخبرني بمكرهم، فلما أصبح جمعهم وأخبرهم بما مكروا، فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا، فنزلت الآية، ويؤخذ من ذلك أنهم سافروا مع رسول الله إلى تبوك، وتقدم أنهم تخلفوا، ويمكن الجمع بأن البعض سافر، والبعض تخلف. قوله: **(فضرب عمار بن ياسر)** وقيل حذيفة.

قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾**(أنكروا)** أي ما كرهوا وما عابوا، وفي الآية تأكيد المدح بما يشبه الذم كأنه قيل: ليس له صفة تكره وتعاب، إلا إغناءهم من فضله بعد أن كانوا فقراء، وهذه ليست صفة ذم، فحينئذ ليس له صفة تذم أصلاً. قوله: **(وليس مما ينقم)** أو يعاب ويكره. قوله: ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوا﴾ أي داموا عليه. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي المنافقين، وظاهر الآية أنه حين المعاهدة كان منافقاً، وليس كذلك، بل كان مسلماً صحيحاً، وكان يلزم المسجد والجماعة، حتى لقب بحمامة المسجد فجعله منها باعتبار ما آل إليه أمره، ففيه مجاز الأول. قوله: ﴿لَئِنْ آتَانَا﴾ تفسير لقوله: عاهدوا، واللام موطئة لقسم محذوف، وإن شرطية، و ﴿آتَانَا﴾ فعل الشرط، وجملة ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط، لدلالته

في الصاد ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٧٥﴾ وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً ويؤدي منه كل ذي حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟﴾ عن طاعة الله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦﴾ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي فصير عاقبتهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتاً ﴿فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ أي

عليه ولتأخره، على حد قول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

قوله: **(فيه إدغام التاء)** إلخ، أي والأصل لنتصدقن، قلبت التاء صاداً، ثم أدغمت في الصاد.
قوله: **﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** أي في صرف المال، بأن نصل به الأرحام، وننفقه في وجوه البر والخير.
قوله: **(وهو ثعلبة بن حاطب)** كان أولاً صحابياً جليلاً ملازماً للجمعة والجماعة والمسجد، ثم رآه النبي يسرع بالخروج إثر الصلاة، فقال له رسول الله: لم تفعل فعل المنافقين؟ فقال: إني افتقرت، ولي ولأمرأتي ثوب، أجيء به للصلاة، ثم أذهب فأنزعه لتلبسه وتصلي به، فادع الله أن يوسع في رزقي. وحاصل قصته أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله يرزقني مالاً، فقال رسول الله: ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه. ثم أتاه بعد ذلك فقال له مثل ذلك فقال له رسول الله: أما لك فيَّ أسوة حسنة، والذي نفسي بيده، لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت، ثم أتاه بعد ذلك فقال له: والذي بعثك بالحق، لئن رزقني الله مالاً، لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله: اللهم ارزق ثعلبة مالاً، فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل وادياً من أوديتها، وهي تنمو كما ينمو الدود، فكان يصلي مع رسول الله الظهر والعصر، ويصلي في غنمه سائر الصلوات، ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة، فصار لا يشهد إلا الجمعة، ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة، فكان إذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار، فذكره رسول الله ذات يوم فقال: ما فعل ثعلبة؟ فقالوا له: يا رسول الله، اتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها واد، فقال رسول الله: يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، فلما نزلت آية الصدقة، بعث رسول الله رجلاً من بني سليم، ورجلاً من بني جهينة، وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما: مرا على ثعلبة بن حاطب، وعلى رجل من بني سليم، فخذا صدقاتهما، فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وقرآ عليه كتاب رسول الله، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليّ، فانطلقا، وسمع بهما السليمي، فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأياه قالا: ما هذا عليك؟ قال: خذاه، فإن نفسي بذلك طيبة، فمرا على الناس وأخذا الصدقات، ثم رجعا إلى ثعلبة، فقال: أروني كتابكما، فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، اذهبا حتى أرى رأيي فانطلقا، فلما رآهما رسول الله قال قبل أن يتكلما: يا ويح ثعلبة، ثم دعا للسليمي بخير، فأخبره بالذي صنع ثعلبة، فنزلت الآية. قوله: **(ويؤدي منه)** الخ، الجملة حالية من فاعل سأل. قوله: **(فدعا له)** أي في المرة الثالثة. قوله: **(فوسع عليه)** أي بأن رزق غنماً، فصارت تنمو كالدود.

قوله: **﴿بَخِلُوا بِهِ﴾** أي حيث منع الزكاة لما جاءه السعاة لأخذها وقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية. قوله: **﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾** أي فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم. قوله: **﴿إِلَى يَوْمِ**

الله، وهم يوم القيامة ﴿بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝٧٧﴾ فيه. فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته فقال إن الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ثم إلى عمر فلم يقبلها ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات في زمانه ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾ أي المنافقون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ﴾ ما أسروه في أنفسهم ﴿وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾ ما تناجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝٧٨﴾ ما غاب عن العيان. ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير فقال المنافقون مراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله غني عن صدقة هذا فنزل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلۡمِزُونَ﴾ يعيبون ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ المتنفلين ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ طاقتهم فيأتون به ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾ والخبر ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ جازاهم على

﴿يَلْقَوْنَهُ﴾ غاية لتمكن النفاق في قلوبهم، وحكمة الجمع في هذه الضمائر، مع أن سبب نزولها في شخص واحد، الإشارة إلى أن حكم هذه الآية باق لكل من اتصف بهذا الوصف، من أول الزمان لآخره، وليس مخصوصاً بثعلبة.

قوله: **﴿بِمَا أَخْلَفُوا الله﴾** الباء سببية وما مصدرية، والمعنى ذلك بسبب إخلافهم الله الوعد، ورد: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان. قوله: **(فجاء بعد ذلك)** أي غير تائب في الباطن، وإنما ذلك خوفاً من أن يحكم بردته، فيقتل ويؤخذ ماله كله، ففعله ذلك لأجل حفظ دمه وماله، لا توبة من ذنبه، وإلا لقبله الله. قوله: **(يحثو التراب)** أي يهيله على رأسه، قوله: **(ثم جاء إلى أبي بكر)** أي في خلافته، وكذا في خلافة عمر وعثمان. قوله: **(أي المنافقون)** أي لا بقيد كونهم الذين عاهدوا الله، لأن آيتهم قد انقضت بقوله: **﴿يَكْذِبُونَ﴾**. قوله: **(ما أسروه)** أي أخفوه. قوله: **(ما غاب عن العيان)** أي بالنسبة للعباد، لا بالنسبة لله، فإن الكل عنده عيان، وليس شيء غائباً عن علمه سبحانه وتعالى. قوله: (جاء رجل) هو عبد الرحمن بن عوف، جاء بأربعة آلاف درهم، وقال كان لي ثمانية آلاف، فأقرضت ربي أربعة، فاجعلها يا رسول الله في سبيل الله، وأمسكت لعيالي أربعة، فقال له النبي: بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت، فبورك له حتى صولحت إحدى زوجاته الأربع بعد وفاته عن ربع الثمن بثمانين ألفاً، وأعتق من الرقاب ثلاثين ألفاً، وأوصى بخمسين ألف دينار، وبألف فرس في سبيل الله، وأوصى لمن بقي من البدريين إذ ذاك، وكان الباقي مائة أوصى لكل منهم بأربعمائة دينار، وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف. قوله: **(وجاء رجل فتصدق بصاع)** أي وهو أبو عقيل الأنصاري، جاء بصاع تمر وقال بتّ ليلتي أجر بالجرير، أي الحبل الذي يستقى به الماء، وكان أجيراً يسقي الزرع بالماء من البئر، قال: وكانت أجرتي صاعين من تمر، فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع، فأمره النبي أن ينثره على الصدقات. قوله: **(فقالوا إن الله غني)** الخ، أي وإنما أتى به تعريضاً بفقره ليعطى من الصدقات.

قوله: **﴿الذِينَ يَلْمِزُونَ﴾** مبتدأ خبره **﴿سَخِرَ الله مِنْهُمْ﴾** **﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ﴾** وعطف على **﴿الَّذِينَ﴾** الأول وقوله: **﴿فَيَسْخَرُونَ﴾** عطف على قوله: **﴿يَلْمِزُونَ﴾**. قوله: **﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾** أصله المتطوعين، أبدلت التاء طاء، ثم أدغمت في الطاء. قوله: **﴿إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾** الجهد الشيء اليسير الذي يعيش به المقل.

سخريتهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿ ٱسْتَغْفِرْ ﴾ يا محمد ﴿ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه قال ﷺ إني خيرت فاخترت يعني الاستغفار. رواه البخاري ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ قيل المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار وفي البخاري حديث «لو أعلم أني زدت على السبعين غفر لزدت عليها» وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضاً «وسأزيد على السبعين» فبين له حسم المغفرة بآية سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ عن تبوك ﴿ بِمَقْعَدِهِمْ ﴾ أي بقعودهم ﴿ خِلَٰفَ ﴾ أي بعد ﴿ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿ لَا تَنفِرُوا۟ ﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ من تبوك فالأولى أن يتقوها بترك التخلف ﴿ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا ﴾ في الدنيا ﴿ وَلْيَبْكُوا۟ ﴾ في الآخرة ﴿ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟

قوله: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ إلخ خبر جيء به في صورة الأمر، والمعنى استغفارك لهم وعدمه سواء. قوله: **(قال:** ﷺ**)** دليل على التخيير. قوله: **(قيل المراد بالسبعين)** إلخ، هذا بناء على أن العدد لا مفهوم له. قوله: **(غفر)** جواب **(لو)** الثانية، وقوله: **(لزدت)** جواب **(لو)** الأولى. قوله: **(وقيل المراد)** إلخ، بناء على أن العدد له مفهوم. قوله: **(لحديثه)** أي البخاري. قوله: **(حسم المغفرة)** أي قطعها. قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي عدم المغفرة لهم. قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ الباء سببية، وأن مصدرية، والتقدير بسبب كفرهم. قوله: ﴿والله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي لا يوصلهم لما فيه رضاه.

قوله: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ جمع مخلف اسم مفعول، والفاعل الكسل، أي الذين خلفهم الكسل، وكانوا اثني عشر. قوله: **(أي بعد)** أشار بذلك إلى أن ﴿خِلَافَ﴾ ظرف زمان أو مكان، ويصح أن يكون مصدراً بمعنى مخالفة، والمعنى على الأول: فرحوا بقعودهم في خلاف رسول الله، أي بعد سفره، أو بمكانه الذي سافر منه، وعلى الثاني: فرحوا بمخالفة رسول الله، حيث اتصفوا بالقعود، واتصف هو بالسفر. قوله: ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ﴿كَرِهُوا﴾، والمعنى كرهوا الجهاد، لأن الإنسان بطبعه ينفر من إتلاف النفس والمال، سيما من ينكر الآخرة.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض. قوله: ﴿لَا تَنْفِرُوا﴾ أي إلى تبوك، لأنها كانت في شدة الحر والقحط. قوله: ﴿أَشَدُّ حَرّاً﴾ أي لأن حر الدنيا يزول ولا يبقى، وحر جهنم دائم لا يفتر عنهم، وهم فيه ملبسون، فمن آثر الشهوات على ما يرضي مولاه، كان مأواه جهنم، ومن آثر رضا ربه على شهوته، كان مأواه الجنة، ولذا ورد «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات». قوله: **(ما تخلفوا)** جواب ﴿لَوْ﴾. قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾ أي بالنسبة لبكاء الآخرة، وإن كان في نفسه كثيراً.

قوله: ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ أي على ما فاتهم من النعيم الدائم، وورد عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس ابكوا، فإن لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون في النار، حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول، حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتفرغ العيون،

يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر ﴿فَإِن رَّجَعَكَ﴾ ردك ﴿ٱللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُل﴾ لهم ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم. ولما صلى النبي ﷺ على ابن أبيّ نزل ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ لدفن أو زيارة ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ كافرون ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي طائفة من

فلو أن سفناً أجريت فيها لجرت». قوله: ﴿جَزَاءً﴾ إما مفعول لأجله، أو مصدر منصوب بفعل مقدر تقديره يجزون جزاء. قوله: (**خبر عن حالهم**) أي العاجل والآجل، وإنما جيء به على صورة الأمر، إشارة إلى أنه لا يتخلف، لأن الأمر المطاع ما لا يكاد يتخلف عنه المأمور.

قوله: ﴿**فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ**﴾ خطاب للنبي ﷺ بعدم جمعهم معه في مشاهد الخير بعد ذلك، ويؤخذ من ذلك، أن أهل الفسوق والعصيان، لا يرافقون ولا يشاورون. قوله: (**ممن تخلف**) بيان للضمير في منهم. قوله: (**من المنافقين**) بيان للطائفة. قوله: ﴿**أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ أي وهو الخروج لغزوة تبوك قوله: (**وغيرهم**) أي كالمرضى. قوله: (**على بن أبيّ**) اسمه عبد الله، وأبي اسم أبيه، وسلول اسم أمه، وكان رئيس الخزرج، وكان له ولد مسلم صالح، قد دعا النبي ليصلي عليه، وسأله أن يكفنه في قميصه ففعل، ويروى أن النبي ﷺ كلم فيما فعل بعبد الله بن أبي، فقال ﷺ: وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله، والله إني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه، ويروى أنه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي ﷺ. قوله: ﴿**مِنْهُمْ**﴾ صفة لأحد، وكذا قوله: ﴿**مَاتَ أَبَداً**﴾.

قوله: ﴿**وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ**﴾ أي لا تتول دفنه. قوله: ﴿**إِنَّهُمْ كَفَرُوا**﴾ علة لما قبله، ولما نزلت هذه الآية، ما صلى على منافق، ولا قام على قبره بعدها. قوله: (**كافرون**) أي وإنما عبر عنهم بالفسق، إشارة إلى أن الكافر قد يكون عدلاً في دينه، بخلاف الفاسق، فأفعاله خبيثة لا ترضي أحداً، وليس له دين يقر عليه، فعبر عنهم بالفسق، بعد التعبير عنهم بالكفر، إشارة إلى أنهم جمعوا بين الوصفين: الكفر وخسة الطبع.

قوله: ﴿**وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ**﴾ إلخ، الحكمة في تكرارها، المبالغة في التحذير من هذا الشيء الذي وقع الاهتمام به، وعبر في الآية الأولى بالفاء، وهنا بالواو، لأن ما سبق له تعلق بما قبله، فحسن العطف بخلاف ما هنا، فلا تعلق له بما قبله، وأتى بلا فيما تقدم، وأسقط من هنا اعتناء بنفي الأولاد هناك، وبيّن هنا أنهم سواء، وأتى باللام في ليعذبهم هناك، وبأن هنا، إشارة إلى أن اللام بمعنى أن، وليس للتعليل، وأتى فيما تقدم بالحياة، وهنا باسقاطها، إشارة إلى خسة حياة الدنيا، حيث لا تستحق أن تذكر، وقال هناك كارهون، وهنا كافرون، إشارة إلى أنهم يعلمون كفرهم قبل موتهم، ويشاهدون الأماكن التي أعدت لهم في نظيره، فمن حيث تلك المشاهدة تزهق أرواحهم، وهم كافرون كارهون، بخلاف المؤمن، فإنه يشهد مقعده في الجنة، ولا تخرج روحه إلا وهو كاره للدنيا، محب للآخرة.

القرآن ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ﴾ ذوو الغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة أي النساء اللائي تخلفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ الخير ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي الفائزون ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال أي المعتذرون بمعنى المعذورين وقرىء به ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ كالشيوخ ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ كالعمي والزمنى ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ إثم في التخلف عنه ﴿إِذَا

قوله: ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ الجملة حالية. قوله: (أي طائفة من القرآن) أي سواء كانت تلك الطائفة سورة كاملة أو بعضها. قوله: (ذوو الغنى) أي السعة من المال، وقيل الرؤساء، وخصوا بالذكر لأنهم قادرون على السفر، وتركوه نفاقاً، إذ العاجز لا يحتاج لاستئذان.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على استأذنك. قوله: (أي النساء) ويصح أن يراد بهم الرجال الذين لا خير فيهم من قولهم رجل خالفة، أي لا خير فيه. قوله: ﴿لٰكِنِ الرَّسُولُ﴾ استدراك على ما قد يتوهم أن كسل هؤلاء جر غيرهم. قوله: ﴿الْخَيْرَاتُ﴾(في الدنيا والآخرة) أي بالنصر والغنيمة، والجنة والكرامة. قوله: ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ﴾ أي هيأ وأحضر، ويؤخذ من ذلك أن الجنة موجودة الآن. قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ أي الجنة المستفادة من قوله: ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾.

قوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ أي الطالبون قبول العذر وهذا شروع في ذكر أحوال منافقي الأعراب بعد بيان أحوال منافقي المدينة. قوله: (بإدغام التاء في الأصل) أي وأصله المعتذرون، أبدلت التاء ذالاً، وأدغمت في الذال، وقيل إنه لا أصل له، بل هو جمع معذر بالتشديد بمعنى متكلف العذر كذباً، وليس بمعذور. قوله: ﴿مِنَ الأَعْرَابِ﴾ أي سكان البوادي الناطقون بالعربية، والعربي من نطق بالعربية مطلقاً، سكن البوادي أم لا، فهو أعم من الأعراب.

قوله: ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي فهم فريقان: فريق جاء واعتذر لرسول الله كذباً وهم أسد وغطفان، اعتذروا بالجهد وكثرة العيال، وفريق لم يأت أصلاً، وكذبوا بالتخفيف باتفاق السبعة، وقرىء شذوذاً بالتشديد. قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي استمروا عليه وأتى بمن إشارة إلى أن بعضهم أسلم، وهو كذلك. قوله: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي في الدنيا بالقتل والأسر، والآخرة بالخلود في النار.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ هذا تخصيص لقوله فيما تقدم ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً﴾ والضعفاء جمع ضعيف، وهو ضعيف البنية النحيف. قوله: (كالشيوخ) أي النساء والصبيان. قوله: (والزمنى) من الزمانة، وهي العجز والابتلاء. قوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ أي لفقرهم وعجزهم،

نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ في حال قعودهم بعدم الارجاف والتثبيط والطاعة ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِن سَبِيلٍۚ﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿٩١﴾ بهم في التوسعة ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار وقيل بنو مقرن ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال ﴿تَوَلَّواْ﴾ جواب إذا أي انصرفوا ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿ أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ ﴿٩٢﴾ في الجهاد ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ ﴾ في التخلف ﴿ وَهُمْ أَغْنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ

كجهينة ومزينة وبني عذرة. قوله: ﴿ حَرَجٌ﴾ اسم ﴿لَيْسَ﴾ حذف من الأولين لدلالة الثالث عليه. قوله: ﴿إِذَا نَصَحُوا﴾ شرط في قوله: ﴿حَرَجٌ﴾ والمعنى ليس على هؤلاء حرج، وقت نصحهم لله ورسوله. قوله: **(بعدم الإرجاف)** أي إثارة الفتن. قوله: **(والتثبيط)** أي تكسيل من أراد الخروج. قوله: **(والطاعة)** معطوف على عدم الإرجاف، والمعنى أن نصحهم كائن بالطاعة لله ورسوله، بأن يخلصوا الإيمان، ويسعوا في إيصال الخير إلى المجاهدين، ويقوموا بمصالح بيوتهم، وبعدم إثارة الفتن، وبعدم تكسيل غيرهم، بل لينشطوا ويرغبوا في الجهاد، وينهوا من أراد التخلف.

قوله: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ إنما أظهر في مقام الإضمار إشارة إلى انتظامهم بنصحهم في سلك المحسنين، و ﴿مِنْ﴾ زائدة للتأكيد، والجار والمجرور خبر مقدم، و ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ مبتدأ مؤخر، ويصح أن يكون فاعلاً بالجار والمجرور، لاعتماده على النفي.

قوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ﴾ أي ليس عليهم سبيل. قوله: ﴿إِذَا مَا أَتَوْكَ﴾ ما إذا وقعت بعد إذا تكون صلة. قوله: **(إلى الغزو)** أي وهي غزوة تبوك. قوله: **(وهم سبعة من الأنصار)** أي ويقال لهم البكاؤون، فحمل العباس منهم اثنين، وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذي جهزه، وحمل يامين بن عمرو النضري اثنين. قوله: **(وقيل بنو مقرن)** أي كانوا ثلاثة إخوة، معقل وسويد والنعمان، وقيل: هم أصحاب أبي موسى الأشعري، وقد كان حلف أن لا يحملهم، ثم أتى له ﷺ بإبل من السبي، فأرسلها لهم ليحملوا عليها، فقالوا: لا نركب حتى نسأل رسول الله، فإنه قد حلف أن لا يحملنا، فلعله نسي اليمين، فجاؤوه فقال ما معناه: لا أرى خيراً مما حلفت عليه إلا فعلته، ومثل هذه اليمين لا تكفر عند مالك، لوجود بساط اليمين حين الحلف، فكان يمينه مقيدة بعدم وجود ما يحملهم عليه، وتكفر عند الشافعي.

قوله: ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ﴾ أي ليس عندي ما تحملون عليه، وفي هذا التعبير مزيد لطف بهم. قوله: **(حال)** أي من الكاف في أتوك، ويصح أن تكون هي الجواب، وجملة ﴿تَوَلَّوْا﴾ مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، وتقديره فماذا حصل لهم. قوله: ﴿وَأَعْيُنُهُمْ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿تَوَلَّوا﴾. قوله: **(للبيان)** أي لجنس الفائض. قوله: ﴿أَنْ لَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ أشار المفسر إلى أنه مفعول لأجله، والعامل فيه ﴿حَزَناً﴾ الواقع مفعولاً له أو حالاً. قوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ أي طريق العقاب. قوله: ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يستأذنوك﴾. قوله: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ﴾ إما مستأنف، أو

لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ﴿٩٣﴾ تقدم مثله ﴿ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ في التخلف ﴿ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾ من الغزو ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ ﴾ نصدقكم ﴿ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ ﴾ أي أخبرنا بأحوالكم ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ ﴾ بالبعث ﴿ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي الله ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ ﴿٩٤﴾ فيجازيكم عليه ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ ﴾ رجعتم ﴿ إِلَيۡهِمۡ ﴾ من تبوك وأنهم معذورون في التخلف ﴿ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ ﴾ بترك المعاتبة ﴿ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ ﴾ قذر لخبث باطنهم ﴿ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ ﴿٩٦﴾ أي عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط الله ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ ﴾ أهل البدو ﴿ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا ﴾ من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن ﴿ وَأَجۡدَرُ ﴾ أولى ﴿ أَلَّا ﴾ أي بأن ﴿ يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ ﴾ من الأحكام والشرائع ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمٞ ﴾ ﴿٩٧﴾ في صنعه بهم ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ ﴾ في سبيل الله ﴿ مَغۡرَمٗا ﴾ غرامة وخسراناً لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفاً وهم بنو أسد وغطفان ﴿ وَيَتَرَبَّصُ ﴾ ينتظر ﴿ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلصوا ﴿ عَلَيۡهِمۡ

حال مقدرة. قوله: **(تقدم مثله)** أي فأذكره هنا للتأكيد، وعبر هنا بالعلم، وهناك بالفقه، إشارة إلى أن معناهما واحد، إذ الفقه هو العلم، والعمل هو الفقه. قوله: **﴿يَعْتَذِرُونَ﴾** أي المتخلفون بالباطل والأكاذيب، استئناف لبيان اعتذارهم عند العود إليهم، روي أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلاً، فلما رجع رسول الله ﷺ جاؤوا يعتذرون إليه وإلى أصحابه بالباطل. قوله: **﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾** أي جواباً لهم. قوله: **﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾** تعليل للنهي، وقوله: **﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ﴾** علة للعلة.

قوله: **﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ﴾** أي السيىء، ومفعول يرى الثاني محذوف تقديره مستمراً، والمعنى سيظهر تعلق علمه بأعمالكم لعباده. قوله: **(أي الله)** أشار بذلك إلى أنه إظهار في موضع الإضمار، زيادة في التشديد عليهم. قوله: **﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** أي بعملكم أو بالذي كنتم تعملونه. قوله: **﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ﴾** تأكيد لعذرهم بالكذب. قوله: **(إنهم معذورون في التخلف)** هذا هو المحلوف عليه. قوله: **﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾** أي غير راضين بفعلهم. قوله: **﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾** علة لقوله: **﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾**.

قوله: **﴿فَإِنْ تَرْضَوا عَنْهُمْ﴾** شرط، حذف جوابه لدلالة قوله: **(فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى)** الخ، أشار المفسر بقوله: **(ولا ينفع رضاكم)** إلخ. قوله: **(أي عنهم)** أشار بذلك إلى أن المقام للإضمار، زيادة في التشنيع والتقبيح عليهم بحيث وصفهم بالخروج عن الطاعة.

قوله: **﴿الأَعْرَابُ﴾** أي جنسهم، وهو اسم جمع، لا جمع عرب، لئلا يلزم عليه كون الجمع أخص من مفرده، فإن الأعراب سكان البوادي، والعرب المتكلمون باللغة العربية سكنوا البوادي أم لا. قوله: **(لجفائهم)** علة لقوله: **﴿أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾**. قوله: **(من الأحكام والشرائع)** بيان للحدود. قوله: **(لأنه لا يرجو ثوابه)** أي لعدم إيمانه بالآخرة، وهو تعليل للاتخاذ المذكور قوله: **﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾** عطف على **﴿يَتَّخِذُ﴾**. قوله: **﴿الدَّوَائِرَ﴾** جمع دائرة، وهي ما يحيط بالإنسان من المصائب. قوله: **(فيتخلصوا)** أي

﴿دَآئِرَةُ السَّوۡءِ﴾ بالضم والفتح أي يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٩٨﴾ بأفعالهم ﴿وَمِنَ الۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِاللَّهِ وَالۡيَوۡمِ الۡآخِرِ﴾ كجهينة ومزينة ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ تقربه ﴿عِندَ اللَّهِ وَ﴾ وسيلة إلى ﴿صَلَوَٰتِ﴾ دعوات ﴿الرَّسُولِ﴾ له ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ أي نفقتهم ﴿قُرۡبَةٌ﴾ بضم الراء وسكونها ﴿لَّهُمۡ﴾ عنده ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓ﴾ جنته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿٩٩﴾ بهم ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الۡأَوَّلُونَ مِنَ الۡمُهَٰجِرِينَ وَالۡأَنصَارِ﴾ وهم من شهد بدراً أو جميع الصحابة ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم﴾ إلى يوم القيامة ﴿بِإِحۡسَٰنٍ﴾ في العمل ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي

من الإنفاق. قوله: (**بالضم والفتح**) أي فهما قراءتان سبعيتان، وهذا دعاء عليهم بنظير ما أرادوه للمسلمين.

قوله: ﴿**وَمِنَ الأَعْرَابِ**﴾ إلخ، اعلم أن الأعراب أقسام منهم المنافقون وقد تقدم ذكرهم في قوله: (**ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ومنهم مؤمنون**) وقد ذكروا هنا. قوله: (**كجهينة ومزينة**) أي وكغفار وأسلم قبائل عظام. قوله: ﴿**وَيَتَّخِذُ**﴾ فعل مضارع ينصب مفعولين: الأول الاسم الموصول، والثاني ﴿**قُرُبَاتٍ**﴾ على حذف مضاف، أي سبب قربات، وقوله: ﴿**عِنْدَ اللهِ**﴾ ظرف متعلق بمحذوف صفة لقربات، وقوله: ﴿**وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ**﴾ معطوف على ﴿**قُرُبَاتٍ**﴾ أي وسبب صلوات الرسول.

قوله: ﴿**قُرُبَاتٍ**﴾ بضم الراء باتفاق السبعة، جمع قربة، بضم الراء وسكونها، فعلى الضم الأمر ظاهر، وعلى السكون فضم راء الجمع للإتباع لضم قافه، أو جمعاً لمضموم الراء، وقد قرىء بهما في السبع، ومعنى كونها قربات، أنها تقرب العبد لرضا الله عليه، وليس معناه أن الله في مكان، وتلك النفقة تقربه من ذلك المكان، فإنه مستحيل، تعالى الله عنه. قوله: ﴿**وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ**﴾ أي دعواته لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة، فتجب ملاحظته في كل عمل لله، لأن الله تعبدنا بالتوسل به، قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ فمن زعم أنه يصل إلى رضا الله بدون اتخاذه ﷺ واسطة ووسيلة بينه وبين الله تعالى، ضل سعيه وخاب رأيه، قال العارف ابن مشيش: ولا شيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب ـ كما قيل ـ الموسوط، وقال بعضهم:

وأنت باب الله أي امرىء أتاه من غيرك لا يدخل

فهو من باب الله الأعظم وسره الأفخم، والوصول إليه وصول إلى الله، لأن الحضرتين واحدة، ومن فرق لم يذق للمعرفة طعماً، قوله: ﴿**أَلا إِنَّهَا**﴾ ألا: أداة استفتاح يؤتى بها لأجل الاعتناء بما بعدها. قوله: ﴿**قُرْبَةٌ**﴾ أي تقربهم لرضا ربهم، حيث أنفقوها مخلصين فيها، متوسلين بذلك إلى رسول الله ﷺ. قوله: (**جنته**) أشار بذلك إلى أن المراد بالرحمة الجنة، من إطلاق الحال وإرادة المحل، لأن الجنة محل للرحمة.

قوله: ﴿**وَالسَّابِقُونَ**﴾ مبتدأ، و ﴿**الأَوَّلُونَ**﴾ صفته، وقوله: ﴿**مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ**﴾ حال ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ**﴾ معطوف على ﴿**السَّابِقُونَ**﴾ والخبر قوله: ﴿**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ**﴾ إلخ. قوله: ﴿**وَالأَنْصَارَ**﴾ أي وهم الأوس والخزرج. قوله: (**وهم من شهد بدراً**) أي لأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء

تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ وفي قراءة بزيادة من ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يا أهل المدينة ﴿ مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ ﴾ كأسلم وأشجع وغفار ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ﴾ منافقون أيضاً ﴿ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ لجوا فيه واستمروا ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة أو القتل في الدنيا وعذاب القبر﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١٠١﴾ هو النار ﴿وَ﴾ قوم ﴿ءَاخَرُونَ﴾ مبتدأ ﴿ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ من التخلف

والمرسلين، وعليه تكون (من) للتبعيض. قوله: **(أو جميع الصحابة)** أي فتكون (من) بيانية، وقيل المراد بهم أهل بيعة الرضوان، وكانوا ألفاً وخمسمائة، وقيل المراد بهم أهل أحد، وقيل كل من دخل الإسلام قبل الفتح لقوله تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلًا وعد الله الحُسْنى﴾. قوله: **(إلى يوم القيامة)** أي فيشمل صلحاء كل زمان.

قوله: ﴿**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ**﴾ أي قبل أعمالهم، وأثابهم عليها وأعطاهم ما لم يعط أحداً، من خلقه. قوله: ﴿**وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ أيَ قبلوا ما أعطاهم الله لما في الحديث: «مالنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك» فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط بعده أبداً». قوله: **(وفي قراءة بزيادة من)** أي وهي سبعية لابن كثير، ومعلوم أنه يقرأ بالصلة، فمن قرأ بقراءته وصل اتبعوهم وعنهم ولهم بأن يشبع ضمة الميم في الجميع. قوله: ﴿**ذٰلِكَ**﴾ أي ما تقدم من الرضا والجنان. قوله: ﴿**الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ أي الظفر بالمقصود الذي لا يضاهى.

قوله: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ**﴾ خبر مقدم، و﴿**مُنَافِقُونَ**﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿**مِنَ الأَعْرَابِ**﴾ بيان لمن ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ**﴾ خبر مقدم، والمبتدأ محذوف تقديره (**ومنافقون أيضاً**) وجملة ﴿**مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ**﴾ صفة لذلك المحذوف، فيكون من عطف الجمل، أو خبر بعد خبر، توسط بينهما المبتدأ، ويكون من عطف المفردات. قوله: **(كأسلم)** إلخ، أي بعض هذه القبائل، فلا ينافي ما تقدم من مدحهم في قوله: ﴿**وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ**﴾. قوله: ﴿**مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ**﴾ أي تمرنوا عليه، ولم يتوبوا منه. قوله: ﴿**لَا تَعْلَمُهُمْ**﴾ إن قلت: كيف نفى علمه بحال المنافقين هنا، وثبته في قوله: **(ولتعرفنهم في لحن القول)** فالجواب: أن آية النفي نزلت قبل آية الإثبات. قوله: **(بالفضيحة أو القتل)** أشار بذلك إلى أنه اختلف في المرة الأولى، ولكن القول الأول هو الصحيح، لأن أحكام الإسلام في الظاهر جارية على المنافقين، فلم يقتلوا، ولم يؤسروا، والفضيحة بإخراجهم من المسجد، لما في الحديث عن ابن مسعود، خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن منكم منافقين، فمن سميته فليقم، ثم قال: قم يا فلان فإنك منافق، حتى سمى ستة وثلاثين. قوله: **(وعذاب القبر)** هذه هي المرة الثانية، وستأتي الثالثة في قوله: ﴿**ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ فقد صار عذاب المنافقين ثلاث مرات.

قوله: ﴿**وَآخَرُونَ**﴾ حاصله أن من تخلف عن تبوك ثلاثة أقسام: قسم منافقون استمروا على

نعته والخبر ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ وهو جهادهم قبل ذلك أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو تخلفهم ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٠٢﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ فحلهم لما نزلت ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ من ذنوبهم فأخذ ثلث

النفاق، وقد تقدم ذكرهم في قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمٍ﴾، وقسم تائبون، اعترفوا بذنوبهم، وبادروا بالعذر لرسول الله، وقد ذكرهم في قوله: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا﴾ إلى قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقسم لم يبادروا بالعذر، وقد ذكرهم الله بقوله: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾. قوله: ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي أقروا بذنوبهم لربهم وتابوا منها، وليس المراد اعترفوا للناس وهتكوا أنفسهم، فإن ذلك أمر لا يجوز. قوله: **(وهو جهادهم قبل ذلك)** أي قبل هذا التخلف. قوله: ﴿وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ الواو بمعنى الباء، والمعنى أنهم جمعوا بين العمل الصالح، والعمل السيىء. قوله: **(وهو تخلفهم)** أي من غير عذر واضح.

قوله: ﴿عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي يقبل توبتهم، والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، لأن ﴿عَسَى﴾ ونحوها تفيد الأطماع، ومن أطمع إنساناً في شيء، ثم حرمه منه، كان عاراً عليه، والله أكرم من أن يطمع أحداً في شيء، ثم لا يعطيه إياه، لأنه وعد، وهو لا يتخلف، وهذه الجملة مستأنفة، ويصح أن تكون خبراً، وجملة ﴿خَلَطُوا﴾ حالية وقد مقدرة. قوله: **(نزلت في أبي لبابة)** وهو رفاعة بن عبد المنذر، كان من أهل الصفة، ربط نفسه ثنتي عشرة ليلة، في سلسلة ثقيلة، وكانت له ابنة تحله للصلاة وقضاء الحاجة، وتقدم في سورة الأنفال، أنه أوثق نفسه مرة أخرى بسبب قريظة حتى نزلت توبته. قوله: **(وجماعة)** قيل عشرة، وقيل ثمانية، وقيل خمسة، وقيل ثلاثة، وقد كانوا تخلفوا عن تبوك، ثم ندموا بعد ذلك، فلما قدم رسول الله من المدينة، حلفوا ليربطن أنفسهم بالسواري، ولا يطلقونها حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقها، ففعلوا، فلما رجع رسول الله رآهم، فقال من هؤلاء؟ فقال له: هؤلاء تخلفوا عنك، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم أنت، وترضى عنهم، فقال: وأنا أقسم بالله، لا أطلقهم ولا أعذرهم، حتى أؤمر بإطلاقهم، فنزلت هذه الآية، فعذرهم وأطلقهم. قوله: **(ما نزل في المتخلفين)** أي من الوعيد الشديد، حيث قال الله فيهم ﴿فرح بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ لآية. قوله: **(فحلهم لما نزلت)** أي آية ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾.

قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (من) للتبعيض والجار والمجرور حال من ﴿صَدَقَةً﴾ ووجد المسوغ وهو وصفها بقوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ والمعنى خذ بعض الأموال التي خرجوا عنها لله ورسوله، وذلك أنه لما نزلت فيهم الآية، وحلهم رسول الله، أتوا وقالوا: هذه أموالنا التي خلفتنا عنك، خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا، فقال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً، فنزلت ﴿خذ من أموالهم﴾ الآية. قوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾ الأقرب أن التاء للخطاب، وحذف قوله: ﴿بِهَا﴾ من الأول، لدلالة الثاني عليه، والمعنى خذ يا محمد بعض أموالهم صدقة، حال كونك مطهراً لهم بها وتزكيهم بها، ومعنى تزكيهم تنميهم وتزيدهم بسبب أخذها خيراً. قوله: **(فأخذ ثلث أموالهم)** أي كفارة لذنوبهم، ويؤخذ من ذلك أن ما

أموالهم وتصدق بها ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ أي ادع لهم ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ ﴾ رحمة ﴿لَّهُمْ﴾ وقيل طمأنينة بقبول توبتهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ﴾ يقبل ﴿ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ﴾ على عباده بقبول توبتهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿١٠٤﴾ بهم والاستفهام للتقرير والقصد به تهييجهم إلى التوبة والصدقة ﴿ وَقُلِ﴾ لهم أو الناس ﴿ ٱعْمَلُواْ ﴾ ما شئتم ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ ﴾ بالبعث ﴿ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي الله ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٠٥﴾ يجازيكم به﴿ وَءَاخَرُونَ ﴾ من المتخلفين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ بالهمزه وتركه مؤخرون عن التوبة ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فيهم بما يشاء ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَإِمَّا

قال: مالي صدقة في سبيل الله أو للفقراء، يكفيه ثلثه وهو مذهب مالك، وعموم الآية يشمل الصدقة الواجبة والمندوبة.

قوله: ﴿إِنَّ صَلَوَاتِكَ﴾ بالجمع والإفراد هنا، وفي هو في قوله: (أصلواتك تأمرك) قراءتان سبعيتان، والمعنى دعواتك رحمة لهم وطمأنينة، وهذا في حياة رسول الله، وأما بعد وفاته، فدعاء الخليفة يقوم مقام دعاء النبي، وأيضاً الأعمال تعرض عليه صباحاً ومساءً، فإن رأى خيراً حمد الله، وإن رأى غير ذلك، استغفر لنا، كما ورد في الحديث «حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم في الصباح وفي المساء، فإن وجدت خيراً، حمدت الله، وإن وجدت سوءاً، استغفرت لكم» فدعاء رسول الله حاصل في حياته وبعد موته، ولا عبرة بمن ضل وزاغ عن الحق وخالف في ذلك. قوله: ﴿والله سَمِيْعٌ عَلِيمٌ﴾ أي بالأقول والأفعال.

قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي التائبون. قوله: ﴿إِنَّ الله هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ ﴿هُوَ﴾ مبتدأ وجملة ﴿يَقْبَلُ﴾ خبره، والجملة خبر إن وجملة إن واسمها وخبرها، سدت مسد مفعولي يعلم أو مفعولها. قوله: ﴿عَنْ عِبَادِهِ﴾ متعلق بيقبل و ﴿عَنْ﴾ بمعنى من، ويجوز أن تكون باقية على معناها للمجاوزة، والمعنى يتجاوز عباده بقبول توبتهم. قوله: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ أي يثيب صاحبها وعبر عن القبول بالأخذ، ترغيباً لهم في بذل الأموال. قوله: (والاستفهام للتقرير) أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بالحكم. قوله: (تهييجهم) أي حثهم وترغيبهم. قوله: (لهم أو الناس) تفسيران في الآية. قوله: ﴿اعْمَلُوا﴾ (ما شئتم) في ذلك وعد عظيم للطائعين، ووعيد للعاصين، والمعنى اعملوا أيها التائبون، أو أيها الناس عموماً ما شئتم من خير، فيجازيكم عليه بالثواب أو شر، فيجازيكم عليه بالعقاب، أو يعفو الله عنكم.

قوله: ﴿فَسَيَرى الله عَمَلَكُمْ﴾ أي يحصيه ويجازيكم عليه، فالاستقبال بالنظر للجزاء. قوله: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ أي لأن الأعمال تعرض عليه. قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي فيكون ذلك الجزاء، إما فرحاً وسروراً بين أهل الموقف، أو حزناً وسوءاً بينهم. قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي فيحاسبكم على جميع ما قدمتموه. قوله: (بالهمز) أي المضموم ﴿وتَركَهُ﴾ أي مع سكون الواو، وقراءتان سبعيتان. قوله: (عن التوبة) أي عن قبولها، وإلا فقد وقعت منهم التوبة، غير أنهم لم يعتذروا للنبي صريحاً، وإنما ندموا وحزنوا وصمموا على التوبة سراً. قوله: ﴿إمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إما للإبهام بالنسبة للمخاطبين. والمعنى أن الله

يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ﴿١٠٦﴾ في صنعه بهم وهم الثلاثة الآتون بعد مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدعة لا نفاقاً ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد ﴿وَ﴾ منهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ ضِرَارًا ﴾ مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا ﴾ لأنهم بنوه بأمر أبي عامر الراهب ليكون معقلاً له يقدم فيه من يأتي من عنده وكان ذهب

أبهم على المخاطبين أمرهم. قوله: ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أي يقبل توبتهم. قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾**(في صنعه)** أي لا يسأل عما يفعل، فلا يعترض على أحكامه سبحانه وتعالى. قوله: **(وهم الثلاثة)** أي وكانوا من أهل المدينة. قوله: **(مرارة)** بضم الميم. قوله: **(إلى الدعة)** أي الراحة والكسل. قوله: **(ولم يعتذروا)** أي لشدة ما نزل بهم من الحزن والأسف على ما فرطوا. قوله: **(فوقف أمرهم خمسين ليلة)** أي في نظير مدة التخلف، لأنها كانت خمسين ليلة، فلما تمتعوا بالراحة فيها، مع تعب غيرهم في السفر، عوقبوا بهجرهم تلك المدة.

قوله: ﴿والَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ بالواو ودونها، قراءتان سبعيتـان، والأحسن إعراب الاسم الموصول مبتدأ، وعلى كل خبره محذوف قدره المفسر بقوله: **(منهم)** والواو إما للعطف على الجمل المتقدمة، كقوله تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾(ومنهم الذين يؤذون النبي) (ومنهم من عاهد الله) عطف قصة على قصة أو للاستئناف.

قوله: ﴿ضِرَاراً﴾ إما مفعول لأجله، أو مفعول ثان لاتخذوا. قوله: **(لأهل مسجد قباء)** أشار بذلك إلى أن متعلق الضرار محذوف. قوله: **(بأمر أبي عامر الراهب)** أي وهو ولد حنظلة غسيل الملائكة. قوله: **(معقلاً له)** أي ملجأ. قوله: **(وكان ذهب)** إلخ، حاصل ذلك: أن أبا عامر قد ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح وتنصر، فلما قدم النبي ﷺ المدينة، قال أبو عامر: ما هذا الدين الذي جئت به؟ قال النبي ﷺ: جئت بالحنيفية دين إبراهيم، قال أبو عامر: فأنا عليها، قال له النبي: إنك لست عليها، قال أبو عامر: بلى، ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها، فقال النبي ﷺ: ما فعلت، ولكن جئت بها بيضاء نقية، قال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريداً غريباً وحيداً، فقال النبي ﷺ: آمين، وسماه أبا عامر الفاسق، فلما كان يوم أحد، قال أبو عامر الفاسق للنبي: لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل كذلك إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن يئس أبو عامر، فخرج هارباً إلى الشام، فأرسل إلى المنافقين، أن أعدوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح، وابنوا لي مسجداً، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه، فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء، فلما فرغوا من بنائه، أتوا رسول الله وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا وتصلي لنا فيه وتدعو بالبركة، فقال رسول الله: إني على جناح سفر، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا فيه، فلما انصرف ﷺ من تبوك راجعاً، نزل بذي أوان، وهو موضع قريب من المدينة، فأتاه المنافقون وسألوه أن يأتي مسجدهم، فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم، فنزلت هـذه الآية، وأخبره جبريل خبر مسجد الضرار وما هموا به، فدعا رسول الله مالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، وعامر بن

ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقباً ﴿لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل بنائه وهو أبو عامر المذكور ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ ببنائه ﴿إِلَّا﴾ الفعلة ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ من الرفق بالمسكين في المطر والحر والتوسعة على المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ في ذلك وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه فنزل ﴿لَا تَقُمْ﴾ تصل ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بنيت قواعده ﴿عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما في البخاري ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ أي يثيبهم وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء. روى ابن خزيمة في صحيحه عن عويمر بن ساعدة أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي

السكن، ووحشياً، فقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه واحرقوه، فخرجوا مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك: أنظروني حتى أخرج إليكم بنار، فدخل على أهله، فأخذ من سعف النخل فأوقده ثم خرجوا يشتدون، حتى دخلوا المسجد وفيه أهله، فأحرقوه وهدموه وتفرق أهله، وأمر رسول الله أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة، ومات أبو عامر بالشام طريداً وحيداً غريباً.

قوله: ﴿**إِلَّا الْحُسْنَىٰ**﴾ صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله: (**الفعلة**). قوله: ﴿**يَشْهَدُ**﴾ أي يعلم. قوله: (**في ذلك**) أي الحلف. قوله: (**وكانوا سألوا النبي**) إلخ، أي بعد فراغهم من بنائه، وكان متجهزاً لغزوة تبوك، فوعدهم بذلك حين يقدم. قوله: ﴿**لَمَسْجِدٌ**﴾ اللام للابتداء، ومسجد مبتدأ و ﴿**أُسِّسَ**﴾ نعته ﴿**وَأَحَقُّ**﴾ خبره. قوله: (**يوم حللت بدار الهجرة**) أي وهو يوم الاثنين، فأقام فيه الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وخرج صبيحة الجمعة، فدخل المدينة وقيل صلى به الجمعة، وهي أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ، وهذا على القول بأنه قام بقباء أربعة أيام، وقيل أقام أربعة عشر، وقيل اثنين وعشرين يوماً. قوله: ﴿**أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ**﴾ اسم التفضيل ليس على بابه، أو باعتبار زعم المنافقين، أو باعتبار ذات المسجد، فإن الخبث في نيتهم لا في ذات المسجد.

قوله: ﴿**فِيهِ رِجَالٌ**﴾ هم بنو عامر بن عوف. قوله: ﴿**يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا**﴾ يحتمل أن المراد الطهارة: المعنوية من الذنوب والقبائح، وذلك موجب للثناء والمدح والقرب من الله، وقيل المراد الطهارة الحسية من النجاسات والأحداث وهو الأقرب، لأن مزيتهم التي مدحوا عليها مبالغتهم في طهارة الظاهر وأما طهارة الباطن، فأمر مشترك بين المؤمنين، وقيل المراد ما هو أعم، فقد حازوا طهارة الظاهر والباطن. قوله: (**وفيه إدغام التاء**) إلخ، أي فأصله المتطهرين، أبدلت التاء طاء، وأدغمت الطاء. قوله: (**في الطهور**) بضم الطاء في هذا وفيما يأتي، لأن المراد به الفعل. قوله: (**فغسلنا كما غسلوا**) أي بعد المسح

تطهرون به قالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا، وفي حديث رواه البزار فقالوا نتبع الحجارة بالماء فقال هو ذاك فعليكموه ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾ مخافة ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ رجاء ﴿وَرِضْوَٰنٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿جُرُفٍ﴾ بضم الراء وسكونها جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ سقط مع بانيه ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خبر تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه والاستفهام للتقرير أي الأول خير وهو مثال مسجد قباء، والثاني مثال مسجد الضرار ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً﴾ شكاً ﴿فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ﴾ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يموتوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿١١٠﴾ في صنعه بهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

بالأحجار، بديل الرواية الثانية. قوله: **(نتبع الحجارة بالماء)** أي وهذا هو الأكمل في الاستنجاء، فإن لم يوجد حجر، فالمدر يقوم مقامه، وإلا فالماء فقط، أو الحجر فقط، أو المدر فقط، قوله: **(فعليكموه)** أي الزموه.

قوله: **﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى﴾** إلخ، في الكلام استعارة مكنية، حيث شبهت التقوى والرضوان بأرض صلبة، يعتمد عليه البنيان، وطوى ذكر المشبه به، ورمز لـه بشيء من لوازمـه وهو التأسيس، فإثباته تخييل، والتأسيس كناية عن أحكام أمور الدين والأعمال الصالحة.

قوله: **﴿أَمَّا مَنَ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾** أي أحكم أمور دينه على ضلال وكفر ونفاق. قوله: **(بضم الراء وسكونها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(جانب)** الأحسن ما قاله غيره، أن المراد به البئر التي لم تطو. قوله: **﴿هَارٍ﴾ إما** أصله هاور، أو هائر، فقدمت اللام على العين فصار كقاض، فإعـرابه بحـركات مقدرة، أو حذفت عينه تخفيفاً بعد قلبها همزة، فإعرابه بحركات ظاهرة، وإما أصله هور أو هير، تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً مثل باب، وإعرابه بحركات ظاهرة كالذين قبله. قوله: **﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾** وورد أنهم رأوا الدخان حين حفروا أساسه. قوله: **(خبر)** قدره إشارة إلى أن خبر من الثـانية محذوف. قوله: **﴿رِيبَةً﴾** أي سبب ريبة، أو بولغ فيه حتى جعل نفس الريبة.

قـوله: **﴿إِلَّا أَنْ تَقَـطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾** مستثنى من محذوف، والتقـدير لا يـزال بنيـانهم الـذي بنـوا ريبـة في قلوبهم، في كل وقت أو كل حال، إلا وقت أو حال تقطيع قلوبهم، وفيها قراءتان سبعيتان: الأولى بفتح التاء وتشديد الطاء بحذف إحدى التاءين، وقلوبهم فاعل. الثانية بضم التاء، وقلوبهم نائب فاعـل، وقرىء شذوذاً تقطع بالتخفيف، وقرىء أيضاً إلا أن تقطع بضم التاء وكسر الـطاء المشددة، وقلوبهم مفعول به، والفاعل ضمير يعود على النبي. قوله: **﴿حَكِيمٌ﴾(في صنعه)** أي يضع الأشياء في محلها، منـه جريان عادة الله في كل حسود لأهل الدين والصلاح، أنه لا يزال الكمد به حتى يموت على أسوأ الأحوال.

قوله: **﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾** إلخ، لما ذكر قبائح المتخلفين لغير عذر، وما فاتهم من الخير العظيم، ذكر فضل المجاهدين، وما أعد لهم من الفوز الأكبر، حيث عظم أنفسهم وأموالهم،

﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ جملة استئناف بيان للشراء وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول أي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا أحد أوفى منه ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١١١) المنيل غاية المطلوب ﴿التَّائِبُونَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ من الشرك والنفاق ﴿الْعَابِدُونَ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿الْحَامِدُونَ﴾ له على كل حال ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ أي المصلون

بأن جعل الجنة ثمناً لهما، ومن المعلوم أن المثمن أغلى من الثمن، وإشارة إلى أن الجنة خلقت لهم، ولم يخلقوا لأجلها. قوله: **(يبذلوها في طاعته)** أي يصرفوها في مرضاته.

قوله: ﴿**بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ لم يقل بالجنة إشارة إلى أن الجنة مختصة بهم وواصلة إليهم، كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم، ثم إن قوله: ﴿**اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ إلخ، كناية عن التعويض عن بذل النفوس والأموال بالجنة، وإلا فحقيقة الشراء، أخذ ما لا يملك بعوض، وهذا مستحيل في حق الله تعالى، بل معناه أثابهم وقبلهم في نظير خدمتهم، فشبهت الإثابة والقبول بالشراء، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الشراء اشترى، بمعنى أثابهم وقبلهم وإنما عبر عنه بالشراء تلطفاً ورفقاً بهم. قوله: **(بيان للشراء)** الأوضح أن يقول بيان للبيع الذي يستلزمه الشراء. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(أي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي)** أشار بذلك إلى أنه لا يتوقف الفضل على الجمع بين الأمرين معاً، بل المدار على نية إعلاء كلمة الله حصلا، أو أحدهما أو لا ولا. قوله: **(بفعلهما المحذوف)** أي والتقدير وعده وعداً، وحقه حقاً.

قوله: ﴿**فِي التَّوْرَاةِ**﴾ إلخ، الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لوعداً، والمعنى ﴿**وَعْداً**﴾ مذكوراً ﴿**فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ**﴾ وخص التوراة والإنجيل بالذكر، لإقامة الحجة على من عارض من اليهود والنصارى، وحينئذ فلا ينافي أن هذا الوعد مذكور في الكتب السماوية، قال محمد بن كعب القرظي: لما بايعت الأنصار رسول الله ليلة العقبة، وكانوا سبعين رجلاً، قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قال: إذا فعلنا ذلك ما لنا؟ قال: الجنة، قالوا ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت هذه الآية بشارة لهم. قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿**فَاسْتَبْشِرُوا**﴾ خطاب للمؤمنين لمزيد الاعتناء بهم، والسين والتاء للتصيير، أي صرتم لكم البشرى بذلك في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿**التَّائِبُونَ**﴾ إلخ، هذه أوصاف تسعة للمؤمنين. الستة الأولى متعلقة بحقوق الله وحده، والاثنان بعدها متعلقان بحقوق الخلق، والأخير عام. قوله: **(بتقدير مبتدأ)** أي وهم التائبون. قوله: **(من الشرك والنفاق)** متعلق بالتائبون، والتوبة شرطها الندم على ما وقع، والعزم على عدم العود والإقلاع ورد المظالم إلى أهلها. قوله: **(المخلصون العبادة لله)** أي المنهكون في طاعة الله سراً وجهراً. قوله: ﴿**الْحَامِدُونَ**﴾ **(له على كل حال)** أي في السراء والضراء، قال عليه السلام «أول من يدعى إلى الجنة يوم

﴿ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ لأحكامه بالعمل بها ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ بالجنة. ونزل في استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ﴾ ذوي قرابة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿١١٣﴾ النار بأن ماتوا على الكفر ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ بقوله سأستغفر لك ربي رجاء أن يسلم ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ

القيامة، الذين يحمدون الله على كل حال، في السراء والضراء» أي بأن يكون عن الله راضياً في جميع الأحوال، كالفقر والغنى والصحة والمرض، وغير ذلك. قوله: ﴿السَّائِحُونَ﴾ من السياحة، وهي في الأصل الذهاب في الأرض للعبادة، سمي الصائمون بذلك، لأن من شأن السائح ترك اللذات كلها، من المطعم والمشرب والملبس والمنكح، ولا شك أن الصائم كذلك، والصيام عند العامة ترك ما سوى الله تعالى، قال العارف الجيلي:

صيامي هو الإمساك عن رؤية السوى وفطري أني نحو وجهك راجع

قوله: (أي المصلون) أشار بذلك إلى أنه أطلق الجزء وأراد الكل، وخص الركوع والسجود بالذكر من دون أركانها، لأن بهما التقرب إلى الله تعالى، لما في الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، والركوع يلي السجود في التواضع والذل». قوله: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ إنما عطف هذا بالواو على ما قبله، لوجود المضادة بينهما، لأن الأمر طلب الفعل، والنهي طلب الترك.

قوله: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾ هذا أعم الأوصاف المتقدمة، ولذا عطف بالواو، وهذا معنى التقوى إذ هي امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، ولذا حكى السري السقطي، سأل ابن أخته الجنيد عن التقوى وهو صغير فقال له: أن لا يراك حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك، فقال له: أخاف أن يكون حظك من الله لسانك. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إظهار في مقام الإضمار، اعتناء بهم، وتشريفاً لقدرهم، وحذف المبشر به، إشار إلى أنه لا يدخل تحت حصر، بل لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قوله: (لعمه أبي طالب) أي لأنه ﷺ قال لأبي طالب حين حضرته الوفاة: يا عم، قل كلمة أحاج لك بها عند الله، فإني لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عن الاستغفار فنزلت، وقصد النبي بهذا الاستغفار، وتأليفه للإسلام لعلة يهتدي، وإلا فرسول الله يعلم أن الله لا يغفر أن يشرك به.

قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ أي لا ينبغي ولا يصح. قوله: (بأن ماتوا على الكفر) أي فلا يجوز لهم الاستغفار حينئذ، وأما الإستغفار للكافر الحي ففيه تفصيل، فإن كان قصده بذلك الاستغفار هدايته للإسلام جاز، وإن كان قصده أن تغفر ذنوبه مع بقائه على الكفر، فلا يجوز. قوله: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلخ. هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً واقعاً في جواب سؤال مقدر، تقديره إن شرعنا هو بعينه شرع إبراهيم وقد استغفر ابراهيم لأبيه. فأجاب الله عن ابراهيم بما ذكر. قوله: ﴿لِأَبِيهِ﴾ تقدم الخلاف في كونه أباه أو عمه، وإنما سمي أباً، لأن عادة العرب تسمي العم أباً والقرآن نزل بلغة العرب. قوله:

عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بموته على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ ﴿١١٤﴾ صبور على الأذى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ للإسلام ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١٥﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١١٦﴾ يمنعكم عن ضرره ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ أي أدام توبته ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ أي وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد

﴿**وعَدَهَا إِيَّاهُ**﴾ أي إن ابراهيم وعد أباه بالاستغفار، قيل تبين أنه لا ينفع فيه الاستغفار، لإصراره على الكفر. قوله: ﴿**أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ**﴾ أي أنه مصر ومستمر على الكفر والعداوة، لأن الذي تبين بالموت، إنما هو إصراره على الكفر، وإلا فأصله كان حاصلاً ومتبيناً من قبل.

قوله: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ**﴾ هذا بيان للحامل له على الاستغفار قبل التبين. قوله: ﴿**لأَوَّاهُ**﴾ من التأوه وهو التوجع والإكثار من قول آه، واختلف في معناه، فقيل هو الخاشع المتضرع، وقيل كثير الدعاء. وقيل المؤمن التواب، وقيل الرحيم بعباد الله، وقيل الموقن، وقيل المسبح، وقيل المعلم للخير وقيل الراجع عما يكره الله، الخائف من النار. قوله: ﴿**حَلِيمٌ**﴾ معناه صفوح عن المسيء له، مقابل له بالعطف والرفق، وذلك كما فعل ابراهيم مع أبيه حين قال له: (لئن لم تنته لأرجمنك) إلخ. فأجابه إبراهيم بقوله: (سلام عليك سأستغفر لك ربي) وكعدم دعائه على النمرود حيث ألقاه في النار.

قوله: ﴿**وَمَا كَانَ الله لِيُضِلَّ قَوْماً**﴾ سبب نزولها، أن بعض الصحابة كانوا يستغفرون لآبائهم الكفار، وماتوا قبل نزول آية النهي، فظن بعض الصحابة أن الله يؤاخذهم، فبين الله أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب، إلا بعد أن يبين حكمه فيه. قوله: ﴿**بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ**﴾ أي بعد وقت هدايتهم وتوفيقهم للإيمان. قوله: (**ومنه**) أي من الشيء. قوله: ﴿**إِنَّ الله لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ أي ففوضوا أمركم إليه، لأنه الموجد لكل شيء الذي منه العون والنصر.

قوله: ﴿**لَقَدْ تَابَ الله**﴾ اللام موطئة لقسم محذوف. قوله: (**أدام توبته**) جواب عما يقال: إن النبي معصوم من الذنوب، والمهاجرون والأنصار لم يفعلوا ذنباً، بل سافروا معه واتبعوه من غير امتناع. وأجيب أيضاً: بأن معنى توبته على النبي، عدم مؤاخذته في إذنه للمتخلفين، حتى يظهر المؤمن من المنافق، ومعنى توبته على المهاجرين والأنصار، من أجل ما وقع في قلوبهم من الخواطر والوساوس في تلك الغزوة، فإنها كانت في شدة الحر والعسر، وقيل إن ذكر النبي تشريف لهم وإنما المقصود ذكر قبول توبتهم، لأنه لم يقع منه ﷺ ذنب أصلاً حتى يحتاج للتوبة منه.

قوله: ﴿**الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ**﴾ أي وكانوا سبعين ألفاً، ما بين راكب وماش، من المهاجرين والأنصار وغيرهم من سائر القبائل. قوله: (**أي وقتها**) أشار بذلك إلى أن المراد بالساعة الزمانية لا الفلكية والعسر الشدة والضيق، وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة، وجيشها يسمى جيش العسرة، لأنه كان عليهم

الحر حتى شربوا الفرث ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ بالتاء والياء تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ بالثبات ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿وَ﴾ تاب ﴿عَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عن التوبة عليهم بقرينة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا

عسرة في المركب والزاد والماء، فكان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه. وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير، وكان تمرهم يسيراً جداً حتى إن أحدهم إذا جهده الجوع، يأخذ التمرة فيلوكها حتى يجد طعمها، ثم يعطيها لصاحبه، حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى إلا النواة، وكانوا من شدة الحر والعطش، يشربون الفرث، ويجعلون ما يبقى على كبدهم. قال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد وعدك خيراً، فادع الله، قال أتحب ذلك؟ قال: نعم، فرفع رسول الله يديه، فلم يرجعا حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت، فملؤوا ما معهم من الأوعية، ثم ذهبنا ننظرها، فلم نجدها جاوزت العسكر. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ﴾ هذا بيان لبلوغ الشدة حدها حتى إن بعضهم أشرف على الميل إلى التخلف، واسم ﴿كَادَ﴾ ضمير الشأن، وجملة ﴿تُزِيغُ﴾ في محل نصب خبرها. قوله: (بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ ذكر التوبة أولاً قبل الذنب، تفضلاً منه وتطييباً لقلوبهم، ثم ذكرها بعده تعظيماً لشأنهم، وتأكيداً لقبول توبتهم. قوله: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رؤوفٌ رَحِيمٌ﴾ هذا تأكيد لما تقدم والرؤوف الرفيق بعباده، اللطيف بهم، والرحيم: المحسن المتفضل. قوله: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ﴾ إشارة إلى معطوف على قوله: ﴿عَلَى النَّبِيِّ﴾ ويصح عطفه على الضمير في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وهو الأقرب لإعادة الجار. قال ابن مالك:

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازماً قد جعلا

وإن كان يمكن أن يقال، إنما أعاده تأكيداً. قوله: ﴿عَلَى الثَّلاَثَةِ﴾ إنما لم يسمهم الله، لكونهم معلومين بين الصحابة، والتوبة هنا على حقيقتها، بمعنى أنه قبل عذرهم وسامحهم، وغفر لهم ما سلف منهم، وأما التوبة فيما تقدم، فمستعملة في مجازها بمعنى دوام العصمة للنبي، والحفظ للمهاجرين والأنصار، ففي الآية استعمال التوبة في حقيقتها ومجازها. قوله: (عن التوبة عليهم) أي عن قبولها من الله، وسبب تأخير القبول من الله، عدم إظهار توبتهم، كما فعل أبو لبابة، وقيل: المراد خلفوا عن الغزو، ولم يخرجوا مع رسول الله، وفي صحيح البخاري ما نصه:

باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان يقود كعباً حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، وكان من خبري، أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة، حين طابت الثمار والظلال، وهممت أن ارتحل فأدركهم وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، ولم يذكرني رسول الله حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه ونظره في عطفيه، فقال معاذ بن جبل: بئس

ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك، فلما بلغني أنه توجه قافلاً، حضرني همي، فطفقت أتذكر الكذب وأهيئه لأعتذر به وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً، أي قرب قدومه، انزاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت الصدق، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك، جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل رسول الله منهم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته، فلما سلمت عليه، تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعالى فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك ألم تكن قد ابتعت مركوبك؟ فقلت: بل إني والله يا رسول الله، لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، أي فصاحة، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد، أي تغضب علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي عذر، ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك، فقمت، وبادر رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يلومونني لوماً عنيفاً، حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع المعمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، لي فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، فتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فاسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، فإذا التفت نحوه، أعرض عني، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ، فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله، هل تعلمني أحب الله ورسوله، فسكت، فعدت له فنشدته، فسكت، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم، حتى يقضي الله في هذا الأمر، فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت بفتح الميم لنا خمسون ليلة، من حين نهى رسول الله عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر، صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى

رَحُبَتۡ﴾ أي مع رحبها أي سعتها فلا يجدون مكاناً يطمئنون إليه ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا ﴿أَن﴾ مخففة ﴿لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بترك معاصيه ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ في الإيمان والعهود بأن تلزموا الصدق ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ إذا غزا ﴿وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد وهو نهي بلفظ

صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج، وأذن رسول الله، أي أعلم الناس بتوبة الله علينا حين صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبيَّ مبشرون، وركب رجل إلي فرساً وركضها، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك من الثياب غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله، فتلقاني الناس وجاؤوا يهنئوني بالتوبة يقولون: لتهنك بفتح التاء توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: لا، بل من عند الله، وكان رسول الله إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله: أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، وأنزل الله على رسول الله ﴿**لَقَدْ تَابَ الله عَلَى النَّبِيِّ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَكُونوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط، بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله اهـ.

قوله: ﴿**حَتَّى إذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ**﴾ الخ أي لم يطمئنوا ولم يسكنوا إلى شيء منها، ﴿**وَإِذَا**﴾ صلة أو ثم ليستقيم المعنى. قوله: (**أي من رحبها**) بضم الراء وأما بفتحها، فمعناه المكان المتسع. قوله: (**فلا يسعها سرور**) العبارة فيها قلب، أي فلا تسع سروراً. قوله: ﴿**أَنْ**﴾(**مخففة**) أي واسمها ضمير الشأن. قوله: ﴿**لَا مَلْجَأَ**﴾ إلخ، ﴿**لَا**﴾ نافية للجنس و ﴿**مَلْجَأَ**﴾ اسمها، و ﴿**مِنَ الله**﴾ خبرها، والجملة سدت مسد مفعولي ﴿**ظَنُّوا**﴾. قوله: ﴿**مِنَ الله إلاَّ إلَيْه**﴾ أي من سخطه إلا بالتضرع إليه. قوله: ﴿**ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ**﴾ أي قبل توبتهم. قوله: ﴿**لِيَتُوبُوا**﴾ أي ليحصلوا التوبة وينشئوها.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله**﴾ خطاب عام لكل مؤمن. قوله: ﴿**مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ ﴿**مَعَ**﴾ بمعنى من، بدليل القراءة الشاذة المروية عن ابن مسعود. قوله: ﴿**مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ**﴾ أي لا يصح ولا ينبغي ولا يجوز لهم التخلف عن رسول الله إلخ، والمعنى إذا خرج رسول الله بنفسه للغزو، فلا يجوز لأحد من المؤمنين التخلف، بل ينفرون كافة. قوله: ﴿**وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ يجوز فيه النصب عطفاً على ﴿**يَتخَلَّفُوا**﴾ والجزم على أن لا ناهية. قوله: (**بأن يصونوها**) إلخ، هذا بيان لحاصل المعنى، وايضاحه

الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا﴾ مصدر بمعنى وطأ ﴿يَغِيظُ﴾ يغضب ﴿الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾ لله ﴿نَيْلًا﴾ قتلاً أو أسراً أو نهباً ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ليجازوا عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ أي أجرهم بل يثيبهم ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ فيه ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بالسير ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ذلك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ أي جزاءه. ولما وبخوا على التخلف وأرسل النبي ﷺ سرية نفروا جميعاً فنزل ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا﴾ إلى الغزو ﴿كَافَّةً فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ جماعة ومكث الباقون ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾ أي الماكثون ﴿فِي الدِّينِ

أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء، وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط، وأن يتلقوا الشدائد معه ﷺ، علماً بأنه أعز نفس وأكرمها عند الله، فإذا تعرضت مع عزتها وكرامتها للخوض في شدة وهول، وجب على سائر الأنفس أن تتعرض مثلها. قوله: **(وهو نهي بلفظ الخبر)** أي ما ذكر من قوله: **﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾** إلخ، أي فكأنه قيل لا يتخلف واحد منهم. قوله: **﴿ظَمَأٌ﴾** أي ولو يسيراً، وكذا يقال فيما بعده.

قوله: **﴿وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئاً﴾** أي لا يدوسون بأرجلهم، وحوافر خيولهم، وأخفاف رواحلهم دوساً. قوله: **﴿يَغِيظُ﴾** بفتح الياء باتفاق السبعة، وإن كان يجوز في اللغة ضمها. قوله: **﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾** أي يصيبون. قوله: **(قتلاً أو أسراً أو نهباً)** أمثلة للنيل بسبب جعله مصدراً، ويصح أن يكون بمعنى الشيء المنال، أي المأخوذ. قوله: **﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾** أي بكل واحد من الأمور الخمسة. قوله: **(أي أجرهم)** غرضة بهذا، أن المقام للإضمار والعدول عنه لأجل مدحهم، وليفيد العموم، وعدم الخصوصية للمخاطبين، بل هذا الفضل العظيم باق ومستمر إلى يوم القيامة. قوله: **﴿وَادِياً﴾** المراد به هنا مطلق الأرض، وإن كان في الأصل، المكان المنفرج بين الجبال، قوله: **(ذلك)** أي ما ذكر من كل من النفقة وقطع الوادي. قوله: **(أي جزاؤه)** يصير بهذا إلى تقدير مضاف، أي جزاء أحسن ما كانوا إلخ. قوله: **(ولما وبخوا على التخلف)** إلخ، أي سبب نزولها: أنه لما وبخهم الله على التخلف، وظهرت فضيحة المنافقين، وتاب الله على من تاب، أجمع رأيهم وحلفوا أنهم لا يتخلفون عن رسول الله، ولا عن سرية بعثها، فلما رجعوا من تبوك، وبعث السرايا، تهيأ المسلمون جميعاً إلى الغزو. قوله: **(سرية)** قيل هي اسم لما زاد على المائة إلى الخمسمائة، وما زاد عليها إلى ثمانمائة يقال له منسر، وما زاد عليها إلى أربعة آلاف يقال له جيش، وما زاد عليها يقال له جحفل، وجملة سراياه التي أرسلها رسول الله ولم يخرج معها سبعة وأربعون، وغزواته التي خرج فيها بنفسه، سبعة وعشرون، قاتل في ثمانية منها فقط.

قوله: **﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ﴾** أي لا ينبغي، ولا يجوز لهم أن ينفروا جميعاً، بل يجب عليهم أن ينقسموا قسمين، طائفة تكون مع رسول الله لتلقي الوحي، وطائفة تخرج للجهاد. قوله: **(فهلا)** أشار بذلك إلى أن **﴿لَوْلَا﴾** للتحضيض. قوله: **(ومكث الباقون)** قدره إشارة إلى أن قوله: **﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾** الخ،

﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ عقاب الله بامتثال أمره ونهيه، قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكفار﴾ أي الأقرب فالأقرب منهم ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة أي أغلظوا عليهم ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾ بالعون والنصر ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ﴿فَمِنْهُم﴾ أي المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاء ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ تصديقاً. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿١٢٤﴾ يفرحون بها ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كفراً إلى كفرهم لكفرهم بها ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ

علة لمحذوف، ولا يصح أن يكون علة لقوله: ﴿نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ قوله: ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ فيه إشارة إلى أنه ينبغي لطالب العلم تحسين مقصده، بأن يقصد بطلبه العلم تعليم غيره، واتعاظه هو في نفسه، لا الكبر على العباد، والتشدق بالكلام. قوله: ﴿إِذَا رَجَعُوا﴾ أي من كان في الغزو، قوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أي إلى من مكث ليتفقه في الدين. قوله: **(قال ابن عباس)** إلخ، المقصود من ذلك، دفع التعارض بين هذه الآية وما قبلها. قوله: **(مخصوصة بالسرايا)** أي وهي التي أرسلها ولم يخرج معها. قوله: **(فيما إذا خرج النبي)** أي لأنه لا عذر، حينئذ لمن يتخلف، لأن صاحب الشريعة الذي يتعلمونها منه مصاحب لهم.

قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ﴾ ليست هذه الآية ناسخة لآية: ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ على التحقيق، بل هذه الآية تعليم لآداب الحرب، وهو أن يبدأوا بقتال الأقرب فالأقرب، حتى يصلوا إلى الأبعد، فبهذا يتمكنون من قتالهم كافة، لأن قتلهم دفعة واحدة لا يتصور، ولذا قاتل رسول الله أولاً قومه، ثم انتقل إلى سائر العرب، ثم إلى قتال أهل الكتاب، ثم إلى قتال أهل الروم والشام، ثم بعد وفاته ﷺ انتقل أصحابه إلى قتال العراق، ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار. قوله: ﴿يَلُونَكُمْ﴾ من الولي وهو الأقرب، وفي فعله لغتان: وليه يليه وهو الأكثر، والثانية من باب وعد، والآية منها وهي قليلة الاستعمال، فأصله يوليون، حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها، ثم نقلت ضمة الياء إلى اللام بعد سلب حركتها، فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما. قوله: **(شدة)** أي صبراً وتحملاً. قوله: **(أي أغلظوا عليهم)** أشار بذلك إلى أن في الآية استعمال السبب في المسبب، لأن وجدان الكفار الغلظة، مسبب عن إغلاظ المسلمين عليهم.

قوله: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ﴾ المعنى إذا نزلت سورة من القرآن، والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين وقت النزول، وليس فيها فضيحة، وأما ما يأتي فيحمل على ما إذا كانوا حاضرين ذلك، والحال أن فيها بيان أحوالهم، فلا تنافي بين المحلين كما يأتي. قوله: **(لأصحابه)** أي أو لضعفاء المؤمنين. قوله: **(يفرحون بها)** أي لأنه كلما نزل شيء من القرآن، ازدادوا إيماناً، وهذا الحكم باق إلى الآن، فمن يفرح بكلام الله وبحامليه، فهو من المؤمنين الصادقين، ومن ينفر من سماعه ومن حامليه، فهو إما كافر أو قريب من الكفر. قوله: **(كفراً إلى كفرهم)** أشار بذلك إلى أنه ضمن الزيادة معنى الضم، والمعنى زادتهم كفراً

كَٰفِرُونَ﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالياء أي المنافقون والتاء أيها المؤمنون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالقحط والأمراض ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿١٢٦﴾ يتعظون ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم وقرأها النبي ﷺ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يريدون الهرب يقولون ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إذا قمتم فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ على كفرهم ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الهدى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾ الحق لعدم تدبرهم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي منكم محمد ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي عنتكم مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أن تهتدوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ شديد الرحمة

مضموماً إلى كفرهم، لأن كفرهم يزيد بزيادة جحدهم المنزل، وسمي الكفر رجساً، لكونه أقبح الأشياء، والرجس هو الشيء المستقذر. قوله: (بالياء) أي فالاستفهام حينئذ للتوبيخ، قوله: (والتاء) أي فالاستفهام للتعجب، لأن الخطاب حينئذ للصحابة.

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ أي لا يرجعون عما هم عليه. قوله: (فيها ذكرهم) أي بيان أحوالهم قوله: ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي يتغامزون بالعيون. قوله: (يريدون الهروب) أي خوفاً من الفضيحة التي تحصل لهم. قوله: (ويقولون) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ مقول لقول محذوف. قوله: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾(على كفرهم) عبارته تفيد أن قوله: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ ليس مرتباً على كونهم (لم يرهم أحد) وليس كذلك، فكان المناسب أن يقول: (قاموا) وهو بمعنى ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾. قوله: ﴿صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ إخبار أو دعاء. قوله: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾(الحق) أي لا يفهمونه.

قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، أي وعزتي وجلالي ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ إلخ. قوله: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ خطاب للعرب، قال ابن عباس: ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبي ﷺ وله فيها نسب، ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بضم الفاء باتفاق السبعة، وقرىء ﴿مِنْ أَنْفَسِكُمْ﴾ بفتح الفاء من النفاسة، والمعنى جاءكم رسول من أشرفكم وأرفعكم قدراً، لما في الحديث: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بين هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار».

قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يصح أن يكون ﴿عَزِيزٌ﴾ صفة لرسول، و﴿مَا﴾ مصدرية أو بمعنى الذي، والمعنى يعز عليه عنتكم أوالذي عنتموه، ويصح أن يكون ﴿عَزِيزٌ﴾ خبراً مقدماً، و ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ مبتدأ مؤخراً. قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي يحافظ على هداكم، لتكون لكم السعادة الكاملة. قوله: (أن تهتدوا) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي (حريص على هدايتكم). قوله: ﴿رَءُوفٌ﴾ بالمد والقصر، قراءتان سبعيتان، والرؤوف أخص من الرحيم، قال الحسن بن المفضل: لم يجمع الله لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالى، إلا للنبي ﷺ، فسماه رؤوفاً رحيماً، وقال: ﴿إن الله بالناس لرؤوف رَحِيم﴾.

﴿رَحِيمٌ﴾ (١٢٨) يريد لهم الخير ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾ كافي ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ﴾ الكرسي ﴿الْعَظِيمِ﴾ (١٢٩) خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات. وروى الحاكم في المستدرك عن أبيّ بن كعب قال: آخر آية نزلت ﴿لقد جاءكم رسول﴾ إلى آخر السورة.

قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي جميع الخلق، مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم. قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا كالدليل لما قبله. قوله: (**لا بغيره**) أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول. قوله: (**الكرسي**) مرور على القول باتحاد العرش مع الكرسي وهو خلاف الصحيح، والصحيح أن العرش غير الكرسي فالعرش جسم عظيم، محيط بجميع المخلوقات، والكرسي أقل منه. قوله: ﴿الْعَظِيمِ﴾ بالجر باتفاق السبعة، صفة للعرش، وقرىء شذوذاً بالرفع، صفة للرب. وقوله: (**خصه بالذكر**) جواب عما يقال: إن الله رب كل شيء، فلم خص العرش بالذكر. قوله: (**آخر آية**) مراده الجنس، وإلا فهما آيتان، وهذا القول ضعيف لما تقدم أن آخر آية نزلت ﴿واتقوا يوماً ترجعونَ فيه إلى اللَّهِ﴾ وعلى ما قاله المفسر يكونان مدنيتين، وهو أحد قولين، حكاهما المفسر أول السورة، وهاتان الآيتان بهما الأمان من كل مكروه، وقد ورد: من قرأهما، ويكرر الآية الثانية سبعاً صباحاً، وسبعاً مساءً، أمن من كل مكروه حتى الموت، فمن أراد الله موته أنساه قراءتها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ يُونُسَ

مكيّة

إلا﴿فإن كنت في شك﴾الآيتين أو الثلاث. أو﴿ومنهم من يؤمن به﴾الآيه

وهي مائة وتسع أو عشر آيات

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿ تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى من ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ (١) المحكم ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة استفهام إنكاري والجار والمجرور حال من قوله ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب خبر كان بالرفع اسمها والخبر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة يونس مكية

إلا ﴿فإن كنت في شكّ﴾ الآيتين أو الثلاث. أو﴿ومِنهم من يؤمن به﴾ الآية:

وهي مائة وتسع أو عشر آيات

سميت بذلك لذكر اسمه فيها وقصته، وقد جرت عادة الله بتسمية السورة ببعض أجزائها. قوله: **(مكية)** أي لنزولها قبل الهجرة. قوله: **(أو الثلاث)** أو لتنويع الخلاف، وسببه: الخلاف في أن آخر الآية الثانية من الخاسرين أو الأليم. قوله: **(أو ومنهم)** إلخ، أي فيكون المدني، إما ثلاثاً أو أربعاً بزيادة (ومنهم) إلخ، وقال القرطبي نقلاً عن فرقة إن من أولها نحواً من أربعين آية مكي، وباقيها مدني. قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** هو أحد أقوال تقدمت في البقرة، وهو أتمها وأسلمها. قوله: **(أي هذه الآيات)** يحتمل أن يكون اسم الإشارة عائد على ما تقدم من أول القرآن إلى هنا، ويحتمل أنه عائد إلى الآيات التي سنذكرها في هذه السورة، وأتى باسم الإشارة البعيد، إشار إلى بعد رتبته عن كلام البشر ورفعة قدره.

قوله: **﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾** خبر اسم الإشارة. قوله: **(والإضافة)** أي في قوله: **﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾** والمعنى تلك آيات من الكتاب، لأن المشار إليه بعض القرآن. قوله: **(المحكم)** أشار بذلك إلى أن فعيلاً بمعنى مفعول، ومعناه: الذي لا يتطرق إليه الفساد، ولا تغيره الدهور، ولا يعتريه الكذب ولا التناقض، ويصح أن يكون بمعنى فاعل، أي الحاكم، أي ذو الحكم، لاشتماله على الأحكام الدينية المتعبد بها. قوله: **(استفهام إنكاري)** أي والمعنى لا يليق، ولا ينبغي لأهل مكة أن يتعجبوا من إرساله ﷺ حيث قالوا: العجب أن الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب.

قوله: **﴿عَجَباً﴾** العجب استعظام أمر خفي سببه. قوله: **(خبر كان)** أي المقدم عليها. قوله:

وهو اسمها على الأولى ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ أي إيحاؤنا ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنذِرِ﴾ خوف ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾ سلف ﴿صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي أجراً حسناً بما قدموه من الأعمال ﴿قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا﴾ القرآن المشتمل على ذلك ﴿لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ بين وفي قراءة لساحر والمشار إليه النبي ﷺ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواء يليق به ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِن﴾ زائدة ﴿شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ رد لقولهم إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الخالق المدبر ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحدوه

(بالرفع اسمها) هذه القراءة شاذة، فكان المناسب للمفسر أن ينبه عليها. قوله: (والخبر) مبتدأ، وجملة ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ خبره، وقوله: (وهو اسمها على الأولى) اعتراض من بين المبتدأ والخبر. قوله: (مفسرة) أي بمعنى (أي) وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه. قوله: ﴿أَنْذِرِ﴾(الناس) أي إن استمروا على الكفر. قوله: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ من إضافة الموصوف للصفة، وسمي الأجر الحسن ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ لأن الخير قد سبق لهم عند الله، والشأن أن السعي يكون بالقدم، فسمي المسبب باسم السبب، كما سميت النعمة يداً، لأنها تعطى بها. قوله: (أجراً حسناً) هذا أحد أقوال في تفسير قوله: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ وهو لابن عباس، وقيل هو الأعمال الصالحة، وقيل شفاعة النبي ﷺ، وقيل السعادة المكتوبة لهم أزلاً في اللوح المحفوظ، وقيل منزلة رفيعة في الجنة، وكل هذه التفاسير ترجع إلى ما قاله المفسر.

قوله: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ﴾ أي حيث رد عليهم في تعجبهم بأبلغ رد. قوله: (المشتمل على ذلك) أي الإنذار والتبشير. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (المشار إليه) أي من القراءة الثانية. قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ﴾ هذا رد عليهم في تعجبهم، والمعنى لا ينبغي لكم التعجب من إرسال الرسول. لأن ﴿رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ إلخ، فمن كان قادراً على ذلك، فلا يستغرب عليه إرسال رسول. قوله: (أي في قدرها) جواب عن قوله: (لم يكن ثم شمس) إلخ. قوله: (لتعليم خلقه التثبت) أي التأني والتمهل في الأمور، وتخصيص الستة بذلك، ولم تكن أقل ولا أكثر مما استأثر الله بعلمه. قوله: (استواء يليق به) هذه طريقة السلف في تفويض علم المتشابه إلى الله تعالى، وطريقة الخلف، يؤولونه بالاستيلاء والقهر والتصرف، وإلى هاتين الطريقتين أشار صاحب الجوهرة بقوله:

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها

فالاستواء كما يطلق على الركوب، يطلق على الاستيلاء، وهو المراد هنا، ومنه قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

قوله: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ أي يتصرف في الخلائق بأسرها، ولا يشغله شأن عن شأن. قوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ أي لا يشفع أحد عنده، إلا أن يأذن له في الشفاعة. قوله: ﴿رَبُّكُمْ﴾ أي

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ بادغام التاء في الأصل في الذال ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدر ﴿إِنَّهُ﴾ بالكسر استئنافاً والفتح على تقدير اللام ﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ أي بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بالبعث ﴿لِيَجْزِيَ﴾ يثيب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝٤﴾ أي بسبب كفرهم ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ ذات ضياء أي نور ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرون منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لا عبثاً،

خالقكم ومربيكم. قوله: (**بإدغام التاء في الأصل**) أي فأصله تتذكرون، قلبت التاء ذالاً، وأدغمت في الذال. قوله: ﴿**إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً**﴾ رد على منكري البعث قالوا: ما هي إلا حياتنا الدنيا، نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر. قوله: (**بفعلهما المقدر**) أي وعدكم وعداً، وحقه حقاً. قوله: (**بالكسر**) أي وهي القراءة السبعية. قوله: (**والفتح**) أي وهي شاذة، فكان عليه أن ينبه عليها. قوله: ﴿**بِالْقِسْطِ**﴾ أي العدل المصحوب بالفضل، أو المراد بالقسط: عدل العبيد، بامتثالهم المأمورات، واجتنابهم المنهيات، فتكون الباء سببية.

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ غاير الأسلوب، إشارة إلى أنهم مستحقون العذاب بسبب أعمالهم، وأما المؤمنون فثوابهم بفضل الله، وإلى أن المقصود من البدء والإعادة إنما هو الثواب، وأما العقاب، فكأنه عرض للكفار من سوء اعتقادهم وأفعالهم. قوله: ﴿**وَعَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ أي غير الشراب. قوله: (**أي بسبب كفرهم**) أشار بذلك إلى أن الباء سببية، وما مصدرية.

قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً**﴾ هذا من جملة أدلة توحيده. قوله: (**ذات ضياء**) أشار بذلك إلى أن ضياء مصدر، ويحتمل أنه جمع ضوء، والمعنى ذات أضواء كثيرة، والضوء النور القوي العظيم، فهو أخص من مطلق نور، وقيل الضياء ما كان ذاتياً، والنور ما كان مكتسباً من غيره، فما قام بالشمس يقال له ضياء، وما قام بالقمر يقال له نور. اعلم أن الشعاع الفائض من الشمس: قيل جوهر، وقيل عرض، والحق أنه عرض لقيامه بالإجرام. قوله: ﴿**وَالْقَمَرَ**﴾ معطوف على ﴿**الشَّمْسَ**﴾، و ﴿**نُوراً**﴾ على ﴿**ضِيَاءً**﴾ ففيه العطف على معمولي عامل واحد، وهو جائز بلا خلاف.

قوله: ﴿**وَقَدَّرَهُ**﴾ الضمير عائد على ﴿**الْقَمَرَ**﴾ فقط، وخص بالذكر وإن كانت الشمس لها منازل أيضاً، لأن سير القمر في المنازل أسرع، وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين، لأن المعتبر في مثل الصيام والحج السنة القمرية، ويحتمل أن الضمير عائد على كل من الشمس والقمر، وأفرد باعتبار ما ذكر، والأقرب الأول. قوله: (**ثمانية وعشرون منزلاً**) أي وهي منقسمة على اثني عشر برجاً، وهي: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، لكل برج منزلان وثلث، فيكون إقامته في كل برج ستة وخمسين ساعة، وانتقالات الشمس في هذه الأبراج مرتبة على الشهور القبطية، لكن الشهر: نصفه الأول من آخر برج، ونصفه الآخر من أول برج آخر، فيكون نصفه الأول من نصف السنبلة الأخيرة، ونصفه الأخير من نصف الميزان الأول، وهكذا. قوله: (**ويستتر**

تعالى عن ذلك ﴿نفصل﴾ بالياء والنون ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ يتدبرون ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ فيؤمنون، خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بدل الآخرة لإنكارهم لها ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ تاركون للنظر فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾ من الشرك والمعاصي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ به بأن يجعل لهم نوراً يهتدون به يوم

ليلتين) أي لا يرى، وإن كان سائراً.

قوله: **﴿لِتَعْلَمُوا﴾** هذا هو حكمة التقدير. قوله: **﴿وَالْحِسَابَ﴾** معطوف على عدد مسلط عليه تعلموا، ولا يجوز جره عطفاً على السنين، لأن الحساب لا يعلم عدده، ولذا سئل أبو عمرو عن الحساب، أتنصبه أم تجره؟ فقال: ومن يدري ما عدد الحساب؟ كناية عن كونه لا يجوز جره. قوله: **(المذكور)** أي من كونه **﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾**. قوله: **(بالياء والنون)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وعلى النون فيه التفات من الغيبة إلى التكلم. قوله: **﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** خصوا بالذكر، لأنهم هو المنتفعون بذلك.

قوله: **﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** أي في كون أحدهما يخلف الآخر ويعقبه. قوله: **(بالذهاب والمجيء)** تصوير للاختلاف. قوله: **(والزيادة والنقصان)** أي فكل واحد يزيد بقدر ما نقص من الآخر. قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾** أي لا يخافونه ولا يؤمنون به. قوله: **﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾** أي فعلوا فعل المخلدين فيها. قوله: **﴿أُولَئِكَ﴾** مبتدأ، و **﴿مَأْوَاهُمُ﴾** مبتدأ ثان، و **﴿النَّارُ﴾** خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، والجملة خبر **﴿إِنَّ﴾**. قوله: **﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** أي بسبب كسبهم. قوله: **(من الشرك والمعاصي)** بيان لقوله: **﴿يَكْسِبُونَ﴾**.

قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** هذا مقابل قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾** إلخ. و **﴿إِنَّ﴾** حرف توكيد ونصب، و **﴿الَّذِينَ﴾** اسمها، و **﴿آمَنُوا﴾** صلته، وجملة **﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾** خبر **﴿إِنَّ﴾** قوله: **﴿آمَنُوا﴾** أي صدقوا بالله ورسوله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، حلوه ومره. قوله: **﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** أي الأعمال المرضية لله ورسوله. قوله: **﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾** أي يوصلهم لدار السعادة وحذف المعمول للعلم به. قوله: **﴿بِإِيمَانِهِمْ﴾** أي بسبب تصديقهم **بالله** ورسله، أي وبسبب أعمالهم الصالحة أيضاً، فالإيمان والأعمال الصالحة، سببان موصلان لدار السعادة، أو المراد بالإيمان الكامل، ليشمل الأعمال. قوله: **(بأن يجعل لهم نوراً يهتدون)** أي وتصور لهم الأعمال الصالحة بصورة حسنة، عند خروجهم من القبور، وتقول لصاحبها: كنت أسهرك في الدنيا، وأتعبك فيها، فاركب على ظهري، وذلك قوله تعالى: ﴿ونحشر المتقين إلى الرحمن وَفْداً﴾ بخلاف الكافر، فيحشر يوم القيامة أعمى، لا يهتدي إلى مقصوده، ويأتيه عمله السيء فيقول له: كنت متلذذاً بي في الدنيا، فأنا أركبك اليوم، وذلك قوله تعالى: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهمْ﴾.

القيامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي يا الله فإذا ما طلبوه بين أيديهم ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ﴾ مفسرة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ونزل لما استعجل المشركون العذاب ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم﴾ أي كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ﴾ بالبناء

قوله: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي بساتين التنعم، وهذا الاسم يطلق على جميع الجنات، والمعنى أن المؤمنين العاملين للصالحات يوصلهم ربهم لدار كرامته ومحل سعادته، تجري الأنهار بجانب قصورهم، ينظرون إليها من أعلى أماكنهم. قوله: **(طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا)** إلخ، أي فهذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في جميع ما يطلبونه، فإذا أرادوا الأكل مثلاً قالوا سبحانك اللهم، فيأتونهم بالطعام على الموائد، كل مائدة ميل في ميل، في كل مائدة سبعون ألف صحفة، في كل صحفة لون من الطعام، لا يشبه بعضها بعضاً، فإذا فرغوا من الطعام، وحمدوا الله على ما أعطاهم، وذلك قوله: (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) والمراد بما يشتهونه في الجنة، ما كان محموداً في الدنيا، فلا يقال: إن نفوس الفساق قد تشتهي اللواط مثلاً فيفيد أنه يحصل في الجنة، لأنه يقال: المراد بما يشتهونه، ما ليس بشهوات شيطانية لأنهم عصموا منا بالموت، فلا تخطر ببالهم في الجنة، ولا يميل إليهم طبعهم، وكذلك يقال في شهوة المحارم، كالأم والبنت، وأيضاً أهل الجنة، لا أدبار لهم، ولا يتغوطون فيها، لما في الحديث: «أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، قالوا فما بال الطعام؟ قال: جشاء، ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس.

قوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ التحية ما يحيا به الإنسان من الكلام الطيب. قوله: **(فيما بينهم)** أي أو تحية الملائكة لهم. قال تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ أو تحية الله لهم. قال تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾. قوله: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾ أي خاتمة تسبيحهم في كل مجلس أن يقولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وليس معناه انقطاع الحمد، فإن أقوال أهل الجنة وأحوالها لا آخر لها. قوله: **(مفسرة)** اعترض بأن ضابط المفسرة مفقود هنا، إذ ضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهنا تقدمها مفرد، فكان المناسب أن يقول مخففة من الثقيلة، ويكون اسمها ضمير الشأن، وجملة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبرها.

قوله: ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي فأهل الجنة يبتدئون مطالبهم بالتسبيح، ويختمونها بالتحميد. فتلذذهم بالأكل والشرب وسائر النعيم لا يشغلهم عن ذكر الله وشكره. قوله: **(ونزل لما استعجل المشركون العذاب)** أي لما بين الله سبحانه وتعالى، أن يجيب الداعي بالخير. أدب عباده بأنهم لا يطلبون الشر، بل يطلبون الخير فيعطون، وقوله: **(لما استعجل المشركون)** قيل: النضر بن الحرث وغيره حيث قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء.

قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ أي الذي طلبوه لأنفسهم. قوله: **(أي كاستعجالهم)** أشار بذلك إلى أن استعجالهم مصدر، والأصل استعجالاً مثل استعجالهم، حذف الموصوف، وأقيمت الصفة

للمفعول وللفاعل ﴿إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ بارفع والنصب بأن يهلكهم ولكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ﴾ نترك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ ﴿١١﴾ يترددون متحيرين ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿ٱلضُّرُّ﴾ المرض والفقر ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي مضطجعاً ﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ أي في كل حال ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ على كفره ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنه ﴿لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ﴾ كما زين له الدعاء عند الضر والإعراض عند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ بالشرك ﴿وَ﴾ قد ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الدالات على صدقهم ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ﴾ عطف

مقامه ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. قوله: ﴿**لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**﴾ أي لهلكوا جميعاً، والمعنى أن الناس عند الغضب والضجر، قد يدعون على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت، وتعجيل البلاء كما يدعونه بالرزق والرحمة، فلو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذي يستعجلونه به مثل ما يجيبهم إذا دعوه بالخير، لأهلكهم، ولكنه من فضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير، ولا يستجيب له بالشر، فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، قوله: (**بالبناء للمفعول وللفاعل**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**بالرفع والنصب**) لف ونشر مرتب، فالرفع نائب فاعل، والنصب مفعول به. قوله: (**بأن يهلكهم**) أي قبل قوتهم. قوله: (**ولكن يمهلهم**) أي فضلاً منه وكرماً إلى أن يأتي أجلهم، فإذا جاء لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فالمؤمن يلقى النعيم الدائم، والكافر يلقى العذاب الدائم.

قوله: ﴿ **الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا**﴾ أي الذين لا يخافون عقابنا، ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت. قوله: ﴿**فِي طُغْيَانِهِمْ**﴾ أي الذي هو انكار البعث والمقالات الشنيعة. قوله: ﴿**يَعْمَهُونَ**﴾ حال على فاعل ﴿**يَرْجُونَ**﴾. قوله: (**يترددون متحيرين**) أي في الفرار من العذاب، فلا يجدون لهم مفراً. قوله: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ**﴾ وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما وبخهم على الدعاء بالشر لأنفسهم، بين هنا غاية عجزهم وضعفهم، وأنهم لا يقدرون على إيجاد شيء ولا إعدامه. قوله: (**الكافر**) مثله ناقص الإيمان، المنهمك في المعاصي. قوله: ﴿**لِجَنْبِهِ**﴾ حال من فاعل ﴿**دَعَانَا**﴾، واللام بمعنى على. قوله: ﴿**أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً**﴾ يحتمل أن أو على بابها، لأن المضار، إما ثقيلة تمنعه القيام والقعود، أو خفيفة لا تمنع ذلك، أو متوسطة تمنعه القيام دون القعود. ويحتمل أن أو بمعنى الواو، فهو إشارة لتوزيع الأحوال، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: أي في جميع الأحوال. قوله: ﴿**مَرَّ**﴾(**على كفره**) أي استمر عليه. قوله: ﴿**كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا**﴾ الجملة في محل نصب حال من فاعل ﴿**مَرَّ**﴾ والمعنى استمر هو على كفره، مشبهاً بمن لم يدعنا أصلاً أي رجع إلى حالته الأولى، وترك الالتجاء إلى ربه. قوله: ﴿**الْمُسْرِفِينَ**﴾ أي المتجاوزين الحد. قوله: ﴿**مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ أي عملهم فالواجب على الإنسان، دوام الدعاء والتضرع والالتجاء لجانب الله في كل حال، سيما في حال الصحة والغنى، لأنه يشدد عليه فيهما، ما لا يشدد عليه في غيرهما.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾ أي كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. قوله: ﴿**لَمَّا ظَلَمُوا**﴾ أي حين ظلمهم. قوله: ﴿**وَجَاءَتْهُمْ**﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن الجملة حالية من فاعل ﴿**ظَلَمُوا**﴾. قوله: (**عطف على ظلموا**) أي كأنه قيل: حين ظلموا، وحين لم يكونوا مؤمنين. والمعنى أن

على ظلموا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٣﴾ الكافرين ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ جمع خليفة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾ فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ ليس فيه عيب آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ من تلقاء نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ﴾ قبل ﴿نَفْسِيٓ﴾ إن﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بتبديله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٥﴾ هو يوم القيامة ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾ أعلمكم ﴿بِهِۦ﴾ ولا نافية عطف على ما قبله وفي قراءة بلام جواب لو أي لأعلمكم به على لسان غيري ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ مكثت ﴿فِيكُمْ

سبب إهلاكهم شيئان: ظلمهم وعدم إيمانهم. قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ﴾ عطف على ﴿أَهْلَكْنَا﴾. قوله: ﴿خلائِفَ فِي الأَرْضِ﴾ أي متخلفين من بعد القرون، بسبب أن الله أورثكم أرضهم وديارهم، فمن يوم بعث الله محمداً فجميع الخلق الموجودون من يومئذ إلى يوم القيامة من أمته مسلمهم وكافرهم، وهم خلفاء الأرض. قوله: ﴿لِنَنْظُرَ﴾ أي ليظهر متعلق علمنا، ونعاملهم معاملة من ينظر، وفي الكلام استعارة تمثيلية، حيث شبه حال العباد مع ربهم، بحال رعية مع سلطانها في إمهالهم لنظر ماذا تفعل، واستعير الاسم الدال على المشبه به للمشبه، على سبيل التمثيل والتقريب، ولله المثل الأعلى. قوله: ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي فهل تصدقون رسلنا أو تكذبونهم.

قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ فيه التفات من الخطاب للغيبة. قوله: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا﴾ أي من عند ربك، إن كنت صادقاً في أنه من عند الله. قوله: ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أي بأن تجعل مكان سب آلهتنا مدحهم، ومكان الحرام حلالاً، وهذا الكلام من الكفار، يحتمل أن يكون على سبيل الاستهزاء والسخرية، ويحتمل أنه على سبيل الامتحان، ليعلموا كونه من عند الله فلا يقدر على تغييره ولا تبديله أو من تلقاء نفسه فيقدر على ذلك، والأول هو المتبادر من حالهم. قوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ﴾ إلخ. أي لا يليق مني ولا يصح. قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ﴾ مفعول شاء محذوف، أي عدم إنزاله. قوله: ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ﴾ أدرى فعل ماض، وفاعله مستتر يعود على الله، والكاف مفعول به. قوله: (ولا نافية) أي وجملة ﴿أَدْرَاكُمْ﴾ مؤكدة لما قبلها، عطف عام على خاص، والمعنى لو شاء الله عدم إنزاله ما تلوته عليكم ولا أعلمكم به مني ولا من غيري. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (بلام) أي وهي للتأكيد، والمعنى لو شاء الله عدم تلاوتي ما تلوته عليكم ولا أعلمكم به غيري، بأن ينزله على لسان نبي غيري، ونتيجة هذا القياس محذوفة، تقديره لكن شاء الله إنزاله علي، فأنا أتلوه عليكم، وأنا أعلمكم به.

قوله: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً﴾ هذا هو وجه الاحتجاج عليهم، والمعنى أن كفار مكة شاهدوا رسول الله قبل مبعثه، وعلموا أحواله، وأنه كان أمياً لم يقرأ كتابا ولا تعلم من أحد. وذلك مدة أربعين سنة، ثم بعدها جاءهم بكتاب عظيم الشأن، مشتمل على نفائس العلوم والأحكام والآداب ومكارم الأخلاق، فكل من له عقل سليم وفهم ثابت، يعلم أن هذا القرآن من عند الله. لا من عند نفسه.

عُمُرًا﴾ سنيناً أربعين ﴿مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ﴾ لا أحدثكم بشيء ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ ﴿١٦﴾ أنه ليس من قبلي ﴿فَمَنۡ﴾ أي لا أحد ﴿أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفۡلِحُ﴾ يسعد ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ ﴿١٧﴾ المشركون ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمۡ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ إن عبدوه وهو الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ﴾ لهم ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ تخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ استفهام إنكار إذ لو كان له شريك لعلمه إذ لا يخفى عليه شيء ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ ﴿١٨﴾ معه ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على دين واحد وهو الإسلام من لدن آدم إلى نوح وقيل من عهد إبراهيم إلى عمر بن لحي ﴿فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾ بأن ثبت بعض وكفر

قوله: (**سنينا**) منصوب بفتحة ظاهرة، وقد مر المفسر على طريقة من يجعله مثل حين. ومنه حديث: «اللهم اجعلنا عليهم سنيناً كسنين يوسف» في احدى الروايتين. قوله: ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ أي أعميتم عن الحق، فلا تعقلونه. قوله: (**أي لا أحد**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: (**بنسبة الشريك إليه**) أشار المفسر إلى أن الخطاب متوجه لهم. والمعنى على ذلك: أنكم افتريتم على الله الكذب، فزعمتم أن له شريكاً والله منزه عنه، وثبت عندكم صدقي بالقرآن، فكذبتم بآياته. قوله: ﴿**وَيَعْبُدُونَ**﴾ عطف على ما تقدم، عطف قصة على قصة، بيان لقبائحهم، وفي الحقيقة عبادتهم غير الله، تسبب عنه ما تقدم من افترائهم وتكذيبهم بالآيات.

قوله: ﴿**مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ**﴾ ما اسم موصول أو نكرة موصوفة، ونفي الضر والنفع هنا باعتبار ذواتهم وإثباتها في قوله تعالى: ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ باعتبار السبب. قوله: (**وهو الأصنام**) بيان لما. قوله: ﴿**وَيَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ**﴾ قال أهل المعاني: توهموا أن عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم إياه. وقالوا: لسنا بأهل أن نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الأصنام، فإنها تكون شافعة لنا عند الله، قال تعالى إخباراً عنهم ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾. إن قلت إنهم ينكرون البعث ففي أي وقت يشفعون لهم على زعمهم؟ أجيب: بأنهم يرجون شفاعتهم في الدنيا في إصلاح معايشهم. قوله: ﴿**بِمَا لَا يَعْلَمُ**﴾ المقصود نفي وجود الشريك بنفي لازمه، لأن علمه تعالى محيط بكل شيء، فلو كان موجوداً لعلمه الله، وحيث كان غير معلوم لله وجب أن لا يكون موجوداً، وهذا مثل مشهور، فإن الإنسان إذا أراد نفي شيء وقع منه، يقول ما علم الله ذلك مني، أي لم يحصل ذلك من قط. قوله: ﴿**فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ**﴾ حال من العائد المحذوف في يعلم. قوله: (**استفهام انكار**) أي بمعنى النفي. قوله: ﴿**إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ أي متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف. قوله: (**من لدن آدم إلى نوح**) إلخ. ويجمع بينهما بأن عبادة الله وحده، استمرت من آدم إلى نوح، فظهر في أمة نوح من يعبد غير الله، قال تعالى في شأنهم ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً﴾ الآية، فأخذوا بالطوفان، واستمر من يعبد الله وحده إلى زمن إبراهيم، فظهر في أمته من يعبد غير الله، فأهلكوا بالبعوض، واستمر من يعبد الله وحده، إلى أن ظهر عمرو بن لحي، وهو أول من بحر البحائر، وسيب السوائب في الجاهلية، إلى أن ظهر سيدنا محمد ﷺ.

بعض ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي الناس في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٩﴾ من الدين بتعذيب الكافرين ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي أهل مكة ﴿لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ﴾ ما غاب عن العباد أي أمره ﴿لِلَّهِ﴾ ومنه الآيات فلا يأتي بها إلا هو وإنما على التبليغ ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝٢٠﴾ ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطراً وخصباً ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ بؤس وجدب ﴿مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ بالاستهزاء والتكذيب ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ۝٢١﴾ بالتاء والياء ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ وفي قراءة ينشركم ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ

قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ المراد بها حكمه الأزلي، بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة. قوله: ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي في الدين الذي يختلفون بسببه. قوله: (بتعذب الكافرين) متعلق بقضى. قوله: (هلا) أشار بذلك إلى أن ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية. قوله: ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي معجزة كما كان للأنبياء، قال تعالى حكاية عنهم﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾الآية. قوله: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي مختص به لا يقدر على الإتيان بشيء منه إلا الله، وإنما لم يجابوا بعين مطلوبهم، لعلمه بقاء هذه الأمة وهذا الدين إلى يوم القيامة، وقد جرت عادته سبحانه وتعالى، أن القوم الذين يطلبون الآيات، إذا جاءت ولم يؤمنوا بها، يعجل لهم الهلاك، فعدم إجابتهم على طبق ما طلبوا رحمة بهم. قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ أي لما يفعله بكم.

قوله: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ هذا جواب آخر عن قول أهل مكة ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، ذلك أنه لما اشتد من أهل مكة العناد وعدم الإذعان، ابتلاهم الله بالقحط سبع سنين، ثم رحمهم بعد ذلك بإنزال المطر والخصب، فجعلوا ذلك هزواً وسخرية، واضافوا المنافع إلى الأصنام. وقالوا: لو كان القحط بسبب ذنوبنا كما يقول محمد، ما حصل لنا بعد ذلك الخصب لأنا لم نتب، فإذا كان كذلك فعلى تقدير أن يعطوا ما سألوا من إنزال ما طلبوه لا يؤمنون. قوله: (بالاستهزاء) إلخ، تفسير للمكر. قوله: ﴿أَسْرَعُ مَكْراً﴾ أي أعجل عقوبة من سرعة مكرهم، وتسمية عقوبة الله مكراً مشاكلة. قوله: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ تعليل لأسرعية مكره، وتنبيه على أن ما دبروه غير خاف على الحفظة، فضلاً عن العليم الخبير. قوله: (بالتاء والياء) أي لكن الأولى سبعية والثانية عشرية.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر، أي لا مسير لكم في البر والبحر إلا هو، وهذا من جملة أدلة توحيده. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية ايضاً من النشر، وهو البث والتفريق، المعنى يفرقكم ويبثكم في البر والبحر. والرسم متقارب، لكن طولت السنة الثانية وهي النون في القراءة الثانية، وطولت السنة التي قبل الراء وهي الياء على القراءة الأولى. قوله: ﴿فِي الْبَرِّ﴾ أي مشاة وركباناً. قوله: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ غاية للسير في البحر، والفلك يستعمل مفرداً وجمعاً، فحركته في المفرد كحركة قفل، وحركته في الجمع كحركة بدن، وهنا مستعمل في الجمع بدليل وجرين، وفي آية في

﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي أهلكوا ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الدعاء ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (٢٢) الموحدين ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بالشرك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ ظلمكم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ لأن إثمه عليها هو ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تمتعون فيها قليلاً ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٣) فنجازيكم عليه وفي قراءة بنصب متاع أي تتمتعون ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾ مطر ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ بسببه ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مِمَّا

الفلك المشحون مستعمل مفرداً. قوله: (**فيه التفات عن الخطاب**) أي إلى الغيبة، وحكمته زيادة التقبيح على الكفار، لأن شأنهم عدم شكر النعمة، وأما الخطاب أولاً فهو لكل شخص مسلم أو كافر بتعداد النعم عليهم. قوله: ﴿**بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**﴾ أي يحصل المقصود بلطف.

قوله: ﴿**وَفَرِحُوا بِهَا**﴾ الجملة حالية من ضمير ﴿**بِهِمْ**﴾ وقد مقدرة. قوله: ﴿**وَظَنُّوا**﴾ أي أيقنوا. قوله: (**أي اهلكوا**) أي ظنوا الهلاك، لقيام الأسباب بهم. قوله: ﴿**مُخْلِصِينَ**﴾ أي غير مشركين معه شيئاً من آلهتهم. قوله: ﴿**لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا**﴾ هذا مقول لقول محذوف بيان لمحصل الدعاء والتقدير قائلين: وعزتك وجلالك لئن أنجيتنا. قوله: ﴿**مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ أي على نعمائك الموحدين لك. قوله: ﴿**إِذَا هُمْ يَبْغُونَ**﴾ إذللمفاجأة،والمعنى فحين انجاهم فاجؤوا الفساد وبادروا إليه. قوله: ﴿**بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ إما وصف كاشف، أو احترز به عن البغي بحق، كاستيلاء المسلمين على الكفار، وتخريب دورهم، وإتلاف أموالهم، كما فعل رسول الله بقريظة. قوله: ﴿**إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾ الكلام على حذف مضاف، أي إثم بغيكم كما يشير له المفسر بقوله: (**لأن إثمه عليها**) والمعنى أن وبال بغيكم راجع لأنفسكم، لا يضر الله منه شيء، كما لا تنفعه طاعة المطيع، قال تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ وقال العارف: ماذا يضرك وهو عاص، أو يفيدك وهو طائع، فإشراك المشرك لا يثبت لله شريكاً، بل هو محض افتراء وكذب، ووباله على صاحبه، وتوحيد الموحد لا يثبت لله وحدة، بل هي ثابتة أزلاً وأبداً، بل معنى وحدت ربي، قامت وحدته بقلبي وامتزجت بلبي، وليس المعنى أنه أثبت له وحدة لم تكن، فإن هذا هو الكفر بعينه، وفي ذلك قال العارف:

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد

قوله: ﴿**مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ قدر المفسر هو إشارة إلى أنه بالرفع خبر لمحذوف. قوله: (**تمتعون فيها قليلاً**) أي زمناً قليلاً. قوله: ﴿**ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ**﴾ أي لا مفر لهم من ذلك، وإنما إمهالهم وتأخيرهم من حلمه سبحانه وتعالى. قوله: (**فنجازيكم عليه**) أي على ما عملتم من خير وشر. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (**بنصب متاع**) أي مفعول لفعل محذوف، قدره المفسر بقوله أي تمتعون. قوله: ﴿**انَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ بيان لشأن الدنيا، وأن مدتها قصيرة، والمعنى صفتها في سرعة انقضائها، وكونكم متعززين بها كماء إلخ. قوله: ﴿**كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ**﴾ حكمة تشبيهها بماء السماء دون ماء

﴿يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من البر والشعير وغيرهما ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ من الكلأ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زاياً وأدغمت في الزاي ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ قضاؤنا أو عذابنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصود بالمناجل ﴿كَأَن﴾ مخففة أي كأنها ﴿لَّمْ تَغْنَ﴾ تكن ﴿بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي السلامة وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

الأرض، إشارة إلى أن الدنيا تأتي بلا كسب من صاحبها، ولا تعان منه كماء السماء بخلاف ماء الأرض فينال بالآلات. قوله: **(وغيرهما)** أي كالذرة والحمص واللوبياء والفول ونحو ذلك. قوله: **(من الكلأ)** هو العشب رطباً أو يابساً. قوله: **﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾** غاية لمحذوف أي ما زال ينمو ويزهو حتى إلخ. والمعنى استوفت واستكملت الأرض زخرفها من النبات، وتم سرور أهلها بها أتاها أمرنا إلخ. قوله: **(بالزهر)** أي أنواعه من أحمر وأصفر وأبيض وأخضر وغير ذلك. قوله: **(وأدغمت في الزاي)** أي بعد تسكينها وأتى بهمزة الوصل لأجل النطق بالساكن، فلما دخلت الواو حذفت للاستغناء عنها. قوله: **(متمكنون من تحصيل ثمارها)** أي من أخذ ما أنبتته من ثمار وزروع وبقول. قوله: **﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾** جواب إذا. قوله: **(كالمحصود)** أي المقطوع. قوله: **﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾** أي كأن لم تكن تلك الأشجار والنباتات والزروع ثابتة قائمة على ظهر الأرض، وهذا مثل للراغب في زهرة الدنيا وبهجتها، الراكن لها، المعرض عن الآخرة، فكما أن النبات الذي عظم الرجاء فيه، والانتفاع به؛ أتته المتلفات بغتة ويئس منه، كذلك المتمسك بالدنيا، إذا افتخر بها وتعزز، يأتيه الموت بغتة فيسلب ما كان فيه من نعيم الدنيا ولذتها. قوله: **﴿بِالأَمْسِ﴾** المراد به الزمن الماضي، لا خصوص اليوم الذي قبل يومك. قوله: **﴿كَذَلِكَ﴾** أي كما فصلنا في ضرب المثل. قوله: **﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** أي فليس هذا المثل قاصراً على شخص دون شخص، بل هو عبرة لمن كان له بصيرة وتدبر، فينبغي للإنسان أن ينزل القرآن في خطاباته على نفسه، ويتأمل فيها ويتدبر، ليأتمر بأوامره، وينتهي بنواهيه.

قوله: **﴿واللهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾** لما ذكر سبحانه وتعالى صفة الدنيا، ورغب في الزهد فيها، والتجنب لزخارفها، رغب في الآخرة ونعيمها، حيث أخبر أنه بعظمته وجلاله وكبريائه، **يدعو** إلى دار السلام، والسلام اسم من اسمائه تعالى، ومعناه المنزه عن كل نقص، المتصف بكل كمال، وأضيفت الدار للسلام، لأنها سالمة من الآفات والكدرات، كما أن معنى السلام السالم من كل نقص، وقيل المراد بالسلام السلامة من الآفات والنقائص، وعليه درج المفسر. قوله: **(وهي الجنة)** أشار بذلك إلى أن المراد بهذا الاسم، ما يشمل جميع الجنات، لا خصوص المسماة بهذا الاسم، من باب تسمية الكل باسم البعض، وكذا يقال في باقي دورها، كدار الجلال، وجنة النعيم، وجنة الخلد، وجنة المأوى، والفردوس، وجنة عدن، فهذه الأسماء كما تطلق على مسمياتها، يطلق كل اسم منها على جميع دورها، لصدق الاسم على المسمى في كل. قوله: **(بالدعاء والإيمان)** أي فهو سبب لدخول الجنة، وإن كان صاحبه عاصياً، فالمدار في استحقاق الجنة على مجرد الإيمان.

قوله: **﴿وَيَهْدِي مِنْ يَشَاءُ﴾** أي يوصله إلى السعادة الكاملة. قوله: **(هدايته)** هذا هو مفعول يشاء.

دين الإسلام ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ بالإيمان ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي النظر إليه تعالى كما في حديث مسلم ﴿ وَلَا يَرْهَقُ ﴾ يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ كآبة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٢٦) ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ عطف على للذين أحسنوا أي وللذين ﴿ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ عملوا الشرك ﴿ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ ﴾ زائدة ﴿عَاصِمٍ﴾

قوله: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي طريق قويم لا اعوجاج فيه، وحذف مقابل ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ إلخ. تقديره ويضل من يشاء عنه، فالضلال والهدى بيد الله، يعطي أيهما شاء لمن شاء. قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ خبر مقدم، و ﴿الْحُسْنَى﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: (بالإيمان) أي ولو صحبه ذنوب، فعصاة المؤمنين لهم الحسنى وزيادة، وإن كانت مراتب أهل الجنة متفاوتة، فليس المنهمكون في طاعة الله كغيرهم. قوله: (هي النظر إليه تعالى) هذا قول جمهور الصحابة والتابعين، وقيل المراد بالزيادة رضوان الله الأكبر، وقيل مضاعفة الحسنات، وقيل الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب، ولكن القول الأول هو الذي عليه المعول، لأن النظر إليه تعالى يستلزم جميع ذلك، ويدل له على ما ورد «إذ دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما يعطون شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى» زاد في رواية: ثم تلا ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾. واعلم أن الناس جميعاً في الجنة، ينظرون إليه سبحانه وتعالى، في مثل يوم الجمعة من الأسبوع، وفي مثل يوم العيد من السنة، وهذه هي الرؤية العامة لجميع أهل الجنة، وللخواص مراتب متفاوتة، فمنهم من يراه في كل صباح ومساء، ومنهم من يراه في مثل أوقات الصلوات الخمسة، ومنهم من لا يحجب عن الرؤية أبداً لما قيل: إن لله رجالاً لو حجبوا عن الرؤية طرفة عين، لتمنوا الخروج من الجنة.

قوله: ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ الجملة مستأنفة. قوله: (سواد) أي وغبار، فأهل الجنة بيض الوجوه في غاية من البسط والجمال، فلا يعتريهم نكد ولا كدر، قال تعالى: ﴿وجوهٌ يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة﴾. قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي المحدث عنهم أن لهم الحسنى وزيادة. قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي لا يخرجون منها أبداً. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ شروع في ذكر صفات أهل النار، إثر ذكر صفات أهل الجنة. قوله: (عطف على الذين أحسنوا) أي ويكون فيه العطف على معمولي عاملين مختلفين، لأن ﴿الَّذِينَ﴾ معطوف على ﴿الَّذِينَ﴾ الأول، والعامل فيه الابتداء الذي هو الحسنى، وقوله: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾ معطوف على ﴿الْحُسْنَى﴾ والعامل فيه الابتداء، وهذا الوجه فيه خلاف بين النحويين، ولذا حاول بعضهم إعراب الآية، حتى ذكر فيه سبعة أوجه، أحسنها إن قوله: ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ أول، و ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾ مبتدأ ثان، و ﴿بِمِثْلِهَا﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، والباء زائدة، ويدل لزيادتها قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة﴾. قوله: ﴿بِمِثْلِهَا﴾ أشار بذلك إلى الفرق بين الحسنات والسيئات فالحسنات مضاعفة بفضل الله والسيئات جزاؤها مثلها، عدلاً منه سبحانه وتعالى، قال صاحب الجوهرة: فالسيئات عنده بالمثل، والحسنات ضوعفت بالفضل.

قوله: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي يغشاهم الذل والكآبة. قوله: ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ﴾ أي من عذابه

مانع ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ﴾ ألبست ﴿وُجُوهُهُمۡ قِطَعًا﴾ بفتح الطاء جمع قطعة وإسكانها أي جزءاً ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ﴾ أي الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ﴾ نصب بالزموا مقدراً ﴿أَنتُمۡ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر ليعطف عليه ﴿وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ﴾ أي الأصنام ﴿فَزَيَّلۡنَا﴾ ميزنا ﴿بَيۡنَهُمۡۖ﴾ وبين المؤمنين كما في آية ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ ما نافية وقدم المفعول للفاصلة ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن﴾ مخففة أي إنا ﴿كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي ذلك اليوم ﴿تَبۡلُواْ﴾ من البلوى وفي قراءة بتاءين من التلاوة

وسخطه. قوله: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ أي غطيت. قوله: (وإسكانها) أي فهما قراءتان سبعيتان، والمعنى على الأولى، كأن أجزاء الليل غطتهم ولبستهم، وعلى الثانية: كأن جزءاً من الليل غشيتهم وغطى وجوههم، وهذه الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفَجرة﴾ وما مشى عليه المفسر من أن القطع بالسكون الجزء هو أحد أقوال في تفسيره، وقيل هو سواد الليل، وقيل هو ظلمة آخر الليل. قوله: ﴿مُظْلِماً﴾ حال من الليل. قوله: ﴿أولئكَ﴾ أي الموصوفون بما ذكر. قوله: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي المستحقون لها. قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي ماكثون على سبيل الخلود والتأبيد.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ شروع في ذكر محاجة أهل الشرك مع معبوداتهم، إثر بيان أصحاب النار، و ﴿يَوْمَ﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: (اذكر). قوله: (نصب بالزموا) أي على أنه مفعول به، والمعنى الزموا هذا المكان ولا تبرحوا عنه، أو ظرف يجعل الزموا بعنى قفوا. قوله: (تأكيد للضمير المستتر) أي الذي هو الواو، وتسميته مستتراً فيه مسامحة، إذا الواو من الضمائر البارزة، وقد يجاب بأن المراد بالاستتار عدم الذكر بالفعل. قوله: (المقدر) أي الذي هو الزموا، والإخبار بهذا الأمر للتهديد يصدر من الله على لسان ملك لا مباشرة. لقوله تعالى: ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامةِ﴾.

قوله: ﴿فزَيَّلْنَا﴾ من التزييل وهو التفريق والتمييز، يقال زيِّل ضأنك من معزك أي فرق بينها وميز هذا من هذا، ووزنه فعل بالتضعيف، فهو من باب ذوات الياء، أو فعيل وأصله زيول، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وادغمت في الياء فهو من باب ذوات الواو. قوله: ﴿بَيْنَهُمْ﴾(وبين المؤمنين) هكذا فهم المفسر، وهو بعيد من سابق الكلام ولاحقه، وقيل ميزنا بينهم وبين معبوداتهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وهو الأقرب، لأن الكلام فيه.

قوله: ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ إنما أضيفت الشركاء لهم، لأنهم اتخذوها شركاء لله في العبادة. قوله: ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ قال مجاهد: تكون في القيامة ساعة فيها شدة، تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، فتقول الآلهة: والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل، ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا، فيقولون: والله إياكم كنا نعبد، فتقول الآلهة لهم: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾. قوله: (للفاصلة) أي تناسب رؤوس الآي. قوله: ﴿لَغَافِلِينَ﴾ أي لا علم لنا بذلك. قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة للمكان البعيد، وهو الموقف الذي يدهش العقول. قوله: ﴿تَبْلُو﴾ أي تختبر وتعلم. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً من التلاوة، أي تقرأ ما أسلفته وقدمته، فتجده

﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ قدمت العمل ﴿ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ الثابت الدائم ﴿وضل﴾ غاب ﴿ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ عليه من الشركاء ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ بالمطر ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بالنبات ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ ﴾ بمعنى الإسماع أي خلقها ﴿ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ بين الخلائق ﴿ فَسَيَقُولُونَ ﴾ هو ﴿ ٱللَّهُ فَقُلْ ﴾ لهم ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٣١﴾ ـه فتؤمنون ﴿ فَذَٰلِكُمُ ﴾ الفعال لهذه الأشياء ﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ الثابت ﴿ فَمَاذَا

مسطراً في صحف الملائكة. قال تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك﴾، أو من التلو، أي تتبع وتطلب ما أسلفته من أعمالها، وفي قراءة أيضاً: نبلو بالنون بعدها باء موحدة، أم نختبر نحن، وكل بالنصب مفعول به عليها وهي شاذة. قوله: ﴿**وَرُدُّوا**﴾ أي المشركون. قوله: (**الثابت الدائم**) أي الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: ﴿**وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ أي غاب عنهم افتراؤهم بظهور الحق، فلا ينافي أنهم معهم في النار، وهكذا كل من اعتمد على غير الله يقال له: ﴿**هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ**﴾ الآية، فينبغي للإنسان أن يسعى في خلاص قلبه من الوهم الذي يلجئه إلى الاعتماد على غير الله، من جاه أو مال أو علم أو عمل أو غير ذلك، ليرى الحق حقاً، والباطل باطلاً، فيتبع الحق، ويجتنب الباطل. وبهذا الأمر يتبين الولي من العامي. فالولي يرى الأشياء كلها ظاهراً وباطناً من الله، فهو دائماً مطمئن ساكن مسلم لله في كل ما يفعله، والعامي يعتقد ذلك بقلبه، غير أن الوهم يخيل له أن لغير الله ضراً أو نفعاً، فيكون دائماً في تعب ونصب، وقد أشار العارف لذلك بقوله:

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة	لها صورة لكن تبدت عن الماء
فذو الكشف لم يشهد سوى الماء وحده	تبدى بوصف الثلج من غير إخفاء
ومن حجبته صورة الثلج جاهل	تغطى عليه الأمر من لمع أضواء

قوله: ﴿**قُلْ**﴾(لهم) ﴿**مَنْ يَرْزُقُكُمْ**﴾ إلخ، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ، أن يقيم الحجة على المشركين، ويبطل ما هم عليه من الإشراك، بأسئلة ثمانية، أجاب المشركون عن الخمسة الأولى، وأجاب رسول الله عن الاثنين بعدها بتعليم الله له، وجواب الأخير لم يذكر للعلم به، وقد صرح به المفسر. قوله: ﴿**مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ أي رزقاً مبتدأ من السماء والأرض. قوله: (**بالمطر**) أي فهو سبب لإخراج نبات الأرض، فصح كون الرزق من السماء.

قوله: ﴿**أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ**﴾ أي يخلقه ويحفظه من الآفات في كل لحظة، إذ هو معرض للزوال، لولا حفظ الله ما ثبت. قوله: (**بمعنى الإسماع**) إنما قال ذلك ليوافق الأبصار. قوله: ﴿**وَالْأَبْصَارَ**﴾ جمع بصر، والمعنى أن الله تعالى هو الخالق للأبصار، الواضع للنور فيها، الذي به الأبصار، وهو الحافظ له. قوله: ﴿**وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ**﴾ إلخ. تقدم أن المراد بالحي الإنسان والطير، وبالميت النطفة والبيضة. قوله: ﴿**وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ**﴾ عطف عام على خاص، لأن تدبير الأمر عام في كل شيء.

قوله: ﴿**فَسَيَقُولُونَ اللهُ**﴾ أي جواباً لمن تقدم. قوله: ﴿**أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ أي أدمتم على الشرك فلا

﴿بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ استفهام تقرير أي ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿فَأَنَّى﴾ كيف ﴿تُصْرَفُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ كفروا وهي لأملأن جهنم الآية أو هي ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي﴾ يهتدي ﴿إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾ أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ أي الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

تتقونه، ويؤخذ من هذا، أن المعرفة ليست هي الإيمان، إذ لو كانت هي الإيمان، لكان إقرارهم بأن الله هو الفعال لهذه الأشياء، توحيداً وإيماناً، بل الإيمان هو حديث للنفس التابع للمعرفة، أي قول النفس: آمنت وصدقت على التحقيق. قوله: **(الثابت)** أي الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً. قوله: **(استفهام تقرير)** المناسب إنكار بدليل قوله: **(أي ليس بعده غيره)**. قوله: **(وقع في الضلال)** أي الباطل وهو الشرك، لأنه لا واسطة بين الحق والباطل. قوله: **﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾** أي تمنعون، وهو استفهام تعجبي.

قوله: **﴿كَذَٰلِكَ﴾** الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف، والتقدير مثل صرفهم عن الحق بعد الإقرار به **﴿حَقَّتْ﴾** إلخ. قوله: **(وهي)** ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ أي فالمراد نفذ القضاء والقدر، بأن جهنم تمتلىء من الجن والإنس، حتى تقول قط قط. قوله: **(وهي)** **﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** أو لتنويع الخلاف، أي فالمراد بكلمة الله على هذا القول، نفوذ قضاء الله وقدره بعدم إيمانهم. قوله: **﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾** إلخ. هذا هو السؤال السادس. قوله: **﴿مَنْ يَبْدَأُ﴾** أي ينشىء الخلق من العدم. قوله: **﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾** أي الخلق في القيامة للحساب والجزاء، وإنما لم يجيبوا عن هذا السؤال، وتولى الله الجواب عنه، لأنهم منكرون للبعض، فلو أجابوا لكان ذلك إقراراً منهم بالبعث، وصح أن يكون حجة عليهم، لقيام الأدلة والبراهين عليه، فلا يستطيعون أن ينازعوا في ذلك.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ هذا هو السؤال السابع. والمعنى: هل من شركائكم من يقيم الحجج، ويرسل الرسل، ويوفق العبيد لرشادهم؟ ولما لم يكونوا مسلمين ذلك تولى الله جوابه أيضاً. قوله: **﴿قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾** أي فهو أحق بالإتباع، لا هذه الأصنام التي لا تهتدي بنفسها. قوله: **﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾** هذه هو السؤال الثامن، وقد ذكر المفسر جوابه بقوله الأول **(أحق)**. قوله: **﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾** خبر قوله: **﴿أَفَمَنْ يَهْدِي﴾** والمعنى: أفمن يهدي إلى الحق حقيق بالإتباع، أم من لا يهدي إليه. قوله: **﴿أَمَنْ لَا يَهِدِّي﴾** أصله يهتدي، نقلت فتحة التاء إلى الهاء، وأبدلت التاء دالاً، وادغمت في الدال، ويهدي بفتح الهاء وكسرها، وبكسر الياء والهاء معاً، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، فكسر الهاء للتخلص من التقاء الساكنين، وكسر الياء اتباعاً لكسر الهاء.

قوله: **﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾** استثناء من أعم الأحوال. والمعنى لا يهتدي في حال من الأحوال، إلا في حال إهداء الغير إياه. ومعنى هداية الأصنام، كونها تنقل من مكان لآخر، فالمعنى لا تنتقل من مكان

تَحْكُمُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لايحق اتباعه ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ ﴾ في عبادة الأصنام ﴿ إِلَّا ظَنًّا ﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ فيجازيهم عليه ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ ﴾ أي افتراء ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿وَلَٰكِن﴾ أنزل ﴿ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾

لآخر، إلا أن تحمل وتنقل، وهذا ظاهر في الأصنام، وأما مثل عيسى والعزيز، فمن لا يهدي لا يخلق الهدى، لا في نفسه ولا في غيره، فالخلق كلهم عاجزون، إذ لا يملكون لأنفسهم شيئاً فضلاً عن غيرهم.
قوله: **﴿فَمَا لَكُمْ﴾** أي أي شيء ثبت لكم في هذه الحالة؟ قوله: **﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** أي بالباطل، وتجعلون لله شركاء.

قوله: **﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾** يفيد أن الأقل يعرفون أن الله منزه عن كل نقص متصف بكل كمال، غير أنهم يكفرون عناداً. قوله: **(حيث قلدوا فيه آباءهم)** أي فقالوا﴿إنّا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾. قوله: **﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾** المراد بالظن خلاف التحقيق، فيشمل الشك والوهم، وهذا الكلام في حق الكفار، الذين اتبعوا غيرهم في الكفر وقلدوهم فيه، فلا عذر لهم في التقليد دنيا ولا أخرى، وأما المؤمن الخالص، الذي امتلأ قلبه بالإيمان حيث عجز عن قيام الأدلة على التوحيد، وقلد العارف فيه، فليس من هذا القبيل، بل هو مؤمن جزماً لأنه ليس عنده ظن، بل جزم مطابق للواقع، وربما إن دام على الصدق، ومتابعة من يقلده، يرتقي في التوحيد إلى مقام أعلى وأجل من مقام من قلده، وأما القول بأنه كافر، فإنما يعرف لأبي هاشم الجبائي من المعتزلة، فلا يعول عليه. قوله: **﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾** هذا تهديد لهم، على ما وقع منهم من الأفعال الشنيعة والأحوال القبيحة.

قوله: **﴿وَمَا كَانَ هٰذَا الْقُرْآنُ﴾** المقصود من هذا الكلام، الرد على من كذب القرآن، وزعم أن ليس من عند الله، والمعنى: لا ينبغي لهذا القرآن أن يختلق ويفتعل، لأن تراكيبه الحسنة أعجزت العالمين، وذلك لأن حسن الكلام على حسب سعة علم المتكلم واطلاعه، ولا أحد أعلم من رب العالمين فلذلك أعجز الخلائق جميعاً لكونه في أعلى طبقات البلاغة، ولذلك قال صاحب الهمزية:

أعجز الإنس آية منه والجن فهلا أتى به البلغاء

إلى أن قال:

سور منه أشبهت صوراً منا ومثل النظائر النظراء

قوله: **(أي افتراء)** أشار بذلك إلى أن خبر كان **﴿أَنَّ﴾** وما دخلت عليه في تأويل مصدر. قوله: **﴿وَلٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** هذا الاستدراك وقع أحسن موقع، لأنه وقع بين نقيضين: الكذب والصدق، وتصديق بالنصب خبر لكان مقدرة، والتقدير ولكن مكان تصديق إلخ، أو مفعول لأجله بفعل محذوف، قدره المفسر بقوله: **(أنزل)**، و **﴿تَصْدِيقَ﴾** بمعنى مصدق، أو بولغ فيه، حتى جعل نفس التصديق على حد زيد عدل، وكذا يقال في قوله: **﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾**. قوله: **(من الكتب)** أي السماوية المنزلة على الأنبياء.

قوله: **﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾** أي مفصل لما في الكتاب، وهو اللوح المحفوظ، فالقرآن مفصل لما

تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ شك ﴿ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ متعلق بتصديق أو بأنزل المحذوف وقرىء برفع تصديق وتفصيل بتقدير هو ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ اختلقه محمد ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿ ادعو ﴾ للإعانة عليه ﴿ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ﴿٣٨﴾ في أنه افتراء فلم يقدروا على ذلك، قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ أي القرآن ولم يتدبرونه ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿ يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ التكذيب ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ رسلهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء ﴿وَمِنْهُم﴾ أي أهل مكة ﴿ مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ لعلم الله

كتب في اللوح المحفوظ، من علم ما كان وما يكون، وما هو كائن في الدنيا والآخرة، فمن أعطي شيئاً من أسرار القرآن، فلا يحتاج للإطلاع على اللوح المحفوظ، بل يأخذ منه ما أراده. قوله: (وغيرها) أي المغيبات. قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حال من التصديق والتفصيل، وهذا هو الأظهر. قوله: **(متعلق بتصديق أو بإنزال)** أي يكون قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ معترضاً بين المتعلق والمتعلق. قوله: **(وقرىء)** أي شاذاً. قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أم منقطعة وتفسر ببل والهمزة، والمعنى أنهم أصروا على تلك المقالة، ولم يذعنوا للحق. قوله: **(اختلقه محمد)** أي افتعله وليس من عند الله.

قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ هذا تبكيت لمقالتهم الفاسدة، وهي جواب الشرط مقدر، والتقدير إن كان الأمر كما تزعمون، فأتوا بسورة مثله. واعلم أن مراتب تحدي رسول الله ﷺ بالقرآن أربعة. أولها: أنه تحداهم بجميع القرآن. قال تعالى: ﴿ولئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾. ثانيها: أنه تحداهم بعشر سور. قال تعالى: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ثالثها: أنه تحداهم بسورة واحدة. قال تعالى: ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ رابعها: أنه تحداهم بحديث مثله كما قال تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾. قوله: ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دونِ اللهِ﴾ أي من آلهتكم وغيرها من جميع المخلوقات. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، أي فأتوا بسورة وادعوا، إلخ.

قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي بفهم ألفاظه ومعانيه العظيمة، فتكذيبهم لعدم فهمهم معناه، وجهلهم بفضله، ففي المثل: من جهل شيئاً عاداه، وقال البوصيري:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي لم ينزل بهم الوعيد، فيحملهم على التصديق قهراً، فتكذيبهم لأمرين جهلهم بفضله، وعدم إتيان الوعيد لهم. قوله: **(من الوعيد)** وهو العذاب الموعود به. قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾(لتكذيب) أشار بذلك إلى أن الكاف بمعنى مثل، نعت لمصدر محذوف، أي مثل ذلك التكذيب كذبوا رسلهم. قوله: **(فكذلك نهلك هؤلاء)** أي بأن نسلطكم عليهم لتقتلوهم وليس المراد الهلاك العام بالخسف والمسخ مثلاً، فإن ذلك مرفوع ببركته ﷺ.

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي من أهل مكة المكذبين. قوله: ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي في المستقبل، والمعنى أن

ذلك منه ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أبداً ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ تهديد لهم ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل﴾ لهم ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي لكل جزاء عمله ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤١﴾ وهذا منسوخ بآية السيف ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟﴾ مع الصم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ يتدبرون ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ شبههم بهم في عدم الاهتداء بل أعظم (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ

أهل مكة المكذبين للقرآن، اقتسموا قسمين: قسم آمن بعد، وقسم لم يؤمن. قوله: **﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ﴾** أي داموا على تكذيبك. قوله: **(أي لكل جزاء عمله)** أي جزاء ما عمله من خير أو شر. قوله: **(وهذا منسوخ بآية السيف)** أي فبعد نزولها لم يقل ذلك، وفيه أن شرط الناسخ أن يكون رافعاً لحكم المنسوخ، ومدلول الآية ثابت لم ترفعه آية السيف، إذ مدلول هذه الآية اختصاص كل بعمله وبراءة كل من عمل الآخر، وهذا حاصل مطلقاً، فالوجه أنه لا نسخ في هذه الآية.

قوله: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾** أي من كفار مكة المكذبين للقرآن، فريق يصغون إلى قراءتك بآذانهم ولم يذعنوا بقلوبهم، فلا تطمع في إيمانهم، لوجود الختم على قلوبهم، فلا يفقهوا الحق ولا يتبعوه، وفي هذا تسلية له ﷺ، كأن الله يقول له لا تحزن على عدم إيمانهم، فإنك لا تقدر أن تسمع الصم، ولو كانوا لا يعقلون.

قوله: **﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾** الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، المعنى أنت لا تقدر أن تسمع من سلبه الله السمع. قوله: **(شبههم)** أي الكفار، وقوله: (بهم) أي بالصم، وقوله: **(في عدم الانتفاع)** هذا هو وجه الشبه، أي فكما أن معدم السمع لا ينتفع بالأصوات، فكذلك الكفار لا ينتفعون بسماع القرآن، لوجود الحجاب على قلوبهم. قوله: **﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾** أي لو كان مع الصمم عدم العقل، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، وجملة الشرط معطوفة على محذوف تقديره أأنت تسمع الصم إن عقلوا، بل ولو كانوا لا يعقلون، فأنت لا تسمعهم، فيكون المعنى أنت لا تسمع الصم عقلوا أو لم يعقلوا، فهم كالأنعام بل هم أضل.

قوله: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾** أي يبصرك بعينه. قوله: **﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾** يقال فيه ما قيل فيما قبله. قوله: **﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾** أي لا يتأملون ولا يتفكرون بقلوبهم، فيما جئت به من الدلائل العظيمة والشمائل الفخيمة، والمعنى أنت لا تهدي عمي القلوب، أبصروا أو لم يبصروا. قوله: **(بل أعظم)** قوله: ﴿إن اللّه لا يَظلم النّاس شيئاً﴾ هذه الآية سيقت لدفع توهم أن الله حيث سلبهم العقل والسمع والبصر، فتعذيبهم على عدم الهدى ظلم، فدفع ذلك بأن الظلم هو التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى، فتقديره الشقاوة على أهلها ليس بظلم منه، لأنه هو المالك الحقيقي، وهو يتصرف في ملكه كيف يشاء. قوله: **﴿وَلٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** إنما قال ذلك، لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب الاختياري، فالله سبحانه وتعالى يعذب الشقي على ما اقترفه بالنظر للكسب الاختياري. فإن قيل: هو الخالق لذلك

كَأَن﴾ أي كأنهم ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا أو القبور ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ لهول ما رأوا وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال، والجملة حال مقدرة أو متعلق الظرف ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مطلع ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل فيعذبون وينجى الرسول ومن صدقه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ فيه

الكسب، يقال: لا يسأل عما يفعل.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي نجمعهم للحساب، والضمير عائد على المشركين المنكرين للبعث، والمعنى ويوم نجمع المشركين في القيامة، ويعرف بعضهم بعضاً، حال كونهم في وقت حشرهم، مشبهين بمن لم يلبثوا إلا زمناً قليلاً من النهار. قوله: **(لهول ما رأوا)** أي فسبب ذلك، يعد الزمن السابق عليه يسيراً، إن كان في نفسه طويلاً. قوله: **(حال من الضمير)** أي في ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾. قوله: **(إذا بعثوا)** دفع بذلك ما يقال: إن هذا معارض لقوله فلا أنساب بينهم. وحاصل الجواب: أنهم يتعارفون أولاً، فإذا اشتد الهول نسي بعضهم بعضاً. قوله: **(والجملة حال)** أي من الواو في ﴿يَلْبثُوا﴾ أو من الضمير ﴿فِي نَحْشُرُهُمْ﴾ وعلى هذا فالظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر. قوله: **(أو متعلق الظرف)** أي فهو معمول له، والتقدير يتعارفون وقت حشرهم. قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ هذا إخبار من الله بحالهم الشنيع. قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ معطوف على جملة ﴿قَدْ خَسِرُوا﴾ المعنى وما كانوا واصلين للجنة أبداً.

قوله: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ هذا تسليه له ﷺ، كأن الله يقول له: لا تحزن، فإما نريك عقوبتهم في حياتك، أو نؤخرهم إلى يوم القيامة، فهم لا يفلتون من عذابنا على كل حال، فاصبر ولا تضق، فإن الأمر لنا فيهم. قوله: **(فذاك)** أي هو المراد، وقد حصل ذلك؛ بأن بلغ الله نبيه الآمال فيمن عاداه، بسبب تسليمه الأمر فيهم لمالكهم، وهكذا يفعل الله بالظالم، إذا سلم المظلوم أمره لسيده، ولم يعترض على افعاله، وصبر على أحكامه، فبهذا ينال رضا الله، ويظفر بمطلوبه ممن ظلمه. وفي هذا المعنى قلت:

أرح قلبك العاني وسلم له القضا ... تفز بالرضا فالأصل لا يتحول
علامة أهل الله فينا ثلاثة ... إيمان وتسليم وصبر مجمل

قوله: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ هذا هو جواب الشرط. قوله: ﴿ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ﴾ ثم لترتيب الأخبار، لا للترتيب الزماني. قوله: ﴿رَسُولٌ﴾ أي أرسله الله لهم. قوله: **(فكذبوه)** قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ مرتب على محذوف لا على قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾. قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي لأن تعذيبهم بسبب كسبهم، لما تقدم أن الرحمة تأتي من غير سابقة تقتضيها، وأما العذاب فلا بد وأن

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا ﴾ أدفعه ﴿ وَلَا نَفۡعًا ﴾ أجلبه ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾ أن يقدرني عليه فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾ يتأخرون عنه ﴿ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ يتقدمون عليه ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ ﴾ أخبروني ﴿ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ ﴾ أي الله ﴿ بَيَٰتًا ﴾ ليلاً ﴿ أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا ﴾ أي شيء ﴿ يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ﴾ أي العذاب ﴿ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ المشركون فيه، وضع الظاهر موضع المضمر، وجملة الاستفهام جواب الشرط كقولك إذا أتيتك ماذا تعطيني، والمراد به التهويل أي ما أعظم ما استعجلوه ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ حل بكم ﴿ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ﴾ أي الله أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير فلا يقبل منكم ويقال

يكون بسبب فعل يقتضيه. قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي كفار مكة. قوله: ﴿مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ أي الذي تعدنا به، وهذا القول منهم على سبيل الاستهزاء والسخرية، قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ خطاب للنبي والمؤمنين.

قوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ إلخ. أي لا استطيع أن أدفع الضر، إن أراد الله نزوله بي، ولا أستطيع جلب نفع أراد الله منعه عني. قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾ يحتمل أن يكون متصلاً، والتقدير إلا ما شاء الله أن أملكه وأقدر عليه، أو منقطعاً، والتقدير لكن ما شاء الله من ذلك، فإني أملك لكم الضر وأجلب العذاب.

قوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ هذا من جملة ما أجابهم به، والمعنى حيث كان لكل أمة أجل محدود لا تتعداه، فلا معنى لاستعجالكم العذاب. قوله: (يتأخرون) إلخ. أشار بذلك إلى أن السين في ﴿يَسْتَأْخِرُونَ﴾ و ﴿يَسْتَقْدِمُونَ﴾ زائدة، والمعنى أنه إذا جاء الأجل الذي قدره الله لكل أمة، فلا يتأخرون عنه ولا يتقدمون عليه إن لم يجيء. إن قلت: ورد أن الصدقة تزيد في العمر، فالجواب: أن المراد بالزيادة البركة، لأن الأجل الذي سبق في علم الله لا يتغير.

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي قل للذين يستعجلون العذاب. قوله: (موضع المضمر) أي وهو الواو التي مع تاء المخاطب، والتقدير ماذا تستعجلون، وعدل عنه لأجل الوصف بالإجرام تبكيتاً عليهم. قوله: (وجملة الاستفهام جواب الشرط) أي تقدير الفاء، لأن الجملة اسمية. قوله: (والمراد به) أي الاستفهام. قوله: (لإنكار التأخير) أي المستفاد من ثم، والتقدير أأخرتم ثم آمنتم به إذا وقع. والمعنى لا ينبغي هذا التأخير، لأن الإيمان في هذه الحالة غير نافع.

قوله: ﴿آلْآنَ﴾ منصوب على الظرفية، والعامل فيه محذوف قدره المفسر بقوله: (تؤمنون) والفعل المقدر معمول على إضمار القول، وهو يقال لكم آلآن بهمزتين، الأولى همزة الاستفهام، والثانية همزة أل المعرفة، فإذا اجتمع هاتان الهمزتان وجب في الثانية، إما تسهيلها أو مدها بقدر ثلاث ألفات، وهما قراءتان سبعيتان، وقد وقع ذلك في القرآن في ستة مواضع: اثنان في الانعام﴿آلذكرين﴾مرتين، وثلاثة في هذه السورة ﴿آلآنَ﴾مرتين، و﴿آللَّه أذن لكم﴾، وواحد في النمل﴿آلله خيْر﴾، وأما تحقيق الهمزتين فلا

لكم ﴿ءَآلۡـَٔـٰنَ﴾ تؤمنون ﴿وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ استهزاء ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أي الذي تخلدون فيه ﴿هَلۡ﴾ ما ﴿تُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلۡ إِي﴾ نعم ﴿وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ بفائتين العذاب ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ﴾ كفرت ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ جميعاً من الأموال ﴿لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ﴾ أي أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير

يجوز. قوله: ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿آمَنْتُمْ﴾. قوله: **(استهزاء)** أي تستعجلون على سبيل الاستهزاء.

قوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إخبار عما يقع لهم في القيامة. قوله: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ الواو نائب الفاعل مفعول أول، وقوله: ﴿بِمَا تَكْسِبُونَ﴾ مفعول ثان، وقوله: ﴿إِلَّا﴾**(جزاء)** مفعول مطلق لتجزون. والمعنى لا تجزون إلا جزاء الذي كنتم تكسبونه من الكفر والتكفير. قوله: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ السين والتاء للطلب، والمعنى يسألونك أن تخبرهم عما وعدتهم به من العذاب: أحق هو؟ الخ. ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ فعل مضارع، والواو فاعل، والكاف مفعول أول، وجملة ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ في محل المفعول الثاني، وحق مبتدأ وهو خبر أو بالعكس، أو هو فاعل بحق أغنى عن الخبر، والشرط موجود، وهو اعتماد المبتدأ على الاستفهام.

قوله: ﴿إِي وَرَبِّي﴾ إلخ. هذا أمر من الله لرسوله بأن يجيبهم بثلاثة أشياء، ﴿إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾. قوله: **(نعم)** أشار المفسر بذلك إلى أن ﴿إِي﴾ من أحرف الجواب، ولكنها مختصة بالقسم لا تستعمل في غيره، ومنه قول الناس إي والله، وقولهم إيوه، فالواو للقسم، والهاء مأخوذة من الله، ويحتمل أن الهاء للسكت، والمقسم به محذوف للعلم به، تقديره إي والله، وهذا هو الأقرب، لأن تقطيع اسم الجلالة غير لائق، قوله: ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ جواب القسم. قوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾. يصح أن يكون معطوفاً على إي، فيكون من جملة مقول القول، ويصح أن يكون جملة مستأنفة، خطاباً من الله لهم، وليس من جملة مقول القول، وما يحتمل أنها حجازية، فاسمها الضمير، وبمعجزين خبرها، أو تميمية وما بعدها مبتدأ وخبر. قوله: **(بفائتين العذاب)** أي فارين منه، بل هو مدرككم لا محالة.

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ إلخ. المعنى امتنع افتداء كل نفس من العذاب لامتناع ملكها لما تفتدى به، وهو جميع ما في الأرض. قوله: (كفرت) أي وماتت على كفرها. قوله: ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ أي لجعلته فداء لها من العذاب، لكنه لا يحصل ذلك. قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ الضمير عائد على الرؤساء، والأسرار على حقيقته. والمعنى أن الرؤساء حين يرون العذاب يخفون الندامة خوف التعيير، وهذا ما مشى عليه المفسر، وقيل إن أسروا بمعنى أظهروا، من تسمية الأضداد، ولعل هذا هو الأقرب. قال تعالى: ﴿أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله﴾ الآية.

قوله: ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ ظرف لأسروا بمعنى حين، أو شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: **(مخافة التعيير)** أي التوبيخ الواقع من الأتباع لهم. قوله: **(بين الخلائق)** أي فيقضى للمسلمين

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ بين الخلائق ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ شيئاً ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ ثابت ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ذلك ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كتاب فيه ما لكم وعليكم وهو القرآن ﴿وَشِفَآءٌ﴾ دواء ﴿لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ به ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ القرآن ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ الفضل

بالجنة، وللكفار بالنار، ويصح أن يكون المعنى بين الظالمين والمظلومين. قوله: **(العدل)** أي وهو عدم الجور والظلم. قوله: ﴿**أَلَا**﴾ أداة تنبيه، يؤتى بها للاعتناء بما بعدها، ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ذكر أن كل نفس كافرة، تتمنى أنها لو تملك ما في الأرض لافتدت به، بين هنا أنه لا يملك ذلك لعدم ملكها، فإن لله ما في السموات والأرض. قوله: ﴿**أَلَا إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ**﴾ أي لا محيص عنه، بل هو واقع ولا بد.

قوله: ﴿**وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ أي لقصور عقولهم بسبب استيلاء الغفلة عليهم فينكرون ذلك، والتعبير بأكثر، إشارة إلى أن الأقل يعلم ذلك، وهو واحد من ألف، لما تقدم في الحديث: «يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك، فيخرج من كل ألف واحداً للجنة والباقي للنار». قوله: **(فيجازيكم بأعمالكم)** أي خيرها وشرها. قوله: **(أي أهل مكة)** أشار بذلك إلى أن الخطاب لهم، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿**مَوْعِظَةٌ**﴾ مصدر وعظ بمعنى ذكر وأرشد لما ينفع من محاسن الأعمال، وزجر عما يضر من قبائحها.

قوله: ﴿**مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ صفة لموعظة، وفي هذا تنزل من الله لعباده، كأن الله يقول: الفداء في الآخرة لا ينفع، وأما في الدنيا فذلك نافع. قوله: ﴿**وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ المراد بها القلوب، من باب تسمية الحال باسم المحل، والمعنى أن القرآن مذكر وواعظ، وبه الشفاء لما في القلوب من الحقد والحسد والبغض والعقائد الفاسدة. قوله: ﴿**وَهُدًى**﴾ أي نور يقذف في قلوب الكاملين، يميزون به الحق والباطل، وفي هذه الآية إشارة إلى الشريعة والطريقة والحقيقة، فأشار للشريعة بقوله: ﴿**مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ لأن الشريعة بها تطهير الظواهر، وأشار للطريقة بقوله: ﴿**وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ لأن الطريقة بها تطهير البواطن عن كل ما لا ينبغي، وأشار للحقيقة بقوله: ﴿**وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ لأن بالحقيقة التجلي بالأنوار الساطعة في القلوب التي يرى بها الأشياء على ما هي عليه فعند ذلك يرى الله في كل شيء، وأقرب إليه من كل شيء، علماً ذوقياً، لا علماً يقينياً، فالحقيقة ثمرة الطريقة ولا تحصل إلا بعد التخلق بالطريقة والشريعة، ولذا قيل: حقيقة بلا شريعة باطلة، وشريعة بلا حقيقة عاطلة.

قوله: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ الله**﴾ إلخ، متعلق بمحذوف دل عليه ما بعده، والأصل ليفرحوا، ﴿**بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**﴾ ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة الحصر، ثم دخلت الفاء لإفادة السببية، والمعنى أن من اتصف بهذه الصفات المتقدمة، ينبغي له أن يفرح ويشكر ما أنعم الله به عليه، ويجود بروحه وجسمه في خدمة ربه ولا يتوانى، فمن قذف الله في قلبه نور محبته، فالواجب عليه إفناء جسمه في خدمته، كي يتم له ذلك النور ويزداد السرور، وهذه المحبة هي التي يعبر عنها العارفون بالخمرة

والرحمة ﴿فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ من الدنيا بالياء والتاء ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ خلق ﴿لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ كالبحيرة والسائبة والميتة ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في ذلك بالتحليل والتحريم لا ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩﴾ تكذبون بنسبة ذلك إليه ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ أي أي شيء ظنهم به ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أيحسبون أنه لا يعاقبهم لا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

والشراب والحميا، لأن بها السكر والفناء عما سوى الله تعالى، قال العارف رضي الله عنه:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقال العارف:

ولا تنظر لجسمي يا عذولي ... فإن الجسم مطلوبي سلاه

ولا تنكر شراب حمى قلبي ... فإن القلب محبوبي سقاه

وقال العارف موضحاً لهذه الخمرة:

فتلك خمر الشهود تدعى ... لا خمرة الكرم والدنان

ومن ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه﴾ فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل محبته، وأن يحشرنا في زمرة أهل قربه ومودته. قوله: **﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** أي من الدنيا وزخارفها وأبهمها إشارة إلى أنها خسيسة لا تساوي جناح بعوضة. قوله: **(بالياء والتاء)** راجع لقوله: **﴿يَجْمَعُونَ﴾** وأما **﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾** فالتاء عشرية والياء سبعية. قوله: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾** أشار المفسر إلى أن **﴿أَرَأَيْتُمْ﴾** بمعنى **(أخبروني)** وحينئذ فتنصب مفعولين: الأول الموصول وصلته، والثاني جملة **﴿اللهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾** و **﴿قُلْ﴾** تأكيد للأولى، وليست من جملة المفعول الثاني. قوله: **(كالبحيرة والسائبة)** مثالان للحرام، وتقدم أن البحائر والسوائب نعم يوقفونها على الأصنام، يحرمون ظهورها ونتاجها وألبانها ولحومها، وقوله: **(والميتة)** مثال للحلال. قوله: **(لا)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿أَمْ﴾(بل)** أشار المفسر إلى أنها منقطعة بمعنى **(بل)** ويصح أن تكون متصلة معادلة للهمزة، والمعنى أخبروني أحصل إذن من الله لكم، أم ذلك افتراء منكم وكذب، فهو استفهام لطلب التعيين وهو الأولى.

قوله: **﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ﴾** **﴿مَا﴾** اسم استفهام مبتدأ، و **﴿ظَنُّ﴾** خبره، و **﴿يَوْمَ﴾** ظرف متعلق بظن، والمعنى أي شيء ظنهم بالله يوم القيامة. قوله: **(أيحسبون)** إلخ. قدر المفسر هذه الجملة، إشارة إلى أن مفعولي الظن محذوفان فهذه الجملة سدت مسدّهما. قوله: **(لا)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري أي لا ينبغي هذا الظن، ولا يليق ولا ينفع، وأما قوله في الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي» فذلك في حق المؤمن، فظن الخير بالله ينفع المؤمن، وأما الكافر فلا ينفعه ذلك ما دام على كفره. قوله: **﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾** أي الطائع منهم والعاصي، وذلك في الدنيا، فنعم الدنيا ليست تابعة للتقوى، بل هي ثابتة بالقسمة الأزلية للمؤمن والكافر. قوله: **(بإمهالهم)** أي تأخير عذابهم. قوله: **(والإنعام عليهم)** أي بأنواع النعم، كالعقل والسمع والبصر وغير ذلك. قوله: **﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾** أي لا يصرفون النعم في مصارفها، وحينئذٍ فلا تنفعهم تلك النعم، إلّا إذا صحبها الإيمان والشكر، فإن عدموا الإيمان صارت النعم نقماً، وقوله: **﴿وَلَكِن أَكْثَرَهُمْ﴾** يفيد أن القليل هو الشاكر وهو كذلك. قال تعالى: ﴿وقيل الشكور﴾.

يَشۡكُرُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأۡنٖ﴾ أمر ﴿وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ﴾ أي من الشأن أو الله ﴿مِن قُرۡءَانٖ﴾ أنزله عليك ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ﴾ خاطبه وأمته ﴿مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا﴾ رقباء ﴿إِذۡ تُفِيضُونَ﴾ تأخذون ﴿فِيهِۚ﴾ أي العمل ﴿وَمَا يَعۡزُبُ﴾ يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٖ﴾ أصغر نملة ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ ﴿٦١﴾ بين هو اللوح المحفوظ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ في الآخرة هم ﴿ٱلَّذِينَ

قوله: ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ الضمير إما عائد على الشأن أو على الله، كما قال المفسر. فعلى الأول تكون من للتعليل، وعلى الثاني تكون ابتدائية، وقوله: ﴿مِنَ قُرْآنٍ﴾ من صلة، والمعنى وما تتلو من أجل هذا الشأن قرآناً، أو وما تتلوا قرآناً مبتدأ وصادر من الله. قوله: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُم شُهُوداً﴾ استثناء من أعم الأحوال، والمعنى ما تتلبسون بشيء من هذه الثلاثة في حال من الأحوال، إلا في حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له. إذا علمت ذلك، فكان المناسب للمفسر أن يعيد الضمير في فيه لكل من الثلاثة، وقد يجاب بأنه أعاده على الفعل لعمومه وشموله لباقي الثلاثة.

قوله: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ ظرف لقوله شهوداً. قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ بضم الزاي وكسرها، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿عَنْ رَبِّكَ﴾ أي عن علمه. قوله: (أصغر نملة) وقيل هو الهباء، وقيل أصغر بعوضة. قوله: ﴿فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي في سائر الموجودات، وعبر عنه في السماء والأرض لمشاهدة الخلق لهما. واعلم أن عالم الملك ما يشاهده الخلق، كالأرض وما حوته، وما ظهر من السماء، وعالم الملكوت ما لا يشاهد، كما فوق السماء من العرش والكرسي والملائكة وغير ذلك، وعالم الجبروت هو عالم الأسرار، وعالم العزة هو ما استأثر الله بعلمه، كعلم ذاته وصفاته ومراداته.

قوله: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ بالرفع والنصب، قراءتان سبعيتان، فالرفع إما على الابتداء والخبر، أو على أن ﴿لَا﴾ عاملة عمل ليس، والخبر على كلا الإعرابين. قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. فتكون الجملة مستأنفة منقطعة عما قبلها، والنصب على أنها عاملة عمل إن، لأن أصغر وأكبر شبيهان بالمضاف، تعلق بهما شيء من تمام معناهما، وهو العمل في الجار والمجرور، وهاتان القراءتان هنا فقط، وأما في سبأ فبالرفع باتفاق السبعة.

قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الاستثناء منقطع، والمعنى لكن جميع الأشياء في كتاب مبين، فهو استدراج على ما يتوهم نفيه لأن قوله لا يعزب عن ربك الخ. ربما يتوهم منه أنه لم يحط بها غير علم الله، فدفع ذلك بقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي لكن جميع الأشياء مثبتة في كتاب مبين أيضاً، ولا يصح أن يكون متصلاً، لأنه يصير المعنى لا يغيب عن علمه شيء في حال من الأحوال، إلا في حال كونه مثبتاً في كتاب مبين فيغيب، فيفيد أن ما في الكتاب غائب عن علم الله وذلك باطل، وهذا الإشكال لا يرد إلا على جعل قوله ولا أصغر ولا أكبر، معطوفاً على مثقال، وأما إن جعل مستأنفاً كما تقرر، فلا يرد الإشكال فتأمل.

قوله: ﴿أَلَا﴾ أداة تنبيه، يؤتى بها ليتنبه السامع لما بعدها، ويعتني بها لعظمه. قوله: ﴿أَوْلِيَاءَ اللهِ﴾ جمع ولي من الولاء، وهو العز والنصر، سموا بذلك لأنهم هم المنصورون بالله المعزوزون به، لا يطمعون في شيء سوى القرب منه، وولي فعيل، إما بمعنى فاعل، أي متولي خدمة ربه بكل ما أمكنه، بروحه

﴿ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ الله بامتثال أمره ونهيه ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فسرت في حديث

وجسمه ودنياه، أو بمعنى مفعول، أي تولى الله إكرامه وعطاياه ونفحاته، فلم يكله لشيء سواه، فحيث تولى الخدمة، تولاه الله بالنعمة والنفحة، وهو سر قوله في الحديث: «يا دنيا من خدمني فاخدميه» فحينئذ صار معنى الولي المنهمك في طاعة ربه، الذي أفيضت عليه الأنوار والأسرار؛ لما ورد «من تقرب مني شبراً، تقربت منه ذارعاً، ومن تقرب مني ذراعاً، تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي، أتيته هرولة» وعلامة الولي كما في الحديث: «سئل رسول الله عن علامة الأولياء فقال: هم الذين ادارؤوا ذكر الله تعالى» وسبب ذلك ظهور أنوار المعرفة الكائنة في قلوبهم على ظواهرهم وذلك سر قوله تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السُّجود﴾ وقال أبو بكر الأصم: أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم، وتولوا القيام بحق العبودية لله تعالى والدعوة إليه، والولي من الولاء، وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب إلى الله بكل ما افترض الله عليه، ويكون مشتغلاً بالله، مستغرق القلب في نور معرفة جلال الله تعالى، فإن رأى، رأى دلائل قدرة الله، وإن سمع، سمع آيات الله، وإن نطق، نطق بالثناء على الله، وإن تحرك، تحرك في طاعة الله، وإن اجتهد اجتهد فيما يقربه إلى الله، لا يفتر عن ذكر الله، ولا يرى بقلبه غير الله، فهذه صفات أولياء الله، وإذ كان العبد كذلك، كان الله وليه وناصره ومعينه، قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾. وروي عن ابن مالك الأشعري قال: «كنت عند النبي ﷺ فقال: إن لله عباداً، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء، بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة، قال: وفي ناحية القوم أعرابي، فجثا على ركبته ورمى بيديه ثم قال: حدثنا يا رسول الله عنهم، من هم؟ قال: فرأيت في وجه رسول الله البشرى، فقال: هم عباد من عباد الله، ومن بلدان شتى، لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها، ولا دنيا يتباذلون بها، يتحابون بروح الله، يجعل الله وجوههم نوراً، وجعل له منابر من لؤلؤة قدام الرحمن، يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون». وروي عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله أناساً، ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله، قالوا: يا رسول الله تخبرنا بأمرهم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾». وروي عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: ﴿إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم﴾.

قوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لحفظ الله لهم في الدنيا من الأسباب التي توجب الخوف والحزن في الآخرة. قوله: (في الآخرة) أي لما في الحديث: «لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس». قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قدر المفسر (هم) إشارة إلى أن الاسم الموصول خبر لمبتدأ محذوف، وهذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما صفات أولياء الله؟ فأجاب: بأنهم الذين اتصفوا بالإيمان والتقوى، والمعنى أن أولياء الله هم الذين اتصفوا بالإيمان، وهو الاعتقاد الصحيح المبني على الدلائل القطعية والتقوى، وهي امتثال المأمورات واجتناب المنهيات على طبق الشرع، ولذا قال القشيري: شرط الولي أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً، فكل من كان للشرع عليه اعتراض، فهو مغرور مخادع، وقال الإمام الشافعي وأبو حنيفة: إذا لم تكن العلماء أولياء الله، فليس

صحيحه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ الجنة والثواب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا خلف لمواعيده ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك لست مرسلاً وغيره ﴿إِنَّ﴾ استئناف ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾ القوة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ بالفعل فيجازيهم وينصرك ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ عبيداً وملكاً

لله ولي، وذلك في العالم العامل بعلمه. قوله: **(فسرت في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة)** إلخ. أي لأنه لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات، وهي الرؤيا الصالحة. وفي الحديث: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» وقيل: المراد بالبشرى في الحياة الدنيا، نزول الملائكة بالبشارة من عند الله عند الموت، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿تتنزَّل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم تُوعَدُون﴾ وقيل: البشرى في الحياة الدنيا الثناء الحسن، ومحبة الخلق لهم، لما ورد عن أبي ذر: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه، قال: «عاجل بشرى المؤمن» وورد أيضاً «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل فيقول له: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» قال بعض المحققين: إذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نوراً فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه، فيظهر عليه آثار الخشوع والخضوع، فيحبه الناس ويثنون عليه، فتلك عاجل بشراه، بمحبة الله له ورضوانه عليه، وقيل: البشرى في الحياة الدنيا ظهور الكرامات وقضاء الحوائج بسهولة، فكلما توجه العبد المحبوب لشيء من أموره قضي عاجلاً، والأحسن أن يراد بالبشرى في الدنيا جميع ما تقدم وأعظمها التوفيق لخدمة الله، وراحة الجسد في طاعة الله، وانشراح الصدر لذلك، وأما البشرى في الآخرة فالجنة وما فيها من النعيم الدائم، قال تعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾. قوله: **(لا خلف لمواعيده)** أي التي وعد الله بها أولياءه وأهل طاعته، في كتابه وعلى ألسنة رسله، والمعنى لا تغيير لذلك الوعد. قوله: **﴿ذٰلِكَ﴾** أي الوعد المتقدم من كونهم **﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَلَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾** وكون هذا الوعد لا يتغير ولا يتبدل. قوله: **﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** أي الظفر بالمقصود الكامل الذي لا يضاهى.

قوله: **﴿وَلَا يَحْزُنْكَ﴾** إما بفتح الياء وضم الزاي من باب نصر، أو بضم الياء وكسر الزاي من باب أكرم، قراءتان سبعيتان، والمعنى لا تهتم بأقوالهم ولا تحزن لها، فإن الله معزك وناصرك، وهذا تسلية له ﷺ عما يلقاه من أذاهم، وتبشير له بالنصر والظفر بالمقصود. قوله: **(استئناف)** أشار بذلك إلى أن الوقف تم عند قوله: **﴿قَوْلُهُمْ﴾** وقوله: **﴿إِنَّ الْعِزَّةَ﴾** إلخ. كلام مستأنف من كلام الله تعالى في قوة التعليل لقوله: **﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾** أو واقع في جواب سؤال مقدر تقديره: إن الله أمره بعدم الحزن من أجل قولهم، مع أن أقوالهم توجب الحزن، فأجاب الله تعالى: بأن العزة لله يعطيها لمن يشاء، فأقوالهم لا تفيد شيئاً، فحينئذ لا يبالي بهم ولا بقولهم.

قوله: **﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾** أي الغلبة والسلطنة الكاملة ثابتة لله، يخلعها على من يشاء، ولذا قال في سورة المنافقون ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ قوله: **﴿جَمِيعاً﴾** حال من العزة. قوله: **(فيجازيهم)** أي

وخلقاً ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره أصناماً ﴿شُرَكَآءَ﴾ له على الحقيقة تعالى عن ذلك ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ يكذبون في ذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجاز لأنه يبصر فيه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ سماع تدبر واتعاظ ﴿قَالُواْ﴾ أي اليهود والنصارى ومن زعم

على ما قدموا من خير وشر. قوله: (وينصرك) أي على من عاداك، وهذا يقال لكل من سلك طريقة سيد المرسلين وعمل بمقتضاها، وتعرض له الحساد بالإيذاء، فيقال له يحزنك قولهم وعيبهم وحسدهم، لأن العزة مملوكة وثابتة لله يعطيها لمن أراد، فلا تنزعج منهم ولا تلتفت لهم.

قوله: ﴿أَلَا﴾ أداة تنبيه. قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ من واقعة على العاقل، فالمراد بمن في السموات والملائكة، وبمن في الأرض الإنس والجن، وخصهم بالذكر لشرفهم، وليعلم أن غيرهم من باقي المخلوقات، مملوكون لله بالطريق الأولى، وهذا هو الحكمة في تعبيره في الآية الأولى بما وفي هذه الآية بمن، أو يقال في الحكمة: إن التغاير إشارة إلى أن الخلق جميعاً في قبضته، ومملوكون له سبحانه وتعالى، فإن ما مستعملة في غير العاقل كثيراً، ومن بالعكس، فأفاد أن جميع ما في السموات وما في الأرض، مملوكون له حقيقة.

قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ﴾ ﴿مَا﴾ نافية، ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ فعل مضارع، و ﴿الَّذِينَ﴾ فاعل، و ﴿يَدْعُونَ﴾ صلته، و ﴿وَمِنْ دُونَ اللهِ﴾ متعلق بيدعون، و ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول ﴿يَتَّبِعُ﴾ ومفعول ﴿يَدْعُونَ﴾ محذوف قدره المفسر بقوله: (أصناماً) والمعنى لا يتبع الذين يعبدون غير الله أصناماً شركاء حقيقة، فالمنفي كونها شركاء حقيقة، وأما ادعاؤهم الشركة لله فثابت، وهذا نتيجة قوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ فيصير المعنى حيث ثبت أن له جميع ما في السموات وما في الأرض عقلاء وغيرهم، تحقق وثبت أنه ليس له شريك أصلاً، إذ ليس شيء مما جعلوه إلهاً خارجاً عن السموات والأرض، فكيف يكون المملوك شريكاً تعالى الله عن ذلك.

قوله: ﴿إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي لأنهم مقلدون لآبائهم، حيث قالوا: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدونَ﴾. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يُخْرُصُونَ﴾ هذا من حصر الموصوف في الصفة، أي ليس لهم صفة إلا الكذب، والخرص في الأصل الحرز والتخمين، والمراد منه هنا الكذب، كما أفاده المفسر. قوله: (يكذبون في ذلك) أي اتباعهم الظن. قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ هذا من جملة الأدلة القطعية، على أنه واحد لا شريك له، وفي هذه الآية احتباك، حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر، فحذف من الأول وصف الليل وهو مظلماً وذكر حكمته، وحذف من الثاني الحكمة وذكر وصفه، والأصل هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً لتبتغوا وتتحركوا فيه. قوله: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي لتستريحوا من تعب النهار. قوله: (مجاز) أي عقلي من الإسناد للظرف.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي الجعل المذكور. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك. قوله: (أي اليهود) أي حيث قالوا: ﴿عزير ابن الله﴾، وقوله: (والنصارى) أي قالوا: ﴿المسيح ابن

أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى لهم ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له عن الولد ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن كل أحد وإنما يطلب الولد من يحتاج إليه ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ﴾ حجة ﴿بِهَٰذَآ﴾ الذي تقولونه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ استفهام توبيخ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ بنسبة الولد إليه ﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ لا يسعدون لهم ﴿مَتَٰعٞ﴾ قليل ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ يتمتعون به مدة حياتهم ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ بعد الموت ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿وَٱتۡلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أي كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾ ويبدل منه ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ شق ﴿عَلَيۡكُم مَّقَامِي﴾ لبثي فيكم ﴿وَتَذۡكِيرِي﴾ وعظي إياكم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ

الله﴾ (ومن زعم) أي وهم مشركو العرب. قوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي تقدس وتنزه عن ذلك، قال تعالى: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذولداً﴾ الآية. قوله: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، وهو دليل لما قبله.

قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰواتِ﴾ إلخ. دليل لقوله: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾. قوله: (استفهام توبيخ) أي تقريع وتهديد لهم. قوله: ﴿قُلْ﴾ أمر من الله لنبيه ﷺ، أن ينبههم على سوء عاقبتهم، لعلهم ينزجرون عما هم عليه. قوله: (لا يسعدون) أي لا يفوزون بمطلوبهم، بل هم خائبون خاسرون، وإن تكاثرت عليهم النعم فمآلها للزوال. قوله: ﴿مَتَاعٌ﴾ مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله: (لهم) وحينئذ فالوقف على قوله: ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ وهذا جواب عما يقال: إنا نراهم في حظوظ كثيرة، وسعة عيش وسلامة بدن، وغير ذلك من أنواع النعم الدنيوية، فدفع ذلك بقوله: ﴿مَتَاعٌ﴾(قليل) فلا يستمر، وليس بنافع في الآخرة. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي بسبب كفرهم.

قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى، أحوال كفار قريش، وما كانوا عليه من القبائح، وما وعظهم الله به على لسانه ﷺ، شرع في ذكر ما وقع للأنبياء مع أممهم، ليكون ذلك تسلية له ﷺ، وعبرة للكفار لعلهم يؤمنون. قوله: ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ أي بعض نبئه، إذ لم يذكر جميع خبره، وتقدم أن اسمه عبد الغفار بن لمك بن متوشلخ بن إدريس، ونوح لقبه، وبينه وبين إدريس ألف سنة، وقدم قصة قوم نوح، لأنهم أول الأمم هلاكاً، وأشدهم كفراً. قوله: ﴿كَبُرَ﴾ بضم الباء في المعاني، وأما في الأجسام فهو بكسر الباء. قوله: ﴿مَقَامِي﴾ بفتح الميم باتفاق السبعة، وقرىء شذوذاً بضمها، فالأول ثلاثي، والثاني رباعي، وهو من باب الإسناد المجازي، وحق الإسناد أن يكون للذات، نظير ثقل عليَّ ظله. قوله: (لبثي فيكم) أي مكثي بينكم. قوله: ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ إلخ. الواو بمعنى مع، والمعنى إن كان عظم عليكم مكثي بينكم، مع تذكيري بآيات الله، فأجمعوا أمركم إلخ، وذلك لأنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى توحيد الله، ففي الحقيقة الذي شق عليهم، إنما هو دعاؤه إلى التوحيد، ونصيحته لهم، لأن النصيحة لا يقبلها إلا الطبع السليم. قوله: ﴿فَعَلَى الله تَوَكَّلْتُ﴾ أي وثقت به لا بغيره، وفوضت أموري إليه.

﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾ اعزموا على أمر تفعلونه بي ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ الواو بمعنى مع ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مستوراً بل أظهروه وجاهروني به ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾(٧١) تمهلون فإني لست مبالياً بكم ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ ثواب عليه فتولوا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٧٢) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي من معه ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ في الأرض ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾(٧٣) من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذبك ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كإبراهيم وهود

قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ هذا هو جواب الشرط، وجملة ﴿فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتراض بين الشرط وجوابه، ولا يصح أن تكون جواباً، لأن لا يحسن ترتبها على الشرط، إذ هو متوكل على الله دائماً، وأجمعوا بهمزة القطع هنا باتفاق السبعة، وهو يتعدى بنفسه وبحرف الجر، وأما ما يأتي في طه في قوله: **(فأجمعوا كيدكم)** فبهمزة الوصل والقطع قراءتان سبعيتان، فأجمع بهمزة القطع، مستعمل في المعاني كثيراً، وبهمزة الوصل في الأجسام كثيراً، يقال: أجمعت أمري، وجمعت جيشي. قوله: **(اعزموا)** أي صمموا ولا ترددوا. قوله: **(على أمر تفعلونه)** أي كهلاكي. قوله: **(الواو بمعنى مع)** أي فشركاءكم منصوب على المعية، لا معطوف على أمركم، لأن الشركاء ذوات، لا يتسلط عليه أجمعوا إلا بقلة، ويصح النصب بإضمار فعل لائق، والتقدير فأجمعوا أمركم، واجمعوا شركاءكم، بهمزة الوصل على حد: علفتها تبناً وماء بارداً، أو بقدر مضاف في المعطوف، والتقدير أمر شركائكم.

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي لا يكن أمركم مخفياً، بل أظهروا ما في ضمائركم، فإني لست مبالياً بكم، لأن توكلي على ربي، فالغمة مأخوذة من قولهم: غم الهلاك إذا خفي على الناس. قوله: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي أدوا إلي ما اردتموه وأوصلوه لي، وقرىء شذوذاً ثم أفضوا إلي بقطع الهمزة وبالفاء، من أفضى بالشيء، إذا انتهى إليه وأسرع، والمعنى ثم أسرعوا إلي بما عزمتم عليه. قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي دمتم على التولي والكفر، وجواب الشرط محذوف تقديره فلا ضرر علي، وقوله: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ﴾ إلخ، تعليل لذلك المحذوف. قوله: **(ثواب عليه)** أي على التذكير. قوله: **(فتولوا)** منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، وفيه حذف إحدى التاءين، والأصل فتتولوا. قوله: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ﴾ أي ثوابي عليه لا على غيره، فأطلبه منه، قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي المنقادين لامتثال أوامره واجتناب نواهيه، في نفسي وتبليغ غيري.

قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي داموا واستمروا على تكذيبه. قوله: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ أي أعقبنا تكذيبه النجاة له ولمن آمن معه. قوله: ﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي من الإنس، وكانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة. قوله: ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ تقدم أنه يستعمل مفرداً وجمعاً. قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي صيرناهم قوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ إنما أخره ذكره، والإنجاء إشارة إلى أن الرحمة سابقة على الغضب، ولتعجيل المسرة لمن يمتثل الأمر. قوله: **(فكذلك نفعل بمن كذبك)** هذا هو المقصود من ذكر هذه القصص. قوله: ﴿رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ أي فكل رسول

وصالح ﴿ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ المعجزات ﴿ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ﴾ أي قبل بعث الرسل إليهم ﴿ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ ﴾ نختم ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ ﴿٧٤﴾ فلا تقبل الإيمان كما طبعنا على قلوب أولئك ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ ﴾ قومه ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ التسع ﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ عن الإيمان بها ﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٧٦﴾ بين ظاهر ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ﴾ إنه لسحر ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا ﴾ لتردنا ﴿ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ ﴾ الملك ﴿في

بعث إلى قومه. قوله: (كإبراهيم) أي فكذبوه وآذوه، حتى رموه في النار. قوله: (وهود) أي فكذبوه وآذوه، فأهلكهم الله. قوله: ﴿فَجَاؤُوهُمْ﴾ أي جاء الأنبياء لأقوامهم ملتبسين بالآيات.

قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أي لا يصح ولا يستقيم لهؤلاء الإيمان، فالمراد بعدم الإيمان، الإصرار على الكفر والتكذيب. قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل هذا الطبع. قوله: (فلا تقبل الإيمان) أي لوجود الحجاب المانع منه، ففي الحقيقة لا يمكنهم الإيمان، إن كانوا في الظاهر مختارين. قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هذا عطف قصة على قصة، وخاص على عام، لمزيد الغرابة في وقائع موسى مع فرعون، وكل هذا تسلية له ﷺ. قوله: ﴿مُوسى وَهٰرُونَ﴾ أي فكل منهما رسول إلى فرعون وقومه، لكن هارون وزير لموسى ومعين له، قال تعالى حكاية عن موسى: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني﴾الآية. وهذا لا ينافي أن كلاً منهما رسول من عند الله، فمن أنكر رسالة واحد منهما كفر.

قوله: ﴿وَمَلَئِهِ﴾ تقدم أن الملأ بالقصر والهمز، الأشراف الذين يملؤون العيون بمهابتهم، والمجالس بأجسامهم، والقلوب بجلالهم، ولكن المفسر فسرهم هنا بالقوم، فحينئذ يكون المراد بهم ما يشمل الأتباع، وقيل المراد بالملإ خصوص الأشراف، وخصوا بالذكر لأن غيرهم تبع لهم، فإذا آمن الرؤساء آمن الأتباع، وإذا كفروا كفر الأتباع. قوله: (التسع) تقدم منها في الأعراف ثمانية: العصا واليد والسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وستأتي التاسعة هنا في قوله:﴿ربنا اطمس على أموالنا﴾ الآية. قوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق له. قوله: (عن الإيمان بها) أي بتلك الآيات التسع، وفي نسخة بهما، أي موسى وهارون.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ أي الآيات التسع، ففيه إظهار في مقام الإضمار، وفي الحقيقة أصل نزاعهم ودعواهم، أن ما جاء به سحر، إنما هو في اليد والعصا. قوله: ﴿إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ هذه المقالة وقعت منهم بعد مجيء السحرة، وابتلاع العصا حبال السحرة وعصيهم. قوله: ﴿قَالَ مُوسَى﴾ أي رداً عليهم بثلاث جمل، الأولى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾(إنه لسحر) الثانية: ﴿أَسِحْرٌ هٰذَا﴾. الثالثة: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾. قوله: (إنه لسحر)مقول لقوله: ﴿أَتَقُولُونَ﴾ حذف لدلالة ما قبله عليه، ولأنه لا ينبغي أن يذكر. قوله: (وقد أفلح من أتى به) الجملة حالية. قوله: ﴿وَلَا يُفْلِح السَّاحِرُونَ﴾ أي لا يفوزون بمطلوبهم، والجملة حالية من فاعل ﴿أَتَقُولُونَ﴾. قوله: (للإنكار) أي فالمعنى لا يليق، ولا ينبغي أن يقال هذا الكلام.

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ مصدقين ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾ فائق في علم السحر ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بعدما قالوا له إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ حبالهم وعصيهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا﴾ استفهامية مبتدأ خبره ﴿جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ بدل وفي قراءة بهمزة واحدة إخبار فما موصول مبتدأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ أي سيمحقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿وَيُحِقُّ﴾ يثبت ويظهر ﴿ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾

قوله: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا**﴾ لما لم يجدوا حجة يعارضونه بها، رجعوا للتقليد المحض، فقالوا ما ذكر قوله: ﴿**عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾ أي من عبادة الأصنام. قوله: ﴿**وَتَكُونَ**﴾ معطوف على تلفتنا، أي ولتكون. قوله: (**الملك**) أي وسمي بالكبرياء، لأنه أكبر ما يطلب من أمور الدنيا، ولأنه يورث الكبرياء والعز. قوله: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ**﴾ ليس هذا مرتباً على ما تقدم، فإن هذا القول وقع في ابتداء القصة، فالمقصود هنا بيان ذكر القصة لا بقيد ترتبها، فإن الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً.

قوله: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ**﴾ عطف على محذوف تقديره فأتوا بالسحرة. قوله: (**بعدما قالوا له**) إلخ. أشار بذلك إلى أنه معطوف على محذوف، وأصل الكلام، فلما جاء السحرة، وجمعوا حبالهم وعصيهم، وقالوا لموسى: إما أن تلقي، وإما أن نكون نحن الملقين، قال موسى الخ. قوله: ﴿**مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ**﴾ أبهمه إشارة إلى تحقيره. قوله: ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوا**﴾ أي السحرة، وتقدم أنهم كانوا ثمانين ألفاً. قوله: (**حبالهم وعصيهم**) أي وتقدم أنها كانت حمل ثلاثمائة بعير. قوله: (**استفهامية**) أيْ أيّ شيء جئتم به؟ وهو للتوبيخ والتحقير. قوله: (**بدل**) أي من ما الاستفهامية، وأعيدت همزة الاستفهام، لتكشف استفهام المبدل منه، على حد قول ابن مالك: وبدل المضمن الهمز يلي همزاً كمن ذا أسعيد أم علي

قوله: (**بهمزة واحدة إخبار**) أي بإسقاط همزة الاستفهام، ووجهت هذه القراءة، بأن ما اسم موصول مبتدأ، وصلتها ﴿**جِئْتُمْ بِهِ**﴾ والخبر ﴿**السِّحْرُ**﴾، والحاصل: أن في همزة السحر الثانية وجهين، التسهيل والمد اللازم بقدر ثلاث ألفات، وهاتان القراءتان على جعل ما استفهامية، وخبرها ﴿**جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ**﴾ بدل من ماء، وأما على إسقاطها فالجملة خبرية، وما اسم موصول مبتدأ، ﴿**جِئْتُمْ بِهِ**﴾ صلته، ﴿**والسِّحْرُ**﴾ خبر، وتحذف همزة أل عند الدرج. قوله: (**سيمحقه**) أي فلا يبقى له أثر أصلاً.

قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ**﴾ إلخ. تعليل لقوله: ﴿**سَيُبْطِلُهُ**﴾. قوله: ﴿**وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ**﴾ عطف على قوله: ﴿**سَيُبْطِلُهُ**﴾. قوله: ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾ أي الكافرون. قوله: ﴿**فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ**﴾ الذرية اسم يقع على القليل من القوم. قوله: (**أي فرعون**) أشار بذلك إلى أن الضمير في قومه، عائد على فرعون، والمراد بذرية قومه، ناس يسير، منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون، وخازنه وأولاد خازنه، وما شطته، وقيل: إن الضمير عائد على موسى، وهم ناس من بني إسرائيل نجوا من قتل فرعون، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل بني إسرائيل، كانت المرأة من بني إسرائيل، إذا ولدت ابناً وهبته لقبطية، خوفاً عليه من القتل، فنشأوا بين القبط، فلما كان اليوم الذي غلب موسى فيه السحرة آمنوا به، وقيل: هم بنو إسرائيل وهو الأقرب.

طائفة ﴿مِّن﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِۦ﴾ أي فرعون ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يصرفهم عن دينه بتعذيبه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ متكبر ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أرض مصر ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ اتخذا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أتموها ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ بالنصر والجنة ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ آتيتهم ذلك

قوله: ﴿عَلَى خَوْفٍ﴾ أي مع خوف. قوله: ﴿وَمَلَئِهِمْ﴾ أي يملأ الذرية التي نشأوا بينهم، على التفسير الثاني، وأقاربهم حقيقة، على التفسير الأول الذي ذكره المفسر. قوله: ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ أي فرعون، وأفرد لأنه هو المباشر للفتنة والخوف من الملأ كان بواسطته هو. قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ أي تطميناً لقلوبهم، وهذا يؤيد أن الضمير في قومه عائد على موسى، وقد يجاب عن المفسر بأنه سماهم قومه من حيث إنه مرسل لهم. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ﴾ جوابه ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، والتقدير توكلتم عليه، أو هو شرط في الشرط، لأن الشرطين متى لم يترتبا في الوجود، فالشرط الثاني شرط في الأول. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ أي منقادين لأحكام الله. قوله: ﴿فَقَالُوا﴾ أي جواباً لموسى. قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾ إلخ، دعاء منهم لله سبحانه وتعالى. قوله: **(أي لا تظهرهم علينا)** أي لا تجعلهم ظاهرين علينا، وغالبين لنا. قوله: ﴿وَنَجِّنَا﴾ أي خلصنا. قوله: ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾ أي إحسانك وإنعامك. قوله: ﴿مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي الجاحدين لآياتك. قوله: ﴿أَنْ تَبَوَّآ﴾ يحتمل أن أن تفسيرية لوجود ضابطها، وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، ويحتمل أنها مصدرية، أي أوحينا التبوء، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى وأخيه، أن يتخذا لقومهما مساكن بأرض مصر يتوطنون بها ويعبدون الله فيها، رغماً عن أنف عدوهم فرعون، وهذا طمأنينة للقوم، فإنهم كانوا خائفين من فرعون. قوله: ﴿لِقَوْمِكُمَا﴾ الأقرب أن اللام زائدة في المفعول الأول، وبيوتاً مفعول ثان. قوله: ﴿بِمِصْرَ﴾ متعلق بتبوآ، والمراد بمصر القديمة.

قوله: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي اجعلوا مساكنكم مصلى، والمراد بالقبلة مكان التوجه لله، لا خصوص الفجوة المعلومة، واختلف في قبلتهم، قيل: هي الكعبة، وقيل بيت المقدس. قوله: **(وكان فرعون منعهم من الصلاة)** أي في أول أمرهم، فأمر الله موسى ومن معه، أن يصلوا في بيوتهم خفية، لئلا يظهروا عليهم ويؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم، وذلك كما كان عليه المسلمون في أول الإسلام بمكة. قوله: **(أتموها)** أي بشروطها وأركانها المعلومة عندهم. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي قومك الذين آمنوا بك، وهذا خطاب لموسى وحده، لأن البشارة على لسانه، وما قبله من قوله: واجعلوا، وأقيموا، خطاب لموسى وقومه لاشتراكهم في ذلك.

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ أي لما رأى فرعون وقومه، طغوا وبغوا، ولم ينقادوا للإسلام، واستمروا على

﴿لِيُضِلُّواْ﴾ في عاقبته ﴿عَن سَبِيلِكَ﴾ دينك ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ امسخها ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع عليها استوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ ﴿٨٨﴾ المؤلم دعا عليهم وأمن هارون على دعائه ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فمسخت أموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ في استعجال قضائي، روي أنه مكث بعدها أربعين سنة ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ

الكفر والعناد، جاءه الإذن من الله بالدعاء عليهم، وقدم سبب الدعاء، وهو بطر النعم، إذ هو من أعظم المعاصي الموجبة لغضب الله وسلب النعم. قوله: ﴿زِينَةً﴾ هي عبارة عما يتزين به من اللباس والمال والأمور الجميلة، قال ابن عباس: كان من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة، جبال فيها ذهب وفضة وزبرجد وياقوت. قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ كرره تأكيداً للأول، وتلذذاً بخطاب الله. قوله: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ متعلق بآتيت في كلام الله، وأما قول المفسر (آتيتهم ذلك) إنما هو تتميم للجملة المؤكدة، واللام للعاقبة والصيرورة، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: (في عاقبته). قوله: ﴿عَنْ سَبِيلِكَ﴾ أي طاعتك وتوحيدك.

قوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أي أزل صورها وهيئاتها، قال قتادة: بلغنا أن أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة، ودنانيرهم ودراهمهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً أو أنصافاً أو أثلاثاً، وهذا الطمس آخر الآيات التسع. قوله: ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي أربط عليها، حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان، وإنما دعا بذلك، لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهما أنهم لا يؤمنون، فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم، فكان ترجماناً عن الله، وأما الدعاء على الكافر المجهول العاقبة بموته على الكفر فلا يحل. قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ عطف على ﴿لِيُضِلُّوا﴾ فيكون منصوباً، أو هو مجزوم بجعل لا دعائية. قوله: (دعاء عليهم) الأقرب أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره هذا دعاء عليهم. أي قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ إلخ، ودفع بذلك ما قيل إنه خبر، وليس من جملة الدعاء فتأمل. قوله: (وأمن هارون على دعائه) أي والمؤمن أحد الداعيين، فصحت التثنية في قوله: ﴿دَعْوَتُكُمَا﴾ وهو جواب عما يقال إن الداعي موسى، فلم ثنى الضمير في دعوتكما. قوله: (فمسخت أموالهم) أي الدنانير والدراهم والنخيل والزروع والثمار والخبز البيض وغير ذلك، وقيل: مسخت صورهم أيضاً، فكان الرجل مع أهله فصارا حجرين، والمرأة قائمة تخبز صارت حجراً، وهذا قول ضعيف، لأن موسى دعا على أموالهم، ولم يدع على أنفسهم بالمسخ.

قوله: ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ أي دوما على الاستقامة. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ خطاب لموسى وهارون، والمراد غيرهما على حد: لئن أشركت ليحبطن عملك، والمعنى لا تسلكا طريق الجاهلين، الذين يظنون أنه متى دعا الإنسان، أجيب بعين مطلوبة في الحال، لأن الإجابة على مراد الله، فربما يجاب الشخص بغير مطلوبه، أو تتأخر إجابته، لحكم يعلمها الله، وفي ﴿تَتَّبِعَانِّ﴾ ثلاث قراءات سبعيات، تشديد النون مع تشديد التاء فقط، وتخفيفها مع تشديد التاء وتخفيفها. فعلى الأولى: تكون النون للتوكيد الثقيلة، وكسرت تشبيهاً بنون المثنى، والفعل مجزوم بحذف النون. وعلى الثانية والثالثة تكون الجملة اسمية، والنون نون الرفع، والتقدير وأنتما لا تتبعان. قوله: (روي أنه) أي نزول العذاب بهم، مكث

إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ﴾ لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ مفعول له ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾ أي بأنه وفي قراءة بالكسر استئنافاً ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ كرره ليقبل منه فلم يقبل ودس جبريل في فمه من حمأة البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ تؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٩١﴾ بضلالك وإضلالك عن

أربعين سنة من حين الدعوة، وهذا التأخير لحكمة يعلمها الله.

قوله: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ﴾ إلخ لما استجاب الله دعاء موسى وهارون، بالطمس على أموالهم، والربط على قلوبهم، أوحى الله إلى موسى وهارون، أن أسر بعبادي، واخرج بهم من أرض مصر، وورد أن يعقوب لما دخل مصر مع ذريته، لاجتماعهم بيوسف، كانوا اثنين وسبعين، فلما خرج موسى بهم، كانوا ستمائة الف، وكان فرعون غافلاً عن ذلك، فلما سمع أنهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته، خرج في عقبهم، فلما أدركهم قالوا لموسى: أين المخلص، والبحر أمامنا والعدو وراءنا، فلما قربوا، أوحى الله إليه أن أضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق، فقطعه موسى وبنو إسرائيل، فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم، وكان معه ثمانمائة الف حصان على لون حصانه، سوى سائر الألوان، وكان يقدمهم جبريل على فرس أنثى، وميكائيل يسوقهم حتى لا يبقى منهم أحد، فدنا جبريل بفرسه، فلما وجد الحصان ريح الأنثى، لم يتمالك فرعون نفسه، فنزل البحر وتبعه جنوده، حتى إذا اكتملوا جميعاً في البحر، وهم أولهم بالخروج، انطبق عليهم، وحصان بوزن كتاب، وجمعه حصن ككتب، كذا في القاموس.

قوله: ﴿وَجَاوَزْنَا﴾ من المجاوزة وهي التخطية والتعدية، والمعنى جعلناهم مجاوزين البحر، بأن جعلناه يبساً وحفظناهم حتى بلغوا الشط. قوله: ﴿الْبَحْرَ﴾ أي بحر السويس. قوله: **(لحقهم)** أي مشى خلفهم. قوله: ﴿بَغْياً﴾ أي في الأقوال ﴿وَعَدْواً﴾، أي في الأفعال ففرعون متعد على بني إسرائيل، بالأقوال الكاذبة والأفعال الجائرة. قوله: **(مفعول له)** أي لأجله، ويصح نصبهما على الحال، أي باغين ومتعدين.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ غاية لاتباعه. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(استئنافاً)** أي واقعاً في جواب سؤال مقدر، أو على إضمار القول، والتقدير قائلاً إنه إلخ. قوله: **(كرره ليقبل منه)** أي كرر الإقرار بالإيمان ثلاث مرات. قوله: ﴿آمَنْتُ﴾، وقوله: ﴿أَنَّهُ﴾ إلخ، وقوله: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. قوله: **(فلم يقبل)** أي فمات على كفره، وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما قيل من أنه مات مؤمناً، فلا يلتفت له. قوله: **(ودس جبريل)** أي بأمر من الله، وهو لا يسأل عما يفعل، وذلك نظير أمرنا بقتل الكفار، وبهذا تعلم جواب إشكال الفخر الرازي في هذا المقام. قوله: **(من حمأة البحر)** بسكون الميم وتحريكها، وهي الطين الأسود. قوله: **(مخافة أن تناله الرحمة)** أي وليس من أهلها لسابق علم الله بعدم إيمانه. إن قلت: ما الحكمة في عدم قبوله مع كون الإيمان وقع منه ثلاث مرات؟ أجيب بأجوبة، منها: أنه إنما آمن عند نزول العذاب، وهو حينئذ غير نافع، قال تعالى: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ ومنها: أن الإيمان بالله، من غير إقرار للرسول بالرسالة غير نافع، وفرعون لم

الإيمان ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴾ نخرجك من البحر ﴿بِبَدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ﴾ بعدك ﴿ءَايَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثـل فعلك، وعن ابن عباس أن بعض بني إسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم ليروه ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ لا يعتبرون بها ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا ﴾ أنزلنا ﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ منزل كرامة وهو الشام ومصر ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ بأن آمن بعض وكفـر بعض ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿٩٣﴾ من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين ﴿ فَإِن كُنتَ ﴾ يا محمد ﴿ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ من القصص فرضاً

يقر برسالة موسى عليه السلام، فلم يصح إيمانه. ومنها: أن قوله: ﴿آمَنْتُ﴾ ليس قاصداً به الإيمان حقيقة، بل قصد به النجاة من البحر على حكم عادته، إذا أصابته مصيبة رجع واستجار. وحكي أن جبريل عليه السلام، أتى لفروعون بفتوى: ما قول الأمير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمته، فكفر نعمته، وجحد حقه، وادعى السيادة دونه؟فكتب فرعون فيه. يقول أبو العباس الـوليد بن مصعب: جـزاء العبد الخارج على سيده، الكافر نعمته، أو يغرق في البحر، فلما غرق، رفع جبريل إليه خطه. قوله: **(وقال له)** معطوف على قوله ودس، وقدره إشارة إلى أن قوله: ﴿آلآنَ﴾ ظرف لمحذوف، والجملة مقول لذلك القول المقدر.

قوله: ﴿آلآنَ﴾ استفهام توبيخ وتقريع. قوله: ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ الجملة الحالية، والمعنى آلآن تتوب، وقد ضعيت الإيمان في وقته الذي يقبل فيه، وهو غير وقت العذاب. قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ بالتشديد والتخفيف، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿بِبَدِنْكَ﴾ حال من الضمير في ﴿نُنَجِّيكَ﴾ والمعنى فاليوم نخرجك من البحر، ملتبساً ببدنك فقط، لا مع روحك كما هو مطلوب، وقيل المراد بالبدن الدرع، لأن له درعاً كان يعرف بها، فلما ألقي على وجه الأرض وعليه درعه عرفوه. قوله: **(فيعرفوا عبوديتك)** أي ويبطلوا دعوى ألوهيتك، لأن الإله لا يموت ولا يتغير. قوله: **(شكوا في موته)** إنما وقع منهم الشك، لشدة ما حصل في قلوبهم من الرعب منه، فأمر الله البحر فألقاه على الساحل أحمر قصيراً كأنه ثور، فرآه بنو إسرائيل فعرفوه، فمن ذلك الوقت لا يقبل المـاء ميتاً أبداً.

قوله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هذا امتنان من الله تعالى على بني إسرائيل بنعم عظيمة. قوله: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ أي أنزلناهم منزلاً حميداً صالحاً وإنما وصف المكان بالصدق لأن عادة العرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق يقولون هذا قدم صدق ورجل صدق. قوله: **(وهو الشام ومصر)** أي وقيل مصر فقط لأنها التي كانت تحت أيدي فرعون وقومه.

قوله: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ أي من فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل وذلك أنهم قبل مبعث النبي مؤمنين به غير مختلفين في نبوته لما يجدونه مكتوباً عندهم فلما بعث اختلفوا فيه فآمن بعضهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وكفر بعض. قوله: ﴿حَتَّى جَاءَهُمْ الْعِلْمُ﴾ أي القرآن وذلك أن اليهود كانوا يخبرون بمبعثه وصفته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر. قوله: **(فرضاً)**

﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه، قال ﷺ لا أشك ولا أسأل ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ الشاكين فيه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ فلا ينفعهم حينئذ ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أريد أهلها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول العذاب بها ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمنوا﴾ عند رؤية العذاب ولم يؤخروا إلى

جواب عما يقال إن الشك محال على رسول الله فأجاب بأنه على فرض المحال، وأجيب أيضاً بأن الخطاب له والمراد غيره، وهذا هو الأتم في تلك الآيات.

قوله: ﴿**فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُون**﴾ إلخ أي فإن ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم. قوله: (**يخبروك**) مجزوم في جواب الأمر وهو اسأل. قوله: ﴿**لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ**﴾ أي اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقاً، وهذا كلام منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره والله لقد جاءك الحق إلخ. قوله: ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ أي دم على ما أنت عليه من عدم الشك والإمتراء قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ**﴾ أي ثبت حكمه وقضاؤه بموتهم على الكفر فلا يأتي منهم الإيمان أصلاً إذ لا معقب لحكمه سبحانه وتعالى. قوله: ﴿**حَتَّى يَرَوْا**﴾ غاية في النفي. قوله: (**فلا ينفعهم حينئذ**) أي كفرعون وأضرابه.

قوله: ﴿**فَلَوْلَا**﴾ أشار المفسر بقوله: (**هلا**) إلى أنها تحضيضية، وهو للتوبيخ مع النفي، وكان فعل ماض تام، و ﴿**قَرْيَةٌ**﴾ فاعلها، و ﴿**آمَنَتْ**﴾ صفة قرية، وقوله: ﴿**فَنَفَعَهَا**﴾ معطوف على ﴿**آمَنَتْ**﴾ عطف مسبب على سبب، والمعنى لم تكن قرية من تلك القرى التي تقدمت قوم يونس كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى آمنت، فيتسبب على إيمانها كونه نافعاً لها، والحاصل: أن الآية تضمنت تحضيضاً وتوبيخاً ونفياً، فالنفي راجع لمن مضى، والتوبيخ والتحضيض راجعان لمن يسمع. قوله: (**أريد أهلها**) أشار بذلك إلى أن في الكلمة مجازاً مرسلاً من باب تسمية الحال باسم المحل، لا مجازاً بالحذف.

قوله: ﴿**إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ**﴾ أشار المفسر إلى أن الاستثناء منقطع، حيث عبر بلكن، وضابط الاستدراك موجود، وهو رفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه، فأتى به هنا لدفع توهم أنهم كغيرهم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب، فرفع ذلك التوهم، بأن قوم يونس آمنوا قبل نزول العذاب، بل عند حضور أماراته، ولذلك نفعهم إيمانهم، وأما غيرهم، فلم يؤمن قبل نزوله، أعم من أن يكون آمن وقت نزوله، أو لم يؤمن أصلاً. قوله: (**ولم يؤخروا إلى حلوله**) أي بل عجلوا الإيمان عند ظهور أماراته وحاصل قصتهم، على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم، قالوا: إن قوم يونس كانوا بقرية تسمى نينوى من أرض الموصل، وكانوا أهل كفر وشرك، فأرسل الله عز وجل إليهم يونس عليه السلام، يدعوهم إلى الإيمان بالله، وترك عبادة الأصنام، فدعاهم فأبوا عليه، فقيل له أخبرهم أن العذاب يصحبهم إلى ثلاث، فأخبرهم بذلك، فقالوا: إنا لم نجرب عليه كذباً قط، فانظروا، فإن بات فيكم فليس بشيء، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم؛ فلما كان جوف الليل، خرج يونس من بين أظهرهم، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب، فكان فوق رؤوسهم. قال ابن عباس: إن العذاب كان أهبط على قوم يونس، حتى لم

حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٩٨﴾ انقضاء آجالهم ﴿وَلَوْ
شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا۟
مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ لا ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ العذاب.

يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثي ميل، فلما دعوا كشفه الله عنهم، وقال قتادة: قدر ميل، وقال سعيد بن جبير: غشى قوم يونس العذاب، كما يغشى الثوب الغبر، وقال وهب: غامت السماء غيماً أسود هائلاً، يدخن دخاناً شديداً، فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحتهم، فلما رأوا العذاب أيقنوا بالهلاك، فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه، فقذف الله في قلوبهم التوبة، فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم، ولبسوا المسوح، وأظهروا الإيمان والتوبة، وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب، فحن البعض للبعض، فحنت الأولاد إلى الأمهات، والأمهات إلى الأولاد، وعلت الأصوات، ولجؤوا جميعاً إلى الله تعالى، وتضرعوا إليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس، وتابوا إلى الله وأخلصوا النية، فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم، وكشف ما نزل بهم من العذاب بعدما أظلهم، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء، وكان يوم الجمعة، قال ابن مسعود: بلغ من توبتهم، أنهم ردوا المظالم فيما بينهم، حتى انه كان الرجل يأتي إلى الحجر، وقد وضع عليه أساس بنائه فيقلعه فيرده، وروى الطبراني بسنده قال: لما غشي قوم يونس العذاب، مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له: إنه قد نزل بنا العذاب فما ترى؟ قال: قولوا يا حي حين لا حي، ويا حي يحيي الموتى، ويا حي لا إله إلا أنت. فقالوها فكشف الله عنهم العذاب، ومتعوا إلى حين، وقال الفضيل بن عياض: إنهم قالوا: اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت، وأنت أعظم وأجل، فافعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله، فلما خرج يونس جعل ينتظر العذاب، فلم ير شيئاً، فقيل له: ارجع إلى قومك، قال: وكيف أرجع إليهم فيجدوني كذاباً؟ وكان كل من كذب ولا بينة له قتل، فانصرف عنهم مغاضباً فنزل في سفينة فلما بلغت وسط البحر وقفت، وكان من عادتهم أن السفينة لا تقف إلا إذا كان فيها عبد أبق، فضربوا القرعة فخرجت على يونس، فألقوه في البحر فالتقمه الحوت، فنادى في الظلمات: أن لا إله إلا أنت سبحانك، إن كنت من الظالمين، فاستجاب الله نداءه، وأخرجه من بطن الحوت ضعيفاً فأنبت الله عليه شجر القرع، ورجع إلى قومه وكانوا يزيدون عن مائة الف، ففرحوا به وأحبوه وآمنوا به، فهنيئاً لمن رجع إلى مولاه، وندم على ما جناه فإن الله يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات. قوله: **(انقضاء آجالهم)** تفسير للحين، ودفع بذلك ما قيل: إن قوم يونس من المنظرين لا يموتون إلا عند النفخة الأولى، فأجاب المفسر: بأن معنى الحين انقضاء آجالهم.

قوله: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾** مفعول شاء محذوف، أي إيمان جميع الناس. قوله: **﴿كُلُّهُمْ﴾** توكيد لمن، و **﴿جَمِيعاً﴾** حال منها، والمعنى لو أراد الله إيمان من في الأرض لآمنوا كلهم، حال كونهم مجتمعين. قوله: **﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتحزن على عدم إيمانهم وتتأسف عليه، أفأنت تكره إلخ. قوله: **(لا)** أي لست بمكره للناس على الإيمان، والمعنى ليس عليك إلا البلاغ، لا خلق الإيمان في قلوبهم وإكراههم عليه، فإن الأمر لله لا خالق سواه.

قوله: **﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ﴾**، إلخ، بيان وتعليل لما قبله، والمعنى ما ثبت لنفس من الأنفس

﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٠٠﴾ يتدبرون آيات الله ﴿قُلِ﴾ لكفار مكة ﴿ ٱنظُرُواْ مَاذَا ﴾ أي الذي ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ ﴾ جمع نذير أي الرسل ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ في علم الله أي ما تنفعهم ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنتَظِرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم أي مثل وقائعهم من العذاب ﴿ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ ذلك ﴿ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية ﴿ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ من العذاب ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ الإنجاء ﴿ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٠٣﴾ النبي ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أي أهل مكة ﴿ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي ﴾ أنه حق ﴿ فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره وهو الأصنام لشككم فيه ﴿ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ يقبض أرواحكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي بأن ﴿ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿و﴾ قيل لي ﴿ أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ مائلاً إليه ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

أن تؤمن في حال من الأحوال، إلا في حال إرادة الله الإيمان لها. قوله: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ معطوف على محذوف، والتقدير فيريد الله الإيمان للبعض ويجعل الرجس، إلخ. قوله: ﴿قُلِ انْظُرُوا﴾ بضم اللام وكسرها، قراءتان سبعيتان، فالضم على نقل ضمة الهمزة إلى اللام، والكسر على أصل التخلص، والمعنى تفكروا وتأملوا واتعظوا. قوله: **(من الآيات)** بيان لما. قوله: ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ﴾أي المذكورة في قوله: ﴿مَاذَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ففي الكلام إظهار في مقام الإضمار، والمعنى لا تنفع الآيات والنذر قوماً لا يؤمنون. قوله: **(أي مثل وقائعهم من العذاب)** أي وهو القتل بالسيف. قوله: ﴿فَانْتَظِرُوا﴾**(ذلك)** أي مثل وقائع الأمم السابقة.

قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ بالتشديد باتفاق العشرة، وثبوت الياء لفظاً وخطاً. قوله: ﴿رُسُلَنَا﴾ أي على سبق على محمد. قوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ صفة لمصدر محذوف، أي إنجاء مثل ذلك الإنجاء، والعامل فيه ﴿نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ و ﴿حَقّاً عَلَيْنَا﴾ جملة معترضة بين العامل والمعمول. قوله: ﴿نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالتخفيف والتشديد، تحذف منه الياء لفظاً وخطاً. قوله: **(حين تعذيب المشركين)** أي في الدنيا والآخرة. قوله: **(أي أهل مكة)** أي الكفار المعارضون. قوله: ﴿مِنْ دِينِي﴾ أي الذي جئت به عن ربي قوله: **(إنه حق)** بدل من ديني، والمعنى إن كنتم في شك من حقية ديني وصحته، فلا أعبد الخ. قوله: **(لشككم فيه)** أي في دين الحق، أي فالحامل لكم على عبادة غير الله، شككم في حقيقة ديني، وأما أنا فليس عندي شك في حقّيته فلذلك لا أعبد غير الله، فكفرهم بالشك لأنه لا يأتي منهم إنكار كون الله حقاً، ودين الإسلام حقاً، على سبيل الجزم بذلك، لقيام الأدلة العقلية على ذلك. قوله: ﴿الذي يَتوفَّاكُمْ﴾ خص هذا الوصف بالذكر، تهديداً وتخويفاً لهم.

قوله: ﴿أَنْ أَكُونَ﴾ أن مصدرية مجرورة بالباء المقدرة كما قال المفسر، أي بكوني من المؤمنين المصدقين بما جاء من عند الله، لأنه مرسل لنفسه، فهو واجب عليه الإيمان بما أرسل به. قوله: ﴿أَنْ أَقِمْ﴾ قدر المفسر القول إشارة إلى أن ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه، في محل نصب مقول لذلك القول. قوله: **(مائلاً إليه)** أي مخلصاً له العمل ظاهراً وباطناً، فعلى المكلف أن يتخلق بخلق رسول الله، بأن لا يميل

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴿ وَلَا تَدْعُ ﴾ تعبد ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾ إن عبدته ﴿ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ إن لم تعبده ﴿ فَإِن فَعَلْتَ ﴾ ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ وَإِن يَمْسَسْكَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ يصبك ﴿ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ ﴾ دافع ﴿لِفَضْلِهِۦ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي بالخير ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ ﴿١٠٨﴾ فأجبركم على الهدى ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ﴾ فيهم بأمره ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ ﴿١٠٩﴾ أعدلهم وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية.

لغير الله ظاهراً وباطناً، يكون كله لله، فلا يشرك معه غيره أصلاً، لا في الظاهر، ولا في الباطن، فكما أن الخالق لا شريك له فيما خلقه، كذلك ينبغي للمخلوق أن لا يشرك في عبادته غيره.

قوله: ﴿ **وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ**﴾ أي غيره. قوله: (**فرضاً**) جواب عما يقال: إن عبادة النبي غير الله مستحيلة، فكيف يخاطب بذلك، أجاب المفسر: بأن ذلك على سبيل الفرض والتقدير وأجيب أيضاً: بأن الخطاب له والمراد غيره. قوله: ﴿**فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ**﴾ أي لا دافع ولا مانع له، إلا الله حقيقة، فنسبة النفع أو الضر لغير الله، باعتبار أن الله أجرى على أيديهم ذلك، لا باعتبار أنهم الخالقون له، فإن ذلك لهم من هذه الحيثية كفر.

قوله: ﴿**وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ**﴾ عبر في جانب الخير بالإرادة دون المس، إشارة إلى أن الخير، لا يتوقف إتيانه على سبب وتهيىء من العبد، بخلاف الضرر، فلا بد من تقدم سببه، قال تعالى:﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾. قوله: ﴿**وَهُوَ الْغَفُورُ**﴾ أي الستار للذنوب الماحي لها. قوله: ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ أي المنعم الغفور المنجي من النار، بسبب محو الذنوب، والرحيم المدخل للجنة بسبب الإنعام والإحسان. قوله: ﴿**الْحَقُّ**﴾ أي القرآن ومن جاء به، وهو النبي ﷺ. قوله: (**لأن ثواب اهتدائه له**) أي فلا يصل لله ممن كفر ضر، ولا ممن آمن نفع، تنزه سبحانه وتعالى عن أن يتكمل بمخلوق. قوله: (**لأن وبال ضلاله عليها**) أي عذاب ضلاله على نفسه، فلا يشاركه أحد لا في هداية نفسه، ولا في ضلاله، بل كل امرىء بما كسب رهين. قوله: ﴿**بِوَكِيلٍ**﴾ أي بحفيظ موكول إلى أمركم، وإنما أنا بشير. قوله: (**فأجبركم على الهدى**) أي أكرهكم عليه.

قوله: ﴿**مَا يُوحَى إِلَيْكَ**﴾ أي من القرآن. قوله: (**على الدعوة**) أي دعائك إياهم للإيمان. قوله: (**وأذاهم**) أي لك، فكان رسول الله يسمع سبه بأذنه ولا يتكلم. قوله: (**أعدلهم**) أي فلا يخطىء في حكمه أصلاً، وأما غيره فتارة يخطىء في حكمه، وتارة يعدل، فأفعاله سبحانه وتعالى دائرة بين الفضل والعدل، فإثابته المؤمن بالفضل، وتعذيبه العاصي بالعدل. قوله: (**بالقتال**) أي الجهاد، وأشار المفسر بذلك إلى قول ابن عباس: إن هذه الآية منسوخة بآية القتال، والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ هُودٍ

مكيّة

إلا ﴿أقم الصلوة﴾ الآية. أو إلا ﴿فلعلك تارك﴾ الآية. ﴿وأولئك يؤمنون به﴾ الآية
وهي مائة واثنتان أو ثلاث وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة هود مكية

إلا ﴿أقم الصلوة﴾ الآية. أو إلا ﴿فلعلك تارك﴾ الآية. ﴿وأولئك يؤمنون به﴾ الآية.
وهي مائة واثنتان أو ثلاث وعشرون آية

بالصرف وتركه، فإن لوحظ أنه اسم للسورة منع الصرف، وإن لوحظ أن المراد السورة المذكورة فيها هود صرف، ومثل ذلك يقال في سورة نوح، لأن الأسماء مصروفة، وسورة مبتدأ أخبر عنه بخبرين: قوله: **(مكية)** وقوله: **(مائة)**. قوله: **﴿إلا أقم الصلوة﴾** التلاوة بالواو، فالصواب أن يقول إلا وأقم الصلوة إلخ، وهذا قول ابن عباس: وقوله: **﴿وإلا فلعلك﴾** إلخ، هو قول مقاتل، فالحاصل أن المدني عند ابن عباس آية واحدة وهي وأقم الصلاة الآية، وعند مقاتل آيتان. قوله: **﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾** الآية. وقوله: **﴿أولئك يؤمنون به﴾** الآية. قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** تقدم أن هذا هو الأسلم في تفسير الحروف المقطعة.

قوله: **﴿كِتَابٌ﴾** خبر المحذوف قدره المفسر بقوله: **(هذا)** يدل عليه قوله في آية أخرى **﴿ذلك الكتاب﴾** واسم الإشارة يصح عوده على ما ذكر في هذه السورة فقط، أو على جميع القرآن، وتقدم ذلك. قوله: **﴿أُحْكِمَتْ﴾** صفة لكتاب، إما من الإحكام أي الإتقان، ففعله متعد، والمعنى أتقنت آياته لفظاً ومعنى، فلا يحيط بمعنى آيات القرآن غيره تعالى، ولم يوجد تركيب بديع الصنع عديم النظير نظير القرآن، أو الهمزة للنقل من حكم بضم الكاف، بمعنى جعلت حكمية. قوله: **﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾** يحتمل أن ثم لمجرد الإخبار، والمعنى أخبرنا الله بأن القرآن محكم أحسن الإحكام، مفصل أحسن التفصيل، كما تقول: فلان

خَبِيرٍ﴾ (١) أي الله ﴿أن﴾ أي بأن ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ﴾ (٢) بالثواب إن آمنتم ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ ثُمَّ تُوبُوٓاْ ﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُمَتِّعْكُم﴾ في الدنيا ﴿ مَّتَٰعًا حَسَنًا ﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ هو الموت ﴿وَيُؤْتِ ﴾ في الآخرة ﴿ كُلَّ ذِى فَضْلٍ ﴾ في العمل ﴿فَضْلَهُۥ﴾ جزاءه ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ فيه حذف إحدى التاءين أي تعرضوا ﴿ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ (٣) هو يوم القيامة ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) ومنه الثواب والعذاب. ونزل كما رواه البخاري عن ابن عباس فيمن كان يستحيي أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء، وقيل في المنافقين ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ

كريم الأصل، ثم كريم الفعل، ويحتمل أنها للترتيب الزماني بحسب النزول لأنها أحكمت أولاً حين نزلت جملة واحدة، ثم فصلت ثانياً، بحسب الوقائع. قوله: ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ صفة ثانية لكتاب، وفيه طباق حسن، لأن حكيم يناسب أحكمت، وخبير يناسب فصلت، ويصح أن يكون من باب التنازع، أعمل الأول وهو أحكمت، وأضمر في الثاني وحذف، والأحسن الأول.

قوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ الأحسن أن ﴿أَنْ﴾ تفسيرية لوجود ضابطها، وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهو قوله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾. قوله: ﴿مِنْهُ﴾ يصح عود الضمير على الله، أو على الكتاب. قوله: (إن كفرتم) أي دمتم على الكفر. قوله: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا﴾ عطف على قوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ والسين والتاء للطلب، والمعنى اسألوه الغفران لذنوبكم فيما مضى، وقوله: ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي في المستقبل، لأن شرط التوبة الندم على ما فات، والإقلاع في الحال، والعزم على عدم العود في المستقبل، فلا يقال: إن الاستغفار هو التوبة، بل بينهما التغاير.

قوله: ﴿يُمَتِّعْكُمْ﴾ جواب الأمر. قوله: (بطيب عيش) أي في أمن وراحة ورضا، فمن تاب في ذنوبه وأخلص عبادة ربه عاش في أمن وراحة ورضا، وإن ضيقت عليه الدنيا، فهي رفع درجات له، بوجود رضا الله عليه، ومن لم يتب وأصر على المعاصي والكفر، عاش في خوف ونصب وسخط، وإن وسعت عليه ملاذ الدنيا، ألا لا خير في عيش بعده النار، وحينئذ فلا ينافي هذا، كون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. قوله: (فيه حذف إحدى التاءين) أي والأصل تتولوا. قوله: (أي تعرضوا) أي عن الأوامر والنواهي، وتدوموا على الكفر، وجواب الشرط محذوف، والتقدير فلا تلوموا إلا أنفسكم، وقوله: ﴿فَإِنِّي أَخَافُ﴾ إلخ تعليل للجواب المحذوف.

قوله: ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي فلا مفر لكم منه. قوله: (ومنه الثواب) أي من الشيء المقدور عليه. قوله: (فيمن كان يستحيي) أي من المسلمين. قوله: (أن يتخلى) أي يقضي حاجته من البول والغائط. قوله: (فيفضي) معطوف على (يتخلى) وتنزيل الآية على حكم هذا القول، باعتبار تعليم التوحيد والمراقبة، كأن الله يقول لهم: لا تظنوا أن تغطيتكم تحجبكم عن الله، بل الله يعلم ما تسرون وما تعلنون، فلا ينافي أن التغطية عند التخلي والجماع مندوبة، وليس المراد ذمهم على هذا الفعل، إذ هو مطلوب حياء من الله والجن والملائكة. قوله: (وقيل في المنافقين) قال ابن عباس: نزلت في الأخنس بن شريق في منافقي مكة، وكان رجلاً طلق الكلام، حلو المنظر، وكان يلقى رسول الله بما يحب، وينطوي

﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾ أي الله ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها ﴿يَعْلَمُ﴾ تعالى ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٥﴾ أي بما في القلوب ﴿وَمَا مِن﴾ زائدة ﴿دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هي ما دب عليها ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بعد الموت أو الرحم ﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝٦﴾ بين هو اللوح المحفوظ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

بقلبه على ما يكره، وقيل: كان الرجل من الكفار، يدخل بيته، ويرخي ستره، ويحني ظهره، ويستغشي بثوبه، ويقول الكفر، ويظن أن الله لا يعلمه في تلك الحالة.

قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ من الثني وهو طي الشيء ليكون مستوراً، فالمراد يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر ليكون مخفياً مستوراً وأصله يثنيون، نقلت ضمة الياء إلى ما قبلها، ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الواو، وهذا المعنى على أن سبب النزول في المنافقين، وأما على أنه فيمن يستحي، حال قضاء الحاجة والجماع، فالمراد بثني الصدر، انحناؤه بظهره حال قضاء الحاجة، وتغطيته بثوبه حين قضاء الحاجة والجماع، فتأمل. قوله: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ هذا هو علة ثني الصدر على ما فيه.

قوله: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي يأوون إلى فراشهم ويرتدون ثيابهم. قوله: ﴿مَا يُسِرُّونَ﴾ أي في قلوبهم وقوله: ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي بأفواههم. قوله: **(أي بما في القلوب)** أي فالمراد بالصدور والقلوب وما فيها هو الخواطر، فأطلق المحل وأريد الحال فيه. قوله: **(وما من دابة)** النكرة في سياق النفي تعم، فدخلت جميع الدواب عاقلة وغير عاقلة. قوله: **(وهي ما دب عليها)** أي مشى وسار. قوله: ﴿إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ ليس المراد أن ذلك واجب عليه، تنزه وسبحانه وتعالى، بل المراد أنه التزم به وتكفل به التزاماً لا يتخلف، ففي الحقيقة على بمعنى من، إنما التعبير بعلى، ليزداد العبد ثقة بربه توكلاً عليه، وإن أخذ في الأسباب فلا يعتمد عليها، بل يثق بالله ويعتمد عليه، وليكن أخذه في الأسباب امتثالاً لأمره تعالى، لأن الله يكره العبد البطال، وخص دواب الأرض بالذكر، لأنهم المحتاجون للأرزاق، وأما دواب السماء، كالملائكة والحور العين، فليسوا محتاجين لذلك، بل قوتهم التسبيح والتهليل.

قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أتى بذلك دفعاً لما يتوهم من كونه متكفلاً لكل دابة في الأرض برزقها، أنه ربما يخفى عليه بعض أماكن تلك الدواب، فدفع ذلك التوهم بأنه يعلم مكان كل دابة، فلا تخفى عليه خافية، والمعنى أنه أحاط علمه بمكان كل دابة وزمانها. قوله: **(بعد الموت)** أي وهو القبر. قوله: ﴿كُلٌّ﴾ **(مما ذكر)** أي من الدابة ورزقها ومستقرها ومستودعها، فاللوح المحفوظ، أحاط بجميع أرزاق الدواب وأمكنتها وأزمنتها وأحوالها، وهذا من باهر قدرته تعالى، لزيادة طمأنينة العبيد، ومراجعة الملائكة الموكلين بالأرزاق، لا خوفاً من نسيانه، إذ هو مستحيل عليه. قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ﴾ هذا بيان لكونه قادراً على جميع الممكنات، وما تقدم بيان لكونه عالماً بالمعلومات كلها.

قوله: ﴿وَالْأَرْضَ﴾ أي وما فيها من الأقوات والحيوانات وغير ذلك، والكلام على التوزيع، إذ خلق السموات في يومين، والأرض في يومين، والأقوات في يومين، كما يأتي في سورة فصلت. قوله:

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ﴾ قبل خلقهما ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ وهو على متن الريح ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بخلق أي خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي أطوع لله ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ﴾ يا محمد لهم ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن الناطق بالبعث والذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٧﴾ بين، وفي قراءة ساحر، والمشار إليه النبي ﷺ ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى﴾ مجيء ﴿أُمَّةٍ﴾ أوقات ﴿مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ﴾ استهزاء ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ ما يمنعه من النزول، قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعاً ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٨﴾ من العذاب ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾

(أولها الأحد) تقدم أن هذا مشكل، لأنه لم يكن ثم زمان فضلاً عن تفصيله أياماً، فضلاً عن تخصيص كل يوم باسم، وتقدم الجواب عنه، بأن ذلك باعتبار ما تعلق به علمه سبحانه وتعالى، لأن كل شيء كان أو يكون، فهو في علمه على ما هو عليه، فالمعنى أولها الأحد الذي علم الله أنه يكون.

قوله: ﴿**عَلَى الْمَاءِ**﴾ أي لم يكن بينهما حائل، بل هو في مكانه الذي هو فيه الآن، وهو ما فوق السماوات السبع، والماء في المكان الذي هو فيه الآن، وهو تحت الأرضين السبع، وذلك أن أول ما خلق الله النور المحمدي، ثم خلق منه العرش، ونشأ الماء من عرق العرش، فخلق الله منه الأرضين والسماوات فالأرضون من زبده، والسماوات من دخانه. قوله: **(ليختبركم)** أي ليتميز المحسن من المسيء بتلك النعم، فمن شكر فهو المحسن، ومن كفر فهو المسيء، والمعنى ليظهر بين الناس المطيع فيثيبه في الآخرة على طاعته، والعاصي فيعاقبه في الآخرة على عصيانه. قوله: ﴿**أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب معمولة ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ**﴾ علق عنها بالاستفهام. قوله: ﴿**وَلَئِنْ قُلْتَ**﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، وإن حرف شرط، وقوله: ﴿**لَيَقُولَنَّ**﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط لتأخره، قال ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ما أخرت فهو ملتزم

وكذا يقال فيما بعده. قوله: ﴿**إِلَّا سِحْرٌ**﴾ أي كالسحر، فالكلام على التشبيه البليغ، من حيث إنه كلام مزين الظاهر، فاسد الباطن، قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ**﴾ أي الذي استعجلوه. قوله: ﴿**إِلَى أُمَّةٍ**﴾ أي طائفة من الأزمنة. قوله: **(معدودة)** أي قليلة. قوله: ﴿**لَيَقُولُنَّ**﴾ الفعل مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعله، وأعرب مع وجود نون التأكيد ولم يبن، لأن نون التوكيد تباشرة، إذ الأصل ليقولونن حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما والمحذوف لعلة كالثابت، وهذا بخلاف ليقولن المتقدم، فإنه مبني لمباشرة النون في اللفظ والتقدير. قوله: ﴿**مَا يَحْبِسُهُ**﴾ أي أي شيء يمنعه من النزول؟ وهذا الاستفهام على سبيل السخرية.

قوله: ﴿**أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ**﴾ ﴿**أَلَا**﴾ أداة افتتاح، داخلة على ليس في المعنى، و ﴿**يَوْمَ**﴾ معمول لخبر ليس، واسمها ضمير فيها يعود على العذاب، وكذلك فاعل ﴿**يَأْتِيهِمْ**﴾ ضمير يعود على العذاب،

الكافر ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كَفُورٌ ۝٩﴾ شديد الكفر به ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾ المصائب ﴿عَنِّىٓ﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ ۝١٠﴾ على الناس بما أوتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في النعماء ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ هو الجنة ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَن يَقُولُوا لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يصدقه كما اقترحنا ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ فلا عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٢﴾ حفيظ فيجازيهم ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي

والتقدير ألا ليس هو أي العذاب، مصروفاً عنهم يوم يأتيهم العذاب، ففي هذه الآية تقدم معمول خبر ليس عليها. قوله: (**من العذاب**) بيان لما.

قوله: ﴿**ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ**﴾ أي أخذناه قهراً. قوله: (**قنوط**) أي لقلة صبره وعدم رجائه في ربه. قوله: ﴿**لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي**﴾ أي على حسب عادة الدهر، ولا ينظر لفضل الله في ذلك، فهو مغضوب عليه على كل حال. قوله: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا**﴾ مستثنى من قوله: ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ**﴾ إلخ، وقد أشار المفسر، إلى أن هذا الاستثناء منقطع، حيث عبر بلكن، ويصح أن يكون متصلاً، باعتبار أن المراد بالإنسان الجنس لا واحد بعينه. قوله: ﴿**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**﴾ أي لذنوبهم. قوله: ﴿**وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ أي عظيم مدخولهم في الآخرة.

قوله: ﴿**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ**﴾ لعل تأتي للترجي في الأمر المحبوب، كما تقول: لعل الحبيب قادم، وتأتي للتوقع في الأمر المكروه، كما تقول: لعل العدو قادم، والآية من هذا الثاني، غير أن التوقع ليس على بابه، إذ مستحيل على رسول الله كتم بعض ما أمر بتبليغه والعزم على ذلك، بل المقصود منه الاستفهام الإنكاري، والتحضيض على التبليغ، مع عدم المبالاة بمن عاداه، كأن الله يقول لنبيه: بلغ ما أمرت به، ولو كره المشركون ذلك، ولا تترك التبليغ محافظة على عدم استهزائهم، وذلك أن رسول الله، كان إذا قرأ آية فيها سب المشركين وآلهتهم، نفروا وقالوا: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، ونحن نتبعك، فرد الله عليهم ذلك، حيث حضه على التبليغ، ونهاه عن الكتم. قوله: ﴿**بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ**﴾ أي وهو ما فيه سب آلهتهم.

قوله: ﴿**وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ**﴾ أي لا يكن منك ضيق صدر، بسبب استهزاء الكفار بك، فإن الله حافظك وناصرك عليهم وخاذلهم. قوله: ﴿**أَنْ يَقُولُوا**﴾ أي فقد قالوا: إن كنت صادقاً في الرسالة من عند الله الذي تصفه بالقدرة التامة، وأنك حبيبه وعزيز عنده، مع أنك فقير، فهلا أنزل عليك ما تستغني به أنت وأصحابك؟ وهلا أنزل عليك ملك يشهد لك بالرسالة؟ قوله: ﴿**كَنْزٌ**﴾ أي مال كثير، وسمي بذلك لأن شأنه أن يكنز. قوله: (**فلا عليك إلا البلاغ**) أي فلا تبال بقولهم، ولا تغتم منهم. قوله: (**حفيظ**) أي فيحفظك ويجازيهم.

القرآن ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ فإنكم عربيون فصحاء مثلي. تحداهم بها أولاً، ثم بسورة ﴿وَٱدْعُوا۟﴾ للمعاونة على ذلك ﴿ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ⑬ في أنه افتراء ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ ﴾ أي من دعوتموهم للمعاونة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ خطاب للمشركين ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ﴾ ملتبساً ﴿ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ وليس افتراء عليه ﴿وَأَن﴾ مخففة أي أنه ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ⑭ بعد هذه الحجة القاطعة ي

قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى بل والهمزة، والإضراب انتقالي، والهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجب. قوله: ﴿افْتَرَاهُ﴾ أي اختلقه من عند نفسه. قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا﴾ إلخ رد لما قالوه، والمعنى أنكم عربيون مثلي، فائتوا بكلام مثل هذا الكلام الذي جئت به، فإنكم تقدرون على ذلك، بل أنتم أقدر مني، لممارستكم الأشعار والوقائع. قوله: ﴿مِثْلِهِ﴾ نعت لسور، وإن كان بلفظ الإفراد، فإنه يوصف به: المثنى والجمع والمذكر والمؤنث. قوله: (تحداهم بها أولاً) أي بعد أن تحداهم بجميع القرآن كما في سورة الإسراء، قال تعالى:﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾الآية، ثم تحداهم بعشر سور كما هنا، ثم بسورة كما في البقرة ويونس فالإسراء قبل هود نزولاً ثم هود ثم يونس ثم البقرة. قوله: (على) أي الإتيان. قوله: (أي غيره) أي من الأصنام أو من جميع المخلوقات.

قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي أيها المشركون، وقوله: (أي من دعوتموهم) تفسير للواو في ﴿يَسْتَجِيبُوا﴾. قوله: ﴿بِعِلْمِ اللهِ﴾ أي فكما أن علمه لا يشابهه علم، كذلك كلامه لا يشابه كلام، لأن الكلام على حسب علم المتكلم، فكلما كان المتكلم متسع العلم، كان كلامه فصيحاً بليغاً، ولا أوسع من علم الله، لأنه أحاط بكل شيء علماً. قوله: (مخففة) أي واسمها ضمير الشأن. قوله: (أي اسلموا) أي فهو استفهام فيه معنى الطلب، لزوال العذر المانع من ذلك.

قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ اختلف في سبب نزولها، فقيل في اليهود والنصارى، وقيل في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله الغنائم، لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة، وقيل في المرائين، والحمل على العموم أولى، فيندرج فيه الكافر والمنافق والمؤمن، الذي يأتي بالطاعات على وجه الرياء والسمعة. قوله: ﴿وَزِينَتَهَا﴾ أي ما يتزين به فيها، من الصحة والأمن والسعة والرياسة، وغير ذلك. قوله: (بأن أصروا على الشرك) هذا شامل للقولين المتقدمين. قوله: (وقيل هي في المرائين) أي ومعنى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾ أي ابتداء، ثم بعد استيفاء ما عليه يخرج منها، ويدل على أن له هذا الوعيد الشديد ما روي، يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه، وهذا القول اختاره البيضاوي لحديث: «يقال لأهل الرياء: حججتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك، فقد قيل ذلك، ثم قال: إن هؤلاء أول من تسعر بهم النار» رواه أبو هريرة ثم بكى بكاء شديداً، ثم قال: صدق رسول الله﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ إلخ.

أسلموا ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أصر على الشرك، وقيل هي في المرائين ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي الدنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥﴾ ينقصون شيئاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُواْ﴾ ه ﴿فِيهَا﴾ أي الآخرة فلا ثواب له ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهو النبي ﷺ أو المؤمنون وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له يصدقه ﴿مِّنْهُ﴾ أي من الله وهو جبريل ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ التوراة شاهد له أيضاً ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال كمن ليس كذلك لا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي

قوله: ﴿نُوَفِّ﴾ بالنون مبنياً للفاعل وفيه ضمير يعود على الله، وبالياء مبنياً للمفعول ﴿وَأَعْمَالَهُمْ﴾ بالرفع نائب فاعل، والفاء مشددة على كل حال قراءتان: الأولى سبعية، والثانية شاذة. قوله: **(أي جزاء ما عملوه)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **(بأن نوسع عليهم رزقهم)** أي فهذا جزاء أعمالهم الحسنة في الدنيا، وأما في الآخرة فليس لهم في نظير ذلك شيء، قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ فجزاء الآخرة بالجنة ونعيمها مخصوص بالمؤمن. قوله: **(فلا ثواب له)** أي لأنهم استوفوا في الدنيا جزاء أعمالهم الحسنة، فليس لهم في الآخرة إلا العذاب، قال تعالى ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾. قوله: ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي في الدنيا من الخيرات.

قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ لما تقدم ذكر أوصاف أهل الدنيا الغافلين عن الآخرة وعاقبة أمرهم ذكر أوصاف أهل الآخرة، الذين يريدون بأعمالهم وجه ربهم، واسم الموصول مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر فيما يأتي بقوله: **(كمن ليس كذلك)** وجواب الاستفهام محذوف قدره بقوله: **(لا)** وقد صرح بهذين المحذوفين في قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾. قوله: **(بيان)** أي نور واضح ودليل ظاهر، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾. قوله: **(وهو النبي)** أي وعليه فالجمع للتعظيم في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، وقوله: **(أو المؤمنون)** والجمع فيها ظاهر، وفي نسخة والمؤمنون، وهي ظاهرة. قوله: **(وهو القرآن)** تفسير للبينة، وقد أخذ هذا التفسير مما يأتي في سورة البينة في قوله تعالى: ﴿حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة﴾.

قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ الضمير عائد على من. قوله: **(وهو جبريل)** تفسير للشاهد، والمعنى من كان متمسكاً بالحق، والحال أنه يتبعه شاهد من الله يصدقه على ذلك وهو جبريل، لأنه مقوي ومصدق للرسول، ويصح أن يكون المراد بالشاهد معجزات القرآن، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ إما عائد على الله أو على القرآن، والمعنى على هذا، ويتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله وهو الإعجاز في نظمه واشتماله على عجائب المغيبات في معناه، فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، كلاً أو بعضاً ويصح أن يراد بالشاهد، المعجزات الظاهرة على يد رسول الله مطلقاً.

قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ الجار والمجرور حال من كتاب موسى، الواقع معطوفاً على شاهد. قوله: **(شاهد له أيضاً)** الأوضح أن يقول يتلوه أيضاً، إذ هو المسلط عليه. قوله: ﴿إِمَاماً﴾ أي مقتدى به. قوله:

من كان على بينة من ربه ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي القرآن فلهم الجنة ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ جميع الكفار ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ المشركين ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ بإضلالهم غيرهم ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أي لفرط

﴿وَرَحْمَةً﴾ أي إحساناً ولطفاً لمن أنزل إليهم. قوله: (أي من كان على بينة من ربه) أشار بذلك إلى أن اسم الإشارة عائد على قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾.

قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ اسم الموصول راجع لقوله: (كمن ليس كذلك) فهو لف ونشر مرتب. قوله: ﴿فَلَا تَكُ﴾ أصله تكون، دخل الجازم فسكنت النون فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، وحذفت النون تخفيفاً. قوله: ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ بكسر الميم باتفاق السبعة، وقرىء شذوذاً بضمها وهي لغة قليلة، وهو خطاب للنبي والمراد غيره. قوله: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ أي الثابت والذي لا محيص عنه. قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ يفيد أن الأقل مؤمن، وهو كذلك في كل زمن إلى يوم القيامة، وإنما خص المفسر أهل مكة، لكون أصل الخطاب لهم. قوله: (أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، وهذا شروع في ذكر أوصافهم، وقد ذكر منها هنا أربعة عشر وصفاً أولها قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ وآخرها قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾.

قوله: ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ أي عرض فضيحة وهتك ستر. قوله: (وهم الملائكة) أي والنبيون والأصفياء. قوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ هذا من كلام الله تعالى بقوله لهم يوم القيامة، فيطردون بذلك عن الرحمة الصالحة في الآخرة، وليس المراد أنهم يطردون عن رحمة الدنيا. قوله: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي يمنعون الناس عن الدخول في دين الإسلام، والمعنى أنهم كما ضلوا في أنفسهم، يضلون غيرهم. قوله: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ أي ينسبونها للاعوجاج، والحال أنه قائم بقلوبهم.

قوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ أي فارين من عذاب الله، لأن الله وإن أمهلهم لا يهملهم. قوله: ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ من زائدة في اسم كان، والمعنى ليس لهم أنصار من غير الله، يمنعون عذاب الله عنهم. قوله: (بإضلالهم غيرهم) أشار بذلك إلى جواب سؤال، وأراد على الآية. وحاصله، أن المضاعفة مخصوصة بالحسنات، وأما السيئات فلا تضاعف. قال تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ فأجاب المفسر: بأن معنى المضاعفة الشدة، لأنهم يعذبون عذابين، عذاباً على ضلالهم في أنفسهم، وعذاباً في إضلالهم غيرهم. قوله: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ أي لم يقبلوه لوجود الحجاب على

كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ على الله من دعوى الشريك ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ ﴾ سكنوا واطمأنوا أو أنابوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ الكفار والمؤمنون ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ هذا مثل الكافر ﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ لا ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال تتعظون ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

قلوبهم. قوله: ﴿مَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أي لم يقدروا على ذلك.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي الذين لا يستطيعون السمع ولا الإبصار. قوله: **(من دعوى الشريك)** بيان لما. قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ اختلف العلماء في معنى لا جرم، على ثلاثة أوجه، أولها: أن لا نافية لأماني الكفار، وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت، وقوله: ﴿أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ الجملة في محل رفع فاعل بجرم، ويصير المعنى لا عبرة بأمانيهم بل حق، وثبت خسرانهم في الآخرة، وهذا الوجه أحسنها. ثانيها: أن لا كذلك، وجرم بمعنى كسب، وأن وما دخلت عليه، في تأويل مصدر مفعوله، والفاعل ما دل عليه السياق، والمعنى ما كسب لهم كفرهم وأمنياتهم إلا خسرانهم في الآخرة. ثالثها: أن لا جرم بمعنى لا بد، أي لا بد أنهم في الآخرة هم الأخسرون، فلا نافية للجنس وجرم اسمها مبني معها على الفتح، وجملة أنهم في محل رفع خبرها إذا علمت ذلك، فقول المفسر حقاً لم يوافق واحداً من هذه الثلاثة، إلا أن يقال إنه مر على الأول، ويكون حقاً مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف، والتقدير حق حقاً، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن في خمسة مواضع، ويقال في كل واحد منها ما قيل هنا.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لما ذكر الله أحوال الكفار، وما آل إليه أمرهم، أتبعهم بذكر المؤمنين، وما آل إليه أمرهم. قوله: ﴿وَأَخْبَتُوا﴾ من الإخبات وهو الخشوع والخضوع، ويتعدى باللام وإلى، فإن عدى باللام، فمعناه خشع وخضع، وإن عدى بإلى، فمعناه اطمأن وسكن، وقد اقتصر المفسر على هذا الثاني. قوله: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ التعبير بأصحاب، إشارة إلى أن أهل الجنة، مالكون لمنازلها ملكاً لا يحول ولا يزول. قوله: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ لما ذكر أحوال الكفار، وما هم عليه من الصمم والعمى عن اتباع الحق، وذكر أحوال المؤمنين، وما هم عليه من التبصر وسماع الحق واتباعه، أتبع ذلك بذكر مثل لكل فريق.

قوله: ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ﴾ هذا كناية عن كون الله سلبهم الانتفاع بالحق لسبق شقاوتهم في علم الله، والمراد من الأعمى والأصم ذات واحدة اتصفت بهذين الوصفين، فإنه هو الذي لا يقبل الهدى لمقصوده بأي وجه كان، ومثل ذلك يقال في نظيره، وهو البصير والسميع. قوله: ﴿مَثَلًا﴾ تمييز محول عن الفاعل، والأصل هل يستوي مثلهما. قوله: **(لا)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أعميتم وتركتم الهدى فلا تذكرون، فهو خطاب للمشركين الذين كانوا في زمنه ﷺ. قوله: **(فيه إدغام التاء)** إلخ، أي والأصل تتذكرون، أبدلت التاء الثانية ذالاً، وأدغمت في الذال، وفي قراءة سبعية بحذف إحدى التاءين تخفيفاً.

نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي﴾ أي بأني وفي قراءة بالكسر على حذف القول ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٥﴾ بين الإنذار ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٦﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ وهم الأشراف ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ ولا فضل لك علينا ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ أسافلنا كالحاكة والأساكفة ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ بالهمز وتركه أي ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف أي وقت حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فتستحقون به الاتباع منا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ جرت عادة الله في كتابه العزيز، أنه إذا أقام الحجج على الكفار، ووبخهم وضرب لهم الأمثال، يذكر لهم بعض قصص الأنبياء المتقدمين وأممهم، لعلهم يهتدون، وفي هذه السورة سبع قصص، الأولى: قصة نوح مع قومه، الثانية: قصة هود مع قومه. الثالثة: قصة صالح مع قومه. الرابعة: قصة إبراهيم مع الملائكة. الخامسة: قصة لوط مع قومه. السادسة: قصة شعيب مع قومه. السابعة: قصة موسى مع فرعون. وذكر هذه القصص على حسب الترتيب الزماني، وتقدم أن نوحاً اسمه عبد الغفار، ونوح لقبه، سمي بذلك لكثرة نوحه، لما ورد أنه رأى كلباً مجذوماً فقال له: إخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه أعبتني أم عبت الكلب، فكان ذلك عتاباً له، فاستمر ينوح ﷺ على نفسه، فسمي بذلك. قوله: **(أي بأني)** أشار بذلك إلى أن قراءة الفتح، على إضمار حرف الجر. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(على حذف القول)** أي ومتى وقعت إن بعد القول كسرت. قوله: ﴿مُبِينٌ﴾ أي بيِّن الإنذار وواضحه.

قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ هذا في قوة التعليل لقوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ﴾. قوله: ﴿أَلِيمٍ﴾ صفة لليوم، وأسنده له مبالغة على سبيل المجاز العقلي، وحق الإسناد للعذاب. قوله: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا﴾ أعلم أنهم احتجوا عليه بثلاث حجج، أولها قوله: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا﴾ وآخرها قوله: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ وقد أجابهم عنها إجمالاً بقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ إلخ. وتفصيلاً بقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ﴾ الخ. قوله: ﴿إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا﴾ أي آدمياً مثلنا. قوله: **(ولا فضل لك علينا)** أي لا مزية لك علينا، وهذا من فرط جهلهم، استبعدوا فضل الله على البشر، وظنوا أن الرسل لا يكونون إلا من الملائكة.

قوله: ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ إما جمع الجمع فهو جمع أرذل بضم الذال جمع رذل بسكونها، ككلب وأكلب وأكالب، أو جمع المفرد وهو أرذل، كأكبر وأكابر وأبطح وأباطح. قوله: **(كالحاكة)** جمع حائك وهو القزاز. قوله: **(والأساكفة)** جمع إسكاف وهو صانع النعال، وهذه عادة الله في الأنبياء والأولياء، أن أول من يتبعهم ضعفاء الناس لذلهم، فلا يتكبرن عن الإتباع. قوله: **(بالهمز وتركه)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(من غير تفكر فيك)** أي ولو تفكروا لما اتبعوك. قوله: ﴿مِنْ فَضْلٍ﴾ أي مزية من مال وغيره. قوله: **(في الخطاب)** أي في قوله: وما نرى لكم بل نظنكم.

قوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ هذا خطاب في غاية التلطف بهم. قوله: **(بيان)** أي حجة وبرهان. قوله:

﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ بيان ﴿ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً ﴾ نبوة ﴿ مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ ﴾ خفيت ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ أنجبركم على قبولها ﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ لا نقدر على ذلك ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مَالًا﴾ تعطونيه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿ أَجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ كما أمرتموني ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث فيجاريهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ عاقبة أمركم ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي ﴾ يمنعني ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي عذابه ﴿ إِن طَرَدتُّهُمْ ﴾ أي لا ناصر لي ﴿ أَفَلَا﴾ فهلا ﴿ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال تتعظون ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ ﴾ إني ﴿ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ﴾ تحتقر ﴿ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ قلوبهم ﴿إِنِّيٓ إِذًا ﴾ إن قلت ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا ﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ فيه ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾

﴿فَعَمِيَتْ﴾ أي النبوة أي خفيت عليكم. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(والبناء للمفعول)** أي والأصل أعماها الله عليكم أي أخفاها، فأطلق العمى وأريد لازمه وهو الخفاء، لأن الأعمى عليه الأشياء، فلا يهتدي ولا يهدي غيره، قوله: **(أنجبركم على قبولها)** أي لا قدرة لنا على إلزامكم إياها، والحال أنكم كارهون لها، بل الإيمان إنما هو بالرضا والتسليم الباطني، والمعنى أخبروني إن كنت على حجة ظاهرة من ربي وأعطاني نبوة من عنده، فأخفاها عليكم، أأجبركم على قبولها والإيمان بها، والحال أنكم كارهون منكرون لها، لا أستطيع ذلك، بل لا قدرة لي إلا على البلاغ.

قوله: **﴿إِلَّا عَلَى اللهِ﴾** أي فهو المتكفل لي بالثواب والعطايا. قوله: **(كما أمرتموني)** أي فقد قالوا لي: امنع واطرد هؤلاء الأسافلة عنك ونحن نتبعك، فإنا نستحي أن نجلس معهم في مجلسك، وهذا كما قالت قريش لمحمد ﷺ كما في سورة الأنعام، فنزل رداً عليهم **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾** الآية. قوله: **(فيجازيهم)** أي على ما قدموا من الأعمال الصالحة. قوله: **﴿تَجْهَلُونَ﴾** أي لا تحسنون خطاباً. قوله: **(أي لا ناصر لي)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: **﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أتأمروني بطردهم أفلا تذكرون.

قوله: **﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ﴾** هذا رد لقولهم: **﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا فَضْلٌ﴾** والمراد بخزائن الله، مغيباته التي لا يعلمها ولا يطلع عليها إلا هو. قوله: **﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾** رد لقولهم: **﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ﴾** إلخ، والمعنى ما قلت لكم إني أعلم الغيب فأطلع على بواطنكم. قوله: **﴿لَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾** رد لقولهم: **﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا﴾**. قوله: **﴿تَزْدَرِي﴾** أصله تزتري فقلبت تاء الافتعال دالاً. قوله: **﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً﴾** أي توفيقاً وهدى. قوله: **﴿اللهُ اعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾** أي من إيمان وكفر.

قوله: **﴿قَدْ جَادَلْتَنَا﴾** أي شرعت في جدالنا. قوله: **(به)** قدره إشارة إلى أن عائد الموصول محذوف، ويصح أن تكون ما مصدرية، والمعنى بوعدك إيانا. قوله: **(فيه)** أي في الوعد. قوله: **(تعجيله)** إشارة

تعجيله لكم فإن أمره إليه لا إليّ ﴿ وَمَآأَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ بفائتين الله لا ﴿ وَلَايَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ أي إغواءكم وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحي ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ قال تعالى: ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ﴾ أي كفار مكة ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلق محمد القرآن ﴿ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ﴾ إثمي أي عقوبته ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ من إجرامكم في نسبة الافتراء إليّ ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ من الشرك فدعا عليهم بقوله رب لا تذر على الأرض، الخ فأجاب الله دعاه وقال ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا

بذلك إلى أن مفعول شاء محذوف. قوله: **(بفائتين الله)** أي بفارين من عذابه. قوله: **(وجواب الشرط)** أي الأول، وهذا مرور على مذهب البصريين القائلين: إن جواب الشرط لا يتقدم عليه، وجوزه الكوفيون، وحينئذ يكون تقدير الكلام: إن كان الله يريد أن يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي، وذلك لأن القاعدة إذا اجتمع في الكلام شرطان، وجواب يجعل الجواب للثاني، والشرط الثاني وجوابه، جواباً عن الأول. قوله: **(أي كفار مكة)** هذا أحد قولين، والثاني وعليه أكثر المفسرين، أن هذه الآية من جملة قصة نوح. ويكون الضمير في **﴿افْتَرَاهُ﴾** عائداً على الوحي الذي جاءهم به نوح. قوله: **(أي عقوبته)** أشار بذلك إلى الكلام على حذف مضاف.

قوله: **﴿وَأُوْحِيَ﴾** الجمهور على أنه مبني للمفعول، وأنه بالفتح في تأويل مصدر نائب فاعل، وقرىء شذوذاً بالبناء للفاعل، وأنه بالكسر، إما على إضمار القول: أي أوحى الله إلى نوح قائلاً له إنه إلخ، أو بتضمين الإيحاء معنى القول. قوله: **﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾** أي لن يستمر على الإيمان إلا من ثبت إيمانه وحصل، فاندفع ما يقال إن فيه تحصيل الحاصل. قوله: **(فدعا [illegible] م)** أي بعد اليأس من إيمانهم، وحصول غاية المشقة له منهم، فكانوا يضربونه حتى يسقط، فيلقونه في اللبد ويلقونه في بيت يظنون موته، فيخرج في اليوم الثاني، ويدعوهم إلى الله تعالى، وكانوا يخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، وكان الوالد منهم يوصي أولاده بعدم اتباعه ويقول: قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوناً، فلا يقبلون منه شيئاً. فلما أوحي إليه بعدم إيمانهم دعا عليهم كما قال المفسر.

قوله: **﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾** يطلق مفرداً وجمعاً، والمراد هنا المفرد،، وكان طولها ثمانين ذراعاً، وعرضها خمسين، وطولها لجهة العلو ثلاثين ذراعاً والذراع إلى المنكب، وهذا أشهر الروايات، وقيل كان طولها ألفاً ومائتي ذارع، وعرضها ستمائة ذراع، وقيل غير ذلك، جعلها ثلاث طبقات، فالسفلى للوحوش والسباع والهوام، وفي الوسطى الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في العليا، وقيل السفلى للدواب والوحوش، والوسطى للإنس والعليا للطير، وأول ما حمله نوح الدرة، وآخر ما حمل الحمار، فلما أراد أن يدخل الحمار، أدخل صدره فتعلق إبليس بذنبه، فاستثقل رجلاه، وجعل نوح يقول: ويحك ادخل، فينهض فلا يستطيع حتى قال له: ادخل ولو كان الشيطان معك فدخل، فقال له نوح: ما أدخلك علي يا عدو الله؟ قال: ألم تقل أدخل وإن كان الشيطان معك؟ قال: اخرج عني يا عدو الله، قال: لا بد أن

﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ جماعة ﴿مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ استهزؤوا به ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ إذا نجونا وغرقتم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة مفعول العلم ﴿ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾ دائم ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية للصنع ﴿ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ باهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا ﴾ في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ أي ذكر وأنثى أي من كل أنواعها ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى وهو مفعول وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملها في

تحملني معك، هكذا قيل، وقيل إنه لم يحمله معه في السفينة وهو الصحيح، لأنه لم يثبت في حمله خبر صحيح، ومكث في صنع السفينة مائتي سنة، مائة في غرس الأشجار، ومائة في عملها وهي من خشب الساج. قوله: **(بمرأى منا وحفظنا)** دفع بذلك ما يقال إن ظاهره مستحيل لاستحالة الأعين، بمعنى الجارحة المعلومة على الله. فأجيب: بأن أطلق الملزوم وأراد اللازم، لأنه يلزم من كون الشيء بالأعين، أنه مبالغ في حفظه.

قوله: **﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** أي لا تراجعني في شأنهم، فإن الهلاك لا بد لهم منه، قوله: **(حكاية حال ماضية)** أي فالمضارع بمعنى الماضي. قوله: **﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾** الجملة حالية، والتقدير يصنع الفلك، والحال أنه كلما مر الخ استهزؤوا به، أي فقالوا صرت نجاراً بعد أن كنت نبياً، وكان يعمل السفينة في برية لا ماء فيها، واستهزاؤهم إما لكونهم لا يعرفون السفينة ولا الانتفاع بها، أو لكونهم يعرفونها، غير أنهم تعجبوا من صنعه لها في أرض لا ماء بها. قوله: **﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾** أي أنتم محل السخرية والاستهزاء، لأن من كان على أمر باطل فهو أحق بالاستهزاء والسخرية، ولا حاجة لكون الكلام من باب المشاكلة. قوله: **(موصولة)** أي وعلم عرفانية تنصب مفعولاً واحداً، ويصح أن تكون استفهامية، وعلم على بابها من كونها متعدية لاثنين، ويكون الثاني محذوفاً. قوله: **﴿عَذَابٌ﴾** أي وهو الغرق. قوله: **(غاية للصنع)** أي في قوله ويصنع الفلك.

قوله: **﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾** وكان من حجارة ورثه من أمه حواء، والأشهر أنه كان بالكوفة، على يمين الداخل مما يلي باب كندة، والتنور مما اتفق فيه لغة العرب والعجم كالصابون. قوله: **(للخباز)** أي وهي امرأة نوح، وكان فورانه وقت طلوع الفجر. قوله: **(وكان ذلك)** أي فوران التنور وغليانه. قوله: **(علامة لنوح)** أي على الطوفان، وكان في ثالث وعشرين من أبيب في شدة القيظ. قوله: **﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾** المراد بالزوجين كل اثنين، لا يستغني أحدهما عن الآخر، كالذكر والأنثى وقال لكل منهما زوج، والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وأنثى، قال الحسن: لم يحمل نوح معه إلا ما يلد أو يبيض، وأما ما سوى ذلك ما يتولد من الطين كالبق والبعوض، فلم يحمل منه شيئاً، وروى بعضهم: أن الحية والعقرب أتيا نوحاً وقالا: احملنا معك، فقال: إنكما سبب البلاء أحملكما، فقالا: احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك، فمن قرأ حين يخاف مضرتهما: ﴿سلام على نوح في العالمين﴾، لم يضر. قوله: **(وهو مفعول)** أي لفظ

السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أي منهم بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤٠﴾ قيل كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء ﴿وَقَالَ﴾ نوح ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ بفتح الميمين وضمهما مصدران أي جريها ورسوها أي منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾ حيث لم يهلكنا ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ كنعان ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ عن السفينة ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى﴾

اثنين، وقوله: ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ حال منه مقدم عليه. قوله: **(أي زوجته)** أي التي أسلمت، لأنه كان له زوجتان، إحداهما آمنت فحملها، والأخرى لم تؤمن فتركها. قوله: **(وأولاده)** أي الثلاثة وزوجاتهم.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي القضاء بالغرق. قوله: **(أي منهم)** أخذ هذا التقييد من سورة المؤمنون. قوله: **(وهو زوجته)** أي التي لم تؤمن واسمها واعلة، وقيل واعكة، ورد أنه قبل مجيء الطوفان بأربعين سنة أصيبوا بالعقم، فلم يلدوا في تلك المدة، كي لا تصيبهم الرحمة من أجل وجود، الصغار بينهم. قوله: **(بخلاف سام)** وهو أبو العرب، وحام أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك. قوله: **(ثمانون)** أي اثنان وسبعون من الأمة، وهو وأولاده الثلاثة وزوجاتهم.

قوله: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا﴾ خطاب لمن معه. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ حال من الواو في اركبوا، والتقدير قائلين بسم الله إلخ. وبسم الله خبر مقدم، وقوله: ﴿مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ مبتدأ مؤخر، روي أنه كان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله، فجرت، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله فرست. قوله: **(بفتح الميمين)** سبق قلم إذ فتح مرساها شاذ، فالصواب أن يقول بضم الميمين، أو فتح الأولى مع ضم الثانية. قوله: **(مصدران)** راجع لكل من الفتح والضم. قوله: **(أي جريها)** هذا يناسب الفتح، وأما الضم فيقال في تفسيره، أي إجراؤها وإرساؤها.

قوله: ﴿كَالْجِبَالِ﴾ روي أن الله أرسل المطر أربعين يوماً وليلة، وخرج الماء من الأرض، قال تعالى: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾ وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعاً، حتى أغرق كل شيء، وروي أنه لما كثر الماء في السكك خافت أم صبي على ولدها من الغرق، وكانت تحبه حباً شديداً، فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه لحقها الماء، فارتفعت حتى بلغت ثلثيه، فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بها الماء فأغرقها، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي، ولا ينافي ما تقدم من أنهم أصابهم العقم أربعين سنة، لجواز أن يكون هذا الولد ابن أكثر من أربعين.

قوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ أي قبل سير السفينة. قوله: ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ الجملة حالية من ضمير ابنه، وقوله: ﴿يَا بُنَيَّ﴾ إلخ، هذه هو المنادى به بثلاث ياءات الأولى ياء التصغير، والثانية لام الكلمة، والثالثة ياء المتكلم، تحركت ياء المتكلم وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً فالتقى ساكنان، حذفت لالتقائهما، وأدغمت إحدى الياءين في الأخرى، فيقرأ بفتح الياء وكسرها قراءتان سبعيتان، وقوله:

يمنعني ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ عذابه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن رَّحِمَ﴾ الله فهو المعصوم قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء فصار أنهاراً وبحاراً ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَغِيضَ﴾ نقص ﴿ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكاً ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿ارْكَبْ مَعَنَا﴾ بإظهار الباء وإدغامها في الميم سبعيتان.

قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ أي في البعد عن الركوب معنا، إن قلت: لا يخلو الحال، إما إن يكون هذا الولد مسلماً أو كافراً، فإن كان مسلماً فيبعده كونه في معزل، وإن كان كافراً، فلم عطف عليه وناداه مع علمه بكفره؟ أجيب: بأنه ذكر العلماء أنه كان منافقاً، يظهر الإسلام ويخفي الكفر، فعند مجيء الطوفان أظهر ما كان يخفيه، ولا مانع من كون الله يخرج الكافر من المؤمن وبالعكس، وهذا الولد قيل كان من صلبه وهو الراجح، وقيل ابن زوجته من نكاح غيره، وقيل كان ولد خبث، ولدته زوجته على فراشه ولم يعلم به، وهذا القول غير وجيه، لقول ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط. قوله: ﴿سَآوِي﴾ أي ألتجيء. قوله: ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ عبر المفسر بلكن، إشارة إلى أن الاستثناء منقطع، لأن ما بعد إلا هو المعصوم، وما قبلها هو العاصم، ولا شك أنه غيره.

قوله: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾ أي بين نوح وابنه. قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ أي الهالكين بالماء، ورد أنه أوى إلى جبل عال، فدخل في غار منه، وسد على نفسه من كل جهة، فغرق في بوله وغائطه. قوله: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ﴾ إلخ، أي أمر الله الأرض بذلك، والمراد تعلقت قدرته بزوال الماء على حد قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾وهذا القول وقع يوم عاشوراء، ونزل نوح السفينة لعشر خلون من رجب، فكان مكثهم في السفينة ستة أشهر، فلما نجوا صاموا جميعاً، حتى الطيور والوحوش يوم عاشوراء، شكراً لله على النجاة، ومرت السفينة بهم بالبيت الحرام، فطافت به سبع مرات، وأودع الله الحجر الأسود في جبل أبي قبيس، وورد أن نوحاً حمل أباه آدم معه في السفينة. قوله: **(فصار أنهاراً وبحاراً)** أي فماء السماء، بقي في أماكن من الأرض أنهاراً وبحاراً، وماء الأرض ابتلعته الأرض في باطنها. قوله: **(نقص)** أي ولم يذهب بالكلية، لما علمت من بقاء ماء السماء. قوله: **(جبل بالجزيرة)** هي مدينة العراق، روي أن الله أوحى إلى الجبال، أن السفينة ترسي على واحد منها، فتطاولت وبقي الجودي لم يتطاول تواضعاً لله، فاستوت السفينة عليه وبقيت على أعوادها، وفي الحديث: «بقي منها شيء أدركه أوائل هذه الأمة» ورد أنهم لما خرجوا من السفينة، بنوا قرية وسموها الثمانين، لأنهم كانوا ثمانين.

قوله: ﴿وَقِيلَ بُعْداً﴾ منصوب على المصدر بفعل مقدر، أي بعدوا بعداً، فهو مصدر بمعنى الدعاء عليهم. قوله: ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي فهلكوا جميعاً، حتى البهائم والطيور والأطفال، على القول بأنهم لم يعقموا، ولا يسأل عما يفعل، وهذا الغرق عقوبة للمكلفين لا غيرهم، قال بعضهم: هذه الآية أبلغ آية في القرآن، لاحتوائها على أحد وعشرين نوعاً من أنواع البديع، والحال أن كلماتها تسعة عشر، وخوطب في الأرض أولاً بالبلع، لأن الماء نبع منها أولاً، قبل أن تمطر السماء.

الكافرين ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي﴾ كنعان ﴿مِنۡ أَهۡلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ الذي لا خلف فيه ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أعلمهم وأعدلهم ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ الناجين أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي سؤالك إياي بنجاته ﴿عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٍ﴾ فإنه كافر ولا نجاة للكافرين وفي قراءة بكسر ميم عمل فعل ونصب غير فالضمير لابنه ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ من إنجاء ابنك ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بسؤالك ما لم تعلم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ أنزل من السفينة ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ بسلامة أو بتحية ﴿مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾ وخيرات ﴿عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن

قوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ أي قبل سير السفينة. قوله: ﴿فَقَالَ﴾ هذا تفصيل للنداء. قوله: **(وقد وعدتني بنجاتهم)** أي المدلول عليها بقوله: ﴿قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك﴾ قوله: **(الناجين أو من أهل دينك)** أشار المفسر إلى أن الكلام، إما على حذف الصفة، أو على حذف المضاف، قوله: **(أي سؤالك)** أشار بذلك إلى أن الضمير في أنه عائد على نوح على حذف المضاف، والمعنى قال الله: يا نوح، إن سؤالك عمل غير صالح أي غير مقبول، لأن الله لا يقبل الشفاعة إلاّ في المسلمين، فسؤالك خطأ، وذلك نظير استغفار ابراهيم لأبيه، وهذا غير قادح في منصب النبوة لأن نوحاً كان يظن إسلام ولده، لأنه كان يظهره، ومن المعلوم أن الرسل يحكمون بالظاهر، وقيل إن الضمير عائد على الولد، ويقال في الإخبار عنه بعمل ما قيل في زيد عدل وهو الراجح. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(ونصب غير)** أي على المفعولية لعمل. قوله: **(بالتشديد والتخفيف)** أي فعلى التخفيف تسكن اللام، وعلى التشديد تفتح اللام وفي قراءة التخفيف وجهان: حذف الياء وإثباتها، وفي قراءة التشديد ثلاث: فتح النون مع حذف الياء لا غير، وكسر النون مع حذف الياء وإثباتها، وكل هذا في حال الوصل، وأما عند الوقف فلا تثبت أصلاً.

قوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي ما لا تعلم أنه صواب أم لا. قوله: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هذا العتاب فيه رفق وتلطف، والمعنى كأن الله يقول له: إن مقامك عظيم، فشأنك أن لا تسأل ولا تشفع؛ إلا فيمن يرجى فيه النجاة، وأما فيمن تجهل قبول الشفاعة فيه، فلا يليق منك أن تقدم على السؤال فيه. قوله: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ أي أتحصن بك. قوله: ﴿أَنْ أَسْأَلَكَ﴾ أي بعد ذلك. قوله: **(ما فرط مني)** أي تقدم وسلف، وهو الإقدام على سؤال ما ليس به علم، وهذا لا يقتضي صدور ذنب من نوح، إذ هو معصوم من الذنوب، كبيرها وصغيرها، لأن الله وعد نوحاً عليه السلام، بأن ينجيه وأهله، فأخذ نوح بظاهر اللفظ واتبع التأويل، حيث ظن أن ولده من جملة اهله الناجين، فلما عاتبه ربه، رجع على نفسه باللوم والندم مما وقع منه، وسأله المغفرة والرحمة، وذلك كما وقع لآدم في الأكل من الشجرة، وليست هذه ذنوباً، بل هي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

قوله: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ أي سلامة وأمن، ودخل في هذا السلام، وكل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، وفيما بعده من المتاع والعذاب، كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة. قوله: **(انزل من السفينة)** ورد أنه لما نزل منها، أراد أن يبعث من يأتيه بخبر الأرض، فقال له الدجاج أنا، فأخذوه وختم

﴿مَّعَكَ﴾ في السفينة أي من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ﴾ بالرفع ممن معك ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤٨﴾ في الآخرة وهم الكفار ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾ على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ ۝٤٩﴾ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ﴾ زائدة ﴿إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠﴾ كاذبون على الله ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٥١﴾ ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا

على جناحه وقال لها: أنت مختومة بخاتمي لا تطيري أبداً تنتفع بك أمتي فبعث الغراب فأصاب جيفة فوقع عليها فاحتبس، فلعنه ودعا عليه بالخوف، فلذلك يقتل في الحل والحرم ولا يألف البيوت، وبعث الحمام فلم تجد قراراً، فوقفت على شجرة بأرض سبأ، فحملت ورقة زيتون، ورجعت إلى نوح، فعلم أنها لم تتمكن من الأرض، ثم بعثها بعد ذلك، فطارت حتى وقفت بوادي الحرم، فإذا الماء قد ذهب موضع الكعبة، وكانت طينتها حمراء، فاختضبت رجلاها، ثم جاءت إلى نوح فقالت: بشراي منك، أن تهب لي الطوق في عنقي، الخضاب في رجلي، وأن أسكن الحرم، فمسح يده على عنقها وطوقها ووهب لها الحمرة في رجليها، ودعا لها ولذريتها بالبركة. قوله: **(أي من أولادهم)** إلخ، أشار بذلك إلى أن من تبعيضية، والكلام على حذف مضاف، والمعنى وعلى أمم من ذرية ممن معك. قوله: **﴿وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾** يقال فيه ما قيل فيما قبله، أي وامم من ذرية من معك سنمتعهم إلخ. والمعنى أن ذرية الأمم الذين معه، بعضها مؤمن فعليه السلام، وبعضها كافر فيمتع في الدنيا، ثم يمسه العذاب الأليم في الآخرة، والذرية المذكورة لم تكن إلا من أولاده الثلاثة كما تقدم، فهو الأب الثاني للخلق بعد آدم. قوله: **﴿تِلْكَ﴾** مبتدأ، أخبر عنه بثلاثة أخبار. قوله: **﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾** أي تفصيلاً. قوله: **﴿فَاصْبِرْ﴾** هذا هو المقصود من ذكر تلك القصة، أي فتسل ولا تحزن على عدم إيمان المشركين، ولا تنزعج من أذاهم. قوله: **﴿إِلَى عَادٍ﴾** الجملة معطوفة على جملة ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ عطف قصة على قصة، وأخر هوداً لأنه متأخر عن نوح في الزمن، إذ هو من أولاد سام بن نوح، وبين هود ونوح ثمانمائة سنة، وعاد اسم قبيلة تنسب إلى أبيها عاد، من ذرية سام بن نوح، وهود ينسب له لأنه من تلك القبيلة، لأن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد، وعاش هود أربعمائة سنة وأربعاً وستين سنة. قوله: **(وحدوه)** أي وسمى التوحيد عبادة، لأنه أساسها ورأسها. قوله: **﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾** ما نافية، ولكم خبر مقدم، وإله مبتدأ مؤخر، وغيره صفته، ومن زائدة كما قال المفسر. قوله: **(كاذبون على الله)** أي حيث ادعيتم أن لله شركاء وعبدتموهم. قوله: **﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾** أي ليس مقصدي من تبليغ التوحيد، والأحكام لكم، أنكم تعطوني أجراً على ذلك من مال أو غيره؛ والمقصود من ذلك الخطاب، إراحة قلوبهم واللطف بهم، عسى أن يقبلوا ما جاء به بقلب سليم، وعبر هنا بأجر، وفي قصة نوح بمالا تفتنا.. قوله: **﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾** أي لأنه هو المعطي المانع، الضار النافع، المقدم المؤخر، أطلب من

﴿رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر وكانوا قد منعوه ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ كثير الدرور ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ﴾ مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ مشركين ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي لقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿إِن﴾ ما ﴿نَّقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ فخبلك لسبك إياها فأنت تهذي ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ علي ﴿وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ ـه به ﴿مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي﴾ احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ ﴿٥٥﴾ تمهلون ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن﴾ زائدة ﴿دَآبَّةٍ﴾ نسمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ أي مالكها وقاهرها فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه وخص الناصية بالذكر لأن من أخذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ

غير. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أجهلتم وعميتم فلا تعقلون.

قوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي من كل ذنب مضى، وقوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي أقلعوا واعزموا على عدم الرجوع في المستقبل. قوله: (**وكانوا قد منعوه**) أي ثلاث سنين. قوله: ﴿مِدْرَاراً﴾ حال من السماء، أي كثيرة النزول والتتابع. قوله: (**كثير الدرور**) أي فيقال: دريدر دراً ودروراً، فهو مدرار. قوله: (**بالمال والولد**) أي وكانت قد عقمت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد.

قوله: ﴿قَالُوا يَا هُودُ﴾ أي استهزاء وعناداً. قوله: ﴿بِبَيِّنَةٍ﴾ أي معجزة، وكانت معجزته التي قامت بها الحجة عليهم، ما يأتي في قوله: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ فعصمته منهم هي معجزته، وكذا معجزة نوح التي قامت بها الحجة عليهم هي قوله: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾ الآية، وأما الريح والطوفان، وإن كان كل معجزة فيهم هلاكهم، لا إقامة الحجة عليهم. قوله: (**برهان**) أي دليل واضح على صحته. قوله: (**أي لقولك**) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى لام التعليل. قوله: ﴿إِنْ نَقُولُ﴾ أي في شأنك. قوله: (**فخبلك**) أي أفسد عقلك. قوله: (**لسبك**) علة لقوله فخبلك. قوله: (**فأنت تهذي**) أي تتكلم بالهذيان، وهو الكلام الساقط الذي لا معنى له.

قوله: ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أي خالص ومتبرىء من جميع ما تشركونه مع الله. قوله: ﴿فَكِيدُونِي﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً هنا لجميع القراء، والتي في المرسلات بحذفها لجميعهم، وأما التي في الأعراف فمن ياءات الزوائد، فتحذف وقفاً، ويجوز حذفها وإثباتها في الوصل. قوله: ﴿ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ أي لا تؤخرون حتى آتي بشيء يحفظني من قراءة أو سلاح أو غير ذلك، وهذا من شده وثوقه بربه واعتماده عليه.

قوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ﴾ أي فوضت أموري إليه واعتمدت عليه. قوله: ﴿رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ هذا تبكيت عليهم. قوله: (**فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه**) أي وأنتم من جملة الدواب، فليس لكم تأثير في شيء

﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٦﴾ أي طريق الحق والعدل ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين أي تعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ ﴿٥٧﴾ رقيب ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ هداية ﴿مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٨﴾ شديد ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ إشارة إلى آثارهم أي فسيحوا في الأرض وانظروا إليها ثم وصف أحوالهم فقال ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ جمع لأن من عصى رسولاً عصى جميع الرسل لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي السفلة ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿٥٩﴾ معاند للحق من رؤسائهم ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَالِحًا قَالَ

أصلاً. قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ شرط حذف جوابه لدلالة قوله: ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾ إلخ عليه، والتقدير فلا عذر لكم ولا مؤاخذة علي، فقد أبلغتكم إلخ. قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي﴾ إلخ، هذا وعيد شديد مترتب على إعراضهم، والمعنى فإن تعرضوا عن الإيمان، فلا مؤاخذة علي، بل يقبلني ربي ويهلككم ويستخلف غيركم، ولا تضرونه شيئاً بإعراضكم، بل ما تضرّون إلا أنفسكم.

قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ أي فلا تخفى عليه أحوالكم، بل يجازي كل أحد بعمله. قوله: (عذابنا) أي وهو الريح الصرصر المذكور في قوله تعالى: ﴿سَخَّرها عليهم سبع ليالٍ﴾الآية، فأصابهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكان يدخل في أنف الواحد، ويخرج من دبره، فيرفعه في الجو فيسقط على الأرض فتقطع أعضاؤه، وقد تقدم بسطها في الأعراف. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ أي وكانوا أربعة آلاف قوله: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ مبتدأ أو خبر على حذف مضاف، كما أشار له المفسر، أي آثار عاد. قوله: (في الأرض) أي أرضهم. قوله: (وانظروا إليها) أي لتعتبروا، وهو خطاب للنبي ﷺ وأمته، ولكن المراد الأمة. قوله: (لأن من عصى رسولاً) إلخ،جواب عما يقال لم جمع الرسل، مع أنهم عصوا رسولاً واحداً وهو هود. قوله: ﴿عَنِيدٍ﴾ أي معاند متجاوز في الظلم. قوله: ﴿لَعْنَةً﴾ أي طرداً وبعداً. قوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(لعنة) أي طرداً على رحمة الله، وهي الجنة وما فيها، لاتصافهم بالشقاوة الدائمة الموجبة للخلود في النار. قوله: ﴿أَلَا إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ هذا بيان لسبب استحقاقهم للعنتين.

قوله: ﴿أَلَا بُعْداً لِعَادٍ﴾ هذا هو معنى قوله: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وذكر تأكيداً وإشارة إلى أنهم مستحقون لذلك. قوله: ﴿قَوْمَ هُودٍ﴾ بدل من عاد، واحترز به عن عاد الثانية المسماة بثمود، وهي قوم صالح الآتية قصتهم بعد. قوله: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ عطف على قوله:﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾عطف قصة على قصة، وقدر المفسر (أرسلنا) إشارة إلى أن قوله أرسلنا الأول مسلّط عليه، فهو من عطف الجمل، وثمود هنا يمنع الصرف باتفاق القراء العشرة، وقرىء شاذاً بالصرف، بخلاف ما يأتي في قوله: ﴿ألا إن ثموداً كفروا ربهم ألا بعداً لثمود﴾ فبالصرف وعدمه قراءتان سبعيتان، وثمود اسم أبي القبيلة، سميت باسمه لشهرته، وبين صالح وبينه خمسة أجداد، وبين صالح وهود مائة سنة، وعاش صالح مائتي سنة وثمانين سنة.

﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم﴾ ابتدأ خلقكم ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ جعلكم عماراً تسكنون بها ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾ ارجعوا ﴿إِلَيۡهِۚ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ﴾ من خلقه بعلمه ﴿مُّجِيبٞ﴾ (٦١) لمن سأله ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا﴾ نرجو أن تكون سيداً ﴿قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾ الذي صدر منك ﴿أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٖ﴾ (٦٢) موقع في الريب ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ﴾ نبوة ﴿فَمَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ (٦٣) تضليل ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾ حال عامله الإشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ

قوله: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ﴾ هذا دليل على كونه هو المستحق للعبادة دون غيره. قوله: ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ أي مباشرة أو بواسطة، فالأول كخلق أبينا آدم منها، والثاني كخلق مواد النطف التي منها النوع الإنساني. قوله: (جعلكم عماراً تسكنون بها) أي خلفاء في الأرض، ويصح أن يكون المعنى جعلكم معمرين لها بعد أن خربت. قوله: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي من الذنوب التي مضت. قوله: ﴿ثُمَّ تُوبوا إِلَيْهِ﴾ أي أقلعوا عن الذنوب في المستقبل. قوله: (بعلمه) أي فالمراد قرب مكانة ورفعة، والمعنى أن الله قريب من خلقه قرباً معنوياً، منزهاً عن الإحاطة والجهة، فهو أقرب من نور العين لها، ومن سمع الأذن لها، ومن لمس الجسم له، ومن الأنف له سبحانه وتعالى. قوله: ﴿مُجِيبٌ﴾ أي فلا يخيب سائلاً. قوله: (نرجو أن تكون سيداً) أي لأنه كان يعين ضعيفهم ويعطي فقيرهم، وكانوا يرجعون إليه في الأمور قبل تلك المقالة، فلما حصلت قالوا قد انقطع رجاؤنا فيك. قوله: (الذي صدر منك) أي وهو نهيهم عن عبادة الأوثان.

قوله: ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ﴾ أي أتنهانا عن عبادة الذي كان يعبده آباؤنا، وقوله: (من الأوثان) بيان لما. قوله: ﴿وَإِنَّنَا﴾ هذا هو الأصل، ويصح وإنا بنون واحدة مشددة ولذا قرىء به في سورة إبراهيم. قوله: ﴿مُرِيبٍ﴾ وصف لشك والإسناد مجازي، وحق الإسناد لصاحبه. قوله: (موقع في الريب) أي الدائم. قوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي أخبروني. قوله: ﴿إِن كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ أتى بإن مشاكلة، لاعتقادهم فيه ومسايرة لخطابهم. قوله: (بيان) أي برهان وحجة واضحة. قوله: (أي عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿إِنَّ عَصَيْتُهُ﴾ أي على فرض وقوع المعصية مني، وإلا فهي مستحيلة عليه، كبيرها وصغيرها، قبل النبوة وبعدها. قوله: (بأمركم لي بذلك) أي بعصيانه وموافقتكم. قوله: (تضليل) أي لي إن اتبعتكم، والمعنى أخبروني إن كنت على بينة ونبوة من ربي، فلا أحد يمنعني من عذاب الله إن اتبعتكم وعصيته، وحينئذ أكون خاسراً مضيعاً لما أعطاني الله من الحق، وهل رأيتم نبياً صار كافراً، وكل هذا تنزل منه لهم. قوله: ﴿هٰذِهِ نَاقَةُ الله﴾ أي وقد طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من صخرة عينوها، حيث قالوا: أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء عشراء، فدعا الله، فتمخضت الصخرة كما تتمخض النساء عند الولادة، فخرجت منها ناقة كما وصفوا، فولدت الناقة في الحال فصيلاً، قدرها في الجثة يشبهها، وأضيفت

أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ عقر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ إن عقرتموها ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها قدار بأمرهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُوا۟﴾ عيشوا ﴿فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴿٦٥﴾ فيه ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ نجيناهم ﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم إعراباً وفتحها بناء لإضافته إلى مبني وهو الأكثر ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ الغالب ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ باركين على الركب ميتين ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا۟﴾ يقيموا ﴿فِيهَآ﴾ في دارهم ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ بالصرف وتركه على معنى الحي والقبيلة ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق ويعقوب

الناقة لله تشريفاً، أي لا اختصاص لأحد بها.

قوله: ﴿**تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ**﴾ أي من العشب والنبات، وفي الكلام اكتفاء، أي وتشرب من ماء الله، على حد ﴿سرابيل تقيكم الحرّ﴾ أي والبرد. قوله: ﴿**قَرِيبٌ**﴾ أي عاجل لا يتأخر عنهم إلا ثلاثة أيام. قوله: (**عقرها قدار**) أي ابن سالف، حيث ضربها في رجليها، فذبحوها واقتسموا لحمها، وقدار هذا من أشقى الأشقياء.

قوله: ﴿**فِي دَارِكُمْ**﴾ أي أرضكم. قوله: ﴿**ثَلاثَةَ أَيَّامٍ**﴾ والحكمة في ذلك، بقاء الفصيل ينوح على أمه ثلاثة أيام، ثم فتحت له الصخرة، ودخل فيها، قالوا: وما العلامة؟ قال: تصبحون في اليوم الأول وجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني وجوهكم محمرة، وفي اليوم الثالث وجوهكم مسودة. قوله: ﴿**غَيْرَ مَكْذُوبٍ**﴾(**فيه**) أشار المفسر بتقدير فيه، إلى أنه من باب الحذف والإيصال. قوله: ﴿**بِرَحْمَةٍ مِنَّا**﴾ أي وهي الإيمان. قوله: ﴿**مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ**﴾ أي يوم إهلاكهم بالصيحة. قوله: (**لإضافته إلى مبني**) أي فهي من أسباب البناء. قوله: (**وهو الأكثر**) أي عربية، وأما في القراءة فمستويان.

قوله: ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ حذفت تاء التأنيث من الفعل، إما لكون المؤنث مجازياً كما يقال طلع الشمس، أو للفصل بالمفعول، كأتى القاضي بيت الواقف. قوله: ﴿**الصَّيْحَةُ**﴾ أي مع الزلزلة فتقطعت قلوبهم، والمراد صيحة جبريل عليهم من السماء، فسمعوا صوت كل شيء فماتوا جميعاً. قوله: ﴿**أَلاَ بُعْداً**﴾ أي طرداً دائماً عن رحمة الله، فقد نزعوا من دائرة الحلم والرحمة. قوله: (**بالصرف وتركه**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**على معنى الحي**) راجع للصرف، وقوله: (**والقبيلة**) راجع لتركه، فهو لف ونشر مرتب، وقد تقدم بسط تلك القصة في الأعراف.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا**﴾ أتى هنا بقصة إبراهيم توطئة لقصة لوط لا استقلالاً، لأن الهلاك هنا لم يكن لقوم إبراهيم، ولذا غاير الاسلوب، فلم يقل وأرسلنا إبراهيم إلى قومه مثلاً، ورسلنا بضم السين وإسكانها، قراءتان سبعيتان في جميع القرآن، متى أضيفت رسل للضمير، فإن أضيفت للظاهر قرىء بضم السين لا غير، واختلف في عدة الرسل الذين جاؤوه، فعن ابن عباس ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وقيل تسعة، وقيل اثنا عشر، وقيل غير ذلك، وعاش إبراهيم من العمر مائة وخمساً وسبعين

بعده ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ﴾ مصدر ﴿قَالَ سَلَٰمٌۖ﴾ عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩﴾ مشوي ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ﴾ بمعنى أنكرهم ﴿وَأَوۡجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾ خوفاً ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠﴾ لنهلكهم ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ أي امرأة إبراهيم سارة ﴿قَآئِمَةٞ﴾ تخدمهم ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ استبشاراً بهلاكهم ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ﴾ بعد

سنة، وبينه وبين نوح ألفاً سنة وستمائة وأربعون سنة، وابنه إسحاق عاش مائة وثمانين سنة، ويعقوب بن إسحاق عاش مائة وسبعاً وأربعين سنة. قوله: ﴿بِالْبُشْرى﴾ هي الخبر السار، سميت بذلك لانبساط البشرة عند حصولها. قوله: **(بإسحاق ويعقوب بعده)** أفاد المفسر أن المراد بالبشرى هنا هي ما يأتي في قوله: ﴿فبشّرناها بإسحاق﴾ إلخ، ويحتمل أن المراد هنا بقوله هنا: ﴿بِالْبُشْرى﴾ ما هو أعم من ذلك، فيشمل بشراه بنجاة لوط، وهلاك الكافرين، وغير ذلك.

قوله: ﴿قَالُوا سَلَاماً﴾ هذه تحيتهم الواقعة منهم، وهو منصوب بفعله المحذوف، والتقدير سلمنا عليك سلاماً. قوله: **(مصدر)** أي نائب عن لفظ الفعل. قوله: ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ إنما أتى إبراهيم بالجملة الإسمية في الرد، لتفيد الدوام والثبوت، فيكون الرد أحسن من الابتداء، لأن الجملة الإسمية أشرف من الفعلية، وقوله: **(عليكم)** قدره المفسر إشارة إلى أن السلام مبتدأ، والخبر محذوف، والمسوغ للابتداء بالنكرة التعظيم، على حد أشر هر ذا ناب، أو الدعاء. قوله: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ﴾ ما نافية، ولبث فعل ماض، وأن جاء في تأويل مصدر فاعل، والمعنى لم يتأخر مجيئه بعجل حنيذ. قوله: **(مشوي)** أي على الحجارة المحماة في حفرة الأرض، وهو من فعل أهل البادية، وكان سميناً يسيل منه الودك كما في آية الذاريات، وكان عامة مال إبراهيم البقر.

قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ﴾ هذا مرتب محذوف، كما في الآية الأخرى، فقربه إليهم فقال ألا تأكلون، فلما رأى الخ، في بعض الروايات قالوا: لا نأكل طعاماً إلا بثمن، قال: فإن له ثمناً، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله، وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل قال: وحق لهذا أن يتخذه ربه خليلاً. قوله: **(خوفاً)** أي من أجل امتناعهم من طعامه فخاف منهم الخيانة، على عادة الخائن، أنه لا يأكل طعام من أراد خيانته. إن قلت: كيف يخاف إبراهيم منهم، مع كونه خليل الرحمن، وهم محصورون في بيته؟ أجيب: بأن خوفه لما رأى فيهم من جلال الله وهيبته، فخوفه من ربه لا من ذواتهم.

قوله: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ أي جواباً لقوله لهم كما في سورة الحجر ﴿إنَّا منكم وجلون﴾. قوله: ﴿إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي وهو ابن أخي إبراهيم الخليل، وهو أول من آمن به؛ وأبوه هاران أخو إبراهيم. قوله: **(لنهلكهم)** أخذ هذا المقدر من قوله في سورة الذاريات ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة﴾ الخ. قوله: **(سارة)** بالتخفيف والتشديد، وهي بنت عمه. قوله: **(تخدمهم)** أي على عادة نساء العرب، لا يتحاشون خدمة الضيوف. قوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ في سبب ذلك الضحك أقوال، قيل: للبشرى بهلاك قوم لوط، كما قال المفسر، وقيل: من خوف إبراهيم، وهو في خدمه وحشمه، وقيل: سروراً بالولد، وقيل: تعجباً من إتيان الولد على كبر، وقيل: لموافقة مجيء الملائكة بهلاك قوم لوط لما قالته لإبراهيم، فإنها قالت

﴿إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ ﴿٧١﴾ ولده تعيش إلى أن تراه ﴿قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم والألف مبدلة من ياء الإضافة ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ له مائة أو وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه ما في ذا من الإشارة ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ ﴿٧٢﴾ أن يولد ولد لهرمين ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ قدرته ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ محمود ﴿مَّجِيدٌ﴾ ﴿٧٣﴾ كريم ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ الخوف ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالولد أخذ ﴿يُجَـٰدِلُنَا﴾ يجادل رسلنا ﴿فِى﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ ﴿٧٥﴾ رجاع، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن؟ قالوا لا قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا لا قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً؟ قالوا لا قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا لا قال أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها الخ فلما أطال مجادلتهم قالوا ﴿يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ﴾ الجدال ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ

له قبل مجيء الملائكة: اضمم إليك ابن أخيك لوطاً، فإن العذاب نازل بقومه، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿فَبَشَّرنَاهَا﴾ إنما نسبت البشارة لها دونه، لأنها كانت أشوق منه إلى الولد، لأنه لم يأتها ولد قط بخلافه هو، فقد أتاه إسماعيل قبل إسحاق بثلاثة عشر سنة. قوله: ﴿بِإِسْحَاقَ﴾ ولد بعد البشارة بسنة، فإسماعيل أسن منه بأربعة عشر سنة. قوله: ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالرفع والنصب، قراءتان سبعيتان. قوله: **(كلمة تقال)** أي على سبيل التعجب من مخالفة العادة لا من قدرة الله، فإن ذلك كفر، حاشاها منه. قوله: **(عند أمر عظيم)** أي خيراً كان أو شراً، ولكن المراد هنا الخير. قوله: **(والألف مبدلة من ياء الإضافة)** أي فيقال في إعرابها ويلتي منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً، منع من ظهورها اشتغال المحل بالفتحة النائبة عن الكسرة لمناسبة الألف وويلتي مضاف، والألف مضاف إليه مبني على السكون في محل جر وترسم بالياء وتقرأ بالألف والإمالة. قوله: ﴿وَهٰذَا بَعْلِي﴾ سمي الزوج بذلك، لأن البعل هو المستعلي على غيره، ولا شك أن الزوج مستعل على المرأة، قائم بأمورها.

قوله: ﴿رَحْمَتُ الله وَبَرَكَاتُهُ﴾ هذا دعاء من الملائكة لهم. قوله: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أشار المفسر بتقدير **(يا)** إلى أن أهل البيت منصوب على النداء، ويصح أن يكون منصوباً على الاختصاص. قوله: ﴿حَمِيدٌ﴾ أي كثير الحمد. قوله: ﴿مَجِيدٌ﴾ أي عظيم شريف. قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ﴾ جوابها محذوف، قدره المفسر بقوله: **(أخذ)**. قوله: ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ أي بعد الروع. قوله: **(يجادل رسلنا)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيم لَحَلِيمٌ﴾ أي فالحامل له على المجادلة حلمه ورقة قلبه، فغرضه تأخير العذاب عنهم، لعلهم يؤمنون ويرجعون عما هم عليه من القبائح. قوله: **(كثير الإناة)** أي التأني في الأمور وعدم العجلة. قوله: ﴿أَوَّاهٌ﴾ في تفسيره أقوال كثيرة، تقدم بعضها في سورة براءة. قوله: **(فقال لهم)** هذه صورة المجادلة، والحاصل أنه سألهم خمسة أسئلة وأجابوه عنها. قوله: **(إلخ)** أي إلى آخر

عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدراً لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ ﴿٧٧﴾ شديد ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ لما علموا بهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ فتزوجوهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ تفضحون ﴿فِى ضَيْفِىٓ ۖ﴾ أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ

ما في سورة العنكبوت. قوله: ﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي قضاؤه وحكمه. قوله: **(غير مردود)** أي غير مصروف عنهم، فإنه قضاء مبرم لا محيص عنه.

قوله: ﴿**وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا**﴾ أي الملائكة الذين كانوا عند إبراهيم، والمعنى أنهم ارتحلوا من عند إبراهيم حتى أتوا قرية لوط، وتسمى سدوم بلد بحمص، وبينها وبين الخليل أربعة فراسخ، نصف النهار، فوجدوا لوطاً يعمل في أرض له، وقيل كان يحتطب، وقد قال الله للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فاستضافوه فانطلق بهم، فلما مشى بهم ساعة قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرها؟ قال: أشهد بالله أنها أشر قرية في الأرض عملاً، قال ذلك أربع مرات، فمضوا معه حتى دخلوا منزله، وقيل إنه مرمع الملائكة على جماعة من قومه، فتغامزوا فيما بينهم، فقال لوط: إن قومي شر خلق الله، فقال جبريل: هذه واحدة، فمر على جماعة أخرى فتغامزوا، فقال مثله، ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك، فقال لوط مثل ما قال أولاً، حتى قال ذلك أربع مرات، وكلما قال لوط هذا القول، قال جبريل للملائكة اشهدوا، وقيل إن الملائكة جاؤوا إلى بيت لوط، فوجدوه في داره، فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته الخبيثة فأخبرت قومها وقالت: إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم.

قوله: ﴿**وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً**﴾ الأصل فيه، أن البعير يذرع بيده في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوته، فإذا حمل عليه ضعف ومد عنقه وضاق ذرعه، فأطلق الذرع وأريد منه الصدر، فالمراد ضاق صدره، لعدم الخلاص من ذلك المكروه. قوله: **(فخاف عليهم قومه)** منصوب بنزع الخافض أي من قومه. قوله: ﴿**عَصِيبٌ**﴾ مأخوذ من العصب وهو الشدة، ومنه العصابة التي يشد بها الرأس. قوله: **(لما علموا بهم)** أي إما لأنهم رأوهم مع لوط في الطريق، أو أعلمتهم زوجته. قوله: ﴿**يُهْرَعُونَ**﴾ أي يسوق بعضهم بعضاً. قوله: ﴿**كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ**﴾ أي فلا حياء عندهم منها لاعتيادهم لها.

قوله: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ**﴾ هذا الخطاب وقع من لوط، وهم خارج الباب. قوله: ﴿**هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي**﴾**(فتزوجوهن)** أي وكان في شرعه يجوز تزوج الكافر بالمسلمة، وقيل: عرض بناته عليهم بشرط الإسلام، وقيل: قال ذلك لتخليص أضيافه، لا إباحة لتزويجهم بهن، لعلهم إذا رأوه قد فدى أضيافه ببناته، ينزجروا ويرتدعوا ويتركوا هذا الأمر، وقيل: المراد ببناته نساء قومه وأضافهن إليه، لأن كل نبي لقومه كالأب لأولاده، في الشفقة واللطف بهم. قوله: ﴿**هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ**﴾ إن قلت: إن تلك الفعلة لا طهارة فيها. أجيب: بأن أفعل التفضيل ليس على بابه، نظير قوله تعالى: ﴿أذلك خير نزلاً أو شجرة الزقوم﴾. قوله: **(تفضحون)** أي تعيبوني. قوله: **(في ضيفي)** أي في شأنه.

رَشِيدٌ ﴾ ⁽٧٨⁾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ حاجة ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ ⁽٧٩⁾ من إتيان الرجال ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾ طاقة ﴿ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ⁽٨٠⁾ عشيرة تنصرني لبطشت بكم فلما رأت الملائكة ذلك ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ بسوء ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ ﴾ طائفة ﴿ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾ بالرفع بدل من أحد وفي قراءة بالنصب استثناء من الأهل أي فلا تسر بها ﴿ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾ فقال أريد أعجل من ذلك قالوا ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ⁽٨١⁾ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ بإهلاكهم ﴿ جَعَلْنَا عَالِيَهَا ﴾ أي قراهم ﴿ سَافِلَهَا ﴾ أي بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا

قوله: ﴿**أَلَيْسَ مِنْكُمْ**﴾ استفهام توبيخ. قوله: ﴿**قَالَ لَوَ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً**﴾ أي لو ثبت أن لي بكم قوة، أو أني آوي جواب لو محذوف، قدره المفسر بقوله: (**لبطشت بكم**) وإنما قال ذلك، لأنه لم يكن من قومه نسباً، بل كان غريباً فيهم، لأنه كان أولاً بالعراق مع إبراهيم ببابل، فهاجر إلى الشام بأمر من الله، فنزل إبراهيم بأرض فلسطين، ونزل لوط بالأردن، فأرسله إلى أهل سدوم، فمن ذلك الوقت، لم يرسل الله رسولاً إلا من قومه.

قوله: ﴿**قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ**﴾ أي فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب ودخلوا، فاستأذن جبريل ربه في عقوبته فأذن له، فتحول إلى صورته التي يكون فيها، ونشر جناحيه فضرب بهما وجوههم، فأعماهم وطمس أعينهم، حتى ساوت وجوههم، فصاروا لا يعرفون الطريق، فانصرفوا وهم يقولون: النجاة النجاة في بيت لوط سحرة، قد سحرونا يا لوط، سترى منا غداً ما ترى.

قوله: ﴿**فَأَسْرِ**﴾ بقطع الهمزة ووصلها، وفعله أسرى وسرى، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**بِأَهْلِكَ**﴾ أي وهم بنتاه، فخرجوا وطوى الله لهم الأرض، حتى وصلوا إلى إبراهيم في وقته. قوله: ﴿**بِقِطْعٍ**﴾ الباء للمصاحبة، والمعنى نصف الليل. قوله: ﴿**وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ**﴾ خطاب له ولبنتيه. قوله: (**بالرفع**) بدل من أحد، أي والمعنى: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (**فقيل لم يخرج بها**) راجع لقراءة الرفع. قوله: (**وقيل خرجت والتفتت**) راجع لقراءة النصب. قوله: (**بأن رفعها جبريل إلى السماء**) أي بأن أدخل جناحيه تحتها، وهي خمس مدائن، أكبرها سدوم، وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة، ويقال كان فيها أربعة آلاف ألف، فرجع جبريل المدن كلها، حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب، ولم ينكب لهم إناء، ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها.

قوله: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا**﴾ أي على أهلها الخارجين عنها في الأسفار وغيرها، وقيل على القرى بعد قلبها، فمن جملة ما وقع، أن رجلاً منهم كان في الحرم، فجاءه حجر ووقف في الهواء أربعين يوماً ينتظر

﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار ﴿مَّنضُودٍ﴾ (٨٢) متتابع ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿وَمَا هِيَ﴾ الحجارة أو بلادهم ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي أهل مكة ﴿بِبَعِيدٍ﴾ (٨٣) ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ نعمة تغنيكم عن التطفيف ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ (٨٤) بكم يهلككم ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٨٥) بالقتل وغيره من عثي بكسر المثلثة أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ رزقه الباقي لكم بعد إيفاء

ذلك الرجل، حتى خرج من الحرم فسقط عليه فقتله. قوله: **(متتابع)** أي في النزول. قوله: **(عليها اسم من يرمى بها)** أي مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به. قوله: **(الحجارة أو بلادهم)** هذان تفسيران في مرجع الضمير، قيل: يعود على الحجارة لأنها أقرب مذكور، وقيل: يعود على القرى المهلكة، وعلى الأول فهو وعيد عظيم لكل ظالم من هذه الأمة، ففي الحديث: سأل رسول الله ﷺ جبريل عن المراد بالظالمين، فقال له جبريل: يعني ظالمي أمتك، ما من ظالم منهم، إلا وهو بعرض حجر، يسقط عليه من ساعة إلى ساعة. قوله: ﴿بِبَعِيدٍ﴾ أي بمكان بعيد، بل بمكان قريب يمرون عليها في أسفارهم.

قوله: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ معطوف على قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ عطف قصة على قصة، ومدين اسم قبيلة، سميت باسم جدهم مدين بن إبراهيم، ويسمى شعيب خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته قومه. قوله: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ أي في النسب لا الدين، لأنه ابن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم. قوله: ﴿اعْبُدُوا اللهَ﴾ أمرهم بالتوحيد أولاً لأنه أهم الأشياء وأصلها، وغيره فرع، فإذا صلح الأصل صلح الفرع. قوله: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ نقص يتعدى لمفعولين: فالمفعول الأول قوله: ﴿الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ والمفعول الثاني محذوف تقديره شيئاً، والمعنى لا تنقصوهما شيئاً أصلاً عند الأخذ ولا عند الدفع، فنقصهما عند الدفع ظاهر، ونقصهما عند الأخذ بأن يزيد على حقه في المبيع، وهو في الحقيقة نقص الثمن، قال تعالى: ﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾.

قوله: ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ﴾ أي فاقتنعوا بما أعطاكم الله، ولا تطففوا الكيل والميزان. قوله: **(ووصف اليوم به)** أي بقوله محيط. قوله: **(مجاز)** أي عقلي في الإسناد للزمان. قوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾ كرر ذلك ثلاث مرات، أولها قوله: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، وثانيها قوله: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، وثالثها قوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ تأكيداً لكونهم مصرين على ذلك العمل القبيح منهمكين فيه. قوله: ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي أموالهم، ودخل في ذلك من يسوم السلع ينقص قيمتها، وهو مشهور تقتدي به الناس، فالواجب إعطاء كل سلعة قيمتها، وإعطاء كل ذي حق حقه، وحينئذ فهو عطف عام على خاص.

قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هذا أعم مما قبله، والمعنى لا تكونوا من المفسدين في الأرض بالمعاصي، بل كونوا مصلحين لدينكم ودنياكم. قوله: ﴿بَقِيَّتُ اللهِ﴾ ترسم بالتاء المجرورة، وعند

الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ ﴿٨٦﴾ رقيب أجازيكم بأعمالكم إنما بعثت نذيراً ﴿قَالُواْ﴾ له استهزاء ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ المعنى هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ ﴿٨٧﴾ قالوا ذلك استهزاء ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالاً أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ فأرتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ لكم بالعدل ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿٨٨﴾ أرجع ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنكم ﴿شِقَاقِىٓ﴾ خلافي فاعل يجرم والضمير مفعول أول والثاني ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ أي منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ ﴿٨٩﴾ فاعتبروا ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ ﴿٩٠﴾ محب لهم ﴿قَالُواْ﴾ إيذاناً

الوقف عليها للاضطرار، يجوز بالتاء المجرورة أو المربوطة، وليس في القرآن غيرها. قوله: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي لوجود البركة فيه. قوله: ﴿إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي مصدقين بما أمرتكم به ونهيتكم عنه، وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، أي فارضوا بما قسم الله لكم من الحلال. قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي حافظ لكم من القبائح، ولا حافظ عليكم النعم، إنما أنا مبلغ لكم الأحكام.

قوله: ﴿يَا شُعَيْبُ﴾ خاطبوه باسمه من غير اقتران بالتعظيم، لقباحتهم وسوء فعلهم. قوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ أي وكان كثير الصلاة، وقيل المراد بها الدين، وخصت بالذكر لأنها أعظم الشعائر. قوله: (بتكليف) قدره دفعاً لما يقال: إن الترك من وصفهم وفعلهم لا فعل شعيب، والإنسان يؤمر بفعل نفسه لا فعل غيره. قوله: (من الأصنام) بيان لما. قوله: ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ﴾ قدر المفسر (نترك)، إشارة إلى أنه معطوف على ﴿مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾. قوله: (قالوا ذلك استهزاء) إلخ، أي أو أرادوا السفيه الغاوي، من باب تسمية الأضداد، أو المراد الحليم الرشيد في زعمك. قوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي اخبروني. قوله: ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ أي نبوة وصدق. قوله: (أفأشوبه) أي أخلطه، قوله: (من البخس والتطفيف) بيان للحرام.

قوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ أي فأنا آمركم بما آمر به نفسي، وليس قصدي أن أنهاكم عن شيء وأفعله. قوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي مدة استطاعتي. قوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ أي وما كوني موفقاً. قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي فوضت أموري إليه. قوله: (يكسبنكم) أي فهو متعد لمفعولين: الأول للضمير، والثاني أن وما دخلت عليه، والمعنى لا يكن شقاقي مكسباً لكم إصابة مثل ما ذكر، فلا تستمروا على مخالفتي، حتى يصيبكم بسبب تلك المخالفة مثل ما أصاب إلخ. قوله: (أي منازلهم) أي لأنهم كانوا مجاورين لقوم لوط، وبلادهم قريبة من بلادهم، وقوله: (أو زمن هلاكهم) أي فقد كان زمن هلاك قوم لوط، قريباً من قوم شعيب.

قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم. قوله: ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي ارجعوا

بقلة المبالاة ﴿ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ ﴾ نفهم ﴿ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ ذليلاً ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴾ عشيرتك ﴿ لَرَجَمْنَٰكَ ﴾ بالحجارة ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ ﴿٩١﴾ كريم عن الرجم وإنما رهطك هم الأعزة ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ فتتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ ﴾ أي الله ﴿ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ منبوذاً خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ ﴿٩٢﴾ علماً فيجازيكم ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ حالتكم ﴿ إِنِّى عَٰمِلٌ ﴾ على حالتي ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ ﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ ﴿٩٣﴾ منتظر ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ بإهلاكهم ﴿ نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ صاح بهم جبريل ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ ﴿٩٤﴾ باركين على الركب ميتين ﴿ كَأَن ﴾ مخففة أي كأنهم ﴿ لَّمْ يَغْنَوْا۟ ﴾ يقيموا ﴿ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٩٦﴾ برهان بين ظاهر ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ ﴿٩٧﴾ سديد ﴿ يَقْدُمُ ﴾ يتقدم

إليه بفعل الطاعات. قوله: ﴿وَدُودٌ﴾ صيغة مبالغة، إما بمعنى فاعل أي محب لهم، كما قال المفسر، أو بمعنى مفعول أي إن عباده يحبونه، ويمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه. قوله: ﴿ضَعِيفاً﴾ أي لا قوة لك. قوله: ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ أي رميناك بالحجارة، وقيل المعنى لشتمناك وأغلظنا عليك بالقول. قوله: **(هم الأعزة)** أي لموافقتهم لهم في الدين. قوله: ﴿ظِهْرِياً﴾ منسوب للظهر، والكسر من تغيرات النسب، والقياس فتح الظاء، والهاء مفعول أول، وظهرياً مفعول ثان لاتخذوا، ووراءكم ظرف له. قوله: **(منبوذاً خلف ظهوركم)** أي جعلتموه نسياً منسياً.

قوله: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا وعيد عظيم وتهديد لهم. قوله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ استئناف بياني، كأن قائلاً قال: فماذا يكون بعد ذلك؟ قوله: **(موصولة)** أي بمعنى الذي. قوله: ﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ معطوف على قوله: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ﴾ والمعنى سوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه وتعلمون الكاذب. قوله: **(صاح بهم جبريل)** أي فخرجت أرواحهم جميعاً، وهذا في أهل قريته، وأما أصحاب الأيكة، فأهلكوا بعذاب الظلمة، وهي سحابة فيها ريح طيبة باردة، فأظلتهم حتى اجتمعوا جميعاً، فألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت الأرض من تحتهم، فاحترقوا وصاروا رماداً. قوله: ﴿أَلاَ بُعْداً﴾ أي هلاكاً. قوله: كما ﴿بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ أي كما هلكت ثمود، والتشبيه من حيث إن هلاك كل بالصيحة.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ هذه هي القصة السابعة. قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي التسع، تقدم منها ثمانية في الأعراف، والتاسعة في يونس، وتقدم الكلام عليها. قوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ قيل: المراد بالعصا، وخصت بالذكر لكونها أكبرت الآيات وأعظمها، وقيل: المراد به المعجزات الباهرة والحجج الظاهرة، وسميت الحجة سلطاناً، لأن بها قهر الخصم، كما أن السلطان به قهر غيره، فيكون عطف عام. قوله: ﴿وَمَلَئِهِ﴾ أي جماعته وأتباعه. قوله: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ أي ما هو عليه من الكفر بتلك الآيات العظيمة. قوله: **(سديد)** أي صائب محمود العاقبة، بل لا يدعو إلى خير.

﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾ أدخلهم ﴿ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ ﴿٩٨﴾ هي ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ﴾ أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لعنة ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ﴾ العون ﴿ٱلْمَرْفُودُ﴾ ﴿٩٩﴾ رفدهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي القرى ﴿قَآئِمٌ﴾ هلك أهله دونه ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾ ﴿١٠٠﴾ هلك بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَآ أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ ﴿١٠١﴾ تخسير ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أريد أهلها ﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾ بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ رسول

قوله: ﴿يَقْدُمُ﴾ مضارع قدم كنصر، ومصدره قدم كقفل، وقدوم بمعنى يتقدم. قوله: **(كما اتبعوه في الدنيا)** أي في دخول البحر والكفر والضلال. قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ الورود في الأصل يقال للمرور على الماء للاستقاء منه، فشبه النار بماء يورد، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الورود، فإثباته تخييل، وشبه فرعون في تقدمه على قدمه إلى النار، ممن يتقدم على الواردين إلى الماء ليكسر العطش على سبيل التهكم. قوله: **(هي)** قدره إشارة إلى المخصوص بالذم محذوف. قوله: ﴿لَعْنَةً﴾ أي طرداً وبعداً عن الرحمة. قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هذا وقف تام، وقدر المفسر لعنة، إشارة إلى أن فيه الحذف من الآخر، لدلالة الأول عليه.

قوله: ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ المراد بالرفد اللعنة الأولى، وقوله: ﴿الْمَرْفُودُ﴾ أي المعان باللعنة الثانية، والمعنى أن اللعنة الأولى، أرفدت بلعنة أخرى تقويها وتعاونها، وتسميتها رفداً تهكم. قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ما تقدم في هذه السورة من القصص. قوله: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾ أي أخبار أهل القرى، وهم الأمم الماضية. قوله: ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ أي لتخبر به قومك لتعتبروا. قوله: ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾ أي أثر قائم موجود. قوله: ﴿حَصِيدٌ﴾ **(هلك بأهله)** أي محي فلم يبق له أثر، وفيه تشبيه القائم والحصيد بالزرع، الذي بعضه قائم على ساقه، وبعضه قد حصد وذهب أثره. قوله: ﴿لَمَّا جَاءَ﴾ أي حين جاء.

قوله: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ الضمير المرفوع للأصنام، والمنصوب لعابديها، وعبر عنها بواو العقلاء لتنزيلهم منزلتهم. قوله: ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ التباب الخسران، يقال تببه وتبت يده، تتب بمعنى خسرت. قوله: ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ أي غير مرجو الخلاص منه. قوله: **(إن الله ليملي للظالم)** أي يمده بطول العمر وسعة الرزق ونفوذ الكلمة. قوله: **(ثم قرأ)** الخ، أي فيؤخذ من **ذلك**، أن من قدم على ظلم، يجب عليه أن يتوب، ويرجع عما هو عليه، ويرد المظالم لأهلها، لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم، فإن هذه الآية ليست مخصوصة بالأمم الماضية، بل هي عامة في كل ظالم، غير أن

الله ﷺ ﴿وكذلك أخذ ربك﴾ الآية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾ فيه ﴿النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ ﴿١٠٣﴾ يشهده جميع الخلائق ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ ﴿١٠٤﴾ لوقت معلوم عند الله ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ﴾ تعالى ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي الخلق ﴿شَقِيٌّ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ﴾ ﴿١٠٥﴾ كتب في الأزل ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ في علمه تعالى ﴿فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ صوت ضعيف ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي مدة دوامها في الدنيا ﴿إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ﴾ من الزيادة على مدتها مما لامنتهى له والمعنى خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾ بفتح السين وضمها

هذه الأمة المحمدية، لا ينزل بها عذاب على سبيل الاستئصال إكراما لنبيها ﷺ. قوله: **(من القصص)** أي السبع.

قوله: **﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ﴾** أي لأنه إذا تأمل ما حصل لهؤلاء في الدنيا من العذاب، كان ذلك باعثاً له على الخوف من ذلك اليوم. قوله: **(فيه)** أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى في، والمعنى أن يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الأنس والجن وغيرهما. قوله: **(يشهده)** أي يحضره. قوله: **﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾** أي ذلك اليوم وهو يوم القيامة. قوله: **(لوقت معلوم)** أي وهو مدة الدنيا. قوله: **﴿يَوْمَ يأْتِ﴾(ذلك اليوم)** إن قلت: إن اليوم لا يصلح أن يكون ظرفاً لليوم، وإلا لزم تعيين الشيء بنفسه. وأجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، أي هوله وعذابه، أو المعنى حين يأتي ذلك اليوم إلخ.

قوله: **﴿لاَ تُكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾** أي فجميع الخلائق يسكنون في ذلك اليوم، فلا يتكلم أحد إلا بإذنه. إن قلت: كيف يجمع بين ما هنا وبين قوله تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ وقوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿والله ربنا ما كنامشركين﴾؟ أجيب: بأن القيامة مواطن مختلفة ففي بعضها لا يقدرون على الكلام لشدة الهول، وفي بعضها يحتاجون ويتجادلون، أو المراد لا تكلم نفس بما ينفع وينجي، بل قد يتكلم الكفار بكلام لا نفع به، بل لإظهار بطلان حججهم. قوله: **(كتب كل في الأزل)** أي وظهرت الخاتمة على طبق ما كتب. قوله: **(في علمه)** أي وهم من ماتوا كفاراً وإن تقدم منهم إيمان.

قوله: **﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾** الزفير في الأصل ترديد النفس في الصدر، حتى تنتفخ منه الأضلاع، والشهيق رد النفس إلى الصدر، وهذا التفسير الذي ذكره المفسر لابن عباس، وقيل: الزفير أول صوت الحمار، والشهيق آخره، وقيل: الزفير صوت الحمار، والشهيق صوت البغل، وقيل غير ذلك. قوله: **(أي مدة دوامها)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية ظرفية، ودام تامة لأنها بمعنى بقيت أو مقدار دوامها. قوله: **(في الدنيا)** أي فالمراد سماوات الدنيا وأرضها. قوله: **(غير)** **﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** أفاد أن **﴿إِلاَّ﴾** معنى غير، والمعنى أنهم يخلدون في النار مقدار مكث الدنيا، بر لزيادة التي شاءها الله، وما شاء الله قد بين في آيات أخر، منها، قوله: ﴿خالدينَ فيها أبداً﴾، ومنها ﴿وما هم بخارجين من النَّار﴾، ومنها قوله: ﴿لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾.

قوله: **﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾** دفع بذلك ما يتوهم من التعبير بالمشيئة أنها قد تتخلف. فأجاب

﴿ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا ﴾ غير ﴿ مَا شَآءَ رَبُّكَۖ ﴾ كما تقدم ودل عليه فيهم قوله ﴿ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾ ﴿١٠٨﴾ مقطوع وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال

بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ فلا تخلف لمشيئة الله بخلود الكافر، لأنه متى أراد شيئاً حصل ولا بد، وما قيل إن وعيده قد يتخلف، فالمراد وعيد العاصي لا وعيد الكافر. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾ هذا مقابل قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ وفي هذه الآية من المحسنات البديعية، الجمع والتفريق والتقسيم، فالجمع في قوله: ﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾ والتفريق في قوله تعالى: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾، والتقسيم في قوله: ﴿فأما الذين شقوا﴾ إلخ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾ إلخ. قوله: **(بفتح السين وضمها)** أي فيها قراءتان سبعيتان، فالفتح من قولهم: سعد الرجل بمعنى قامت به السعادة، والضم في قولهم: سعده الله أي أسعده، فالأول قاصر، والثاني متعد، والمعنى: إن الذين سبقت لهم السعادة من الله بموتهم على الإيمان، وإن سبق منهم الكفر في الدنيا، فهم في الجنة، والمراد بالسعادة رضا الله على العبد، وعلامة ذلك أن يكون العبد محباً لربه، ساعياً في مرضاته، دائم الإقبال على طاعته، راضياً بأحكامه.

قوله: ﴿فَفِي الْجَنَّةِ﴾ المراد بها دار النعيم بجميع دورها، فشمل جنة الفردوس وغيرها. قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضُ﴾ أي مدة دوامها في الدنيا، والمعنى قدر مكث السماوات والأرض، من أول الدنيا إلى آخرها. قوله: **(كما تقدم)** أي فيقال غير ما شاء ربك من الزيادة التي لا منتهى لها، فالمعنى خالدين فيها أبداً، ويدل ذلك على قوله تعالى: ﴿خالدين فيها أبداً﴾ فالزيادة التي شاءها الله، فسرت في آيات أخر بالخلود المؤبد، قوله: **(ودلّ عليه)** أي على الخلود المؤبد، وقوله: **(فيهم)** أي السعداء.

قوله: ﴿عَطَاءً﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف وتقديره أعطاهم ذلك العطاء، وعطاء اسم مصدر أعطى، والمصدر إعطاء. قوله: **(مقطوع)** أي ولا ممنوع، بل هو عطاء دائم، لا يزول ولا يحول. قوله: **(هو الذي ظهر)** أي من نحو عشرين وجهاً في تفسير تلك الآية، منها أن المراد بالسماوات والأرض سقف الجنة والنار وأرضهما، ويحتمل الاستثناء في جانب أهل الشقاوة على عصاة الأمة فيكون المعنى خالدين فيها أبداً، إلا عصاة المؤمنين الذين نفذ فيهم الوعيد، فلا يخلدون أبداً، بل يخرجون بشفاعة النبي ﷺ، والاستثناء حينئذ، إما منقطع لعدم دخول هؤلاء في الأشقياء، أو متصل بجعل هؤلاء أشقياء باعتبار، وسعداء باعتبار آخر، وفي جانب أهل السعادة على عصاة المؤمنين أيضاً، لكن باعتبار تعذيبهم أولاً، فيتأخرون في الدخول مع السابقين، فتحصل أن الاستثناء في كل محمول على العصاة، لكن في جانب أهل الشقاوة مستثنون من الخلود، وفي جانب أهل السعادة مستثنون من المبدأ. كأنه قال: فأما الذين سعدوا ففي الجنة من أول الأمر، إلا ما شاء ربك من العصاة، فليسوا في الجنة من أول الأمر، بل هم في النار يعذبون ثم يخرجون. ومنها: أن المراد بالذين شقوا الكفار، وبالذين سعدوا المؤمنون، والاستثناء باعتبار أن بعض الكفار، قد ينقل من النار إلى غيرها كالزمهرير، وبعض المؤمنين قد ينقل من النعيم، فيما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، إلى أعلى منه، وهو رؤية وجه الله الكريم ومخاطبته، ومنها: أن الاستثناء راجع لمدة تأخرهم عن دخول الجنة والنار، كمدة الدنيا والبرزخ، لأنهم لم يدخلوها حين خلقوا سعداء وأشقياء. ومنها غير ذلك. وما تقدم من أن نعيم الجنان وعذاب النار دائم، هو ما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ووراء ذلك أقوال يجب تأويلها، والأخذ بظاهرها كفر، فمنها ما قيل إن الجنة والنار ينقضيان بدليل ظاهر

من التكلف والله أعلم بمراده ﴿ فَلَا تَكُ ﴾ يا محمد ﴿ فِى مِرْيَةٍ ﴾ شك ﴿ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ من الأصنام أنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم ﴾ أي كعبادتهم ﴿ مِّن قَبْلُ ﴾ وقد عذبناهم ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ ﴾ مثلهم ﴿ نَصِيبَهُمْ ﴾ حظهم من العذاب ﴿ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ ﴿١٠٩﴾ أي تاماً ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة ﴿ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ أي المكذبين به ﴿ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ ﴿١١٠﴾ موقع في الريبة ﴿ وَإِنَّ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ كُلًّا ﴾ أي كل الخلائق ﴿ لَّمَّا ﴾ ما

هذه الآية، ومنها أن أهل النار تنقلب عليهم النار نعيماً، حتى لو صب عليهم ماء الجنة يتأذون، ومنها أن النار تخرب حتى لا يصير فيها أحد، ومنها غير ذلك، وهذه الأقوال باطلة، ونسبتها لمحيي الدين بن العربي كذب، وعلى فرض صحة نقلها عنه يجب تأويلها.

قوله: ﴿**فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ**﴾ هذا شروع في ذكر أحوال المخالفين من هذه الأمة، إثر بيان المخالفين من غيرهم، وهذا الخطاب للنبي والمراد غيره. قوله: (**من الأصنام**) بيان لما. قوله: ﴿**مَا يَعْبُدُونَ**﴾ أي فليس لهم في ذلك إلا محض تقليد آبائهم. قوله: (**وقد عذبناهم**) أي آباءهم، وإنما قدره لتتم المشابهة. قوله: ﴿**وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ**﴾ أي هؤلاء. قوله: (**أي تاماً**) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**غَيْرَ مَنْقُوص**﴾ حال من نصيب مبينة له. قوله: ﴿**فَاخْتُلِفَ فِيهِ**﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ أي فلا تحزن على ما وقع لك، فإنه قد وقع لغيرك. قوله: ﴿**لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾ أي لجوزي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته في الدنيا. قوله: (**أي المكذبين به**) أي بالقرآن.

قوله: ﴿**لَفِي شَكٍّ مِنْهُ**﴾ أي من القرآن. قوله: (**موقع في الريبة**) أي لأنهم إذا نظروا لآبائهم وما كانوا عليه قالوا: لو كان **ما** هم عليه ضلالاً ما اجتمعوا عليه، وإذا نظروا إلى النبي ومعجزاته الظاهرة قالوا إنه لحق، وما جاء به صدق، فهم في شك، ولا شك أنه كفر، وكل ناشىء من الطبع على قلوبهم، وإلا فالحق ظاهر لما تدبره.

قوله: ﴿**وَإِنَّ كُلًّا**﴾ أي من الطائعين والعاصين، وأتى بالجملة الإسمية المؤكدة بإن، ولام القسم زيادة في تأكيد بشرى المطيع ووعيد العاصي. قوله: (**بالتشديد والتخفيف**) أي ولما كذلك فتكون القراءات أربعاً وكلها سبعية. قوله: (**أي كل الخلائق**) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه. قوله: (**ما زائدة**) أي والأصل ليوفينهم، فاستثقل اجتماع اللامين فوسطت بينهما ما، لدفع ذلك الثقل. قوله: (**واللام موطئة**) أي والأخرى للتأكيد. قوله: (**أو فارقة**) أي أتى بها فرقاً بين المهملة والنافية، وفيه أن إن عاملة على كل حال، فليست حينئذ فارقة، فكان المناسب حذف قوله أو فارقة، إلا أن يقال إنها مهملة، و ﴿**كُلًّا**﴾ منصوب بفعل مقدر تقديره وإن يرى كلاً، وفيه أن هذا تكلف، وما لا كلفة فيه خير مما فيه كلفة، وما ذكره المفسر من الإعراب، مبني على قراءة تشديد إن وتخفيفها مع تخفيف لما، وتوضيحه أن يقال إن حرف توكيد ونصب، وكلاً اسمها، واللام موطئة لقسم محذوف، وما زائدة،

زائدة واللام موطئة مقدر أو فارقة وفي قراءة بتشديد لما بمعنى إلا فإن نافية ﴿ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي جزاؤها ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ﴿١١١﴾ عالم ببواطنه كظواهره ﴿ فَٱسْتَقِمْ ﴾ على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿ كَمَآ أُمِرْتَ وَ ﴾ ليستقم ﴿ مَن تَابَ ﴾ آمن ﴿ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿١١٢﴾ فيجازيكم ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ ﴾ تميلوا ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بمودة أو مداهنة أو رضاً بأعمالهم ﴿ فَتَمَسَّكُمُ ﴾ تصيبكم ﴿ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ مِنْ ﴾

واللام الثانية للتأكيد، ويوفينهم فعل مضارع مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والهاء مفعول، وربك فاعل، وجملة القسم في محل رفع خبر إن. قوله: (**بمعنى إلا فإن نافية**) هذا ظاهر على قراءة تخفيف إن، وحينئذ فيقال إن نافية، وكلا منصوب بفعل مقدر، والتقدير إن يرى كلاً إلا ليوفينهم إلخ، ولم يتكلم على تشديدهما، هذا حاصل تقرير المفسر، ولا يخفى عليك ما فيه من المناقشة والكلفة والإعراب السالم، من ذلك كله أن يقال: إن القراءات السبعية أربع، تخفيفهما وتشديدهما وتخفيف إن فقط، وتخفيف لما فقط، مع نصب كلاً في الجميع، فعلى الأولى إن مخففة من الثقيلة، وكلا اسمها، واللام الأولى لام الابتداء، وما اسم موصول، واللام الثانية موطئة لقسم محذوف، ويوفينهم جواب القسم، وجملة القسم وجوابه صلة الموصول، والموصول وصلته خبر إن، وعلى الثانية إن عاملة، ولما أصله لمن ما بدخول اللام على من الجارة، قلبت النون ميماً لتوالي الأمثال، حذفت إحدى الميمات، وأدغمت إحدى الميمين في الأخرى، فما اسم موصول، وجملة ليوفينهم قسمية صلة الموصول، وهو وصلته خبر إن، وعلى الثالثة فإن المخففة عاملة، وأصل لما: لمن ما، فعل بها ما تقدم، وعلى الرابعة إن المشددة عاملة، واللام لام الابتداء، وما اسم موصول في جميع الأوجه كلها. واللام الثانية موطئة للقسم، والأولى لام الابتداء فتأمل، وما قررناه زبدة كلام طويل في هذا المقام فليحفظ. قوله: (**أي جزاؤها**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿**فَاسْتَقِمْ**﴾ أي دم على الاستقامة التي أمرت بها في خاصة نفسك، كقيام الليل، وتبليغ ما أمرت بتبليغه للخلق، وعدم فرارك من قتال الكفار ولو اجتمعت أهل الدنيا، وغير ذلك من التكاليف العامة له ولغيره والخاصة به. قوله: ﴿**وَمَنْ تَابَ مَعَكَ**﴾ قدر المفسر قوله: (**ليستقم**) جواباً عما يقال إن. قوله: ﴿**مَنْ تَابَ**﴾ معطوف على الضمير المستتر في استقم، فيلزم عليه أن فعل الأمر قد رفع الظاهر، فأجاب المفسر: بأن ذلك من عطف الجمل، والمحذور إنما يلزم لو كان من عطف المفردات، ويجاب أيضاً: بأنه قد يغتفر في التابع، ما لا يغتفر في المتبوع.

قوله: ﴿**وَلَا تَطْغَوْا**﴾ خطاب للنبي والأمة، ولكن المراد الأمة، فإن الطغيان مستحيل على النبي ﷺ، وفي الآية صعبة التكليف، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها». قوله: ﴿**إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ أي بالكفر أو بالمعاصي. قوله: (**بمودة**) مصدر وادد كقاتل، أي محبة. قوله: (**أو مداهنة**) أي مصانعة، فالمداهنة بذل الدين لإصلاح الدنيا. قوله: (**أو رضا بأعمالهم**) أي وتزيينها لهم، ولا عذر في الاحتجاج بضرورات الدنيا، فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين. قوله: ﴿**فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾ أي لأن المرء

زائدة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ تمنعون من عذابه ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الغداة والعشي أي الصبح والظهر والعصر ﴿وَزُلَفًا﴾ جمع زلفة أي طائفة ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي المغرب والعشاء ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الذنوب الصغائر. نزلت فيمن قبل أجنبية فأخبره ﷺ فقال: أَلِي هذا؟ فقال: «لجميع أمتي كلهم» رواه الشيخان ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ عظة للمتعظين ﴿وَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ بالصبر على الطاعة ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ المراد به النفي أي ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نهوا فنجوا ومن

يحشر مع من أحب. قوله: (يحفظونكم منه) أي من عذاب النار.

قوله: ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ منصوب على الظرفية، لإضافته إلى الظرف. قوله: (الغداة والعشي) تفسير للطرفين. قوله: (أي الصبح) راجع للغداة، وقوله: (والظهر والعصر) راجع للعشي. قوله: ﴿وَزُلَفاً﴾ بضم ففتح كغرف، وقوله: (جمع زلفة) أي كغرفة.

قوله: ﴿الْحَسَنَاتِ﴾ أي الواجبة أو المندوبة. قوله: (نزلت فيمن قبل أجنبية) أي وهو أبو اليسر، قال: اتتني امرأة تبتاع تمراً فقلت لها: إن في البيت تمراً أطيب من هذا، فدخلت معي البيت فقبلتها، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً، فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً، فلم أصبر حتى أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: أخنت رجلاً غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا، وأطرق طويلاً حتى أوحي إليه ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ إلى ﴿الذَّاكِرِينَ﴾، فقرأها رسول الله ﷺ فقلت: ألي هذا خاصة أم للناس عامة؟ فقال: بل للناس عامة. قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ أي المذكور من الأمر بالاستقامة وما بعده. قوله: ﴿وَاصْبِرْ﴾ أي ولا تنزعج من قومك. قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي بل يعطيهم فوق ما يطلبون.

قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ إلخ، لما بيّن سبحانه وتعالى ما حل بالأمم الماضية من عذاب الاستئصال، بيّن هنا أن السبب في ذلك أمران، الأول: عدم وجود من ينهى عن الفساد. الثاني: عدم رجوعهم عما هم فيه. قوله: (فهلا) أفاد المفسر أن لولا تحضيضية، والمراد بها النفي. قوله: ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للقرون، ﴿وَأُولُوا﴾، فاعل كان، وقوله: ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ حال من فاعل ﴿كَانَ﴾. قوله: (أصحاب دين وفضل) أي وسموا ﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ لأن أهل البقاء بربهم لا يتحولون عما هم عليه من الدين والصلاح، فلهم البقاء والنجاة من الهلاك. قوله: (والمراد به) أي بالتحضيض المستفاد من لولا. قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ هذا استثناء منقطع، ولذا عبر المفسر بلكن، فالمستثنى منه القرون المهلكة بالعذاب، لعدم نهيهم عن المنكر، والمستثنى من انجاه الله من العذاب، بسبب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

للبيان ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالفسادوترك النهي ﴿مَآ أُتۡرِفُواْ﴾ نعموا ﴿فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ﴾ منه لها ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ مؤمنون ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ في الدين ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ أي أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ ﴿وَكُلًّا﴾ نصب بنقص وتنوينه عوض عن المضاف إليه أي كل ما يحتاج إليه ﴿نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ

قوله: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أي داموا على شهواتهم ولم يتذكروا عذاب الله. قوله: **(نعموا)** أي من النعيم الذي يغضب الله تعالى، فالمعنى أن سبب هلاكهم انشغالهم بالشهوات المغضبة لله تعالى وعدم رجوعهم عنها. قوله: ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ الجملة حالية أي والحال أنهم فاعلون الجرائم مصرون عليها.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى﴾ هذا كالدليل لما قبله، والمعنى ما صح أن يهلك القرى بظلم منه ، والحال أن أهلها مصلحون، وسمي الأخذ من غير ذنب ظلماً تكرماً منه، وإلا فحقيقته الظلم التصرف في ملك الغير من غير إذنه، ولا ملك لأحد معه، وهو بهذا المعنى مستحيل عقلاً من الله، وأما أخذه بغير ذنب، فهو وإن كان جائزاً عقلاً فمستحيل شرعاً، لأنه سماه ظلماً تفضلاً منه، ونزه نفسه سبحانه عنه، كما ألزم نفسه بالرحمة تفضلاً منه. قوله: **(منه لها)** ويصح أن يكون المعنى بظلم منهم، ويراد بالظلم الشرك، والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى بمجرد شركهم، إذا كانوا مصلحين فيما بينهم، لفرط مسامحته تعالى في حقوقه، ولذلك تقدم حقوق العبادة على حقوق خالقهم.

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي لكنه لم يشأ ذلك، فلم يجعلهم أمة واحدة، فلو امتناعية، والمعنى امتنع ذلك لعدم مشيئة الله له. قوله: **(أهل دين واحد)** أي وهو دين الإسلام. قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ أي على أديان شتى، واستفيد من هذا، أن الاختلاف كما كان حاصلاً في الأمم الماضية، لا يزال مستمراً في هذه الأمة، فمنهم الكافر والمؤمن والطائع والعاصي، ولذلك ورد في الحديث: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وستفترقون ثلاثاً وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والمراد بالفرقة الواحدة، أهل السنة والجماعة». قوله: **(فلا يختلفون فيه)** بل هم على دين واحد لا يتفرقون، قال تعالى: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾. قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ اللام للعاقبة والصيرورة، والمعنى: خلق أهل الاختلاف، لتكون عاقبة أمرهم هو الاختلاف، وخلق أهل الرحمة، لتكون عاقبة أمرهم الرحمة.

قوله: ﴿وَتَمَّتْ﴾ أي حقت ووجبت. قوله: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّم﴾ أي حتى تقول قط قط، بمعنى يكفي يكفي كما في الحديث، وذلك بعد أن تمد أعناقها وتطلب الزيادة، فيتجلى الله عليها بصفة الجلال، فتخضع وتذل وتقول قط قط. قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي الكفار منهم، لأن الامتلاء على سبيل الخلود، لا يكون إلا من الكفار. قوله: **(نصب بنقص)** أي على أنه مفعول له.

مَا﴾ بدل من كلا ﴿نُثَبِّتُ﴾ نطمن ﴿بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ قلبك ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ الأنباء أو الآيات ﴿ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ ﴿١٢١﴾ على حالتنا تهديد لهم ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ ذلك ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي علم ما غاب فيهما ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ﴾ بالبناء للفاعل يعود وللمفعول يرد ﴿ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فينتقم ممن عصى ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ وحده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ وإنما يؤخرهم لوقتهم وفي قراءة بالفوقانية.

قوله: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ أي أخبارهم. قوله: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي القصص والأخبار التي بها يزداد فؤادك ثباتاً على أداء الرسالة، وتحمل أذى قومك، وعلماً بفضل أمتك وشرفها، حيث انقاد منها خلق كثير في مدة يسيرة، بخلاف الأمم الماضية. قوله: (**الأنباء**) أي الأخبار، وقوله: (**أو الآيات**) تفسير ثان، والمراد بالآيات آيات هذه السورة وخصت بالذكر، وإن كان جاءه الحق في جميع السور تشريفاً لها، لكونها جمعت من قصص الأمم الماضية ما لم يكن في غيرها. قوله: ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ أي اتعاظ، وقوله: ﴿وَذِكْرَى﴾ أي تذكر وتدبر. قوله: (**حالتكم**) أي وهي الكفر. قوله: (**على حالتنا**) أي وهي الإيمان. قوله: (**تهديد لهم**) أي تخويف، وليس المراد الأمر بدوامهم على الكفر، بل هو على حد: إذا لم تستح فاصنع ما شئت. قوله: ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾(**ذلك**) أي عاقبة أمركم.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال كعب الأحبار: خاتمة التوراة هي خاتمة سورة هود. قوله: (**أي علم ما غاب فيهما**) أي فلم يكلفنا بمعرفته. قوله: (**للمفعول**) أي فهما قراءتان سبعيتان والمعنى واحد. قوله: ﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ أي أمر الخلائق كلهم في الدنيا والآخرة من خير وشر. قوله: (**فينتقم ممن عصى**) أي ويثيب من أطاع. قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ هذا مفرع على قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلخ، أي فحيث كان هو العالم بما غاب في السماوات والأرض، وإليه مرجع الأمور كلها، فهو حقيق بعبادته هو لا غيره، وحقيق بالتوكل عليه وتفويض الأمور إليه. قوله: (**ثق به**) أي اعتمد عليه ولا تلتفت لغيره؛ فإنه لا يضر ولا ينفع، بل الضار النافع، المعطي المانع، هو الله، وبهذا تعلم أن التوكل أمر زائد على التوحيد، فالتوحيد ينفي الشرك، والتوكل ينفي الأوهام المعطلة على مراتب الأخيار. قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿مَا﴾ حجازية، و ﴿رَبُّكَ﴾ اسمها، و ﴿بِغَافِلٍ﴾ خبرها منصوب بفتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (**بالفوقانية**) أي خطاباً للنبي والمؤمنين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ يُوسُفَ

مكيّة
وآياتها إحدى عشرة ومائة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى من ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ (١) المظهر للحق من الباطل ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ (٢) تفهمون معانيه ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة يوسف مكية

وهي مائة وإحدى عشرة آية

مناسبة هذه السورة لما قبلها، جمع قصص الأنبياء، فإن ما قبلها ذكر فيها سبع قصص للأنبياء، وهذا من محاسن قصص الأنبياء، وأيضاً ليتسلى النبي ﷺ بما وقع للأنبياء من أذى الأقارب والأباعد، على ما وقع له من أذى قومه الأقارب والأباعد، وحكمة قص القصص عليه، ليتأسى بهم ويتعلق بأخلاقهم، فيكون جامعاً لكمالات الأنبياء. وسبب نزول هذه السورة، أن اليهود سألت النبي ﷺ وقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، وهذه السورة فيها من الفوائد الشريفة والحكم المنيفة، ما لا يدخل تحت حصر، ولذا قال خالد بن معدان: سورة يوسف وسورة مريم، تتفكه بهما أهل الجنة في الجنة، وقال عطاء: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها. قوله: **(مكية)** خبر أول عن سورة، وقوله: (مائة) إلخ، خبر ثان.

قوله: **﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾** مبتدأ وخبر، وأشير إليها بإشارة البعيد، إشارة لبعد رتبتها عن كلام الحوادث وعلو شأنها. قوله: **(هذه الآيات)** أي آيات هذه السورة. قوله: **(المظهر للحق)** أي فهو مأخوذ من أبان المتعدي، ويصح أخذه من اللازم، ويكون المعنى البين حلاله وحرامه.

قوله: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾** أي نحن بعظمتنا وجلالنا. قوله: **﴿عَرَبِيًّا﴾** نعت للقرآن، والعربي منسوب للعرب لكونه نزل بلغتهم، والمعنى أن القرآن نزل بلغة العرب، فليس فيه شيء غير عربي. فإن قلت: قد ورد في شيء غير عربي، كسجيل ومشكاة واستبرق وغير ذلك. أجيب: بأن هذا مما توافقت فيه اللغات،

﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن﴾ مخففة أي وإنه ﴿كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ ﴿٣﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بالكسر دلالة على ياء الإضافة المحذوفة والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء ﴿إِنِّى رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا

والمراد أن تراكيبه وأساليبه عربية، وإن ورد فيه غير عربي، فهو على أسلوب العرب، وعلى أسلوب غيرهم، وإنما كان عربياً، لأن تلك اللغة أفصح اللغات، ولأنها لغة أهل الجنة في الجنة. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ علة لكونه عربياً، والمعنى لكي تفهموا معانيه وتتأملوا فيها، فتعلموا أنه من عند الله.

قوله: ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق، والتقدير قصصاً أحسن القصص، والقصص في اللغة من قص الأثر تتبعه، سمي الكلام الذي يحكي عن الغير بذلك، لأن المتكلم يقص الخبر شيئاً فشيئاً، والمعنى نحن نبين لك أخبار الأمم السابقة أحسن البيان، وقيل المراد خصوص قصة يوسف، وإنما كانت أحسن القصص، لما فيها من الحكم والنكت، وسير الملوك والمماليك والعلماء، ومكر النساء، والصبر على الأذى، والتجاوز عنه أحسن التجاوز، وغير ذلك من المحاسن. قوله: (بإحيائنا) الباء سببية، وأشار بذلك إلى أن ما مصدرية، والجار والمجرور متعلق بنقص. قوله: ﴿هٰذَا الْقُرْآنَ﴾ اسم الإشارة مفعول لأوحينا، والقرآن بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان أو نعت. قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿مِنْ الْغَافِلِينَ﴾ أي لم تخطر ببالك تلك القصة ولم تسمعها قط، بل كنت خالي الذهن منها، وهذا من معجزاته ﷺ، حيث يخبر عن المتقدمين والمتأخرين، بأحسن تعبير وأبلغ وجه، ولذا قال البوصيري:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

فأكبر دليل على فضل الإنسان، غزارة علمه وسعة اطلاعه، على ما أعطاه الله من العلوم اللدنية والمعارف الربانية. قوله: (اذكر) قدره إشارة إلى أن ﴿إِذْ﴾ ظرف لمحذوف، وقيل معمول لقوله تعالى: (يا بنيّ) وهو الأولى لما فيه من عدم الحذف. قوله: ﴿يُوسُفُ﴾ اسم عبراني ممنوع من الصرف، وعاش من العمر مائة وعشرين سنة، وعاش أبوه مائة وسبعاً وأربعين سنة، وعاش جده إسحاق مائة وثمانين سنة، وعاش جده إبراهيم مائة وخمساً وسبعين سنة. قوله: (بالكسر) أي وأصلها يا أبي، حذفت الياء وعوض عنها تاء التأنيث، ونقلت كسرة ما قبلها لها، وفتحت الياء لمناسبة تاء التأنيث، وتقول في إعرابها: يا حرف نداء، وأبت منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، المعوض عنها تاء التأنيث. قوله: (والفتح) أي وأصلها أبي، بكسر الباء وفتح الياء، ففتحت الباء ثم تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، حذفت الألف وعوض عنها تاء التأنيث، وفتحت للدلالة على الألف المحذوفة، وتعويض تاء التأنيث عن ياء المتكلم مختص بلفظين: أبت وأمت، وهذان الوجهان زائدان على أوجه المنادى المضاف لياء المتكلم وهي خمس، جمعها ابن مالك في قوله:

واجعل منادى صح إن يضف ليا كعبد عبدي عبد عبداً عبديا

فيكون في أبت وأمت سبعة أوجه، يجوز منها وجهان قراءة لا غير. قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ هذه الرؤية كانت ليلة الجمعة ليلة القدر، وكان سنه إذ ذاك اثني عشرة، وقيل سبع سنين، وقيل سبع عشرة سنة،

وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد ﴿لِى سَٰجِدِينَ﴾ ﴿٤﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ يحتالوا في هلاكك حسداً لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس أمك والقمر أبوك ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ

وبين هذه الرؤية واجتماعه بأبيه وإخوته في مصر أربعون سنة، وقيل ثمانون، وقيل اثنتان وعشرون، وقيل ثمانية عشر، وسيأتي تحقيق ذلك، والمراد بالسجود هنا، قيل الخضوع والانحناء، وقيل حقيقة السجود.

قوله: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً﴾ أي وهو: جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروخ والفرع ووثاب وذو الكتفين، قد رأى الجميع نزلن من السماء وسجدن له، وجريان بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد الياء التحتية، وقابس بقاف وموحدة وعين مهملة، وعمودان تثنية عمود، والفليق بفاء آخره قاف، والمصبح اسم مفعول، والفرع بفاء وراء مهملة ساكنة وعين مهملة، ووثاب بتشديد المثلثة، وذو الكتفين تثنية كتف. قوله: (تأكيد) أي هذه الجملة تأكيد للجملة الأولى، ويصح أن يكون قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لي﴾ جواباً لسؤال مقدر نشأ من قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والْشَمْسَ والْقَمَرَ﴾ كأن قائلاً قال: وما كيفية رؤياك فيهم؟ فقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لَي سَاجِدِينَ﴾. قوله: (جمع بالياء والنون) أي قوله: ﴿سَاجِدِينَ﴾.

قوله: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ إنما نهاه أبوه عن ذلك لأنه فهم من رؤياه أن الله تعالى يصطفيه لرسالته ويفوق إخوانه فخاف عليه حسدهم، ويؤخذ من ذلك، أن الإنسان إذا رأى خيراً في منامه، فلا يخبر به إلا حبيباً أو لبيباً غير حسود، لما قيل: إن الرؤيا على رجل طائر متى قصت وقعت، بخلاف رؤيا المكروه، فلا يقصها، لما في الحديث: «إذا رأى أحدكم ما يحب، فلا يحدث بها إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره، فليتفل عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من الشيطان وشرها، فإنها لن تضره». قوله: (والشمس أمك والقمر أبوك) حكمة تأويل أمه بالشمس، لأنها يظهر منها الأقمار وهم الأنبياء، وأبيه بالقمر، لأن القمر يهتدى به في الظلم، فكذلك الرسل يهتدى بهم في ظلمات الجهل والشرك، والإخوة بالكواكب، لأن نورهم لا يبلغ نور أبيهم، إما لأنهم أنبياء فقط وليسوا برسل، أو أولياء فقط وليسوا بأنبياء، وما مشى عليه المفسر، من أن المراد بالشمس أمه أحد قولين، وقيل إن أمه راحيل قد ماتت، والمراد بالشمس خالته ليا.

قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي فيوقع الإنسان في المعاصي لفرط عداوته له. واعلم أن ما وقع من إخوة يوسف معه مما يأتي في القصة، باق على ظاهره، ولا تأويل فيه على القول بعدم نبوتهم، لأن الولي تجوز عليه المعصية، ولكن لا يصر عليها بل يتوب، وهؤلاء آل أمرهم لحسن التوبة، وأما على القول بنبوتهم، فهو مشكل غاية الإشكال، إذ كيف يقع ذلك من الأنبياء؟ فأجاب العلماء على ذلك، بأن هذا مبني على أن النبي معصوم بعد النبوة لا قبلها، أو كانوا لم يبلغوا الحلم، وكل هذا ليس بسديد، بل الحق أن النبي معصوم ظاهراً وباطناً، قبل النبوة وبعدها، وإنما الواجب الذي يشفي الغليل ويريح العليل أن يقال: إن الله أطلعهم على أن يوسف يعطي النبوة والملك بمصر، ولا يتصور ذلك إلا بهذا الفعل، فهم مأمورون به باطناً مخالفون ظاهراً، إذ ليسوا مشرعين، فلا يكلمون إلا بخلوص

لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ظاهر العداوة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ أولاده ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا﴾ بالنبوة ﴿عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ لخلقه ﴿حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ في صنعه بهم ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ وهم أحد عشر ﴿ءَايَٰتٌ﴾ عبر ﴿لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ عن خبرهم اذكر ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ أي بعض إخوة يوسف لبعضهم ﴿لَيُوسُفُ﴾ مبتدأ ﴿وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾ خبر ﴿إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ﴾ خطإ

بواطنهم مع ربهم، ونظير ذلك قصة الخضر مع موسى، حيث قال بعد ما فعل ما فعل: ﴿وما فعلته عن أمري﴾، فهم مأمورون بحكم الباطن، مخالفون بحكم الظاهر، وقصة آدم في أكله من الشجرة، وتقدم ما يفيد ذلك في البقرة بأبلغ وجه.

قوله: ﴿**وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ**﴾ أي كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا العظيمة، يختارك ويصطفيك ربك. قوله: (**تعبير الرؤيا**) أي تفسيرها. قوله: ﴿**وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ**﴾ أي يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة. قوله: ﴿**وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ**﴾ لم يقل بالنبوة إشارة للخلاف في نبوتهم. قوله: ﴿**إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ**﴾ إما بدل من أبويك، أو عطف بيان عليه. قوله: ﴿**عَلِيمٌ**﴾(**بخلقه**) أي فيصطفي من يشاء، وقوله: ﴿**حَكِيمٌ**﴾(**في صنعه**) أي فيضع الأشياء في محلها.

قوله: ﴿**لَقَدْ كَانَ**﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، والتقدير والله لقد كان إلخ. قوله: (**وهم أحد عشر**) أي وهم: يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وريالون ويشجر، وهؤلاء الستة من بنت خال يعقوب ليا، ثم بعد موتها تزوج أختها راحيل، وقيل جمع بينهما ولم يكن لجمع بين الأختين محرماً في شرعه، فولدت له بنيامين ويوسف، وأما الأربعة الباقية: دان ونفتالي وجاد وآشر، فمن سريتين زلفة وبلهة. قوله: ﴿**آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ**﴾ أي وغيرهم، ففيه اكتفاء، وذلك أن اليهود لما سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، وقيل سألوا عن انتقال أولاد يعقوب، من أرض كنعان إلى أرض مصر، فذكر لهم تلك القصة، فوجدوها مطابقة لما في التوراة، وحينئذ فهي من دلائل نبوته ﷺ، حيث قص عليم تلك القصة بأبلغ وجه، مع كونه لم يسبق له تعلم من أحد، ولا قرأ ولا كتب. قوله: ﴿**لَيُوسُفُ**﴾ اللام موطئة لقسم محذوف. قوله: (**بنيامين**) بكسر الباء وفتحها، وهو أصغر من يوسف. قوله: ﴿**أَحَبُّ**﴾(**خبر**) أي عن يوسف وأخوه، ولم تحصل المطابقة لأنه اسم تفضيل مجرد، وهو يلزم التذكير والتوحيد، قال ابن مالك:

وإن لمنكور يضف أو جردا ... ألزم تذكيراً وأن يوحدا

و ﴿**أَحَبُّ**﴾ مصوغ من حب المبني للمفعول وهو سماعي، ولو جاء على القياس لتوصل إليه بأشد، قال ابن مالك:

وأشدد أو أشد أو شبههما ... يخلف ما بعض الشروط عدما

واعلم أن مادة الحب والبغض، إذا بني أفعل التفضيل منها تعدى للفاعل بإلى، وللمفعول باللام، أو بفي، الآية الكريمة من الأول، فإن الأب هو فاعل المحبة، وإذا قلت: زيد أحب لي من عمرو، وأحب

﴿مُّبِينٍ﴾ ⁽⁸⁾ بين بإيثارهما علينا ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ أي بأرض بعيدة ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ ⁽⁹⁾ بأن تتوبوا ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ هو يهودا ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ﴾ اطرحوه ﴿فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ مظلم البئر، وفي قراءة بالجمع ﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ ⁽¹⁰⁾ ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ ⁽¹¹⁾ لقائمون بمصالحه ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا﴾ إلى الصحراء ﴿يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ بالنون والياء فيهما ننشط ونتسع ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ⁽¹²⁾ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ﴾

في منه، كان معناه أن زيداً يحبني أكثر من عمرو. قوله: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ الجملة حالية، والعصبة قيل من العشرة إلى الأربعين، وقيل من ثلاثة إلى عشرة، وقيل من عشرة إلى خمسة عشر، وقيل غير ذلك. قوله: **(خطأ)** أي في أمر الدنيا وما يصلحها، لأنا أشد قوة وأكبر سناً وأكثر منفعة من يوسف، فلم آثره علينا في المحبة، إن هذا الخطأ بين، وليس المراد الخطأ في الدين، فإن اعتقاده كفر. قوله: **(بإيثارهما)** أي تقديمها.

قوله: **﴿اقْتُلوا يُوسُفَ﴾** إلخ، إنما قالوا ذلك، لأن خبر المنام بلغهم، فتشاوروا في كيده بين أحد أمرين: إما قتله أو تغريبه بأرض بعيدة. قوله: **(أي بأرض)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿أَرْضاً﴾** منصوب على نزع الخافض، ويصح نصبه على الظرفية، لأن المقصود أي أرض بعيدة. قوله: **﴿وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾** أي قلبه، والمعنى لا يكون لكم منازع في محبته فيكم حينئذ. قوله: **(بأن تتوبوا)** أي تصلحوا دينكم بعد هذه الفعلة. قوله: **﴿قَالَ قَائِلٌ﴾** هذا رأي ثالث أرفق بيوسف مما تقدم على الخصلتين. قوله: **(هو يهودا)** بدال مهملة، وأصل بالعبرانية المعجمة، لكن لما استعملته العرب أهملته، وكان أكبرهم سناً وأحسنه رأياً، وقيل القائل روبيل.

قوله: **﴿فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾** الغيابة الشيء المظلم، والجب البئر التي لم تطو والمعنى اطرحوه في قعر البئر المظلم، وكان بأرض بيت المقدس، وقيل بالأردن، وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب. قوله: **﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾** أي لأن هذا الجب كان يرد عليه كثير من المسافرين. قوله: **(فاكتفوا بذلك)** قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف.

قوله: **﴿قَالُوا يَا أَبَانَا﴾** هذا مرتب على محذوف، وذلك أنهم قالوا أولاً ليوسف: اخرج معنا إلى الصحراء إلى مواشينا فنستبق ونصيد، وقالوا له: سل أباك أن يرسلك معنا، فسأله فتوقف يعقوب، فقالوا مالك إلخ، والمعنى أي شيء ثبت لك في عدم أمننا؟ قوله: **﴿تَأْمَنَّا﴾** اتفق القراء على إخفاء النون الساكنة عند النون المتحركة، واتفقوا أيضاً على إدغامها مع الأشمام كما في الخطيب، ومن الشواذ ترك الإدغام كما في أبي السعود. قوله: **(لقائمون بمصالحه)** أي لعاطفون عليه حافظون له. قوله: **﴿غَداً﴾** منصوب على الظرفية، والغد: اليوم الذي بعد يومك. قوله: **(بالنون والياء فيهما)** أي في نرتع ونلعب، وهما قراءتان سبعيتان، والرتع التمتع في أكل الفواكه ونحوها، واللعب بالاستباق والانتضال تمريناً لقتال الأعداء؛ وهو

أي ذهابكم ﴿بِهِۦ﴾ لفراقه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ مشغولون ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ عاجزون. فأرسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟﴾ عزموا ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ وجواب لما محذوف أي فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله وأدلوه، فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط في الماء ثم أوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهودا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ في الجب وحي حقيقة وله سبع عشرة سنة أو دونها تطميناً لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم

غرض صحيح مباح، لما فيه من تعلم المحاربة والإقدام على العدو. قوله: ﴿لَيَحْزُنُنِي﴾ الحزن ألم القلب بفراق المحبوب.

قوله: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ بالهمز وتركه قراءتان سبعيتان، وسبب خوفه، أنه كان رأى في المنام أن ذئباً تعرض ليوسف، فكان يخاف عليه الذئب. قوله: ﴿قَالُوا لَئِنْ اكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ هذا جواب عن عذره الثاني وهو قوله: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ وأما الأول وهو قوله: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي﴾ إلخ، فلا يجيبوا عنه، لأن غرضهم حصوله. قوله: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ الجملة حالية. قوله: **(عاجزون)** أي فالخسران مجاز عن الضعف والعجز لأنه يشبهه.

قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ تقدم أنه كان بين ذهابهم به واجتماعه بأبيه أربعون سنة، وقيل ثمانون سنة، لم تجف فيها عين يعقوب. قوله: **(بأن نزعوا قميصه)** إلخ، روي أنهم لما برزوا به إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه، حتى كادوا يقتلونه، فصار يصيح ويستغيث، فقال يهودا: أما عاهدتموني على ألا تقتلوه؟ فأتوا به إلى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها، ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم، فقال: يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به، فقالوا له: ادع الأحد عشر كوكباً، والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك، وفي القصص، أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، جرد عن ثيابه، فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فدفعه إبراهيم إلى إسحاق، ودفعه إسحاق إلى يعقوب فجعله في قصبة من فضة، وجعلها في عنق يوسف، فألبسه الملك إياه حين ألقي في الجب، فأضاء له الجب، وسيأتي أنه القميص الذي أرسله مع البشير بأمر جبريل، وأخبره أنه لا يلقى على مبتلى إلا عوفي. قوله: **(ثم أوى إلى الصخرة)** أي جاء له بها الملك فأجلسه عليها، قال الحسن: لما ألقي يوسف في الجب عذب ماؤها، فكان يغنيه عن الطعام والشراب، ودخل عليه جبريل فأنس به، فلما أمسى نهض ليذهب فقال: إنك إذا خرجت استوحشت، فقال: إذا رهبت من شيء فقل: يا صريخ المستصرخين، ويا غوث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين، فقد ترى مكاني وتعلم حالي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، فلما قالها يوسف، حفته الملائكة واستأنس في الجب، وفرج الله عنه بخروجه من ليلته، وقيل إنه مكث في الجب ثلاثة أيام، فكان إخوته يرعون حوله، وكان يهودا يأتيه بالطعام. قوله: **(أو دونها)** قيل خمسة عشر، وقيل اثني عشر، وقيل سبعة.

قوله: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾ أي كما سيأتي في قوله: ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه﴾ الآية. قوله:

﴿هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ بك حال الإنباء ﴿وَجَاءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نرمي ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق ﴿لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ ﴿١٧﴾ عندك لا تهمتنا في هذه القصة لمحبة يوسف فكيف وأنت تسيء الظن بنا ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ محله نصب على الظرفية أي فوقه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي ذي كذب بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحاً وعلم كذبهم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع فيه وهو خبر مبتدأ محذوف أي أمري ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ ﴿١٨﴾ تذكرون من أمر يوسف ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريباً من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَىٰ﴾ أرسل ﴿دَلْوَهُ﴾ في البئر

﴿عِشَاءً﴾ أي ليكونوا في الظلمة ليقبل اعتذارهم، فلما بلغوا منزل يعقوب، جعلوا يبكون ويصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وسألهم، فأجابوه بما ذكر. قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ إلخ، في هذا الكلام فتح باب اتهام لهم كما لا يخفى. قوله: **(لاتهمتنا)** إلخ، قدره المفسر إشار إلى أن لو شرطية، وجوابها محذوف، والأسهل من هذا جعل الواو حالية، ولو زائدة، والتقدير وما أنت بمؤمن لنا، والحال أنا كنا صادقين في نفس الأمر. قوله: **(محله نصب)** أي فعلى ظرف بمعنى فوق. قوله: **(أي ذي كذب)** أشار بذلك إلى أن وصف الدم بالكذب على حذف مضاف، ويصح أن يكون مبالغة على حد زيد عدل. قوله: **(سخلة)** هي الصغيرة من الغنم. قوله: **(وذهلوا عن شقه)** أي عن تمزيقه، لأن العادة أن الذئب إذا أكل الإنسان يشق قميصه، وقد ذهلوا عن هذه الحيلة كي لا تتم لهم. قوله: **(لما رآه صحيحاً)** روي أنه قال: ما أحلم هذا الذئب يأكل ابني ولا يقد قميصه، وقيل: إنهم أتوه بذئب وقالوا: هذا أكله، فقال يعقوب: أيها الذئب، أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي؟ فأنطقه الله قال: والله ما أكلت ولدك ولا رأيته قط، ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الأنبياء، فقال له يعقوب: فكيف وقعت بأرض كنعان؟ فقال: جئت لصلة الرحم، فأخذوني وأتوا بي إليك، فأطلقه يعقوب.

قوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ أي سهلت لكم أنفسكم أمراً عظيماً، فعلتموه بيوسف وهونتموه في أعينكم. قوله: **(لا جزع فيه)** فسر المفسر الصبر الجميل، بأنه الذي لا جزع فيه، والأولى أن يفسره كما في الحديث: «بأنه الذي لا شكوى فيه لغير الله، وأما الهجر الجميل، فهو الذي لا إيذاء معه، وأما الصفح الجميل، فهو الذي لا عتاب بعده، وقد تحقق بجميعها كل من يوسف ويعقوب». قوله: **(المطلوب منه العون)** أي فالسين والتاء للطلب. قوله: ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي على تحمل المكاره التي تذكرونها في أمر يوسف.

قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ جمع سائر أي مسافر، سموا بذلك لسيرهم في الأرض. قوله: **(من مدين إلى مصر)** أي فأخطؤوا الطريق، ونزلوا بأرض قفراء قريباً من الجب. قوله: ﴿فَأَرْسَلُوا﴾ ذكر باعتبار المعنى، ولو راعى اللفظ لقال: فأرسلت واردها. قوله: ﴿وَارِدَهُمْ﴾ وهو مالك بن ذعر الخزاعي، وهو من أهل مدين. قوله: ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ يقال أدلى بالهمز إذا أرسل الدلو في البئر ودلاه بالتضعيف إذا نزعه،

فتعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ ﴾ وفي قراءة بشرى ونداؤها مجاز أي احضري فهذا وقتك ﴿ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾ فعلم به إخوته فأتوه ﴿ وَأَسَرُّوهُ ﴾ أي أخفوا أمره جاعليه ﴿ بِضَٰعَةً ﴾ بأن قالوا هذا عبدنا أبق، وسكت يوسف خوفاً من أن يقتلوه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ ١٩

والدلو مؤنث وقد يذكر. قوله: (فأخرجه) أي بعد أن مكث فيها ثلاثة أيام على ما قيل، ولما خرج صارت جدران البئر تبكي عليه.

قوله: ﴿قَالَ يَا بُشْرَايَ﴾ منادى مضاف لياء المتكلم. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (ونداؤها مجاز) أي لتنزيلها منزلة العاقل. قوله: ﴿هٰذَا غُلَامٌ﴾ التنكير للتعظيم، لأنه كان عليه السلام حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العينين، مستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساعدين والعضدين والساقين، وخميص البطن، صغير السرة، وكان إذا تبسم ظهر النور من ضواحكه وإذا تكلم ظهر من ثناياه، وبالجملة لم يكن أحسن منه إلا سيدنا محمد ﷺ، فإن يوسف أعطي شطر الحسن، ورسول الله أعطي الحسن كاملاً، قال البوصيري:

منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

إن قلت: إذا كان كذلك، فلم لم تفتتن النساء بجمال محمد ﷺ كما افتتنَّ بجمال يوسف؟ أجيب: بأن جمال محمد قد ستره الله بالجلال كالشمس، لا يستطيع أحد أن يتأمل فيها إذا قرب منها، ولذا لم ترو الشمائل الشريفة، إلا عن صغار الصحابة، كالحسن والحسين وعبد الله بن عمر وغيرهم، لا عن كبارهم، لقيام الجلال بقلوبهم فيمنعهم من وصفه، وأما جمال يوسف فهو ظاهر، لم يستتر بجلال كالبدر، فحينئذ يتأمل فيه المتأمل ويصفه الواصف، غير أنه يعجز عن استيعاب محاسنه، ومن هذا المعنى قول ابن الفارض:

لو أسمعوا يعقوب بعض ملاحة في وجهه نسي الجمال اليوسفي

قوله: (فعلم به إخوته) أي حين نظروا إلى القافلة واجتماعها على البئر، فأتوهم وقد ظنوا موت يوسف، فرأوه أخرج حياً، فضربوه وقالوا: هذا عبد آبق منا، فإن أردتم بعناه لكم، ثم قالوا له بالعبرانية: لا تنكر العبودية نقتلك، فأقر بها، فاشتراه مالك بن ذعر الخزاعي. قوله: ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ الضمير عائد على السيارة بمعنى بعضهم، وهو مالك بن ذعر، والمعنى أن البائع والمشتري أخفوا أمره وجعلوه بضاعة أي قالوا: إنه بضاعة استبضعناه لبعض أهل الماء لنبيعه لهم بمصر، وإنما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منه الشركة فيه وقوله: (جاعليه) حال من فاعل ﴿أَسَرُّوهُ﴾، وقوله: ﴿بِضَاعَةً﴾ معمول لتلك الحال، وهذا في الحقيقة، وأما بحسب الظاهر، فهو حال من الواو في أسروه، ومعنى قوله بضاعة، أنه ملك للغير أعطوه له ليبيعه لهم، ويصح أن يعود الضمير على الإخوة، ويكون معنى البضاعة الشيء المعمول الذي يباع ويشرى، وعليه درج المفسر.

قوله: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي من العمل الذي ظاهره قبيح وباطنه حسن، حيث ترتب عليه من الأسرار والفوائد العظيمة، ما لا يدخل تحت حصر، وهذا تعليم من الله لعباده، التفويض والتسليم له في

﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وَكَانُوا۟﴾ أي إخوته ﴿فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو قطفير العزيز ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ زليخا ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ مقامه عندنا ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ وكان حصوراً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بمكنا أي لنملكه أو الواو زائدة ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ تعالى لا يعجزه شيء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار

شأن إخوة يوسف، والمعنى لا تخض أيها السامع في شأنهم بسوء، فإن الله عليم بما يعملون. قوله: **(باعوه)** أي إخوته، وقوله: **(منهم)** أي السيارة، والمعنى باعه إخوته للسيارة، أي لبعضهم وهو مالك بن ذعر الخزاعي. قوله: **(ناقص)** أي عن قيمته لو كان رقيقاً، وقيل إن البخس معناه الحرام، لأنه ثمن حر وهو حرام.

قوله: **﴿مَعْدُودَةٍ﴾** أشار بذلك إلى أنها قليلة، لأنهم كانوا لا يزنون ما قل عن أربعين درهماً، ويأخذونها عداً، ويزنون ما بلغها وهو أوقية. قوله: **(أي إخوته)** ويصح أن يعود الضمير على السيارة، وإنما زهدوا فيه لخوفهم منه، حيث وصف لهم بالإباق. قوله: **(الذي اشتراه)** أي وهو مالك بن ذعر الخزاعي. قوله: **(بعشرين ديناراً)** إلخ، وقيل لما عرض للبيع، ترافع الناس في ثمنه حتى أبلغ وزنه ذهباً، وقيل فضة، وقيل مسكاً، وقيل حريراً، وكان وزنه أربعمائة رطل. قوله: **(وهو قطفير العزيز)** أي وكان وزيراً للريان ملك مصر، وقد آمن بيوسف ومات في حياته، وقد اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة، ومكث يوسف في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة. قوله: **(زليخا)** بفتح الزاي وكسر اللام والمد، أو بضم الزاي وفتح اللام.

قوله: **﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾** أي يكفينا بعض أمورنا إذا قوي وبلغ، أو يربح إذا أردنا بيعه. قوله: **﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾** أي نتبناه، وأو مانعة خلو تجوز الجمع، وهو المقصود لهما. قوله: **(وكان حصوراً)** أي لا يأتي النساء أو عقيماً.

قوله: **﴿وَكَذٰلِكَ﴾** إلى قوله: **﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾** معترض بين وصية العزيز، وما وقع من زوجته. قوله: **(من القتل)** أي الذي عزم عليه إخوته، وقوله: **(والجب)** أي الذي رموه فيه. قوله: **(وعطفنا عليه قبل العزيز)** أي خلقنا فيه الميل والمحبة، حيث دفع فيه المال الكثير، وأوصى زوجته عليه. قوله: **﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾** أي أعطيناه مكانة ورتبة عالية في الأرض. قوله: **(حتى بلغ ما بلغ)** أي من السلطنة والعز. قوله: **(لنملكه)** إما من الملك بكسر الميم، أي نجعله مالكاً لما فيها، أو من الملك بضمها، أي نجعله سلطاناً على أهلها. قوله: **(والواو زائدة)** أي والمعنى: مكنا ليوسف في الأرض لنعلمه إلخ. قوله: **(لا يعجزه شيء)** أي لأنه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، فلا راد لما قضاه.

﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٢١﴾ ذلك ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ وهو ثلاثون سنة أو وثلاث ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلۡمًاۚ﴾ فقهاً في الدين قبل أن يبعث نبياً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ لأنفسهم ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ أي طلبت منه أن يواقعها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتۡ﴾ له ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ أي هلم واللام للتبيين وفي قراءة بكسر الهاء وأخرى بضم التاء. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الذي اشتراني ﴿رَبِّيٓ﴾ سيدي ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ الزناة ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ قال

قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ جمع شدة كنعمة وأنعم، ولم يقل هنا واستوى كما قال في حق موسى، لأن موسى بلغ الأربعين وهي سن النبوة، فقد استوى وتهيأ لحمل أسرار النبوة، وأما يوسف فلم يكن إذ ذاك بلغ هذه السن. قوله: (حكمة) هي العلم مع العمل. قوله: ﴿وَعِلْماً﴾ عطف عام على خاص. قوله: (كما جزيناه) أي بكل خير. قوله: ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي فاعلي الإحسان، والمعنى: لا خصوصية ليوسف بذلك، بل سنة الله في خلقه، إن كل محسن له من الله الجزاء الحسن.

قوله: ﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾ هذه الآية مرتبطة بقوله: ﴿وقال الذي اشتراه من مصر﴾ إلخ، وما بينهما اعتراض قصد به بيان عواقب صبر يوسف، من السيادة والخير العظيم، والمراودة مفاعلة، وهي في الأصل تكون من الجانبين، ولكنها هنا من جانب واحد، ولما كان الجانب الآخر سبباً في حصول الفعل نزل منزلته، فقيل فيه مفاعلة، وذلك أن جمال يوسف سبباً لميلها وطلبها له، فالمفاعلة ليست على بابها، نظير مداواة المريض، فإن سبب المداواة المرض القائم بالمريض. قوله: (هي زليخا) أي يصرح باسمها، استهجاناً له وستراً وتعليماً للأدب، كأن الله يقول: من الآداب أن لا يذكر أحد زوجته باسمها، بل يكني عنها، ولم يذكر في القرآن اسم امرأة إلا مريم، وتقدم الجواب عنه بأن النصارى زعموا أنها زوجة الله، فذكرها باسمها رداً عليهم، كأنه يقول: إن أحدكم يستنكف عن ذكر اسم زوجته بين الناس، فلو كانت زوجة له كما تزعمون، لكنى عنها كما يكني الرجال عن زوجته. قوله: (أي طلبت منه) أشار بذلك إلى أن المراودة من جانبها فقط.

قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ أي وكانت سبعة. قوله: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي بفتح الهاء والتاء ككيف. قوله: (وفي قراءة بكسر الهاء) أي مع فتح التاء كقيل، وقوله: (وأخرى) بضم التاء أي مع فتح الهاء كحيث، فهذه ثلاث قراءات، وبقي قراءتان وهما: هئت بكسر الهاء وبالهمزة الساكنة وفتح التاء وضمها وكلها سبعية. قوله: (واللام للتبيين) أي تبيين المفعول الذي هو المخاطب، كأنها تقول: الخطاب لك نظير سقياً لك ورعياً لك. قوله: ﴿مَعَاذَ اللهِ﴾ منصوب على أنه مصدر نائب عن الفعل، والأصل أعوذ بالله معاذاً كسبحان الله بمعنى أسبح الله.

قوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ الهاء اسم إن، وربي خبرها، و ﴿أَحْسَنَ﴾ جملة حالية أو خبر ثان، وما درج عليه المفسر من أن الضمير للحال والشأن، ومراده بربه الذي اشتراه أحد تفسيرين، والآخر أن الضمير يعود على الله تعالى، وهو الأقرب والأظهر. قوله: ﴿أَحْسَنَ مَثْوَاي﴾ تعهدي حيث أمرك بإكرامي، فلا يليق مني أن أخونه، وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بلطف. قوله: (قصدت منه الجماع) أي مع العزم

ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله، وجواب لولا لجامعها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أريناه البرهان ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ الخيانة ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ الزنا ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ في الطاعة وفي قراءة بفتح اللام أي المختارين ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ بادر إليه يوسف للفرار وهي للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبته إليها ﴿وَقَدَّتۡ﴾ شقت ﴿قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ فنزهت نفسها ثم ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ زنا ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾ يحبس أي سجن ﴿أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ ﴿٢٥﴾ مؤلم بأن يضرب ﴿قَالَ﴾

والتصميم. قوله: **(قصد ذلك)** أي بمقتضى الطبع البشري من غير رضا ولا تصميم، كميل الصائم للماء البارد، ولكن يمنعه دينه عنه، وهذا لا يؤاخذ به الإنسان، بل في مدافعته الثواب الجزيل والأجر الجميل، فمخالفة النفس عن شهواتها، مع وجود ميل الطبع، أعلى وأجل من تركها لعدم الميل لها، ولذا يباهي الله بالشاب التارك لشهواته الملائكة الكرام، قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾. قوله: **(قال ابن عباس)** أي وفي رواية: أنه انفرج سقف البيت، فرأى يعقوب عاضاً على أصبعه، وفي رواية: إنه نودي يا يوسف أتواقعها؟ إنما مثلك ما لم تواقعها، مثل الطير في جو السماء لا يطاق عليه، وإنما مثلك إن واقعتها، مثل الطير إذا وقع على الأرض، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئاً، ومثلك ما لم تواقعها، مثل الثور الصعب الذي لا يطاق، ومثلك إذا واقعتها، كمثله إذا مات ودخل النمل في قرنه، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، وبالجملة فقد كثرت عليه الواردات في هذا الشأن. قوله: **(وجواب لولا لجامعها)** أي فيكون المعنى، امتنع جماعه لها لرؤيته برهان ربه، وقيل: إن قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هو الجواب، والمعنى: ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، امتنع همه بها لرؤية برهان ربه، فلم يقع همّ أصلاً، وحينئذ فالوقف على قوله: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ**﴾ وهذا هو الأحسن في هذا المقام، لخلوه من الكلفة والشبهة.

قوله: ﴿**كَذٰلِكَ**﴾**(أريناه)** إلخ، أشار بذلك إلى أن الكاف مع مجرورها في محل نصب معمول لمحذوف، وقوله: ﴿**لِنَصْرِفَ**﴾ متعلق بذلك المحذوف. قوله: ﴿**الْمُخْلَصِينَ**﴾**(في الطاعة)** أي الذين لا يشركون في طاعته غيره. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(بفتح اللام)** أي اسم مفعول من أخلصه أي اجتباه واختاره.

قوله: ﴿**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ**﴾ حكمة إفراد الباب هنا وجمعه فيما تقدم، أنها لم تتمكن من المراودة، إلا بعد غلق تلك الأبواب، وأما فراره وتسابقهما، فلم يكن إلا عند باب على تلك الأبواب. إن قلت: مقتضى قوة الرجولية أنه يسبقها ولم يعقه عائق. أجيب: بأن الذي عاقه عن السبق، إنما هو الاشتغال بفتح الأبواب. قوله: **(للتشبث)** أي التعلق. قوله: **(فأمسكت ثوبه)** أي وقطعت منه قطعة بقيت في يدها. قوله: ﴿**لَدَى الْبَابِ**﴾ أي البراني الأقصى. قوله: **(فنزهت نفسها)** أي بادرت بذلك. قوله: ﴿**مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ**﴾ إلخ، ما يحتمل أن تكون نافية أو استفهامية، ومن موصولة أو نكرة موصوفة.

قوله: ﴿**إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ في ذلك إشارة لطيفة، إلى أن زليخا لشدة حبها ليوسف، بدأت بذكر السجن لخفته، وأخرت العذاب لشدته، لأن المحب لا يسعى في إيلام المحبوب، وأيضاً فإن

يوسف متبرئاً ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ ابن عمها، روي أنه كان في المهد فقال ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ﴾ قدام ﴿فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦﴾ ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ﴾ خلف ﴿فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧﴾ ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ زوجها ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ﴾ أي قولك ماجزاء من أراد الخ ﴿مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿عَظِيمٞ ٢٨﴾ ثم قال يا ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ الأمر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾ الآثمين واشتهر الخبر وشاع ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر

قولها: ﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾ فيه إشارة إلى أنها أرادت تخفيف السجن، وإلا فلو أرادت التطويل والتعذيب بالسجن لقالت: إلا جعله من المسجونين، كما قال فروعون لموسى: ﴿لأجعلنك من المسجونين﴾. قوله: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي﴾ إلخ، إنما قال ذلك لكونها اتهمته، وإلا فلو سكتت، لما كان يوسف متكلماً بشيء من ذلك. قوله: ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف، وهي منفية عنه بأمور منها: أنه خرج هارباً، والطالب لا يهرب، ومنها: كونها متزينة بأكمل الوجوه، ومنها: شقها للقميص من خلف. قوله: (ابن عمها) وقيل ابن خالها. قوله: (روي أنه كان في المهد) أي في الأحاديث الصحيحة وهو أحد قولين، وقيل كان كبيراً حكيماً، وكان في ذلك الوقت جالساً مع الملك، فلما رآهما خارج الباب، وحصل منهما ما حصل قال: ﴿إِنْ كَانَ﴾ إلخ، فكان ذلك على سبيل الفتيا.

قوله: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُه﴾ إلخ، إن قلت: إن القميص أمر ثان من قبل، فلا معنى للتعليق عليه، والجواب أن يقال: إن المعنى إن ثبت أن قميصه قد من قبل إلخ. قوله: ﴿فَصَدَقَتْ﴾ الكلام على تقدير قد لتصحيح دخول الفاء في الجواب، لأن جواب الشرط لا يقرن بالفاء، إلا إذا كان لا يصلح لمباشرة الأداة، وهذا ماض متصرف يصلح لمباشرتها.

قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ أي فيما يتعلق بأمر الجماع والشهوة، وإلا فالرجال أعظم في الحيل والمكايد، وإنما وصف كيد النساء بالعظم، وكيد الشيطان بالضعف، لأن كيد النساء أقوى، بسبب أنهن حبائل الشيطان فكيدهن مقرون بكيد الشيطان فهما كيدان، بخلاف كيد الشيطان دونهن فكيد واحد، ولذا قال بعضهم: أنا أخاف من النساء، أكثر مما أخاف من الشيطان، لأن الله تعالى يقول: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ وقال في حق النساء ﴿إِنَّ كَيْدَهُنَّ عَظِيمٌ﴾.

قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ إن قلت: إنهم قوم مشركون فلا يعرفون ذنباً مع خالقهم، فما الذنب الذي يطلب الاستغفار منه؟ أجيب: بأن المراد بالذنب خيانتها لزوجها، وفي هذا إشارة إلى أن العزيز قليل الغيرة، ولذا قال بعضهم: إن تربة مصر تقتضي ذلك؟ ولذا لا ينشأ فيها الأسد، ولو دخل فيها لا يبقى. قوله: (الآثمين) أي برمي يوسف وهو بريء. قوله: (واشتهر الخبر) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ مرتب على محذوف، وهذا الاشتهار منها، وذلك أنها أخبرت بعض النساء بذلك، وأمرتهن بالكتم فلم يكتمن.

قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ اختلف في عدتهن، فقيل خمس وقيل أربعون، وجمع بينهما، بأن أصل الإشاعة كان من خمس وهن: امرأة صاحب الملك، وامرأة صاحب دوابه، وامرأة خبازه، وامرأة

﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ عبدها ﴿عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾ تمييز أي دخل حبه شغاف قلبها أي غلافه ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ﴾ خطإ ﴿مُّبِينٖ ۝٣٠﴾ بين بحبها إياه ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ﴾ غيبتهن لها ﴿أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ﴾ أعدت ﴿لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ طعاماً يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الأترج ﴿وَءَاتَتۡ﴾ أعطت ﴿كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ﴾ ليوسف ﴿ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾ أعظمنه ﴿وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين ولم يشعرن بالألم لشغل قلبهن بيوسف ﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿مَا هَٰذَا﴾ أي يوسف ﴿بَشَرًا إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ۝٣١﴾ لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية. في الصحيح أنه أعطي

ساقيه، وامرأة صاحب سجنه، ونسوة اسم جمع لا واحد له من لفظه. قوله: ﴿**امْرَأَتُ الْعَزِيزِ**﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿**تُرَاوِدُ فَتَاهَا**﴾ خبر أول، وقوله: ﴿**قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**﴾ خبر ثان، وحباً تمييز محول عن الفاعل، والأصل قد شغف حبه قلبها. قوله: ﴿**فَتَاهَا**﴾ الفتى هو الشاب القوي. قوله: (**أي دخل حبه شغاف قلبها**) الشغاف جلدة رقيقة على القلب، تمنع أذى الطعام والشراب عن القلب، وحينئذ يكون المعنى: أن حبه خرق تلك الجلدة، ووصل القلب وسكنه، وقيل: إن معنى **شغفها** صار محيطاً بقلبها كما يحيط الشغاف بالقلب، حتى لا تكاد تنظر لغيره. قوله: (**خطأ**) ﴿**مُبِينٍ**﴾ أي حيث تركت ما يليق بها من العفة والستر وأحبت غير زوجها. قوله: ﴿**بِمَكْرِهِنَّ**﴾ أي حديثهن، وسمي مكراً لأنهن طالبن بذلك رؤية يوسف، لأنه قد وصف لهن حسنه وجماله، فتعلقن به وأحببن أن يرينه. قوله: (**غيبتهن**) إنما سميت الغيبة مكراً، لإخفائها عن المغتاب كما يخفى المكر.

قوله: ﴿**أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ**﴾ أي وكن أربعين امرأة من أشراف المدينة، فصنعت لهن ضيافة عظيمة. قوله: ﴿**وَأَعْتَدَتْ**﴾ أي هيأت وأحضرت. قوله: ﴿**مُتَّكَأً**﴾ سمي الطعام بذلك لأنه يتكأ عنده، على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الإتكاء قوله: (**وهو الأترج**) بضم الهمزة وسكون التاء وضم الراء وتشديد الجيم جمع أترجة، ويقال فيه ترنج، والأولى هي الفصحى. قوله: ﴿**سِكِّيناً**﴾ أي خنجراً، وكان من عادتهن أكل الفواكه واللحم بالسكين. قوله: ﴿**وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنْ**﴾ أي وقد زينته بأحسن الزينة وحبسته في مكان آخر.

قوله: ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ**﴾ مرتب على محذوف تقديره فخرج فلما رأينه إلخ. قوله: (**أعظمنه**) أي هبنه ودهشن عند رؤيته من شدة حسنه وجماله، يقال إنه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يخرج من الجنة، وقيل: إنهن أعظمنه لأنهن رأين عليه آثار النبوة والمهابة وعدم الالتفات إليهن، فوقع الرعب في قلوبهن وتعجبن منه. قوله: ﴿**وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾ أي جرحنها حتى سال الدم، قال وهب: مات منهن جماعة. قوله وقلن: ﴿**حَاشَ**﴾ بإثبات ألف بعد الشين وحذفها قراءتان سبعيتان، وهذا بالنظر للنطق، وأما في الرسم فلا تكتب فيه ألف بعد الشين.

قوله: ﴿**مَا هٰذَا بَشَراً**﴾ أي معاذ الله أن يكون هذا بشراً، إنما هذا ملك كريم على ربه. قوله: ﴿**إِنْ هٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ المقصود من هذا، إثبات الحسن العظيم ليوسف، لسماعهم أنه لا شيء أحسن من

شطر الحسن ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾ فهذا هو ﴿ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ في حبه، بيان لعذرها، ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ امتنع ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ به ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ الذليلين، فقلن له أطع مولاتك ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾ أمل ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُن﴾ أصر ﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ المذنبين والقصد بذلك الدعاء، فلذا قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ السميع﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٤﴾ بالفعل ﴿ثُمَّ بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه دل على هذا ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ﴾ إلى ﴿حِينٍ﴾ ﴿٣٥﴾ ينقطع فيه كلام الناس فسجن ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ غلامان للملك أحدهما.

الملك، ولأنه لما كان الملك مطهراً من بواعث الشهوة مهاباً، لا تحكم عليه الصورة شبه به. قوله: **(شطر الحسن)** أي نصفه، والمعنى أن الله خلق حسناً، فأعطي يوسف نصفه، وقسم نصفه بين الخلائق. قوله: **﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾** ذا اسم إشارة القريب لحضوره بالمجلس، وقرن باللام المفيدة للبعد رتبته عن غيره، ولذا فسرها المفسر بهذا التي للقريب. قوله: **﴿الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾** خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(هو)**. قوله: **(امتنع)** أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان.

قوله: **﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ﴾** اللام موطئة لقسم محذوف، وإن شرطية وقوله: **﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾** جواب القسم، وحذف جواب الشرط، لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة في اجتماع الشرط، والقسم أنه يحذف جواب المتأخر منهما. قوله: **(فقلن له أطع مولاتك)** ورد أنه ما من امرأة إلا دعته لنفسها.

قوله: **﴿قَالَ رَبِّ﴾** لما اشتد به الكرب، توجه لربه في الفرج. قوله: **﴿أَحَبُّ إِلَيَّ﴾** اسم التفضيل ليس على بابه، إذ ليس له فيما يدعونه إليه محبة ورغبة. إن قلت: هو مجاب الدعوة، فلم طلب النجاة بالسجن، ولم يطلب النجاة العامة؟ أجيب: بأنه اطلع على أن السجن محتم عليه فدعا به، لأن النبي لا ينطق الهوى. قوله: **﴿مِمَّا يَدْعُونَنِي﴾** فعل مضارع مبني على سكون الواو، والنون الأولى للنسوة فاعل، والثانية نون الوقاية، وهو مثل النسوة يعفون، فالواو ليست ضميراً بل هي لام الكلمة. قوله: **(والقصد بذلك)** أي بقوله والانصراف عني إلخ، كأنه قال: اللهم اصرف عني كيدهن، لأجل أن لا أصير من الجاهلين، لأنك إن لم تصرفه عني صرت منهم، إذ لا قدرة لي على الامتناع إلا بإعانتك لي.

قوله: **﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ﴾** أي للعزيز وأصحابه، وذلك أن زليخا قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني، قد فضحني عند الناس، يخبرهم أني قد راودته عن نفسه، فإما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر إليهم، وإما أن تسجنه فظهر لهم سجنه، لما فيه من المصلحة بحسب رأيهم، مع علمهم ببراءته ونزاهته. قوله: **(أن يسجنوه)** أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل بدا. قوله: **﴿لَيَسْجُنُنَّهُ﴾** اللام موطئة لقسم محذوف، والجملة في محل نصب لقول محذوف، والتقدير ثم ظهر لهم سجنه قائلين والله ليسجننه. قوله: **﴿حَتَّى حِينٍ﴾** أي وهو سبع سنين أو اثنتا عشرة سنة، وسيأتي ذلك.

قوله: **﴿وَدَخَلَ مَعَهُ﴾** أي صحبته، والمعنى كانا مقارنين له في الدخول، وهذا مرتب على قول

ساقيه والآخر صاحب طعامه فرأياه يعبر الرؤيا فقالا: لنختبرنه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ وهو الساقي ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي عنباً ﴿وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ﴾ صاحب الطعام ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾ خبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ بتعبيره ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿قَالَ﴾ لهما مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ في منامكما ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ في اليقظة ﴿قَبْلَ أَن

المفسر فسجن. قوله: **(غلامان)** تثنية غلام، وهو اسم للشخص من حين ولادته إلى أن يشب، وقوله: **(للملك)** أي ملك مصر، وهو الريان بن الوليد العمليقي. قوله: **(أحدهما ساقيه)** أي واسمه سرهم، وقوله: **(والآخر)** صاحب طعامه أي واسمه برهم، وسبب سجنهما: أن جماعة من أهل مصر، أرادوا قتل الملك، فجعلوا لهما رشوة، على أن يسما الملك في طعامه وشرابه، فأجابا، ثم إن الساقي ندم ورجع، والخباز قبل الرشوة وسم الطعام، فلما حضر الطعام بين يدي الملك، قال الساقي: لا تأكل أيها الملك، فإن الطعام مسموم، فقال الخباز: لا تشرب أيها الملك، فإن الشراب مسموم، فقال الملك للساقي: اشرب من الشراب فشرب، وقال للخباز: كل من الطعام فأبى، فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت، فأمر بحبسهما، فاتفق أنهما دخلا مع يوسف. قوله: **(فرأياه يعبر الرؤيا)** أي ينشر علمه ويقول: إني أعبر الأحلام. قوله: **(لنختبرنه)** أي لنمتحننه ليظهر لنا حاله.

قوله: **﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾** أي بعد مضي خمس سنين من دخولهم السجن. قوله: **﴿إِنِّي أَرَانِي﴾** أرى تنصب مفعولين، الياء مفعول أول، وجملة **﴿أَعْصِرُ خَمْراً﴾** مفعول ثان. قوله: **(أي عنباً)** أي فتسميته خمراً من باب مجاز الأول أي عنباً يؤول إلى كونه خمراً، وفي القصة أنه قال: رأيت في المنام كأني في بستان، وفيه شجرة وعليها ثلاثة عناقيد من العنب، وكأن كأس الملك في يدي، فعصرتها فيه وسقيتُ الملك. قوله: **﴿إِنِّي أَرَانِي﴾** أي رأيتني، فالتعبير بالمضارع استحضار للحال الماضية قوله: **﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً﴾** وذلك أنه قال: رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال، وفيها الخبز وألوان الأطعمة، وسباع الطير تنهش منها.

قوله: **﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** أي العالمين بتعبير الرؤيا وإنما قالا ذلك، لأنهما رأياه في السجن يعود المرضى، ويقوم الليل ويصوم النهار، ويصبر أهل السجن ويبشرهم، ويواسي فقيرهم، فكان يقول: اصبروا وأبشروا، فيقولون: بارك الله لنا فيك يا فتى، ما أحسن وجهك وحديثك، لقد بورك لنا في جوارك، فمن أين أنت؟ قال: أنا يوسف بن صفي الله يعقوب، ابن ذبيح الله إسحاق، ابن خليل الله إبراهيم، فقال له صاحب السجن: يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك، ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك، واختر أي بيوت السجن شئت. قوله: **(مخبراً أنه عالم)** أي لأجل أن يقبلوا عليه ويؤمنوا به، وهكذا ينبغي للعالم العامل، أن يظهر نفسه ليقتدي به ويؤخذ عنه، وإنما أخبرهما بذلك، توطئة لدعائهما إلى الإيمان. قوله: **(في منامكما)** أي فالمعنى: أي طعام رأيتماه في المنام وأخبرتماني به، إلا فسرته لكما قبل أن يقع في الخارج، وخص رؤية الطعام لأنهما من أهل الطعام والشراب، والشأن أن رؤيا المنام تتعلق باشتغال الشخص في اليقظة، وقيل المراد إتيان الطعام لهما في اليقظة، والمعنى لا يأتيكما طعام ترزقانه في منازلكما، إلا أخبرتكما بقدره وكيفيته، والوقت الذي يأتي فيه قبل أن يصلكما، فهو إشارة إلى

﴿يَأْتِيَكُمَا﴾ تأويله ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ فيه حث على إيمانهم ثم قواه بقوله ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ دين ﴿قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ۝٣٧﴾ ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ لعصمتنا ﴿ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨﴾ لله فيشركون ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال ﴿يَٰصَٰحِبَيِ﴾ ساكني ﴿ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ خبر استفهام تقرير ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي غيره ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ سميتم بها أصناماً ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ أي الساقي فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي

أن من معجزاته الإخبار بالمغيبات، وهذا مثل معجزة عيسى حيث قال: ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾فقالا ليوسف: هذا من علم العرافين والكهنة، فمن أين لك هذا العلم؟ قوله: ﴿ذٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَني رَبِّي﴾ إلخ. قوله: (فيه حث) أي تعريض لطلب الإيمان.

قوله: ﴿إنِّي تَرَكْتُ﴾ المراد بالترك عدم التلبس بالشيء من أول الأمر. قوله: ﴿وَاتَّبعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ لما بين أنه ادعى النبوة وأظهر المعجزة، بين هنا أنه لا غرابة في ذلك لأنه من بيت النبوة، لأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كانوا مشهورين بالرسالة، وذكر الفخر الرازي أنه نبيء في السجن، ولا مانع أنه نبيء قبل الأربعين، كيحيى وعيسى، وذلك لأن اخوته رموه في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، ومكث تحت يد العزيز ثلاث عشرة سنة، ومن جملتها مدة السجن، فتكون الجملة ثلاثين سنة.

قوله: ﴿مَا كَانَ لَنَا﴾ أي لا يصح ولا يليق منا معاشر الأنبياء، أن نشرك بالله شيئاً، مع اصطفائه لنا وانعامه علينا بأنواع النعم، وهذا تعريض لهم بترك ما هم عليه من الشرك كأنه قال: لا يصح للعبد الضعيف العاجز المفتقر أن يعبد غير من هو مفتقر إليه ومنعم عليه. قوله: (لعصمتنا) أي فليس المراد أنه حرم ذلك عليهم، بل المراد أنه طهرهم من الكفر. قوله: ﴿مِنْ فَضْلِ الله عَلَيْنَا﴾ أي بالوحي، وقوله: ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ أي بإرشادهم.

قوله: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ قدر المفسر (ساكني) إشار إلى أن الإضافة لأدنى ملابسة، ويصح أن يكون المعنى يا صاحبي في السجن، فالإضافة للظرف. قوله: ﴿مُتَفَرِّقُونَ﴾ أي من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ خطاب لأهل السجن جميعاً. قوله: ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي فكأنكم لا تعبدون إلا الأسماء المجردة، والمعنى أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه للألوهية عقل ولا نقل، ثم أخذتم تعبدونها. قوله: (المستقيم) أي الذي لا اعوجاج فيه. قوله: (ما يصيرون) قدره إشارة إلى أن مفعول يعلمون محذوف.

قوله: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ هذا شروع في تعبير رؤياهما. قوله: (فيخرج بعد ثلاث) أي من

رَبَّهُۥ﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته ﴿وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ هذا تأويل رؤياكما فقالا ما رأينا شيئاً فقال ﴿قُضِيَ﴾ تم ﴿ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ﴿٤١﴾ سألتما عنه صدقتما أم كذبتما ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ﴾ أيقن ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ وهو الساقي ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ سيدك فقل له إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً. فخرج ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ أي الساقي ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِۦ فَلَبِثَ﴾ مكث يوسف ﴿فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ قيل سبعاً وقيل اثنتي عشرة ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ أي رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ

الأيام وهي العناقيد الثلاثة التي عصرها. قوله: (سيده) أي وهو الملك. قوله: ﴿وَأَمَّا الآخَرُ﴾(فيخرج بعد ثلاث) أي من الأيام وهي السلاسل الثلاث. قوله: (فقالا ما رأينا شيئاً) هذا أحد قولين، وقيل إنهما رأيا ذلك حقيقة فرآهما مهمومين، فسألهما عن شأنهما، فذكر كل واحد رؤياه. قوله: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ﴾ المراد به الجنس، أي قضي أمر كل واحد، ويؤول إليه شأنه كذب أو صدق. قوله: (سألتما) تفسير لتستفتيان، فالمراد المضارع الماضي.

قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ﴾ إن كان الظن واقعاً من الساقي، فالأمر ظاهر، وإن كان من يوسف فهو بمعنى اليقين، كما قال المفسر على حده ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾. قوله: (سيدك) أي وهو الملك. قوله: (محبوساً) أي طال حبسه ظلماً خمس سنين. قوله: (أي الساقي) أي والمعنى أنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عند الملك، وذلك للحكم الباهرة التي ستظهر، وهذا أحد قولين، وقيل إن الضمير عائد على يوسف، والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حين استغاث بمخلوق، وإسناد الإنساء للشيطان، لأنه يفرح به ويحبه، ظاناً أن يوسف يطرد بذلك، وإلا فالذي أنساه ذلك ربه لا الشيطان، فإنه لا تسلط له على المرسلين، قال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ فلما وقع من يوسف ذلك، عوتب ببقائه في السجن تلك المدة من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: (قيل سبعاً) أي وهي مدة مكث أيوب في البلاء، وقوله: (وقيل اثنتي عشرة) هذا قول ثان في مدة السجن، وقيل خمساً ونصفاً قبل قوله: ﴿اذْكُرْنِي﴾ وسبعاً بعده، وقيل أربع عشرة سنة، خمس قبل القول، وتسع بعده، وحكمة مكثه تلك المدة في السجن، ليؤمن أهل السجن، وليصل أمره للملك فيخرج، والحال أنه مطلوب لا طالب، فيتحقق له العز الذي بشر به سابقاً، فترتب على طلبه السجن وإبقائه فيه الزمن الطويل، من الحكم العظيمة، والأسرار الفخيمة، والعز والسؤدد، ما لا تحيط به العبارة، ولا تحصيه الإشارة، فأمور يوسف صلوات الله وسلامه عليه، ظاهرها ذل، وباطنها غاية العز، على حد قول البوصيري:

لو يمس النضار هون من النا ... ر لما اختير للنضار الصلاء

فبلايا الأنبياء والمقربين، لا تزيدهم، إلا رفعة وعزاً. قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ إلخ. أي لما أراد الله الفرج عن يوسف، وإخراجه من السجن، رأى ملك مصر رؤيا عجيبة أهالته، فجمع سحرته وكهنته ومعبريه، وأخبرهم بما رأى في منامه، وسألهم عن تأويلها، فأعجزهم الله جميعاً، ليكون ذلك سبباً لخلاص يوسف من السجن. قوله: (أي رأيت) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، استحضاراً للحال

﴿يَأْكُلُهُنَّ﴾ يبتلعهن ﴿سَبْعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٌ﴾ جمع عجفاء ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ﴾ أي سبع سنبلات ﴿يَابِسَاتٍ﴾ قد التوت على الخضر وعلت عليها ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ بينوا لي تعبيرها ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فاعبروها ﴿قَالُوا﴾ هذه ﴿أَضْغَاثُ﴾ أخلاط ﴿أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي من الفتيين وهو الساقي ﴿وَادَّكَرَ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً وإدغامها في الذال أي تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ حين حال يوسف ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ فأرسلوه فأتى يوسف فقال يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا

الماضية، وحاصل رؤياه: أنه رأى في منامه، سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر، ثم خرج بعدهن سبع بقرات عجاف، في غاية الهزال والضعف، فابتلعت العجاف السمان ودخلت في بطونها، ولم ير منهن شيء، ولم يتبين على العجاف شيء منها، ورأى سبع سنبلات خضراً قد انعقد حبها، وسبعاً أخر يابسات قد استحصدن، فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن، ولم يبقى من خضرتهن شيء. قوله: **(جمع عجفاء)** أي جمع سماعي والقياس عجف، قال ابن مالك: فعل لنحو أحمر وحمرا. قوله: **﴿خُضْرٍ﴾** أي انعقد حبها، قوله: **﴿وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾** أي بلغت أوان الحصاد، وهو معطوف على سبع، ويكون قد حذف اسم العدد منه، لدلالة ما قبله عليه.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾** أي السحرة والمعبرون. قوله: **﴿تَعْبُرُونَ﴾** من عبر بالتخفيف، يقال عبر البحر جاوزه، وعبر الرؤيا فسرها، كأن المعبر لما فسر الرؤيا خلص من ورطتها، كالذي يجاوز البحر، وزيدت اللام في الرؤيا تقوية للعامل، لتأخره عن معموله. قوله: **(فاعبروها لي)** قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، دل عليه ما قبله. قوله: **﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾** أي تخاليطها جمع ضغث، وأصله ما جمع وحزم من النبات، كالحزمة من الحشيش، استعير للرؤيا الكاذبة، والمعنى أنهم قالوا: إن هذه الرؤيا اخلاط أحلام من الشيطان فلا تعبر، وهذا لفرط عجزهم وجهلهم بتعبيرها، على العادة أن من جهل شيئاً عاداه.

قوله: **﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا﴾** إلخ، أي بعد أن جلس بين يدي الملك وقال له إن في السجن رجلاً عالماً بتعبير الرؤيا. قوله: **﴿وَادَّكَرَ﴾** إما حال من **﴿الَّذِي﴾** أو عطف على **﴿نَجَا﴾**. قوله: **(فيه إبدال التاء)** أي تاء الافتعال، والأصل إذتكر بتاء بعد الذال، قلبت التاء دالاً فاجتمع متقاربان، أبدل الأول من جنس الثاني وأدغم. قوله: **(وإدغامها في الذال)** المناسب قلب العبارة بأن يقول: وإدغام الذال في الدال أي بعد قلبها دالاً. قوله: **﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾** بضم الهمزة وتشديد الميم، هي في الأصل الجماعة من الناس، ثم أطلق على الجماعة من الأيام. قوله: **(حين)** أي وهو سنتان أو سبع أو تسع. قوله: **(حال يوسف)** أي من كونه عالماً بتعبير الرؤيا.

قوله: **﴿فَأَرْسِلُونِ﴾** إنما جمع وإن كان الخطاب لواحد لأجل التعظيم. قوله: **﴿فَأَرْسِلُونِ﴾** أشار بذلك إلى أن الكلام حذف ثلاث جمل، وجملة مجيء الرسل ليوسف في السجن أربع مرات: الأولى في قوله: ﴿فأرسلوا يوسف﴾ إلخ. والثانية في قوله: ﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك﴾. والثالثة في قوله:

﴿ٱلصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ٤٦﴾ تعبيرها ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ متتابعة وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ﴾ أي اتركوه ﴿فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ٤٧﴾ فادرسوه ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي السبع المخصبات ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ مجدبات صعاب وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين المخصبات أي تأكلونه فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ٤٨﴾ تدخرون ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي السبع المجدبات ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ بالمطر ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ٤٩﴾ الأعناب وغيرها لخصبه ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ أي بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ﴾ أي يوسف ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصداً إظهار براءته ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ٥٠﴾ فرجع فأخبر الملك فجمعهن ﴿قَالَ مَا

﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه﴾. والرابعة في قوله: ﴿قال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ إلخ. قوله: (**الكثير الصدق**) وصفه بذلك لأنه جربه في السجن في تعبير الرؤيا وغيره. قوله: (**أي الملك**) أي ومن عنده. قوله: (**أي ازرعوا**) إنما حمله على الأمر مناسبة قوله: ﴿فَذَرُوهُ﴾ وإلا فالمناسب إبقاؤه على حاله من الأخبار لأنها تفسير للرؤيا، وفيه إشارة إلى أن الله أمر بذلك، لتحتم حصوله في علمه تعالى. قوله: ﴿دَأَباً﴾ بفتح الهمزة وسكونها قراءتان سبعيتان، وهو مصدر وقع موقع الحال. قوله: (**وهي تأويل السبع السمان**) أي والسبع الخضر. قوله: (**لئلا يفسد**) أي يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها، ومنعه من الفساد ببقائه في سنبله من خصوصيات يوسف، وإلا ففي زمننا بقاؤه في سنبله لا يدفع عنه الفساد. قوله: (**وهي تأويل السبع العجاف**) أي والسبع اليابسات. قوله: (**أي تأكلونه فيهن**) أشار بذلك إلى أن الإسناد مجازي من الإسناد للظرف، كما في: نهاره صائم. قوله: (**تدخرون**) أي للبذر.

قوله: ﴿**ثُمَّ يأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ**﴾ إلخ، هذه بشارة لهم زيادة على تعبير الرؤيا. قوله: ﴿**يُغَاثُ النَّاسُ**﴾ إما من الغوث وهو الفرج وزوال الكرب، أو من الغيث وهو المطر. والمعنى فيه: يزول كرب الناس، ويفرج عنهم بنزول المطر، وتتاب الخير عليهم. قوله: (**الأعناب**) أي يعصرونها خمراً، وقوله: (**وغيرها**) أي كالزيتون والسمسم والكتان والقصب وغير ذلك. قوله: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ**﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: (**لما جاءه الرسول**) الخ، وذلك أن الساقي لما رجع إلى الملك، وأخبره بما عبر به يوسف رؤياه واستحسنه الملك، وعرف أن الذي قاله كائن لا محالة، قال ائتوني به حتى أبصره، فرجع الساقي وقال له أجب الملك، فقال له ارجع إلخ.

قوله: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ**﴾ مرتب على محذوف، أي فذهب الرسول إلى طلبه، فلما جاءه إلخ. قوله: (**إظهار براءته**) أي لتظهر براءة ساحته، ويعلم أنه سجن ظلماً. قوله: ﴿**إِلَى رَبِّكَ**﴾ أي وهو الملك. قوله: ﴿**إِنَّ رَبِّي**﴾(**سيدي**) أي فالمراد به العزيز، وهو استشهاد بكونه يعلم مكرهن وكيدهن،

خَطْبُكُنَّ ﴾ شأنكن ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ هل وجدتن منه ميلاً إليكن ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ﴾ وضح ﴿ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ﴿٥١﴾ في قوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ فأخبر يوسف بذلك فقال ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي طلب البراءة ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ العزيز ﴿ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ ﴾ في أهله ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ ﴿٥٢﴾ ثم تواضع لله فقال ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ ﴾ من الزلل ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ ﴾ الجنس ﴿لَأَمَّارَةٌۢ ﴾ كثيرة الأمر ﴿ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا ﴾ بمعنى من ﴿رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ ﴾ فعصمه ﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ ﴾ أجعله خالصاً لي دون شريك فجاءه الرسول وقال أجب الملك فقام وودع أهل السجن ودعا لهم ثم اغتسل ولبس ثياباً حساناً ودخل عليه ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ ﴾ له

ويصح أن يكون المراد بالرب الله تعالى، وحينئذ يكون في كلامه التفويض لله تعالى وهو الأقرب. قوله: **(فجمعهن)** أي وكانت زليخا معهن، وخاطبهن جميعاً ولم يخص زليخا بالخطاب ستراً عليها. قوله: **﴿مِنْ سُوءٍ﴾** أي خيانة.

قوله: **﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾** هذا إقرار منها بالحق، والحامل لها على ذلك كون يوسف راعى جانبها حيث قال **﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾** إلخ، ولم يذكرها، مع أن الفتن كلها إنما نشأت من جهتها، فكافأته بأن اعترفت بأن الذنب منها. قوله: **(وضح)** أي اتضح. قوله: **(فأخبر يوسف بذلك)** أي بجواب النسوة المذكور. قوله: **(فقال)** أي يوسف وهذا أحد قولين، وقيل إن. قوله: **﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾** من كلام زليخا، ويكون المعنى: ذلك الذي قلته ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه، وجئت بما هو الحق الواقع، وما أبرىء نفسي من الخيانة، إن النفس لإمارة بالسوء، إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف. قوله: **﴿لِيَعْلَمَ﴾(العزيز)** أي زوج زليخا. قوله: **(حال)** أي إما من الفاعل أي وأنا غائب عنه، أو من المفعول أي وهو غائب عني. قوله: **﴿كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾** أي لا يسدده. قوله: **(ثم تواضع لله)** أي فوقع منه هذا القول على سبيل التواضع، وإلا فيستحيل في حقه أن تأمره نفسه بالسوء لعصمته.

قوله: **﴿وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي﴾** هذه الجملة حالية من محذوف، والتقدير طلبت البراءة ليعلم إلخ، والحال أني لم أقصد بذلك تنزيه نفسي ولا براءتها إلخ. قوله: **(الجنس)** أي جنس النفوس. قوله: **(كثيرة الأمر)** أي لصاحبها، واعلم أن النفس واحدة ولها صفات، فأول أمرها تكون أمارة بالسوء، تدعو إلى الشهوات وتميل إليها ولا تبالي، وهذه نفس الكفار والعصاة المصرين، فإذا أراد الله لها الهدى، جعل لها واعظاً يأمرها وينهاها، فحينئذ تصير لوامة، تلوم صاحبها على ارتكاب الرذائل، فينشأ عن ذلك مجاهدته وتوبته ورجوعه لخالقه، فإذا كثر عليها ذلك واستمر، صارت مطمئنة ساكنة، تحت قضاء الله وقدره راضية بأحكامه، فتستحق من الله العطايا والتحف، قال تعالى:﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ وهذا مقام الواصلين، وقيل ذلك يسمى مقام السائرين.

قوله: **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾** أي وهو الريان بن الوليد، وذلك أنه لما ظهر له في يوسف من المزايا التي لم توجد في غيره قال ما ذكر. قوله: **(فجاءه الرسول)** إلخ، قدر المفسر هذه الجمل وهي ثمانية، إشارة إلى أن قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾** مرتب على محذوف. قوله: **(ودعا لهم)** أي بقوله: اللهم عطف عليهم قلوب

﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا فماذا ترى أن نفعل؟ قال أجمع الطعام وازرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة وادخر الطعام في سنبله فتأتي إليك الخلق ليمتاروا منك فقال: ومن لي بهذا؟ ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر

الأخيار، ولا تعم عليهم الأخبار. قوله: (ثم اغتسل) أي فلما خرج من السجن كتب على بابه، هذا بيت البلوغ، وقبر الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء. قوله: (ولبس ثياباً حساناً) يؤخذ من هذا، أن مما ينبغي عند الدخول على السلاطين، الطهارة وتحسين الهيئة، وهذه الثياب يحتمل أنها كانت عنده، أو أرسلها له الملك. قوله: (ودخل عليه) ورد أنه لما دخل سلم عليه بالعربية، فقال الملك: ما هذا اللسان؟ قال: لسان عمي إسماعيل، ثم دعا له بالعبرانية فقال له: ما هذا اللسان أيضاً؟ فقال: هذا لسان آبائي، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، ولم يعرف هذين اللسانين، وكان كلما تكلم بلسان أجابه يوسف به، فتعجب الملك من أمره مع صغر سنه، لأنه كان إذ ذاك ابن ثلاثين سنة، ثلاثة عشرة منها مدة إقامته مع زليخا والسجن، وسبع عشرة قبلها، وعلى هذا فدعواه لعبادة الله في السجن، إما نبوة قبل الأربعين، أو نصيحة منه لدين آبائه، على عادة العلماء وتأسيساً لنبوته.

قوله: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي قريب المنزلة رفيع الرتبة مؤتمن على سرنا. قوله: (قال فماذا ترى أن نفعل) إلخ، روي أن الملك قال ليوسف عليه السلام: أحب أن اسمع تأويل رؤياي منك شفاها قال نعم أيها الملك، رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف، كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشخب أخلافهن لبناً، فبينا أنت تنظر إليهن وقد أعجبك منهن حسنهن، إذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه، فخرج من حمئه سبع بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون، ليس لهن ضرع ولا أخلاف، ولهن أنياب وأضراس، وأكف كأكف الكلاب، وخراطيم كخراطيم السباع، فاختلطن بالسمان فافترسن السمان افتراس السبع، فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مخهن، فبينا أنت تنظر وتتعجب، كيف غلبنهنَّ وهن مهازيل، ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن، وإذا سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات أخر سود يابسات في منبت واحد، عروقهن في الثرى والماء، فبينا أنت تقول في نفسك: أي شيء هذا، هؤلاء خضر مثمرات، وهؤلاء سود يابسات، والمنبت واحد، أصولهن في الثرى والماء؟ إذ هبت ريح، فردت أوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات، فاشتعلت فيهن النار فاحترقن فصرن سوداً، فهذا ما رأيت أيها الملك، ثم انتبهت مذعوراً، فقال الملك: والله ما أخطأت فيها شيئاً، فما شأن هذه الرؤيا؟ وإن كانت عجباً فما هي بأعجب مما سمعت منك، وما ترى من تأويل رؤياي أيها الصديق؟ قال يوسف عليه السلام: أرى أن تجمع الطعام، وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله فإنه أبقى له، فيكون ذلك القصب والسنبل علفاً للدواب، وتأمر الناس أن يدفعوا الخمس من زرعهم أيضاً، فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها، ويأتيك الخلق من سائر النواحي للميرة، ويجتمع عندك من الكنوز والأموال، ما لم يجتمع لأحد من قبلك، فقال الملك: ومن لي بهذا؟ ومن يجمعه لي ويبيعه لي؟ ولو جمعت أهل مصر ما أطاقوا ذلك، ولم يكونوا فيه أمناء، فقال يوسف عند ذلك ﴿اجعَلْنِي﴾ إلخ.

قوله: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾ إن قلت: إن في ذلك القول طلب التقدم والإمارة،

﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٥) ذو حفظ وعلم بأمرها وقيل: كاتب حاسب ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ ينزل ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بعد الضيق والحبس، وفي القصة: أن الملك توجه وولاه مكان العزيز وعزله ومات بعد فزوجه

وهو لا يليق بالأخيار. أجيب: بأن محل هذا ما لم يتعين عليهم، وإلا فحينئذ يجب طلبها، وأيضاً ذلك بوحي من الله، وكان بين ذلك القول وتوليته على الخزائن سنة، وإنما أخره الملك سنة قبل التولية بالفعل مع مزيد رغبته فيه، ليشتهر قبل التولية بين أهل المملكة في أطراف القطر، ويصير معروفاً للخاص والعام، وأنه ذو المكانة والأمانة عند الملك.

قوله: ﴿**إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ تعليل لما قبله، ومفعول اجعل الثاني محذوف، والتقدير اجعلني أميناً على خزائن الأرض فإني حفيظ عليم. إن قلت: إن في هذا تزكية للنفس، وقد نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾. أجيب: بأن محل النهي حيث قصد بها الفخر والكبر على خلق الله، بخلاف ما إذا قصد بها إيصال النفع للغير والإخبار بالواقع، فلا ضرر في ذلك، بل ذلك من باب التحدث بالنعم، وهو مأمور به شرعاً.

قوله: ﴿**مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ**﴾ أي مكناه إياها. قوله: **(بعد الضيق والحبس)** أي بعد صبره على الضيق حين وضع في الجب وحين حبس. قوله: **(وفي القصة أن الملك)** إلخ، قال ابن عباس وغيره: لما انقضت السنة من يوم سؤال الإمارة، دعاه الملك فتوجَّه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه، ووضع له سريراً من ذهب مكللاً بالدر والياقوت، طوله ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرة أذرع، ووضع له ثلاثين فرساً وستين مأدبة، وضرب له عليه حلة من استبرق، وأمره أن يخرج، فخرج متوجاً، لونه كالثلج ووجه كالقمر، يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه، فانطلق حتى جلس على ذلك السرير، ودانت ليوسف الملوك، وفوض الملك الأكبر إليه ملكه، وعزل قطفير عما كان عليه، وجعل يوسف مكانه، قال الزمخشري: إن يوسف قال للملك: أما السرير فأشد به ملكك، وأما الخاتم فأدبر به أمرك، وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي، فقال له الملك: قد وضعته إجلالاً لك وإقراراً بفضلك، وكان لملك مصر خزائن كثيرة، فسلمها ليوسف وسلم له سلطانه كله، وجلع أمره وقضاءه نافذاً حتى بمملكته، ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي، فزوج الملك ليوسف امرأة العزيز بعد هلاكه، فلما دخل يوسف عليها قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين؟ قالت له: أيها الصديق لا تلمني، فإني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك فغلبتني نفسي وعصمك الله، قالوا: فوجدها يوسف عذراء فأصابها، فولدت له ولدين ذكرين أفراثيم وميشا، وبنتاً واسمها رحمة زوجة أيوب عليه السلام، وميشا هو جد يوشع بن نون، وأقام في مصر العدل، وأحبه الرجال والنساء، فلما اطمأن يوسف في ملكه، دبر في جمع الطعام أحسن التدبير، فبنى الحصون والبيوت الكثيرة، وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة، وأنفق المال بالمعروف، حتى خلت السنون المخصبة، ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة، لم ير الناس مثله، وقيل: إنه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم أكلة واحدة نصف النهار، فلما دخلت سنة القحط، كان أول من اصابه الجوع الملك، فجاع نصف الليل، فنادى يا يوسف الجوع الجوع، فقال يوسف: هذا أوان

امرأته فوجدها عذارء وولدت له ولدين وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦ ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ ۝٥٧ ودخلت سنو القحط وأصاب أرض كنعان والشام ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين

القحط، فهلك في السنة الأولى من سني القحط، كلما أعدوه في السنين المخصبة، فجعل أهل مصره يبتاعون الطعام من يوسف، فباعهم في السنة الأولى بالنقود، حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار إلا أخذه منهم، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر، حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس منهما شيء، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والأنعام، حتى لم تبق دابة ولا ماشية إلا احتوى عليها، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري، حتى لم يبق بأيدي الناس عبد ولا أمة، وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار، حتى أتى عليها كلها، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم، وباعهم في السنة السابعة برقابهم، حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا ملكه، فصاروا جميعاً عبيداً ليوسف عليه السلام، فقال أهل مصر: ما رأينا كاليوم ملكاً أجل ولا أعظم من يوسف، فقال يوسف للملك: كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني، فما ترى في هؤلاء؟ قال الملك: الرأي رأيك ونحن لك تبع، قال: فإني أشهد الله وأشهدك، أني قد أعتقتهم عن آخرهم، ورددت عليهم أملاكهم، ولم يزل يوسف يدعو الملك إلى الإسلام ويتلطف به، حتى أسلم هو وكثير من الناس، ومات في حياة يوسف، وأما العزيز فلم يثبت إسلامه. قوله: **(ومات بعد)** أي مات العزيز بعد عزله. قوله: **(فزوجه امرأته)** أي بعد أن ذهب مالها، وعمي بصرها من بكاءها على يوسف، فصارت تتكفف الناس، وكان يوسف يركب في كل أسبوع في موكب زهاء مائة الف من عظماء قومه، فقيل لها: لو تعرضت له لعله يسعفك بشيء، فلما ركب في موكبه، قامت فنادت بأعلى صوتها: سبحان من جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم، وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم، فقال يوسف: ما هذه؟ فقدمت إليه فعرفها، فرق لها وبكى بكاء شديداً، ثم دعاها للزواج، وأمر بها، فهيئت ثم زفت إليه، فقام يوسف يصلي ويدعو الله وقامت وراءه، فسأل الله تعالى أن يعيد لها شبابها وجمالها وبصرها، فرد الله عليها ذلك، حتى عادت أحسن ما كانت يوم راودته، إكراماً له عليه السلام لما عف عن محارم الله، فأصابها فإذا هي عذراء فعاشا في أرغد عيش. روي أن الله ألقى في قلب يوسف محبتها أضعاف ما كان في قلبها، فقال لها: ما شأنك لا تحبيني كما كنت أول مرة؟ فقالت: لما ذقت محبة الله، شغلني ذلك عن كل شيء. قوله: **(ولدين)** أي وبنتاً. قوله: **(ودانت له الرقاب)** أي خضعت له الناس.

قوله: **﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾** أي نخص بنعمتنا من أردنا. قوله: **﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** أي بل نضاعفه لهم. قوله: **﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾** اللام موطئة لقسم محذوف. قوله: **﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾** أي اتصفوا بالإيمان، قوله: **﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾** أي يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي. قوله: **(ودخلت سنو القحط)** إلخ، قدر ذلك إشارة إلى أن قوله: **﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾** مرتب على محذوف، أي سبب مجيئهم، أنه لما فرغت سنو الخصب، وأتت سنو القحط والجدب، واحتاجت الناس للطعام، فبلغ يعقوب أن بمصر ملكاً يبيع الطعام للمحتاجين، فبعثهم ليبتاعوا منه.

قوله: **﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾** وكانوا عشرة، وكان مسكنهم بالعربات من أرض فلسطين، وهي

ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه ﴿فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ لا يعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذا الله، قال: فمن أين أنتم، قالوا: من بلاد كنعان، وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه، فأمر بإنزالهم وإكرامهم ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وفي لهم كيلهم ﴿قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ أي بنيامين لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ﴾ أتمه من غير بخس ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى﴾ أي ميرة ﴿وَلَا﴾ ﴿تَقْرَبُونِ﴾ ﴿٦٠﴾ نهي أو عطف على محل (فلا كيل) أي تحرموا ولا تقربوا ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنجتهد في طلبه منه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ ذلك ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾ وفي قراءة لفتيته: غلمانه ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ﴾

ثغور الشام، وكانوا أهل بادية وإبل وشياه، وحكمة ذهاب العشرة جميعاً، أنه بلغهم أن الملك لا يزيد الواحد عن حمل بعير، قصداً للعدل بين الناس، فغرضهم بذلك أن تكون الأحمال عشرة. قوله: **(ليمتاروا)** أي ليحملوا الميرة، وهي الطعام المجلوب من بلد آخر. قوله: **(لبعد عهدهم به)** قال أبو صالح عن ابن عباس: كان بين أن ألقوه في الجب، وبين دخولهم عليه، اثنتان وعشرون سنة، فلذا أنكروه لأنه كان على سرير الملك، وكان على رأسه تاج الملوك وزي الملوك. قوله: **(فقالوا للميرة)** أي لأخذها. قوله: **(لعلكم عيون)** أي جواسيس تطلعون على عوراتنا وتخبرون بها أعداءنا.

قوله: **﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾** أي هيأ لهم الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم، وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم. قوله: **﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ﴾** أي إن كنتم صادقين في ذلك، فأنا أكتفي منكم بذلك، قالوا: إن أبانا يحزن لفراقه، قال: فاتركوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني به، فاعترفوا فيما بينهم، فأصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده، وقوله: **﴿بِأَخٍ لَكُمْ﴾** إنما لم يقل بأخيكم زيادة في الإبهام، وذلك للفرق بين قولك: رأيت غلامك وغلاماً لك، فإن الأول يقتضي أن عندك به نوع معرفة دون الثاني.

قوله: **﴿أَلَا تَرَوْنَ﴾** الخ غرضه بذلك الترغيب في العود مرة أخرى. قوله: **﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾** أي خير من يكرم الضيفان. قوله: **﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾** أي إذا وعدتم مرة أخرى. قوله: **(أي ميرة)** أشار بذلك إلى أن المراد بالكيل المكيل. قوله: **(نهي)** أي والفعل مجزوم بحذف النون، وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً، وهذه النون للوقاية. قوله: **(أو عطف على محل: فلا كيل)** أي وهو الجزم لأنه جواب الشرط، وحينئذ فلا نافية ونون الرفع محذوفة للجازم على كل حال، وعليه فيكون المعنى: فلا كيل ولا قرب. قوله: **﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾(ذلك)** أي المراودة والاجتهاد قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً، وكل من فتيته وفتيانه جمع لفتى، لكن الأول جمع قلة، والثاني جمع كثرة.

قوله: **﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾** أي فقد وكل بكل رجل واحداً من غلمانه، ويضع فيه

التي بها ثمن الميرة وكانت دارهم ﴿ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ أوعيتهم ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ ﴾ وفرغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ إلينا لأنهم لا يستحلون إمساكها ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ بالنون والياء ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿قَالَ هَلْ﴾ ما ﴿آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ وفي قراءة حافظاً تمييز كقولهم لله دره فارساً ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ فأرجو أن يمن بحفظه ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ ما استفهامية، أي: شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا، وقرىء بالفوقانية خطاباً ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نأتي بالميرة لهم وهي الطعام ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأخينا ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ ﴿٦٥﴾ سهل على الملك لسخائه ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ بأن تحلفوا ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾

ثمن الطعام الذي في هذا الرحل. قوله: (وكانت دراهم) وقيل كانت نعالاً وجلوداً، والأقرب الأول، لأن شأن الدراهم أن تخفى، ولا شك أنهم لم يعلموا بها إلا عند تفريغ أوعيتهم. قوله: **(لأنهم لا يستحلون إمساكها)** أي لأن ديانتهم وأمانتهم، تحملهم على رد البضاعة إليه إذا وجدوها، لأنهم مطهرون من أكل ما لم يحل لهم، وقيل قصد يوسف بذلك، مواساة أبيه وإخوته، خوفاً أن لا يكون عندهم شيء من المال، وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه، ليكون ذلك باعثاً لهم على الرجوع، وقيل رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤم، وقيل أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم فيه منة ولا عيب.

قوله: **﴿فَلَمَّا رَجَعُوا﴾** أي التسعة لما تقدم أنه أخذ شمعون رهينة على أن يأتوه ببنيامين. قوله: **﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾** أي بعد هذه المرة. قوله: **(بالنون والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وأصل نكتل نكتيل، تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً ثم حذفت لالتقاء الساكنين. قوله: **﴿هَلْ آمَنُكُمْ﴾** الاستفهام إنكاري، ولذا فسر هل بما، والمعنى كيف آمنكم على ولدي بنيامين، وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم، وأنكم ذكرتم مثل هذا في شأن يوسف حيث قلتم ﴿وإنا له لحافظون﴾ فلما لم يحصل الحفظ هناك، فكيف آمنكم هنا. قوله: **﴿إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ﴾** الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف، والتقدير إلا ائتماناً مثل ائتماني لكم على أخيه، إلخ. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(تمييز)** أي على كل من القراءتين. قوله: **(فأرجو أن يمن بحفظه)** أي ولا يجمع على مصيبتين، قال كعب الأحبار: لما قال الله له: لأردن عليك كليهما حيث توكلت علي واستحفظتني عليه.

قوله: **﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾** أي بحضرة أبيهم. قوله: **﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾** أي وهي ثمن الميرة. قوله: **(أعظم من هذا)** ورد أنهم قد كانوا ذكروا ليعقوب إحسان ملك مصر إليهم، وحثوا يعقوب على إرساله بنيامين معهم، فلما وجدوا بضاعتهم ردت إليهم، قالوا أي شيء نطلب بعد هذا الإكرام، أوفى لنا الكيل ورد لنا الثمن، لو كان رجلاً من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته، فقال لهم يعقوب: إذا رجعتم إلى

﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به فأجابوه إلى ذلك ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بذلك ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٦﴾ شهيد وأرسله معهم ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟﴾ مصر ﴿مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لئلا تصيبكم العين ﴿وَمَآ أُغْنِى﴾ أدفع ﴿عَنكُم﴾ بقولي ذلك ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ قدره عليكم وإنما ذلك شفقة ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي متفرقين ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي قضائه ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة

مصر، فأقرئوه مني السلام وقولوا له: إن أبانا يصلي عليك، ويدعو لك بما أوليتنا. قوله: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ أي على أحمالنا. قوله: ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ هذا هو جواب القسم. قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ استثناء من عموم الأحوال، والتقدير لتأتنني به في كل حال، إلا حال الإحاطة بكم.

قوله: ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ أي بقولهم: بالله رب محمد لنأتينك به، والموثق العهد المؤكد باليمين قوله: ﴿مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ أي وكانت أبواب مصر إذ ذاك أربعة. قوله: (**لئلا تصيبكم العين**) إنما خاف عليهم العين، لكمالهم وقوتهم واشتهارهم بين أهل مصر، بإكرام الملك لهم واحترامهم، فأمرهم بالتفرق ليسلموا من إصابة العين، فإنها كما قال أهل السنة، سبب عادي للضرر كالسم والسيف، يوجد الضرر عندها لا بها، وقالت الفلاسفة: إن العائن ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعيون، فيهلك أي يفسد، فأثبتوا للعين تأثيراً بنفسها، وهو كلام باطل واعتقاده كفر، وأعظم نافع في الرقى من العين سورتا المعوذتين.

قوله: ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي من قضائه. قوله: (**وإنما ذلك**) أي القول قوله: (**شفقة**) أي رأفة بكم، إن قلت: لم أمرهم بذلك في هذه المرة، ولم يأمرهم في المرة الأولى؟ أجيب بجوابين: الأول لكون معهم بنيامين وهو عزيز عليه، فخاف عليهم من أجل كونه معهم، والثاني أنهم اشتهروا في مصر بأنهم أولاد رجل واحد، وفيهم نور النبوة والشهامة والجمال، سيما وقد كانوا عند الملك بمنزلة، بخلاف المرة الأولى. قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي فوضت أموري واعتمدت عليه، لا على ما أمرتكم به، لأن الأخذ في الأسباب مع التوكل، أفضل من ترك الأسباب.

قوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أبوهُمْ﴾ اختلف في جواب لما، فقيل هو قوله: ﴿مَا كَانَ يُغْنِي﴾ إلخ، والمعنى أن دخولهم من أبواب متفرقة لا يدفع عنهم مما قدره الله شيئاً، بل الدخول متفرقاً كالدخول مجتمعاً، بالنسبة لقضاء الله، وقيل هو قوله: ﴿آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ وهو جواب لما الثانية أيضاً، لأن المقصود بدخول المدينة الدخول على يوسف، والمقصود به إيواء الأخ، فلما الثانية مرتبة على لما الأولى، فصلح أن يكون جوابهما واحداً. قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي من أبواب متفرقة.

قوله: ﴿مَا كَانَ يُغْنِي﴾ أي يدفع عنهم التفرق، ففاعل يغني ضمير يعود على التفرق. قوله: (**إلَّا حَاجَةً**) استثناء منقطع ولذا فسره بلكن، والمعنى لم يكن تفرقهم دافعاً عنهم من قدر الله شيئاً، لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها، وهي دفع العين عنهم، التي كانت تصيبهم عند دخولهم مجتمعين، فإن التفرق في الدخول دفعها بإرادة الله. قوله: (**لتعليمنا إياه**) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ لتعليمنا إياه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ إلهام الله لأصفيائه ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾ ضم ﴿إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ من الحسد لنا وأمره أن لا يخبرهم وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ هي صاع من ذهب مرصع بالجواهر ﴿فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى منادٍ بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُواْ وَ﴾ قد ﴿أَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفۡقِدُونَ﴾ ﴿٧١﴾ ــه

قوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ أي منزله ومحل حكمه، وهذا الدخول غير الدخول السابق، فإن المراد به دخول المدينة، قال المفسرون: لما دخلوا عليه قالوا أيها الملك، هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به، فقال أحسنتم وأصبتم، ستجدون ذلك عندي، ثم أنزلهم وأكرم نزلهم، ثم أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً، فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه، فقال لهم يوسف: لقد بقي هذا وحده، فقالوا: كان له أخ فهلك، قال لهم: فأنا اجلسه معي، فأخذه فأجلسه معه على المائدة وجعل يؤاكله، فلما دخل الليل، أمر لهم بمثل ذلك من الفراش وقال: كل اثنين ينامان على فراش واحد، فبقي بنيامين وحده، فقال يوسف: هذا ينام عندي على فراشي، فقام بنيامين مع يوسف على فراشه، فجعل يوسف يضمه إليه ويشم ريح أبيه منه حتى أصبح، فلما أصبح قال لهم: إني أرى هذا الرجل وحيداً ليس معه ثان، فأنا أضمه إلي فيكون معي في منزلي، ثم إنه أنزلهم وأجرى لهم الطعام، فقال روبيل: ما رأينا مثل هذا، فلما خلا به قال له يوسف: ما اسمك؟ قال: بنيامين، قال: فهل لك من ولد؟ قال: عشر بنين، قال: فهل لك من أخ لأم؟ قال: كان لي أخ فهلك، قال يوسف: أتحب أن أكون أخاك بدل من أخيك الهالك؟ قال بنيامين: ومن يجد أخاً مثلك أيها الملك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف عليه السلام، وقام إليه وعانقه وقال: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ إلخ، وقال كعب: لما قال له يوسف: إني أنا أخوك، قال بنيامين: أنا لا أفارقك، فقال يوسف: قد علمت اغتمام والدي بي، فإذا حبستك عندي ازداد غمه، ولا يمكنني هذا إلا أن أشهرك بأمر فظيع، وأنسبك إلى ما لا يحمد، فقال: لا أبالي، افعل ما بدا لك فإني لا أفارقك، قال يوسف: فإني أدس صاعي في رحلك، ثم أنادي عليك بالسرقة، لأحتال في ردك بعد إطلاقك، قال: فافعل ما شئت، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ﴾ إلخ.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ﴾ عبر هنا بالفاء، إشارة إلى طلب سرعة سيرهم وذهابهم لبلادهم بخلاف المرة الأولى، فإن المطلوب طول إقامتهم ليتعرف حالهم. قوله: **(هي صاع من ذهب)** وكان يشرب فيه الملك فسمي سقاية باعتبار أول حاله، وصاعاً باعتبار آخر أمره، لأن الصاع آلة للكيل. قوله: **(مرصع بالجواهر)** أي مزين ومحلى بها. قوله: **(بعد انفصالهم عن مجلس يوسف)** أي خروجهم وسيرهم، بل قيل: إنهم وصلوا إلى بلبيس وردوا من عندها.

قوله: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ هي في الأصل كل ما يحمل عليه من إبل وحمير، ويقال أطلقت وأريد أصحابها فهو مجاز علاقته المجاورة. قوله: ﴿وَأَقْبَلُوا﴾ قدره المفسر **(قد)** إشارة إلى أن الجملة حالية،

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾ صاع ﴿ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾ بالحمل ﴿زَعِيمٌ﴾ ﴿٧٢﴾ كفيل ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ ما سرقنا قط ﴿قَالُواْ﴾ أي المؤذن وأصحابه ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ أي السارق ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأ خبره ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ﴾ يسترق ثم أكد بقوله ﴿فَهُوَ﴾ أي السارق ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي المسروق لا غير وكانت سنة آل يعقوب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ بالسرقة فصرفوا ليوسف لتفتيش أوعيتهم ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يتهم ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ أي السقاية ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكيد ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر لأن جزاءه عنده الضرب

والمعنى أنهم التفتوا إليهم وخاطبوهم بما ذكر. قوله: ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ أي أي شيء ضاع منكم. قوله: ﴿صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ أي آلة كيله، وإنما اتخذ آلة كيل لعزة ما يكال به في ذلك الوقت، وفيه قراءات كثيرة السبعية منها واحدة وهي صواع وما عداها شاذ. قوله: ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي جعلا له.

قوله: ﴿قَالُوا تاللهِ﴾ إلخ، إنما قالوا ذلك، لما ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم، حيث كانوا مواظبين على الطاعات والخيرات، حتى بلغ من أمرهم أنهم سدوا أفواه دوابهم، لئلا تأكل شيئاً من أموال الناس. قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تأكيد لما قبله. قوله: **(ووجد فيكم)** الجملة حالية، والمعنى فما جزاؤه إن كنتم غير صادقين في قولكم، والحال أنه ظهر خلاف ما قلتم. قوله: **(خبره)** ﴿مَنْ وُجِدَ﴾ أي فمن اسم موصول ووجد صلتها، والكلام على حذف مضاف أي استرقاق من وجد، أشار المفسر بقوله يسترق. قوله: **(وكانت سنة آل يعقوب)** أي طريقهم وشريعتهم يسترق السارق سنة.

قوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ **(الجزاء)** أي المذكور وهو استرقاق السارق. قوله: **(فصرفوا)** أي ردوا من المكان الذي لحقهم فيه جماعة الملك. قوله: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ أي فكان يفتح وعاء وعاء ويفتشه، ثم بعد فراغه منه يستغفر الله مما قذفهم به، إلى أن وصل إلى رحل بنيامين فقال: ما أظن هذا أخذ شيئاً، فقالوا: والله لا نتركك حتى تنظر في رحله، فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه. قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ أي فلما أخرجها منه، نكس الأخوة رؤوسهم من الحياء، وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له: فضحتنا وسودت وجهنا يا ابن راحيل، ما زال لنا منكم بلاء، فقال بنيامين: بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء، ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية، إن الذي وضع هذا الصواع في رحلي، هذا الذي وضع البضاعة في رحالكم.

قوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ **(الكيد)** أي الحيلة وهي استفتاء يوسف من إخوته. قوله: ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي ألهمناه أن يضع الصاع في رحل أخيه ليضمه إليه، على ما حكم به إخوته. قوله: **(علمناه الاحتيال)** إلخ، أي فما وقع من يوسف في تلك الواقعة بوحي من الله تعالى، وحينئذ فلا يقال: كيف نادى على إخوته بالسرقة واتهمهم بها مع أنهم بريئون. قوله: **(لأن جزاءه عنده الضرب)** إلخ، أي وهذه الطريقة لا توصله

وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه أي لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالإضافة والتنوين في العلم كيوسف ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٞ﴾ ﴿٧٦﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله تعالى ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ أي يوسف وكان سرق لأبي أمه صنماً من ذهب فكسره لئلا يعبده ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا﴾ يظهرها ﴿لَهُمۡۚ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قَالَ﴾ في نفسه ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ﴾ من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له

إلى أخذ أخيه. قوله: (مثلي المسروق) أي مثلي قيمته.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ استثناء منقطع، والمعنى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك، ولكن أخذ بشريعة يعقوب، لمشيئة الله لأخذه، إذ لو شاء عدم أخذه لما علمه تلك الحيلة قوله: (بحكم أبيه) أي شريعته. قوله: (بالإضافة والتنوين) أي فهما قراءتان سبعيتان قوله: ﴿وَفَوْقَ﴾ خبر مقدم، و ﴿عَلِيمٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والمعنى أن إخوة يوسف وإن كانوا علماء، إلا أن الله جعل يوسف فوقهم في العلم، بل فضله عليهم بمزايا عظيمة منها: الرسالة والملك والإنعام عليهم وغير ذلك.

قوله: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ﴾ إلخ، سبب هذه المقالة، أنه لما خرج الصاع من رحل بنيامين، افتضح الإخوة ونكسوا رؤوسهم، فقالوا تبرئة لساحتهم ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾ الخ، وأتوا بإن المفيدة للشك، لأنه ليس عندهم تحقق سرقته، بمجرد إخراج الصاع من رحله، وبالمضارع لحكاية الحال الماضية. قوله: (وكان سرق لأبي أمه صنماً) إلخ، هذا أحد أقوال في السرقة التي نسبوها له، وقيل جاءه سائل يوماً فأخذ بيضة من البيت فناولها للسائل، وقيل أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاها سائلاً، وقيل كان يخبىء الطعام من المائدة للفقراء، وقيل لم يسرق أصلاً لا ظاهراً ولا باطناً، وإنما كانت تهمة فقط، وذلك أن عمته حضنته بعد موت أمه، فأحبته حباً شديداً، فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه فأحبه، فقال لأخته: يا أختاه سلمي إلي يوسف، فوالله ما أقدر أن يغيب عني ساعة واحدة، فقالت: لا أعطيكه، فقال: والله ما أنا بتاركه عندك، فقالت: دعه عندي أياماً أنظر إليه، لعل ذلك يسليني عنه، ففعل ذلك، فعمدت إلى منطقة كانت لإسحاق، وكانوا يتوارثونها بالكبر، وكانت أكبر أولاد إسحاق، وكانت عندها، فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف، فقال يعقوب: إن كان فعل ذلك فهو سلم لك فأمسكته عندها حتى ماتت. قوله: (لئلا يعبده) أي يدوم على عبادته. قوله: (والضمير للكلمة) إلخ. أي فهو عائد على متأخر لفظاً ورتبة، وحينئذ يكون في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير قال أنتم شر مكاناً وأسرها في نفسه، وهذا أحد قولين، وقيل إنه عائد على قوله: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾. قوله: ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ لم يرد لها جواباً.

قوله: ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً﴾ أي منزلة، والمعنى أن ما ظهرتم به شر مما يظهر به يوسف وأخوه، فإنهما اتهما بالسرقة ظاهراً، وأنتم سرقتم يوسف من أبيه وفعلتم به ما فعلتم. قوله: (لسرقتكم أخاكم من

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ تذكرون في أمره ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ في أفعالك ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى المفعول أي نعوذ بالله من ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ لم يقل من سرق تحرزاً من الكذب ﴿إِنَّا إِذًا﴾ إن أخذنا غيره ﴿لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا﴾ يئسوا ﴿مِنْهُ خَلَصُوا﴾ اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره أي يناجي بعضهم بعضاً ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سناً روبيل أو رأياً يهوداً ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ في أخيكم ﴿وَمِن قَبْلُ مَا﴾ زائدة ﴿فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ وقيل ما مصدرية مبتدأ خبره من قبل ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾

أبيكم) أي وهو يوسف قوله: **(عالم)** أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه، إذ لا مشاركة بين الحادث والقديم.

قوله: **﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾** إلخ سبب هذه المقالة أنه لما استخرج الصاع من رحل بنيامين، غضب روبيل لذلك، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا، وكان روبيل إذا غضب لم يقم لغضبه شيء، وكان إذا صاح ألقت كل حامل حملها إذا سمعت صوته، وكان مع ذلك، إذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه، وكان أقوى الإخوة وأشدهم، وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب، فقال لإخوته: كم عدد الأسواق بمصر؟ قالوا: عشرة، قال: اكفوني أنتم الأسواق، وأنا أكفيكم الملك، أو اكفوني أنتم الملك، وأنا أكفيكم الأسواق، فدخلوا على يوسف فقال روبيل: أيها الملك لتردن علينا أخانا، أو لأصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل إلا وضعت حملها، وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه، فقال يوسف لابن صغير له: قم إلى جنب هذا فمسه أو خذه بيده، فأتى له فلما مسه سكن غضبه، فقال لإخوته: من مسني منكم؟ فقالوا: لم يصبك منا أحد، فقال روبيل إن هذا بذر من بذر يعقوب، فغضب ثانياً، فقام يوسف إليه فوكزه برجله، وأخذ يداً من يده فوقع على الأرض، وقال لهم: أنتم يا معشر العبرانيين، تزعمون أن لا أحد أشد منكم، فلما رأوا ما نزل بهم، ورأوا أن لا سبيل إلى الخلاص، خضعوا وذلوا، و **﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾** إلخ.

قوله: **﴿كَبِيراً﴾** أي في السن أو القدر، لأنه نبي من أولاد الأنبياء. قوله: **(استعبده)** أي استرقه. قوله: **﴿مَكَانَهُ﴾** منصوب على الظرفية أو ضمن خذ معنى اجعل، فمكانه مفعول ثان. قوله: **﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** أي في أفعالك، وإلينا في توفية الكيل وحسن الضيافة وغير ذلك. قوله: **﴿إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ﴾** أي في أخذ أحدكم مكانه. قوله: **(يئسوا)** أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان. قوله: **(اعتزلوا)** أي مجلس الملك. قوله: **﴿نَجِيًّا﴾** هو حال، والمعنى خلصوا حال كونهم متناجين ومتشاورين في أمر هذه القضية. قوله: **(في أخيكم)** أي في رده. قوله: **﴿مَا﴾(زائدة)** أي والجار والمجرور متعلق بفرطتم. قوله: **(وقيل ما مصدرية مبتدأ)** أي وهي وما دخلت عليه، في تأويل مصدر مبتدأ، فالمبتدأ في الحقيقة المصدر المنسبك، والمعنى: وتفريطكم كائن من قبل تفريطكم في بنيامين، واعترض هذا الإعراب، بأن الظروف المنقطعة عن الإضافة لا تقع خبراً، ويجاب بأن محل ذلك ما لم يتعين المضاف إليه كما هنا.

أفارق ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ بالعود إليه ﴿أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ بخلاص أخي ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ ﴿٨٠﴾ أعدلهم ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾ تيقنا من مشاهدة الصاع في رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ﴾ لما غاب عنا حين إعطاء الموثق ﴿حَٰفِظِينَ﴾ ﴿٨١﴾ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر أي أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَٱلۡعِيرَ﴾ أي أصحاب العير ﴿ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ﴾ وهم قوم من كنعان ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ في قولنا فرجعوا إليه وقالوا لـه ذلك ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ﴾ زينت ﴿لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾ ففعلتموه أتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ﴾ صبري ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ﴾ بيوسف وأخيه ﴿جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بحالي ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ ﴿٨٣﴾ في صنعه ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ تاركاً خطابهم ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ الألف بدل من ياء الإضافة أي يا حزني ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ

قوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ﴾ أشار بذلك إلى أن أبرح ضمنت معنى: أفارق الأرض مفعول به، وأبرح تامة. قوله: ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللهُ﴾ إما معطوف على يأذن، أو منصوب بأن مضمرة في جواب النفي، كأنه قال: لن أبرح الأرض إلا أن يحكم الله، كقولهم: لألزمنك أو تقضيني حقي، أي إلا أن تقضيني حقي.

قوله: ﴿فَقُولُوا يَا أَبَانَا﴾ إلخ إنما أمرهم بذلك، لتزول التهمة عنهم عند أبيهم. قوله: ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ أي نسبوه للسرقة، لأنهم شاهدوا الصواع قد أخرج من متاعه، فغلب على ظنهم أنه سرق، فلذلك نسبوه إلى السرقة، وفي ظاهر الحال لا في الحقيقة. قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾أما وما كنا للعواقب عالمين، فلم ندر حين أعطيناك الموثق، أنه سيسرق وتصاب به، كما أصبت بيوسف. قوله: (أي أرسل إلى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، وكذا في قوله: ﴿وَالْعِيرَ﴾. قوله: (وهم قوم كنعان) أي وكانوا جيراناً ليعقوب. قوله: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي سواء نسبتنا إلى التهمة أم لا، وليس غرضهم أن يثبتوا صدق أنفسهم بهذه المقالة، لأن دعوى الخصم لا تثبت بنفسها. قوله: (فرجعوا) أي التسعة، وقدره إشارة إلى أن قوله: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ إلخ، مرتب على محذوف. قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: (صبري) وتقدم أن الصبر الجميل، هو الذي لا شكوى مع لمخلوق، ولا جزع من فعل الخالق، ولذلك فوض أمره لله، ولم يسأل العير، ولم يرسل يستخبر من القرية التي كانوا فيها، بل استسلم للقضاء ولم يقطع الرجاء.

قوله: ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ إنما قال ذلك، لأنه لما طال حزنه واشتد كربه، علم أن الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً، لأنه إذا اشتد الكرب، كان إلى الفرج أسرع، وقيل إن يعقوب أطلعه الله على باطن الأمر، وأن أولاده أحياء لم يصابوا بشيء، ، وأنه سيجتمع عليهم، غير أنه أمر بكتم ذلك فلوح تلك الإشارة إلى علمه. قوله: (وأخويه) أي بنيامين وكبيرهم. قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه، أي لأنه يضع الأشياء في محلها.

قوله: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ مرتب على ما ذكروه له. قوله: (الألف بدل من ياء الإضافة) أي والأصل

﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ﴾ انمحق سوادهما وبدل بياضاً من بكائه ﴿مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ ﴿٨٤﴾ مغموم مكروب لا يظهر كربه ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾ لا ﴿تَفۡتَؤُاْ﴾ تزال ﴿تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشرفاً على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ الموتى ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي﴾ هو الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يبث إلى الناس ﴿وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا

يا أسفي، بكسر الفاء وفتح الياء، قلبت الكسرة فتحة، ثم تحركت الياء، وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فيقال في إعرابه أسفى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً. قوله: ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ إنما يجدد حزنه على يوسف عند إخباره بواقعة بنيامين، لأن الحزن قديم إذا صادفه حزن آخر، كان أوجع للقلب، وأعظم لهيجان الحزن، وليس في هذا إظهار جزع، بل هو شكوى لله لا للخلق، فمعنى يا أسفى، أشكو إلى الله شدة حزني، فلا ينافي قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

قوله: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ قيل معناه عمي فلم يبصر شيئاً ست سنين، وهذا بناء على جواز مثل هذا على الأنبياء بعد التبليغ واشتهار الأمر، وقيل معناه ضعف بصره من كثرة البكاء، واتصال الدمع بعضه ببعض، ولم يكن عمي حقيقة، بل من كثرة البكاء صار على إنسان العين غشاوة مانعة له من النظر، ولم يذهب أصلاً، وهذا هو الأقرب. قوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي مكظوم، ممتلىء من الحزن ممسك عليه، لا يذكره لأحد، قال قتادة: الكظيم الذي يرد حزنه في جوفه، ولم يقل إلا خيراً.

قوله: ﴿قَالُوا تَاللهِ﴾ أي تسلية له على ما نزل به من الحزن العظيم. إن قلت: كيف حلفوا على شيء لا يعلمون حقيقته؟ أجيب: بأنهم حلفوا على غلبة الظن، وهي بمنزلة اليقين، فهو من لغو اليمين الذي لا يؤاخذ به العبد. قوله: ﴿تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ إلخ، إنما قدر المفسر(لا) لأن القسم المثبت جوابه مؤكد بالنون أو اللام عند الكوفيين، أو بهما عند البصريين، فلما رأينا الجواب هنا خالياً منهما، علمنا أن سم على النفي بمعنى أن، جوابه منفي لا مثبت، فلو قيل: والله أحبك كان المراد لا أحبك، وهو من قبيل التورية، ومن ذلك إذا قال: والله أجيئك غداً في فيحنث في المجيء، بخلاف ما إذا قال لأجيئنك فيحنث بعدمه. قوله: ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾ هو من باب تعب، يقال: حرض حرضاً أشرف على الهلاك. قوله: (وغيره) أي المثنى والمجموع والمذكر والمؤنث.

قوله: ﴿قَالَ﴾(لهم) أي جواباً لقولهم. قوله: ﴿أَشْكُو بَثِّي﴾ البث تفريق الحزن واظهاره، لأن الإنسان إذا ستر الحزن وكتمه كان هماً، وإذا ذكره لغيره كان بثاً، فالبث أشد الحزن وهذه المقالة قالها لجبريل عليه السلام، لما ورد أنه كان ليعقوب شخص مواخ له، فقال له ذات يوم: يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك، وما الذي قوس ظهرك، قال: أما الذي أذهب بصري، فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري، فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل فقال له: يا يعقوب، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أما تستحي أن تشكو إلى غيري؟ فقال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾ فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو، وإنما عوتب يعقوب بهذا، لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، لأن العتاب على قدر المرتبة. قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي من رحمته وإحسانه قوله: (وهو حي) أي لما روي أن ملك

تَعۡلَمُونَ ﴾ ﴿٨٦﴾ من أن رؤيا يوسف صدق هو حي، ثم قال ﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ﴾ تقنطوا ﴿مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ رحمته ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ الجوع ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَـٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾ مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفاً أو غيرها ﴿فَأَوۡفِ﴾ أتم ﴿لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ يثيبهم، فرق عليهم وأدركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم ثم ﴿قَالَ﴾

الموت زار يعقوب، فقال له يعقوب: أيها الملك، الطيب ريحه، الحسن صورته، الكريم على ربه، هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال: لا، فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته.

قوله: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا﴾ إلخ، سبب تلك المقالة، أن أولاده لما أخبروه بسيرة ملك مصر، وكمال حاله في جميع أقواله وأفعاله، أحست نفس يعقوب، وطمع أن يكون هو يوسف، فعند ذلك قال: ﴿يَا بَنِيَّ﴾ إلخ. قوله: ﴿فَتَحَسَّسُوا﴾ هو بالحاء المهملة، طلب الخير بالحاسة والتجسس بمعناه، روي أن يعقوب حين أمر أولاده أن يذهبوا ليأتوا بخبر يوسف وأخيه، كتب لهم كتاباً إلى يوسف، لما حبس عنده بنيامين، من يعقوب اسرائيل الله، ابن اسحاق ذبيح الله، ابن ابراهيم خليل الله، إلى ملك مصر، أما بعد، فإنا أهل بيت وكل بنا البلاء، أما جدي ابراهيم، فشدت يداه ورجلاه وألقي في النار، فصبر لأمر الله، وأما عمي اسماعيل فابتلي بالغربة في صغره، فصبر لأمر الله، وأما أبي اسحاق، فابتلي بالذبح ووضع السكين على قفاه، ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن، وكان أحب أولادي إلي، فذهب به إخوته إلى البرية، ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا: قد أكله الذئب فذهبت عيناي، ثم كان لي ابن آخر، وكان أخاه من أمه، فكنت أتسلى به، وأنك حبسته وزعمت أنه سرق، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته إلي، وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك، فلما قرأ يوسف كتاب أبيه، اشتد بكاؤه وقل صبره، وأظهر نفسه لإخوته.

قوله: ﴿وَأَخِيهِ﴾ لم يقل وأخويه لأنه كان يعلم أن الثالث مقيم بمصر، فلم يخف عليه حاله. قوله: (اطلبوا خبرهما) أي بالحاسة، كما أن التجسس طلب الخير بالحاسة أيضاً، فهما بمعنى واحد، ولذا قرىء هنا بالجيم شذوذاً. قوله: ﴿مِنْ رَوْحِ اللهِ﴾ بالفتح مصدر بمعنى الرحمة، وهو في الأصل استراحة القلب من غمه، والمعنى لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله. قوله: (فانطلقوا نحو مصر) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ مرتب على محذوف. قوله: (مدفوعة) أي مردودة. قوله: (وكانت دراهم زيوفاً) أي معيبة. قوله: (أو غيرها) أو لتنويع الخلاف، فقيل كانت نعالاً، وقيل صوفاً.

قوله: ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ أي أعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد، فإنا نريد أن تقيم لنا الناقص مقام الزائد. قوله: (بالمسامحة) وقيل برد أخينا بنيامين. إن قلت: إن ما فعلوه خلاف ما أمرهم به أبوهم، من التحسس من يوسف وأخيه، أجيب: بأن أبواب التحسس كثيرة وهذا منها، لأن الاعتراف بالعجز، وضيق اليد وشدة الحاجة، مما يرقق القلب، فإن كان يوسف فسيظهر لهم حاله، لحصول الرقة والعطف منه لهم، وإن كان غيره فلا يرق ولا يعطف. قوله: (ورفع الحجاب) إلخ، قيل هو اللثام الذي

لهم توبيخاً ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّافَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وَأَخِيهِ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ ما يؤول إليه أمر يوسف ﴿قَالُوٓا۟﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين ﴿أَءِنَّكَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ﴾ أنعم ﴿ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بالاجتماع ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ يخف الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على ما يناله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ﴾ فضلك ﴿ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالملك وغيره ﴿وَإِن﴾ مخففة أي إنا ﴿كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ ﴿٩١﴾ آثمين في أمرك فأذلنا لك ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾ عتب ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ خصه بالذكر لأنه مظنة التثريب فغيره أولى ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ وسألهم عن أبيه فقالوا ذهبت عيناه فقال ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ وهو قميص ابراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار كان

كان يتلثم به، وقيل هو الستر الذي كان يكلمهم من خلفه، وقيل هو تاج الملك الذي كان يضعه على رأسه، وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة، وكان ليعقوب مثلها، ولسارة مثلها، فعرفوه بها.

قوله: ﴿**قَالَ هَل عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ**﴾ أي هل علمتم عاقبة ما فعلتم بهما، من تسليم الله إياهما من كل مكروه، وإنعام الله عليهما بتلك النعم العظيمة. قوله: (**من هضمكم له**) أي ظلمكم وإذايتكم له. قوله: ﴿**إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**﴾ أي وقت جهلكم بعاقبة أمرهما. قوله: (**من شمائله**) أي أخلاقه. قوله: (**وإدخال ألف بينهما**) إلخ، أي فالقراءات أربع: التحقيق والتسهيل للثانية، مع الألف بينهما وبدونها، وبقي قراءة خامسة سبعية أيضاً وهي إنك بهمزة واحدة.

قوله: ﴿**قَالَ أَنَا يُوسُفُ**﴾ إنما عرض باسمه، تعظيماً لما نزل به من ظلم إخوته، ولما عوضه الله من النصر والملك. قوله: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ**﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، وبحذفها فيهما قراءتان سبعيتان فعلى الإثبات تكون من موصولة والفعل صلتها، وعلى الحذف تكون شرطية، والفعل مجزوم بحذفها. قوله: (**فيه وضع الظاهر إلخ**) أي والأصل لا يضيع أجرهم. قوله: (**وغيره**) أي كالصبر والصفح والحلم. قوله: ﴿**لَخَاطِئِينَ**﴾ يقال خطىء إذا كان عن عمد، أو خطأ إذا لم يكن عن عمد، ولذا عبر بخاطئين دون مخطئين.

قوله: ﴿**قَالَ لَا تَثْرِيبَ**﴾ أي لا توبيخ ولا لوم عليكم. قوله: ﴿**الْيَوْمَ**﴾ خبر ثان أو متعلق بالخبر فالوقف عليه وهو الأقرب، ولذا مشى عليه المفسر، وقوله: ﴿**يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ**﴾ استئناف، ويصح أن يكون ظرفاً لقوله يغفر، فالوقف على قوله عليكم. قوله: ﴿**يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ**﴾ الجملة دعائية. قوله: ﴿**وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ أي يقبل التوبة ويعفو عن المذنبين، ومن كرم يوسف عليه السلام أنهم لما عرفوه قالوا له: إنك تدعونا بكرة وعشياً إلى الطعام، ونحن نستحي منك لما تقدم منا فقال: إن أهل مصر كانوا ينظرون إلي بعين العبودية ويقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرفت بكم، وعظمت في عيونهم، حيث علموا أنكم إخوتي، وأني من حفدة إبراهيم عليه السلام. قوله: (**وسألهم عن أبيه**) أي حين وقع التعارف وهو تمهيد لقوله: ﴿**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي**﴾. قوله: (**وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين**

في عنقه في الجب وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال إن فيه ريحاً ولا يلقي على مبتلى إلا عوفي ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ﴾ يصير ﴿بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ خرجت عن عريش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوصلته إليه الصبا بإذنه تعالى مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر ﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ تسفهون

ألقي في النار) أي لأنه لما ألقي فيها عرياناً، أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فكان ذلك القميص عند إبراهيم، فلما مات ورثه إسحاق، فلما مات ورثه يعقوب، وجعله في قصبة من فضة، وسد رأسها وعلقها في عنق يوسف حفظاً من العين، فلما ألقي في الجب عرياناً، أتاه جبريل، وأخرج له ذلك القميص من القصبة وألبسه إياه. قوله: **(وقال)** أي جبريل. قوله: **﴿يَأْتِ بَصِيراً﴾** يحتمل أن يأت بمعنى يصير، فبصيراً مفعول ثان، وهو الذي درج عليه المفسر، ويحتمل أنها بمعنى يجيء فبصيراً حال.

قوله: **﴿بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** أي وكانوا اثنين وسبعين، ما بين رجل وامرأة، وقيل ثلاثاً وسبعين، فأرسل لهم مائتي راحلة، وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى، ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً، سوى الذراري والضعفاء، وكانت الذرية إذ ذاك ألف ألف ومائتي ألف، فقد بورك فيهم حتى بلغوا هذا العدد في تلك المدة اليسيرة، لأنه كان بين يعقوب وموسى أربعمائة سنة. قوله: **(خرجت من عريش مصر)** أي متوجهة إلى أرض كنعان، والعريش بلدة معروفة آخر بلاد مصر، وأول بلاد الشام، وما ذكره المفسر أحد قولين، والآخر أن المراد خرجت من نفس مصر. قوله: **(لم حضر من بنيه وأولادهم)** إلخ، مقتضى هذا أن الأولاد لم يذهبوا جميعاً لمصر، بل بقي بعضهم، وقال غيره: إن الأولاد ذهبوا جميعاً، وهذا الخطاب لأولادهم.

قوله: **﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾** أي ريح الجنة من قميص يوسف، فالإضافة لأدنى ملابسة، وهذا دليل على أن كل سهل فهو في مدة المحنة صعب، وكل صعب فهو في زمان الإقبال سهل، حيث وصل إليه ريح القميص من المكان البعيد، عند انقضاء مدة الفراق، ومنع من وصول خبره إليه، مع قرب إحدى البلدتين من الأخرى، في تلك المدة العظيمة، ومن ذلك قول العارف بن الفارض رضي الله عنه:

أعوام إقباله كاليوم في قصر ويوم إعراضه في الطول كالحجج

قوله: **(أوصلته إليه الصبا)** هي ريح تهب من مطلع الشمس. إن قلت: إن ريح الصبا تقابل الذاهب من مصر إلى الشام، فإذا كانت تقابله، فكيف تحمل الريح من القميص الذي معه إلى جهة الشام، فمقتضى العادة أن التي حملت هي الدبور، لأنها هي التي تذهب من جهة مصر إلى الشام؟ أجيب: بأن هذا خرق عادة، أو يقال إن هذا ظاهر إذا كانت حملته لمقابلتها فقط، وأما ما حصل، فقد فاح شذاه على جميع الدنيا، ولذا قال مجاهد: هبت ريح فصفقت القميص، ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب، فوجد ريح الجنة في ذلك القميص، وحينئذ فحمل الصبا لريحه ظاهر، لأنها لم تحمل ريحه ليعقوب فقط، بل حملته لأهل الدنيا، وقد بالغ الناس في مدح الصبا، حتى قال بعض الحكماء: لو توالت على الأرض سبعة أيام لأنبتت الزعفران، وقال بعضهم مادحاً لها:

لصدقتموني ﴿قَالُواْ﴾ له ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ﴾ خطئك ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ ﴿٩٥﴾ من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد ﴿فَلَمَّآ أَن﴾ زائدة ﴿جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ يهوداً بالقميص، وكان قد حمل قميص الدم فأحب أن يفرحه كما أحزنه ﴿أَلْقَىٰهُ﴾ طرح القميص ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ﴾ رجع ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿٩٨﴾ أخر ذلك إلى السحر ليكون أقرب إلى الإجابة أو إلى ليلة الجمعة ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم

أيا جبلي نعمان بالله خليا ... نسيم الصبا يخلص إليَّ نسيمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت ... على نفس مهموم تجلت همومها
أجد بردها أو تشف مني حرارة ... على كبد لم يبق إلا رسومها

قوله: **(أو أكثر)** قيل عشرة وقيل شهر. قوله: **﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾** أن وما دخلت عليه، في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف وجوباً، وجواب لولا محذوف أيضاً، وتقدير الكلام: لولا تفنيدكم لي موجود لصدقتموني، والتفنيد هو تضعيف الرأي. قوله: **﴿قَالُوا﴾** أي من حضر عنده من أولاد بنيه. قوله: **﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾** أي من ذكر يوسف وعدم نسيانك إياه، لأنه كان عندهم قد مات وهلك. قوله: **(فأحب أن يفرحه)** أي فقال لإخوته: إني ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم، فأنا اذهب بهذا القميص فأفرحه كما أحزنته، فحمله وخرج به حافياً حاسراً، ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها، حتى أتى أباه، وكانت المسافة ثمانين فرسخاً، فلما وصل إليه علمه في نظير تلك البشارة، كلمات كان ورثها من أبيه إسحاق، وهو عن أبيه إبراهيم وهي: يا لطيفاً فوق كل لطيف، الطف بي في أموري كلها كما أحب، ورضني في دنياي وآخرتي. قوله: **﴿فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾** أي رجع بصره لحالته الأولى. قوله: **﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** أي من أمور باطنية لا تعلمونها، فأنتم تنظرون للظاهر، وأنا أنظر للباطن.

قوله: **﴿قَالُوا يَا أَبَانَا﴾** إلخ، أي لما ظهر الحق وتبين، اعتذروا لأبيهم مما وقع منهم. قوله: **﴿اسْتَغْفِرْ لَنَا﴾** أي اطلب لنا من ربنا غفران ذنوبنا. قوله: **﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾** أي آثمين. قوله: **(أخر ذلك إلى السحر)** فلما انتهى إلى وقت السحر، قام إلى الصلاة متوجهاً إلى الله، فلما فرغ منها رفع يديه وقال: اللهم اغفر لي جزعي على يوسف، وقلت صبري عنه، واغفر لأولادي ما أتوا إلي وإلى أخيهم يوسف، فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك ولهم أجمعين. قوله: **(أو إلى ليلة الجمعة)** أي وقيل إلى الاجتماع بيوسف، ليجتمع معه على الاستغفار والدعاء لهم، ويؤيده ما روي أنه استقبل القبل قائماً يدعو، فقام يوسف خلفه يؤمن، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين، حتى نزل جبريل عليه السلام وقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة، وهذا إن صح فهو دليل على نبوتهم، ويجاب عما وقع منهم بما مر. قوله: **(ثم توجهوا إلى مصر)** وقال أصحاب الأخبار: لما دنا يعقوب من مصر، كلم يوسف الملك الأكبر، وعرفه بمجيء أبيه وأهله، فخرج يوسف في أربعة آلاف من الجند، وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه السلام، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يد ابنه يهودا، فلما نظر إلى

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ في مضربه ﴿ءَاوَىٰٓ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أباه وأمه أو خالته ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ فدخلوا وجلس يوسف على سريره ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ أجلسهما معه ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ السرير ﴿وَخَرُّوا۟﴾ أي أبواه وإخوته ﴿لَهُۥ سُجَّدًا﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة وكان تحيتهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى

الخيل والناس قال: يا يهودا هذا فرعون مصر، قال: لا، بل هذا ابنك يوسف، فلما دنا كل واحد من صاحبه، أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام، فقال له جبريل: خل يعقوب يبدأ بالسلام، فقال يعقوب: السلام عليك يا مذهب الأحزان، وقيل إنهما نزلا وتعانقا، وفعلا كما يفعل الوالد بولده، والولد بوالده، وبكيا، وقيل إن يوسف قال لأبيه: يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ قال: بلى، ولكن خشيت أن يسلب دينك، فيحال بيني وبينك، وخرج يوسف للقاء أبيه في أربعة آلاف من الجند، لكل واحد منهم جبة من فضة، وراية خزو قصب، فتزينت الصحراء بهم، واصطفوا صفوفاً، ولما صعد يعقوب ومعه أولاده وحفدته، نظر إلى الصحراء مملوءة بالفرسان، مزينة بالألوان، فنظر إليهم متعجباً، فقال جبريل: انظر إلى الهواء، فإن الملائكة قد حضرت سروراً بحالك، كانوا باكين محزونين مدة لأجلك، وهاجت الفرسان بعضهم في بعض، وصهلت الخيول، وسبحت الملائكة، وضربت الطبول والبوقات، فصار كأنه يوم القيامة، قيل وكان دخولهم يوم عاشوراء.

قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا﴾ أي يعقوب وأولاده. قوله: **(في مضربه)** أي خيمته، وكان ذلك خارج المدينة على عادة الملوك. قوله: ﴿آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أي قربهما منه. قوله: **(وأمه)** أي على القول بحياتها حينئذ، وقوله: **(أو خالته)** أي واسمها ليا، وهذا على القول بموت راحيل، وقيل المراد بخالته امرأة اخرى غير ليا تزوجها يعقوب بعدهما، وقيل أحيا الله أمه بعد موتها وسجدت له، تحقيقاً لرؤياه، والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ﴾ هذا الدخول غير الدخول الأول، لأن المراد به هنا دخول نفس المدينة، وأما الأول فالمراد دخول خيمته خارج البلد. قوله: ﴿إِنْ شَاءَ الله آمِنِينَ﴾ أي من كل مكروه، لأن الناس كانوا يخافون من ملوك مصر، فلا يدخلها أحد إلا بجوارهم، فقال لهم يوسف: ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم، لأنكم أنتم ملوكها، فلا تخافون من أحد. قوله: **(فدخلوا)** إلخ، قدر ذلك إشارة إلى أن قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوْيهِ﴾ مرتب على محذوف.

قوله: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ يحتمل أن يكون ذلك السجود خارج البلد عند أول اللقاء، ويحتمل أنه بعد الدخول، وجلوس يوسف وأبويه على السرير. قوله: **(سجود انحناء)** أي على عادة تحية الملوك، وهذا أحد قولين، وقيل المراد بالسجود حقيقته، وهو وضع الجبهة على الأرض، ولا يشكل على هذا أن حقيقة السجود لا تكون إلا لله، لأنه يقال: إن يوسف جعل كالقبلة لذلك السجود، وما قيل في سجود الملائكة لآدم يقال هنا. إن قلت: كيف رضي يوسف بسجود أبيه له، مع كونه أكبر منه، وكان الواجب مراعاة الأدب؟ أجيب: بأن هذا بأمر من الله تحقيقاً لرؤيا يوسف، لأن رؤيا الأنبياء وحي. قوله: ﴿هٰذَا﴾

حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ ﴾ إلي ﴿ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ لم يقل من الجب تكرماً لئلا يخجل إخوته ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ البادية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾ أفسد ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بخلقه ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿١٠٠﴾ في صنعه وأقام عنده أبوه أربعاً وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة وكانت مدة فراقه ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثاً وعشرين سنة ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم فقال ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ﴾ تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرَ﴾ خالق ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ﴾ متولي مصالحي ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿١٠١﴾ من آبائي فعاش بعد ذلك أسبوعاً أو أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة وتشاح المصريون في قبره فجعلوه في

أي السجود. قوله: ﴿حَقًّا﴾ أي صدقاً حيث وجدت، وتحققت في الخارج على طبق ما في النوم.

قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ أي أنعم علي. قوله: (لئلا يخجل إخوته) أي ولأن نعمة الله عليه في الخروج من السجن، كان سبباً لوصوله إلى الملك، بخلاف إخراجه من الجب، فإنه أعقبها الرق والتهمة والسجن، وليس في ذلك إدخال سرور على أبويه. قوله: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ عطف على أخرجني، والمعنى وقد أنعم علي وقت إخراجي من السجن، ووقت مجيئكم من البدو.

قوله: ﴿إِنَ رَبِّي لَطِيفٌ﴾ ضمنه معنى مدبر فعداه باللام، واللطيف معناه الرفيق المحسن. قوله: (وكانت مدة فراقه ثماني عشرة) إلخ، حاصله أنه اختلف في مدة فراق يوسف لأبيه، فذكر المفسر ثلاثة أقوال، وقيل اثنان وعشرون، وقيل ست وثلاثون، وقيل خمس وثلاثون، وقيل سبعون، ولا يعلم الحقيقة إلا الله، واتفقوا على أن عمر يوسف مائة وعشرون سنة. قوله: (فوصى يوسف أن يحمله) إلخ، أي وقد فعل، فجعله في تابوت من ساج حتى قدم به الشام، فوافق ذلك موت عيصو أخي يعقوب، وكانا قد ولدا في بطن واحد، فدفنا في قبر واحد. قوله: (ولما تم أمره) أي في ملكه. قوله: (وعلم أنه) أي الملك. قوله: (إلى الملك الدائم) أي وهو نعيم الآخرة. قوله: (فقال) أي طلب الملك الدائم بوفاته على الإسلام، وما قبل ذلك فهو ثناء على الله، قدم على الدعاء لمراعاة الأدب، إشارة إلى أن الإنسان ينبغي له إذا أراد أن يدعو، يقدم الثناء على الله اعترافاً بالنعم، ثم بعد ذلك يسأل مطلوبه. قوله: ﴿مِنَ الْمُلْكِ﴾ أي بعضه وهو ملك مصر، إذ لم يملك جميع الأقطار إلا أربعة، اثنان مسلمان: اسكندر ذو القرنين وسليمان بن داود، واثنان كافران: بختنصر وشداد بن عاد.

قوله: ﴿فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يصح أن يكون نعتاً لرب، أو بدلاً أو عطف بيان أو نداء ثانياً. قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمَاً﴾ إن قلت: كيف يطلب الموت مع أن تمنيه لا يجوز؟ أجيب: بأنه علم بالوحي قرب أجله، فطلب ما يكون عند الموت، وهو اللحوق بالصالحين، فمحط طلب الموت على ما بعده. إن قلت: إن كل نبي مقطوع بموته على الإسلام، فلم طلب ذلك؟ أجيب: بأن الله تجلى على يوسف بخوف الإجلال فطلب ذلك، لأن المعصوم عند ذلك ينسى العصمة. قوله: (من آبائي) أي

صندوق من مرمر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ أخبار ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ﴾ في كيده أي عزموا عليه ﴿وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ به أي لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي القرآن ﴿مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾ تأخذه ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ عظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم ﴿مِّنۡ ءَايَةٖ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ لا يتفكرون فيها ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ حيث يقرون

ابراهيم واسحاق ويعقوب، فالمراد لحوقاً خاصاً الذي هو أعلى المراتب. قوله: **(مات)** أي وقد توراث الفراعنة من العمالقة بعد يوسف، ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا من دين يوسف وآبائه، إلى أن بعث الله موسى عليه السلام، وأغرق فرعون وقومه، فقطع الله الفراعنة منها، وأورثها الله بني إسرائيل. قوله: **(وتشاح المصريون في قبره)** أي حتى هموا أن يقتتلوا، ثم اصطلحوا على أن يدفنوه في أعلى النيل من جهة الصعيد، لتعم بركته الجميع، فجعلوه في صندوق من مرمر، وهو نوع من أجود الرخام، ودفنوه في الجانب الأيمن فأخصب، وأجدب الجانب الأيسر فنقل له فأخصب، وأجدب الجانب الأيمن، فدفنوه في وسط النيل وربطوه بسلسلة، فأخصب الجانبان، فبقي أربعمائة سنة، فلما أمر الله موسى بالخروج من مصر، أمره بأخذ يوسف معه ودفنه في الأرض المقدسة بقرب آبائه، فلم يهتد إلى مكانه، فدلته عليه عجوز، قيل إنها من أولاد يعقوب، وشرطت عليه أن تكون معه في الجنة، فضمن لها ذلك، وشرطت عليه أيضاً أن يدعو لها أن ترجع شابة كلما هرمت فدعا لها، فكانت كلما وصلت في السن خمسين سنة، رجعت بنت ثلاثين، فعاشت ألفاً وستمائة سنة، فحمله موسى ودفنه بالأرض المقدسة، فهو الآن هناك. وأما إخوته فلم يثبت في محل دفنهم شيء، وما قيل من أنهم مدفونون في المحل المعروف بالقرافة الكبرى، فهو بالظن فقط. قوله: **(المذكور)** أي من أمر يوسف وقصته.

قوله: **﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾** أي الأخبار المغيبة التي لم تكن تعلمها قبل الوحي. قوله: **﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾** كالعلة لقوله: **﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾** ولقوله: **﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾**. قوله: **﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾** أي يحتالون فيما دبروه. قوله: **(وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي)** أي فيكون إخبار معجزة، لأنه لم يطالع الكتب القديمة، ولم يأخذ من أحد من البشر، فإتيانه بتلك القصة العظيمة على أبلغ وجه، من غير غلط ولا تحريف، غاية الإعجاز. قوله: **﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾** إلخ، هذه تسلية له ﷺ.

قوله: **﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾** هذه الجملة معترضة بين ما وخبرها. قوله: **﴿وَكَأَيِّنْ﴾** مبتدأ، و **﴿مِنْ آيَةٍ﴾** تمييز، وهو تسلية أخرى له ﷺ، والمعنى لا تتعجب من إعراضهم عنك، فإن إعراضهم عن الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته أغرب وأعجب. قوله: **(كم)** أشار بذلك إلى أن **﴿كَأَيِّنْ﴾** بمعنى (كم) الخبرية التي للتكثير. قوله: **﴿فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** صفة الآية، وقوله: **﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾** خبر المبتدأ. قوله: **﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾** الجملة حالية.

بأنه الخالق الرازق ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ به بعبادة الأصنام ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك يعنونها ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾ نقمة تغشاهم ﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ بوقت إتيانها قبله ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ وفسرها بقوله ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى﴾ دين ﴿ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ آمن بي عطف على أنا المبتدأ المخبر عنه بما قبله ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ من جملة سبيله أيضاً ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِم﴾ لا ملائكة ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ الأمصار لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ أي أهل مكة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ الله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ بالياء والتاء أي يا أهل

قوله: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ**﴾ أي وما يعترف أكثرهم بالتوحيد حيث يقولون: الله هو الخالق الرزاق المعطي المانع وغير ذلك. قوله: (**يعنونها**) أي الأصنام بقولهم (**إلا شريكاً هو لك**). قوله: (**نقمة تغشاهم**) أي عقوبة تشملهم وتحيط بهم. قوله: ﴿**هٰذِهِ سَبِيلِي**﴾ أي طريقي وشريعتي. قوله: ﴿**أَدْعُو إِلَى اللهِ**﴾ أي أدل الناس على طاعته ودينه. قوله: (**حجة واضحة**) أي بها يتميز الحق من الباطل. قوله: (**عطف على أنا المبتدأ**) إلخ، أي فأنا مبتدأ ﴿**وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ عطف عليه، وقوله: ﴿**عَلَى بَصِيرَةٍ**﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، فالوقف على قوله: ﴿**أَدْعُو إِلَى اللهِ**﴾ يكون في المقام جملتان: الأولى تنتهي لقوله: ﴿**أَدْعُو إِلَى اللهِ**﴾ والثانية مبدؤها قوله: ﴿**عَلَى بَصِيرَةٍ**﴾ إلخ، وهذا ما جرى عليه المفسر في الإعراب. قوله: (**من جملة سبيله**) راجع لقوله: ﴿**وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ فهما معطوفان على قوله: ﴿**أَدْعُو إِلَى اللهِ**﴾ كأنه قال: شريعتي أدعو إلى الله وأسبح الله، وكوني لست من المشركين على بصيرة أنا ومن اتبعني.

قوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا**﴾ رد على أهل مكة حيث قالوا: هلا بعث الله لنا ملكاً، والمعنى كيف يتعجبون من ذلك، مع أن جميع رسل الله الذين كانوا من قبلك بشر مثلك. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (**لجفائهم**) أي غلظ طبعهم، وهو مقابل لقوله: (**وأحلم**)، وقوله: (**وجهلهم**) مقابل لقوله: (**أعلم**) فهو لف ونشر مشوش.

قوله: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعموا فلم يسيروا إلخ، والاستفهام للتوبيخ. قوله: ﴿**فِي الْأَرْضِ**﴾ أي في أسفارهم. قوله: ﴿**الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ أي كقولهم هود وصالح ولوط وغيرهم ممن هلكوا. قوله: (**من إهلاكهم**) بيان لآخر أمرهم. قوله: ﴿**وَلَدَارُ الْآخِرَةِ**﴾ أي الدار الآخرة.

قوله: ﴿**خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾ أي وأما لغيرهم فليست خيراً لهم لحرمانهم من نعيمها. قوله: (**الله**) قدره إشارة إلى أن مفعول (**اتَّقَوْا**) محذوف. قوله: (**بالياء والتاء**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**يا

مكة هذا فتؤمنون ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لما دل عليه وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً أي فتراخى نصرهم حتى ﴿إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ﴾ يئس ﴿ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقن الرسل ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ بالتشديد تكذيباً لا إيمان بعده والتخفيف أي ظن الأمم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ﴾ بنونين مشدداً ومخففاً وبنون مشدداً ماض ﴿مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ المشركين ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ أي الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يختلق ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبيين ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

أهل مكة) راجع لقراءة التاء، فيكون خطاباً لهم، وعلى الياء يكون إخباراً عنهم. قوله: **(غاية لما دل عليه وما أرسلنا)** إلخ، أي وحينئذ يكون المعنى: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فكذبتهم أممهم فتراخى نصرهم حتى إلخ. قوله: **(أيقن الرسل)** هذا راجع لقراءة التشديد، والمعنى أيقن الرسل بالوحي من الله، بأن قومهم يكذبونهم تكذيباً لا إيمان بعده، وأما قراءة التخفيف فالظن على بابه. قوله: **(والتخفيف)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(من النصر)** بيان لما. قوله: **(بنونين مشدداً)** إلخ، حاصل ما ذكره ثلاث قراءات: التشديد والتخفيف مع النونين، والتشديد مع النون الواحدة، وظاهر كلامه أن جميعها سبعي وليس كذلك، بل التشديد مع النونين قراءة شاذة قوله: **(ماض)** أي مبني للمفعول، و **﴿مَنْ نَشَاء﴾** نائب فاعل.

قوله: **﴿فِي قَصَصِهِمْ﴾** القصص بالفتح مصدر قص إذا تتبع الأثر والخبر، والمراد الأخبار. قوله: **(الرسل)** أي كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم، ويحتمل أن الضمير عائد، على يوسف وإخوته بدليل قوله تعالى في أول السورة: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ والمعنى أن الذي قدر على إخراج يوسف من الجب والسجن، ومن عليه بالعز والملك، وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة، قادر على إعزاز محمد ﷺ وإعلاء كلمته وإظهار دينه، رغماً على أنف كل معارض. قوله: **﴿عِبْرَةٌ﴾** أي تفكر واتعاظ. قوله: **﴿لأوْلِي الألْبَابِ﴾** تعريض بأنهم ليسوا بأولي الألباب. قوله: **(هذا القرآن)** أي الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً﴾.

قوله: **﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** هذه أخبار أربعة، أخبر بها عن كان المحذوفة التي قدرها المفسر، والمعنى أن هذا القرآن مصدق لما تقدم قبله من الرسل ومن الكتب التي جاؤوا بها، فقول المفسر **(من الكتب)** لا مفهوم له. قوله: **(في الدين)** أي من الحلال والحرام والمواعظ وغير ذلك. قوله: **﴿وَرَحْمَةً﴾** أي إنعاماً وإحساناً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الرَّعْدِ

مدنيّة

إلا ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ الآية. ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً﴾ الآية
أو مدنية إلا ﴿ولو أن قرآناً﴾ الآيتين
وهي ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى من ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن مبتدأ خبره

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الرعد مكية

إلا ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ الآية. ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً﴾ الآية،
أو مدنية إلا ﴿ولو أن قرآناً﴾ الآيتين.
وهي ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية

مبتدأ وقوله: **(مكية)** خبر أول، وقوله: **(ثلاث)** إلخ، خبر ثان. قوله: **(مكية إلا ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ الآية)** وقيل المدني منها قوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق﴾ إلى قوله: ﴿له دعوة الحق﴾. قوله: **(أو مدنية إلا ﴿ولو أن قرآناً﴾ الآيتين** وقيل مدنية كلها، وقيل مكية كلها، فتحصل أن فيها خمسة أقوال، وسميت بالرعد لذكره فيها، ومن فضائلها، أن قراءتها عند المحتضر تسهل خروج الروح. قوله: **(ثلاث أو أربع)** ألخ، حاصل ما ذكره من الخلاف في عدد آياتها أربعة أقوال. قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** تقدم أن هذا القول هو الأسلم في تفسير تلك بالأحرف المقطعة. قوله: **(هذه الآيات)** أي آيات السورة، وأشير لها باعتبار علم الله بها، أو اعتبار وجودها في اللوح المحفوظ فلا يقال إن اسم الإشارة لا بد أن يكون لحاضر، وهي لم توجد في الخارج، ويصح أن يعود اسم الإشارة على ما مضى من أول القرآن إلى هنا.

قوله: **﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيكَ﴾** اسم الموصول مبتدأ و **﴿أُنْزِلَ﴾** صلته و **﴿مِنْ رَبِّكَ﴾** متعلق به أو

﴿ٱلۡحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾ بأنه من عنده تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ أي العمد جمع عماد وهو الاسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ استواء يليق به ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلل ﴿ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ﴾ منهما ﴿يَجۡرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾ يبين ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُم﴾ يا أهل مكة ﴿بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ﴾ بالبعث ﴿تُوقِنُونَ ٢﴾

حال، وقوله: ﴿الْحَقُّ﴾ خبر كما قال المفسر، والمعنى أن القرآن الذي أنزل عليك من ربك، هو الحق الذي لا شك فيه. قوله: **(أي أهل مكة)** هذا تفسير للناس باعتبار النزول، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فأكثر الناس لا يؤمنون في كل زمان. قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يصدقون بذلك، والمعنى لا تعتبرهم، فإنهم لا يعول عليهم.

قوله: ﴿الله الَّذِي رَفَعَ﴾ إلخ هذا شروع في ذكر الأدلة على وجوب وجوده تعالى، واتصافه بالكمالات، وبدأ بأدلة من العالم العلوي، وأعقبها بأدلة من العالم السفلي قوله: ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ إلخ. قوله: **(جمع عماد)** أي على غير قياس، وقياسه أن يجمع على عمد بضمتين، وقد قرىء به شاذاً، وقيل جمع عمود. قوله: **(وهو الإسطوانة)** ويقال له سارية. قوله: **(وهو صادق بأن لا عمد أصلاً)** أي وهو المراد، فالنفي منصب على المقيد بقيده، أي لم تروها لعدم وجودها، وقيل إن لها عمداً على جبل قاف، وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا، والسماء عليه مثل القبة، فالنفي منصب على القيد دون المقيد، وعلى ذلك فجملة ترونها صفة لعمد، والضمير عائد عليها، وقيل إن ترونها حال من السموات، والتقدير رفع السموات حال كونها مرئية لكم بغير عمد، وقيل إنها جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وعلى هذين القولين، فالضمير عائد على السموات.

قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ثم لمجرد العطف لا للترتيب، إذ لا ترتيب بين رفع السموات والاستواء على العرش، والاستواء في الأصل الركوب والتمكن، وذلك مستحيل عليه تعالى، لاستلزامه الجسمية أو الجهة، والمراد به هنا القهر والغلبة والاستيلاء، لأن من شأن من ركب على شيء، أن يكون قاهراً غالباً له، ومن ذلك قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

وهذه طريقة الخلف، وما مشى عليه المفسر طريقة السلف، وكل من الطريقتين صحيح. قوله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي لنفع العالم بهما. قوله: **(يوم القيامة)** أي وحينئذ فيلقيان في النار بعد ذهاب نورهما، ليعذب بهما عبادهما، وما درج عليه المفسر، من أن المراد بالأجل المسمى هو يوم القيامة، أحد تفسيرين، والآخر أن المراد به الوقت المعين لقطع الفلك، فإن الشمس تقطعه في سنة واحدة، والقمر في شهر لا يختلف جري واحد منهما، قال تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ إلخ، وكل صحيح.

قوله: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ أي أمر العالم العلوي والسفلي، وذلك بالإحياء والإماتة والإعزاز والإذلال، وغير ذلك من أنواع التصرفات. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ أي لأن من قدر على ذلك كله،

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ﴾ بسط ﴿ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ﴾ خلق ﴿ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً ثوابت ﴿ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ من كل نوع ﴿ يُغْشِى ﴾ يغطي ﴿ ٱلَّيْلَ ﴾ بظلمته ﴿ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَءَايَٰتٍ ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ في صنع الله ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ ﴾ بقاع مختلفة ﴿ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الريع وكثيره هو من دلائل قدرته تعالى ﴿ وَجَنَّٰتٌ ﴾ بساتين ﴿ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ ﴾ بالرفع عطفاً على جنات والجر على أعناب وكذا قوله ﴿ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ ﴾ جمع صنو وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها ﴿ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ منفردة ﴿ يُسْقَىٰ ﴾ بالتاء أي الجنات وما فيها والياء أي المذكور ﴿ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ ﴾ بالنون والياء ﴿ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ بضم الكاف وسكونها فمن حلو

فهو قادر على إحياء الإنسان بعد موته. قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ﴾ شروع في ذكر أدلة من العالم السفلي. قوله: (بسط) ﴿ الأَرْضَ﴾ أي طولاً وعرضاً ليرتاح الحيوان عليها. قوله: (ثوابت) أي لتمسكها عن الاضطراب بأهلها، وفي الحديث: «أول بقعة وضعت من الأرض موضع البيت، ثم مدت منها الأرض، وأول جبل وضعه الله على وجه الأرض أبو قبيس، ثم مدت منه الجبال».

قوله: ﴿وَمِنْ كِلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ متعلق بجعل، ومفعولها الثاني محذوف تقديره لكم. قوله: ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ بيان لأقل مراتب العدد، وإلا فقد يكون أكثر من نوعين كما هو بالمشاهدة، والمراد بالثمر ما يشمل الحب، وتعداد الأصناف المذكورة، إما باعتبار الألوان كالبياض والسواد، والطعوم كالحلاوة والملوحة والحموضة والمزوزة، أو القدر كالكبر والصغر، أو الكيفية كالحرارة والبرودة والنعومة والخشونة وغير ذلك. قوله: (يغطي) ﴿الَّيْلَ﴾(بظلمته) ﴿ النَّهَارَ﴾ أي ويزيل ظلمة الليل بضياء النهار، فيعدم كلاً بوجود الآخر، ففي الآية اكتفاء.

قوله: ﴿يَتفَكَّرُونَ﴾ أي يتأملون، فيستدلون بتلك الصنعة على وجود صانعها، ويعرفون لها صانعاً حكيماً قادراً متصفاً بالكمالات، وخص المتفكرون بالذكر، لأنهم هم الذين يحصل لهم الاعتبار والإيمان. قوله: (طيب) أي ينبت، وقوله: (وسبخ) أي لا ينبت شيئاً. قوله: (وهو) أي هذا الاختلاف. قوله: (بالرفع) أي له وللثلاثة بعده، وقوله: (والجر) أي كذلك، فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (وهي النخلات) أي الصنوان. قوله: (بالتاء) أي وحينئذ فيقرأ نفضل بالنون والياء، وقوله: (والياء) أي وحينئذ فيقرأ نفضل بالنون لا غير، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع.

قوله: ﴿فِي الأُكُلِ﴾ أي وغيره، كاللون والرائحة والقدر والحلاوة والحموضة وغير ذلك، وهذا كمثل بني آدم، منهم الصالح الهين اللين، والخبيث الغليظ الطبع، خلقوا من آدم، وفضل الله من شاء على من شاء، ولذا قال الحسن: هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم، كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها، فصارت قطعاً متجاورات، وأنزل على وجهها ماء السماء، فتخرج هذه زهرتها وثمرتها، وتخرج هذه نباتها، وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها، وكل يسقى بماء، كذلك الناس من خلقوا من

وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤﴾ يتدبرون ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾ حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين للبعث ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينها على الوجهين وتركها وفي قراءة بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني وأخرى عكسه ﴿أُولَٰئِكَ

آدم، فينزل الله عليهم من السماء تذكرة، فترق قلوب قوم وتخشع وتخضع، وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع. قوله: **(بضم الكاف وسكونها)** أي فيهما قراءتان سبعيتان بمعنى مأكول. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ خصوا بالذكر، لأنهم الذين ينتفعون بالتفكير والاعتبار.

قوله: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾ بإدغام الباء في الفاء وبتحقيقها قراءتان سبعيتان، والعجب استعظام أمر خفي سببه. قوله: **(من تكذيب الكفار لك)** أي مع كونك كنت مشهوراً بينهم بالأمانة والصدق، فلما جئت بالرسالة كذبوك. قوله: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ لا بد هنا من صفة محذوفة لتتم الفائدة، والتقدير فعجب عظيم أو أي عجب، وعجب خبر مقدم، وقولهم مبتدأ مؤخر. قوله: **(منكرين للبعث)** حال من الضمير في ﴿قَوْلُهُمْ﴾.

قوله: ﴿أئِذَا كِنَّا تُرَاباً﴾ هذه الجملة في محل نصب مقول القول وهو أحسن ما يقال. قوله: **(لأن القادر)** إلخ، تعليل لقوله: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾. قوله: **(وما تقدم)** أي من رفع السماوات بغير عمد، وتسخير الشمس والقمر، وغير ذلك من الأمور المتقدمة. قوله: **(قادر على إعادتهم)** أي لأنه إذا تعلقت قدرته بشيء كان، فلا فرق بين الابتداء والإعادة، وأما قوله تعالى: ﴿وهو أهون﴾، فذلك باعتبار عادة المخلوقات، أن القادر على الابتداء، تسهل عليه الإعادة بالأولى، وإلا فالكل في قدرته تعالى سواء. قوله: **(وفي الهمزتين في الموضعين)** إلخ، من هنا إلى قوله: **(وتركها)** أربع قراءات. قوله: **(وفي قراءة بالاستفهام في الأول)** إلخ، وفي ذلك ثلاث قراءات، تحقيق الهمزتين من غير إدخال ألف بينهما، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، مع إدخال ألف بينهما وبدونها، وقوله: **(وأخرى عكسه)** قراءتان التحقيق مع الألف ودونها، ولا يجوز تسهيل اللثانية، فتكون القراءات تسعاً وكلها سبعية، واختلف القراء في هذا الاستفهام المكرر اختلافاً منتشراً، وهو في أحد عشر موضعاً، في تسع سور من القرآن، فأولها في هذه السورة. والثاني والثالث في الإسراء بلفظ واحد ﴿أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾. والرابع في المؤمنون: ﴿أئذا كنا تراباً وعظاماً ائنا لمبعوثون﴾. والخامس في النمل ﴿أئذا كنا تراباً أئنا لمخرجون﴾. والسادس في العنكبوت ﴿أئنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال﴾. والسابع في الم السجدة: (أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد). والثامن والتاسع في الصافات ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾. ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون﴾. والعاشر في الواقعة: ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾. والحادي عشر في النازعات: ﴿أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاماً نخرة﴾. والوجه في الاستفهام في الموضعين، أن الأول للإنكار، والثاني تأكيد، والوجه في كونه في موضع واحد، حصول الإنكار به، وإحدى الجملتين مرتبطة بالأخرى، فإذا أنكر في إحداهما، حصل الإنكار في الأخرى.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾ ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ﴾ جمع المثلة بوزن السمرة أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ﴾ مع ﴿ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ وإلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦﴾ لمن عصاه ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ على محمد ﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ﴾ كالعصا واليد والناقة قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ﴾ مخوف للكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ تنقص ﴿ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾ منه ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨﴾ بقدر وحد لا

قوله: ﴿**الأَغْلَالُ**﴾ جمع غل، وهو طوق من حديد يجعل في أعناقهم. قوله: ﴿**أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ أي لا محيص لهم عنها، فهم ملازمون لها، كالصاحب الملازم لصاحبه. قوله: (**ونزل في استعجالهم العذاب**) أي وذلك أن مشركي مكة، كانوا يطلبون تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. قوله: ﴿**قَبْلَ الْحَسَنَةِ**﴾ أي وهو تأخير العذاب عنهم.

قوله: ﴿**وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ**﴾ الجملة حالية. قوله: (**جمع المثلة**) بفتح الميم وضم المثلثة، أي وهي النقمة تنزل بالشخص، فجعل مثلاً يرتدع به غيره، قوله: (**بوزن السمرة**) أي وهو شجرة الطلح أي الموز. قوله: ﴿**لَذُو مَغْفِرَةٍ**﴾ المراد بها ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها حالاً، بل يؤخر الأخذ بها، فإن تاب الشخص ورجع، دام ذلك الستر عليه، وإلا أخذه أخذ عزيز مقتدر. قوله: ﴿**عَلَى ظُلْمِهِمْ**﴾ الجملة حالية، أي والحال أنهم ظالمون لأنفسم بالمعاصي. قوله: (**لمن عصاه**) أي ودام على ذلك، فرحمة الله في الدنيا غلبت غضبه لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، وأما في الآخرة فقد انفردت رحمته للمؤمنين خاصة.

قوله: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي تعنتاً. قوله: (**هلا**) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض. قوله: (**كالعصا واليد**) أي وغير ذلك مما اقترحوا، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ .الآية. قوله: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ**﴾ أي ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي اليك، لأنهم معاندون كفار، ليس قصدهم بذلك الإيمان، بل التعنت في الكفر. قوله: ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ الجملة مستأنفة، وهاد بإثبات الياء وحذفها في الوقف، وبحذفها في الوصل لا غير، ثلاث قراءات سبعية، وأما في الرسم فهي محذوفة.

قوله: ﴿**اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى**﴾ أي لأنه الخالق المصور، فلا تخفى عليه خافية، ويعلم عرفانية متعدية لواحد، وما اسم موصول مفعوله والعائد محذوف. قوله: (**وغير ذلك**) أي من أوصاف الحمل، من كونه أبيض أو أسود، قصيراً أو طويلاً، سعيداً أو شقياً، قوياً أو ضعيفاً. قوله: (**تنقص**)﴿**الأَرْحَامُ**﴾(**من مدة الحمل**) أي المعتادة وهي تسعة أشهر، فهو يعلم الحمل الناقص عن تلك

يتجاوزه ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ العظيم ﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾ ﴿٩﴾ بالقهر بياء ودونها ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم﴾ في علمه تعالى ﴿مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ﴾ مستتر على خلقه ﴿بِٱلَّيۡلِ﴾ بظلامه ﴿وَسَارِبُۢ﴾ ظاهر بذهابه في سربه أي طريقه ﴿بِٱلنَّهَارِ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿لَهُۥ﴾ للإنسان ﴿مُعَقِّبَٰتٞ﴾ ملائكة تعتقبه ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ قدامه ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ ورائه ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ

المدة، وقوله: ﴿**وَمَا تَزْدادُ**﴾ أي وما تزيد، فهو يعلم الناقص عن تلك المدة والزائد عليها، لا يخفى عليه شيء من أوقات الحمل ولا من أحواله، وقيل النقصان السقط، والزيادة زيادتها على تسعة أشهر، وأقل مدة الحمل ستة أشهر، وقد يولد لهذه المدة ويعيش.

قوله: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ هذا أعم مما قبله، فالشيء يشمل الحمل وغيره، من أفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم، فقد دبر سبحانه وتعالى العالم بأسره على طبق، ما تعلقت به قدرته وإرادته، ولا يعجزه شيء، ولا يشغله شأن عن شأن قال تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ فينبغي للإنسان أن لا يدبر لنفسه شيئاً، ولا يشتغل بشيء تكفل به غيره، بل يعتمد على من يدبر الأمور، ويفوض له أحواله، ويترك الأوهام التي حجبت القلوب عن مطالعة الغيوب. قوله: (**بقدر وحدّ لا يتجاوزه**) أي لا يتخلف شيء عن الحد الذي قدره الله له، من سعادة وشقاوة ورزق وغير ذلك. قوله: (**ما غاب وما شوهد**) أي ما غاب عنا وما شوهد لنا، وإلا فكل شيء بالنسبة له مشاهد، فلا فرق بين ما في أعلى السماوات وما في تخوم الأرضين.

قوله: ﴿**الْكَبِيرُ**﴾ الذي يصغر كل شيء عنده ذكره، وليس المراد به كبر الجثة، إذ هو مستحيل عليه تعالى، فالمراد الكبير المتصف بكل كمال أزلاً وأبداً. قوله: ﴿**الْمُتَعَالِ**﴾ أي المنزه عن كل نقص. قوله: (**بياء ودونها**) أي فهما قراءتان سبعيتان في الوصل والوقف، وأما في الرسم فالياء محذوفة لا غير. قوله: ﴿**سَوَاءٌ مِنْكُمْ**﴾ إلخ، ﴿**سَوَاءٌ**﴾ خبر مقدم، و ﴿**مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ**﴾ مبتدأ مؤخر، ولم يثن الخبر لأنه في الأصل مصدر، وهو لا يثنى ولا يجمع، و ﴿**مِنْكُمْ**﴾ حال من الضمير المستتر في ﴿**سَوَاءٌ**﴾ لأنه بمعنى مستو. قوله: (**في علمه تعالى**) أي فهو يعلم الجميع على حد سواء، لا يتفاوت من جهر على من أسر.

قوله: ﴿**مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ**﴾ أي في نفسه فلم يسمعه غيره. قوله: ﴿**وَمَنْ جَهَرَ بِهِ**﴾ أي سمعه غيره، والمعنى سواء ما أضمرته القلوب، وما نطقت به الألسنة. قوله: ﴿**وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ**﴾ أي وسواء من استخفى في ظلام الليل، ومن هو ظاهر في النهار، لأنه الخالق لليل وظلمته، والنهار ونوره، وما تفعله العبيد فيهما من خير وشر، وهذه الآية من تدبرها وعمل بمقتضاها أورثته الإخلاص في أعماله، فيستوي عنده إسرار العبادة وإظهارها، ليلاً أو نهاراً والمراقبة، لأنه إذا علم أن هذه الأشياء مستوية عنده، ولا يخفى عليه شيء منها، فلا يستطيع أن يقدم على ما نهى عنه، ولا ظاهراً ولا باطناً. قوله: (**في سربه**) بفتح السين وسكون الراء، يقال سرب في الأرض سروباً ذهب فيه ذهاباً؛ والسرب بفتحتين بيت في الأرض لا منفذ له وهو الوكر، وليس مراداً هنا، بل المراد الطريق الظاهرة، وهي بفتح السين وسكون الراء. قوله: (**للإنسان**) أي مؤمن أو كافر، وهذا من مزيد التكرمة للنوع الإنساني، وإلا فهو الحافظ لكل شيء. قوله: (**ملائكة**) قيل: خمسة بالليل وخمسة بالنهار، واحد على اليمين يكتب الحسنات، وواحد على الشمال يكتب

﴿أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي بأمره من الجن وغيرهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾ عذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُم﴾ لمن أراد الله بهم سوءاً ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي غير الله ﴿مِن﴾ زائدة ﴿وَالٍ﴾ ﴿١١﴾ يمنعه عنهم ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافرين من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾

السيئات، وواحد موكل بناصيته، فإذا تواضع رفعه، وإذا تكبر وضعه، وواحد موكل بعينيه يحفظهما من الأذى، وواحد موكل بفمه يمنع عنه الهوام، والصحيح أنهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار، كما في شرح الجوهرة نقلاً عن حديث البخاري، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين كانوا من قبل، فيسألهم الله ويقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون، ولا يفارقون الشخص أبداً إلى الممات، فإذا مات فقد فرغ حفظهم له، وهم واحد على يمينه، وآخر على شماله، وآخر أمامه، وآخر خلفه، واثنان على عينيه، وواحد على شفتيه، واثنان على فمه يحفظان الصلاة على النبي ﷺ، وواحد آخذ بناصيته، فإن تواضع رفعه، وإن تكبر خفضه، وهؤلاء العشرة غير رقيب وعتيد، كاتبي الحسنات والسيئات على المعتمد، وحكمة هذا السؤال، وإن كان الله عالماً بكل شيء تشريف بني آدم بين أهل الملإ الأعلى، وحكمة إجابة الملائكة بقولهم: تركناهم وهم يصلون، ولم يذكروا الكافر والتارك للصلاة، أن العمل الصالح يرفع لأهل السماء، فيتشرف بنو آدم على العموم، وتنزل عليهم الرحمة، وتكثر أرزاقهم، لأن الرحمة تعم الطائع والعاصي، فأخبار الملائكة بطاعة بني آدم على العموم لاستجلاب الرحمة لهم من عالم الغيب.

قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ اختلف المفسرون في من، فقيل بمعنى الباء والمحفوظ منه محذوف، والتقدير يحفظونه بأمر الله من الحوادث، وقيل إن من على حقيقتها، والمحفوظ منه مذكور بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي يحفظونه من الجن والحوادث وغير ذلك، إذا علمت ذلك، فالمفسر قد أفاد القول الأول. قوله: (**من الحالة الجميلة**) أي وهي الطاعة، والمعنى أنها جرت عادة الله، أنه لا يقطع نعمة عن قوم، إلا إذا بدلوا أحوالهم الجميلة بأحوال قبيحة وبمعنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله لم يكُ مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾. وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيت قسوة في قلبك، وحرماناً في رزقك، ووهناً في بدنك، فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك». فالنعم تأتي من الله بلا سبب، وسلبها يكون بسبب المعاصي.

قوله: ﴿**إِذَا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ سوءاً**﴾ إذا شرطية وجوابها قوله: ﴿**فَلَا مَرَدَّ لَهُ**﴾ والعامل فيها محذوف لدلالة الجواب عليه، تقديره لم يرد أو واقع، والمعنى متى سبق في علم الله نزول بلاء بقوم، فلا يقدر على دفعه أحد من الملائكة ولا من غيرهم، إذا علمت ذلك تعلم جهل من يقول: لو كانت الأولياء موجودين، لما نزل علينا بلاء. قوله: ﴿**مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ**﴾ أي ناصر يدفعه، قال تعالى: ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ فلا دافع لما قضاه، ولا راد لما قدره.

قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ**﴾ لما أخبر سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**وَإِذَا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ سوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ**﴾ رتب عليه قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ**﴾ إلخ، إشارة إلى أنه سبحانه وتعالى منه الرحمة والعقاب. قوله: ﴿**الْبَرْقَ**﴾ هو لمعان يظهر من خلال السحاب، وقيل لمعان المطراق الذي يزجر به

للمقيم في المطر ﴿وَيُنشِئُ﴾ يخلق ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ ﴿١٢﴾ بالمطر ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ﴾ هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبساً ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي يقول سبحان الله وبحمده ﴿وَ﴾ يسبح ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ أي الله ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ فتحرقه، نزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه، فقال: من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو، أم فضة، أم نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه ﴿وَهُمْ﴾ أي الكفار

السحاب. قوله: ﴿خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ منصوبان على الحال من الكاف في يريكم، وليس مفعولاً لأجله، لعدم اتحاد الفاعل، فإن فاعل الإرادة الله، وفاعل الخوف والطمع العبيد، وبعضهم جعله مفعولاً لأجله، بتأويل يريكم بيجعلكم رائين فتخافون وتطمعون. قوله: **(للمسافرين)** لا مفهوم له بل المقيمون الذين يضرهم المطر، كمن يجفف الثمار والحبوب، وكذلك قوله: ﴿وَطَمَعاً﴾**(للمقيم)** إلخ، لا مفهوم له أيضاً، بل المسافر المحتاج للمطر للشرب مثلاً، كذلك فالبرق تارة يكون خيراً، وتارة يكون شراً للمسافرين والمقيمين، فينبغي للإنسان أن يكون دائماً خائفاً راجياً، لأن الله تعالى قد يأتي بالخير فيما ظاهره شر، ويأتي بالشر فيما ظاهره خير.

قوله: ﴿وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ﴾ هو ثمر شجرة في الجنة، يخلقه الله وينزل فيه الماء من السماء، فالسحاب من الجنة، وماؤه من الجنة، تهب الريح من تحت ساق العرش، فتخرج الحامل والمحمول من الجنة، وهذا مذهب أهل السنة، وقالت المعتزلة: إن السحاب له خراطيم كالإبل، فينزل فيشرب من البحر المالح ويرتفع في الجو، فتنسفه الرياح فيحلو، فينزله الله على من أراد من خلقه. قوله: **(هو ملك موكل بالسحاب)** إلخ، هذه هو المشهور بين المفسرين، وعليه فما نسمعه هو صوت تسبيح الملك الموكل بالسحاب، فإذا سمعته الملائكة، ضجت معه بالتسبيح، فعندها ينزل المطر، وقيل هو صوت الآلة التي يضرب بها السحاب. قوله: **(أي يقول سبحان الله وبحمده)** أي تنزيهاً له عن النقائص، واتصافاً له بالكمالات. قوله: **(ملتبساً)** أشار بذلك إلى أن الباء للملابسة.

قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ قيل المراد بهم أعوان ملك السحاب، وقيل المراد جميع الملائكة. قوله: ﴿مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي هيبته وجلاله. قوله: **(وهي نار)** إلخ، وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو، ثم يكون فيه نار. قوله: **(تخرج من السحاب)** أي فإذا نزلت من السماء، فربما تغوص في البحر فتقتل الحيتان. قوله: **(نزل في رجل)** أي من طواغيت العرب، وقد اختصرها المفسر، وحاصلها أن رسول الله ﷺ بعث إليه نفراً من أصحابه، يدعونه إلى الله تعالى ورسوله، فقال لهم: أخبرونا، من رب محمد الذي يدعوني إليه؟ فهل هو من ذهب أو فضة أم حديد أم نحاس؟ فاستعظم القوم كلامه، فانصرفوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا أكفر قلباً ولا أجرأ على الله تعالى من هذا الرجل، فقال: ارجعوا إليه فرجعوا، فلم يزدهم على مقالته الأولى شيئاً بل قال أخبث منها، فرجعوا إلى النبي ﷺ فقال لهم: ارجعوا إليه فرجعوا، فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه، ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم، فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر وهم جلوس عنده، فرجعوا ليخبروا النبي ﷺ، فبادرهم وقال لهم: احترق صاحبكم، فقالوا: من أين علمت؟ قال: قد أوحي إلي ﴿وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾. قوله: **(بقحف**

﴿يُجَٰدِلُونَ﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ ﴿١٣﴾ القوة أو الأخذ ﴿لَهُۥ﴾ تعالى ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أي كلمته وهي لا إله إلا الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبَٰسِطِ﴾ أي كاستجابة باسط ﴿كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ على شفير البئر يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ بارتفاعه من البئر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ أي فاه أبداً فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ ﴿١٤﴾ ضياع ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾

رأسه) بكسر القاف، عظم الرأس الذي فوق الدماغ. قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ بكسر الميم من المماحلة وهي المكايدة، وقيل من المحل وهو القوة والأخذ وهو الأولى، ولذا مشى عليه المفسر.

قوله: ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي شرعها وأمر بها. قوله: (وهي لا إله إلا الله) أي مع عديلتها وهي محمد رسول الله، فهي كلمة الحق جعلت مفتاحاً للإسلام، فلا يقبل من أحد إلا بالإقرار بها. قوله: (بالياء والتاء) أما الياء فمتواترة، وأما التاء فشاذة، وكان المناسب للمفسر التنبيه عليها. قوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ﴾ أي لا يجيبونهم. قوله: ﴿إِلَّا﴾(استجابة) أشار بذلك إلى أن الكلام على تقديره مصدر مضاف إلى المفعول، والمعنى أن الأصنام التي يعبدها الكفار، لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر، فلا تجيب عابديها بشيء أصلاً، وقد ضرب الله مثلاً لعدم إجابتها لهم بقوله: ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ﴾ إلخ، والمعنى أن من بسط كفيه للماء ليدخل في فيه لا يجيبه الماء، لعدم إشعاره ببسط كفيه وعطشه وعدم قدرته على ذلك، فكذلك من يدعو الأصنام لتدفع عنه كربة أو توليه نعمة، لا تجيبه بشيء لعدم قدرتها على ذلك لنفسها فضلاً عن غيرها.

قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي الماء. قوله: (عبادتهم الأصنام أو حقيقة) إلخ، هذان قولان في تفسير الدعاء، والأقرب الأول بدليل قوله أولاً ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾(يعبدون). قوله: (ضياع) إنما كان دعاؤهم ضائعاً، لأنه طلب ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وأما دعاؤهم لله فليس بضائع، بل يستجيب لهم إن شاء، فإن كان بأمور الدنيا فظاهر، وإن كان بالجنة فيهديهم للإيمان، هذا هو الذي يجب المصير إليه؛ ويؤيده قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فإنها في مشركي مكة، وجملة ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ نتيجة ما قبلها.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ﴾ أي وهم الملائكة، ولا يكون إلا طوعاً، وقوله: ﴿وَالْأَرْضِ﴾ أي من الإنس والجن. وقوله: ﴿طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ حالان من الفاعل أي طائعين ومكرهين، والكره في المنافقين كما قال المفسر، وأما باقي الكفار فلم يكن منهم سجود، وهذا إن حمل السجود على حقيقته، وهو وضع الجبهة على الأرض بالفعل، وإن أريد من السجود الأمر به، بقيت على عمومها، فيندرج تحتها الإنس والجن والملك، ويصح حمله على معناه المجازي، وهو الخضوع والإنقياد، والمعنى والله خضع وانقاد وذل من في السموات والأرض جميعاً، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبداً﴾ وعلى هذا فالمراد بمن في السموات والأرض، السماوات والأرض ومن فيهن، وغلب العاقل لشرفه، ولأنه المكلف بالسجود الحقيقي واللغوي، فالعارف بربه، المسلم لأحكامه، ولو غير عاقل، بدليل ﴿قالتا أتينا طائعين﴾، خضع طوعاً إجلالاً لهيبة الله وجلاله، والجاهل

كالمؤمنين ﴿ وَكَرْهًا ﴾ كالمنافقين ومن أكره بالسيف ﴿وَ﴾ يسجد ﴿ ظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ ﴾ البكر ﴿وَٱلْأَصَالِ ﴾ ﴿١٥﴾ العشايا ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ ﴾ أي غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وتركتم مالكهما استفهام توبيخ ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الكافر المؤمن ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر ﴿وَٱلنُّورُ﴾ الإيمان؟ لا ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ ﴾ أي خلق الشركاء بخلق الله ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم استفهام إنكار أي ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿ قُلِ ٱللَّهُ

خضع كرهاً، بمعنى جرت المقادير عليه رغماً على أنفه.

قوله: ﴿وَظِلَالُهُمْ﴾ معطوف على من مسلط عليه يسجد، كما قدره المفسر، ومعنى سجود الظل: سجوده حقيقة تبعاً لصاحبه إن أريد بالسجود حقيقته، وخضوعه وانقياده إن أريد به المعنى المجازي، وسجود الظلال كلها طوعاً، لخلوها عن النفس التي تحمل الإنسان على عدم الرضا، ففي الحقيقة الكاره إنما هو النفس التي حواها الجسم، وأما الجسم والظلم فخضوعهما طوعاً، ولذا قيل: إن الكافر إذا سجد للصنم، سجد ظله لله. قوله: (**البكر**) جمع بكرة وهي من أول النهار. قوله: ﴿**وَالآصَالِ**﴾ جميع أصيل وهو من بعد العصر إلى الغروب، فالمراد جميع الأوقات إن أريد بالسجود الخضوع والإنقياد، وأوقات الصلوات إن أريد بالسجود حقيقته.

قوله: ﴿**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ هذا مرتب على ما قبله. قوله: (**لا جواب غيره**) أي لتعينه عليهم لاعترافهم به، وإنما يتركون هذا الجواب عناداً. قوله: ﴿**قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ**﴾ إلخ، المعنى: أبعد إقراركم بأنه رب السموات والأرض واعترافكم به، يليق بكم، أن تتخذوا من دونه من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً؟ قوله: (**تركتم مالكها**) أي وهو الله. قوله: (**استفهام توبيخ**) أي للثاني، وأما الأول فهو للتقرير.

قوله: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ**﴾ هذا ترق في الرد عليهم. قوله: (**الكافر والمؤمن**) أي فالمراد بالأعمى أعمى القلب، والبصير بصيره. قوله: (**الكفر**) أي وعبر عنه بالظلمات جمعاً لتعدد أنواعه، بخلاف الإيمان فهو متحد، فلذا عبر عنه بالنور مفرداً، سمى الكفر ظلمات، لأنه موصل لدار الظلمات وهي النار، وسمى الإيمان بالنور، لأنه موصل لدار النور وهي الجنة. قوله: (**لا**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، وبمعنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿أو كظلمات في بحر لجي﴾.

قوله: ﴿**أَمْ جَعَلُوا**﴾ أي بل أجعلوا، فأم منقطعة تفسر ببل والهمزة. قوله: ﴿**شُرَكَاءَ**﴾ أي الأصنام. قوله: ﴿**خَلَقُوا**﴾ أي الأصنام، وقوله: ﴿**كَخَلْقِهِ**﴾ أي الله، والمعنى هل لهذه الأصنام خلق كخلق الله؟ فاشتبه بخلقه فاستحقت العباده لذلك، وهو إنكار عليهم، أي لم يخلقوا أصلاً، بل ولا يستطيعون دفع ما ينزل بهم، فكيف العاجز يعبد؟ قوله: (**أي ليس الأمر كذلك**) أي لم يخلقوا كخلق الله

خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ ﴿١٦﴾ لعباده ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال ﴿أَنزَلَ﴾ تعالى ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطراً ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ بمقدار ملئها ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ عالياً عليه هو ما على وجهه من قدر ونحوه ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿حِلْيَةٍ﴾ زينة ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ ينتفع به كالأواني إذا أذيبث ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي مثل زبد السيل وهو خبثه الذي ينفيه الكير ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ أي مثلهما ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ من السيل وما أوقد عليه من الجواهر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ باطلاً مرمياً به ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمْكُثُ﴾ يبقى ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ زماناً كذلك الباطل يضمحل وينمحق وإن علا على الحق في بعض الأوقات والحق ثابت باق ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ﴾ يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ ﴿١٧﴾

حتى يشتبه بخلق الله، بل الكفار يعلمون بالضرورة، أن هذه الأصنام لم يصدر عنها فعل ولا خلق ولا أثر أصلاً، وإذا كان كذلك، فجعلهم إياها شركاء لله في الألوهية محض جهل وعناد.

قوله: **﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾** أي المنفرد بالإيجاد والإعدام، القاهر لعباده، المختار في أفعاله فلا يسأل عما يفعل. قوله: **(ثم ضرب مثلاً)** أي بينه، والمراد بالمثل الجنس، لأن المذكور للحق مثلاً وللباطل كذلك. قوله: **﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾** أي أنهار جمع واد، وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة، وحينئذ فهو مجاز عقلي من إسناد الشيء لمكانه، والأصل فسال الماء في الأودية. قوله: **﴿بِقَدَرِهَا﴾** بفتح الدال باتفاق السبعة، وقرىء شذوذاً بسكونها. قوله: **(بمقدار ملئها)** أي ما يملأ كل واحد بحسبه، صغراً وكبراً. قوله: **﴿زَبَداً﴾** الزبد ما يظهر على وجه الماء من الرغوة، أو على وجه القدر عند غليانه، وقد تم المثل الأول.

قوله: **﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ﴾** الجار والمجرور خبر مقدم، و **﴿زَبَدٌ﴾** مثله مبتدأ مؤخر. قوله: **(بالتاء والياء)** أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿فِي النَّارِ﴾** متعلق بتوقدون، وقوله: **﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾** علة لتوقدون. قوله: **(كالأواني)** أي والمسكوك الذي ينتفع به الناس في معايشهم. قوله: **﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾** أي في كونه يصعد ويعلو على أصله. قوله: **(الكير)** هو منفاخ الحداد، وأما الكور فهو الموضع الذي توقد فيه النار كالكانون. قوله: **(المذكور)** أي من الأمور الأربعة التي للحق والباطل.

قوله: **﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾** لف ونشر مشوش. قوله: **(مرمياً به)** أي يرميه الماء إلى الساحل، ويرميه الكير فلا ينتفع به. قوله: **(والحق ثابت)** أي ماكث، كما أن الماء والجوهر ثابتان، وإنما يرمى بزبدهما، والمعنى أن مثل الباطل، كمثل الرغوة التي تعلو على وجه الماء، وخبث الجوهر الذي يصعد على وجهه عند نفخ النار عليه، ومثل الحق، كمثل الماء الصافي والجوهر الصافي، كما أن الرغوة في كل لا قرار لها ولا ينتفع بها بل ترمى، كذلك الباطل يضمحل ولا يبقى، والحق ثابت ينتفع به، كالجوهر والماء الصافيين، وفي هذه الآية بشرى للأمة المحمدية، بأنها ثابتة على الحق، لا يضرهم من خالفهم في العقائد، بل وإن علا وارتفع لا بد من اضمحلاله وزواله. قوله: **﴿يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ﴾** أي لإرشاد عبيده باللطف والرفق،

﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ وهم الكفار ﴿ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ﴾ من العذاب ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ ﴾ وهو المؤاخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ ﴿١٨﴾ الفراش هي. ونزل في حمزة وأبي جهل ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ فآمن به ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به، لا ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ يتعظ ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ﴿١٩﴾ أصحاب العقول ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر أو كل عهد ﴿ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ ﴿٢٠﴾ بترك الإيمان أو الفرائض ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك

فإن من جملة ما جاء به القرآن الأمثال. قوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿الْحُسْنَى﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: (الجنة) أي وزيادة بدليل الآية الأخرى﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أمور: الأول: قوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ﴾. الثاني قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ﴾ الخ. الثالث: قوله: ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ إلخ. والمعنى: أن الكفار يتمنون أن لو كان لهم قدر ما في الأرض جميعاً مرتين، ويفتدون به العذاب النازل بهم يوم القيامة. قوله: ﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أي السيء، فهو من إضافة الصفة للموصوف، والمراد أنهم يناقشون الحساب، ويسألون عن النقير والقطمير، ولذا ورد في الحديث: «من نوقش الحساب هلك».

قوله: ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي منزلهم المعد لهم. قوله: ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ هو ما يمهد أي يفرش، وقدر هي إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف. قوله: (ونزل في حمزة وأبي جهل) أي بسبب نزول هذه الآيات، مدح حمزة بالصفات الجميلة، والوعد عليها بالخير، وذم أبي جهل بالصفات القبيحة، والوعيد عليها بالشر، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فآيات الوعد لحمزة، ومن كان على قدمه وخلقه إلى يوم القيامة، وآيات الوعيد لأبي جهل، ومن كان على قدمه وخلقه إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أيستوي المؤمن والكافر فمن يعلم؟ إلخ. قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: (أصحاب العقول) أي السليمة الكاملة. قوله: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ﴾ بدل من من، وحاصل ما ذكره من الصفات لهم ثمانية، أولها قوله: ﴿يوفون بعهد الله﴾، وآخرها قوله: ﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾. قوله: (المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر) أي بالتوحيد وهو قول الله لهم﴿ألست بربكم﴾. قوله: (أو كل عهد) أي كل ميثاق أخذ عليهم، كان للخالق أو للمخلوق، ولو كان كافراً فيجب الوفاء بالعهد، ولا تجوز الخيانة، ولما كانت الأوصاف الآتية لازمة للموفي بالعهد، قدم عليها وجعل ما بعهد تفصيلاً له، وحينئذ فالمراد بالوفاء بالعهد، امتثال المأمورات على حساب الطاقة واجتناب المنهيات.

قوله: ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ تأكيد لما قبله ولازم له، لأن الوفي بالعهد غير ناقض للميثاق، فالعهد هو الميثاق، وقيل الميثاق هو التزام المخلوق بالوفاء لأمر الخالق، والعهد هو أمر الله. قوله: (بترك الإيمان) راجع للأول، وقوله: (أو الفرائض) راجع للثاني في تفسير العهد. قوله: (من الإيمان) بيان لما،

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي وعيده ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ تقدم مثله ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟﴾ في الطاعة ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة

والمعنى أنهم يأتون بالإيمان بشروطه وأركانه وآدابه. قوله: (**والرحم**) أي القرابة، لما في الحديث: «يقول الله تعالى: أنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته». وقال عليه الصلاة والسلام «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله». وصلة الرحم تكون ببذل المعروف والإنفاق بحسب الاستطاعة. قوله: (**وغير ذلك**) أي كالتوادد للناس، وعيادة المريض، وغيرذلك، لما في الحديث: «التوادد مع الناس نصف العقل»، وفي الحديث: «وخالق الناس بخلق حسن، والتوادد بإعطاء من حرمك، ووصل من قطعك، والعفو عمن ظلمك». قوله: (**ويخشون ربهم**) أي يهابونه إجلالاً وتعظيماً، فلا يخشون غيره، ولا يلتفتون لما سواه. قوله: ﴿**وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**﴾ أي يخافون الحساب السيىء المؤدي لدخول النار.

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا**﴾(**على الطاعة**) إلخ، أشار المفسر إلى أن مراتب الصبر ثلاثة: أعلاها الصبر عن المعصية، وهو عدم فعلها رأساً. ويليها الصبر على الطاعات، أي دوام فعلها على حسب الطاقة. ويليها الصبر على البلاء. وأعلى الجميع الصبر عن الشهوات، لأنه مرتبة الأولياء والصديقين. قوله: ﴿**ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ**﴾ أي طلباً لمرضاته. قوله: (**لا غيره من أعراض الدنيا**) أي كالصبر ليقال: ما أكمل صبره وأشد قوته، أو لئلا يعاب على الجزع، أو لئلا تشمت به الأعداء، وغير ذلك من الأمور التي تكون لغير وجه الله، وفضل الصبر لوجه الله عظيم جداً. قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾ الآية، وورد «إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فتقول: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا: قبل الحساب؟ قال: نعم، فيقولون: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا على أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معاصي الله، وصبرناها على البلايا والمحن في الدنيا، فتقول لهم الملائكة: سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار.

قوله: ﴿**وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ**﴾ أي فرضاً أو نفلاً، بالإتيان بها بشروطها وأركانها وآدابها. قوله: ﴿**وَأَنْفَقُوا**﴾(**في الطاعة**) أي انفاقاً واجباً كالزكاة والنفقات الواجبة، أو مندوباً كالتطوعات. قوله: ﴿**سِرّاً وَعَلَانِيَةً**﴾ أي لم يعلم به أحد أو علم، فالمدار على الإخلاص في النفقة، سر بها أو أعلن. قوله: (**كالجهل بالحلم**) أي فيدفع السفه والتعدي بالحلم وعدم المؤاخذة. قوله: (**والأذى بالصبر**) أي فلا يكافئون الشر بالشر بل يدفعون الشر بالخير والصبر. قوله: ﴿**أُولَئِكَ**﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿**لَهُمْ**﴾ خبر مقدم، و ﴿**عُقْبَى الدَّارِ**﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر المبتدأ الأول، وهي مستأنفة لبيان جزاء من ذكر. قوله: (**أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة**) أشار بذلك إلى أن النعت محذوف، والإضافة على معنى في، فالعقبى المحمودة في الجنة.

هي ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ إقامة ﴿ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ هم ﴿ وَمَن صَلَحَ ﴾ آمن ﴿ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴾ ﴿٢٣﴾ من أبواب الجنة أو القصور أول دخولهم للتهنئة يقولون ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ﴾ هذا الثواب ﴿ بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ ﴿٢٤﴾ عقباكم ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ ﴾ البعد من رحمة الله ﴿ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ ﴿٢٥﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي جهنم ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ ﴾ يوسعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿ وَفَرِحُواْ ﴾ أي أهل

قوله: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ**﴾ قدر المفسر (**هي**) إشارة إلى أن ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ**﴾ خبر مبتدأ محذوف، والمراد بجنات عدن، الجنة بجميع دورها، لا خصوص الدار المسماة بذلك. قوله: (**هم**) ﴿**وَمَنْ**﴾ إلخ، قدر الضمير للإيضاح، وإلا فالفصل حاصل بالضمير المنصوب. قوله: ﴿**مِنْ آبَائِهِمْ**﴾ أي أصولهم وإن علوا ذكوراً وإناثاً. قوله: ﴿**وَأَزْوَاجِهِمْ**﴾ أي اللاتي متن في عصمتهم. قوله: ﴿**وَذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾ أي فروعهم وإن سفلوا. قوله: (**وإن لم يعملوا**) أي الآباء والأزواج والذريات. قوله: (**تكرمة لهم**) أي لأن الله جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله، ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة، لم تكن في ذلك كرامة للمطيع، إذ كل من كان صالحاً في عمله، فله الدرجات العلية استقلالاً. قوله: (**أو القصور**) جمع قصر، وهو كما ورد خيمة من درة مجوفة، طولها فرسخ وعرضها فرسخ، لها ألف باب، مصارعها من ذهب، يدخلون عليهم من كل باب بالتحف والهدايا، يقولون: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ**﴾. قوله: (**أول دخولهم للتهنئة**) هذا التفسير لم يره لغير، بل في كلام غيره ما يدل على خلاف ذلك، قال مقاتل: إن الملائكة يدخلون في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات، معهم الهدايا والتحف من الله تعالى، يقولون: ﴿ **سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ**﴾. قوله: (**يقولون**) قدره إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**﴾ في محل نصب مقول لقول محذوف.

قوله: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**﴾ أي سلمكم الله من آفات الدنيا، فهو دعاء لهم وتحية. قوله: ﴿**بِمَا صَبَرْتُمْ**﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (**هذا الثواب**) إلخ. قوله: (**بصبركم**) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، تسبك مع ما بعدها بمصدر. قوله: ﴿**فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ المراد بالدار قيل الدنيا، وقيل الآخرة. قوله: (**عقباكم**) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ**﴾ جرت عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر أوصاف أهل السعادة، أتبعه بذكر أوصاف أهل الشقاوة، وهذه أوصاف أبي جهل ومن حذا حذوه إلى يوم القيامة. قوله: ﴿**مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ**﴾ أي من بعد الاعتراف والقبول.

قوله: ﴿**أُولَٰئِكَ**﴾ أي من هذه صفاته. قوله: (**وهي جهنم**) تفسير للعاقبة السيئة. قوله: ﴿**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ**﴾ إلخ، هذا جواب عن شبهة الكفار حيث قالوا: لو كان الله غضبان علينا كما زعمتم أيها المؤمنون، لما بسط لنا الأرزاق ونعمنا في الدنيا، فرد الله عليهم شبهتهم بذلك، والمعنى أن بسط الرزق في

مكة فرح بطر ﴿بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ أي بما نالوه فيها ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب حياة ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ ﴿٢٦﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ إضلاله فلا تغني عنه الآيات شيئاً ﴿وَيَهْدِىٓ﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ ﴿٢٧﴾ رجع إليه ويبدل من من ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي وعده ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ أي قلوب المؤمنين ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأ خبره

الدنيا ليس تابعاً للإيمان، بل ذلك بتقدير الله في الأزل لمن يشاء، فقد يبسط الرزق للكافر استدراجاً. ويضيقه على المؤمن امتحاناً. قوله: **(يوسعه)** ﴿**لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ أي مؤمن أو كافر. وقوله: **(يضيقه لمن يشاء)** أي مؤمن أو كافر. قوله: ﴿**وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ هذا بيان لقبح أحوالهم فهو مستأنف. قوله: **(فرح بطر)** أي لا فرح سرور وشكر لنعم الله.

قوله: ﴿**فِي الآخِرَةِ**﴾ أي منسوبة للآخرة، والمعنى وما الحياة الدنيا منسوبة في جنب الحياة الآخرة إلا متاع. قوله: **(يتمتع به ويذهب)** أي فلا بقاء لها، قال تعالى: ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل﴾. قوله: **(هلا)** أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية. قوله: ﴿**آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ**﴾ أي غير ما جاء به من نبع الماء وتسبيح الحصى وغير ذلك. قوله: **(فلا تغني الآيات عنه شيئًا)** أي فمجيئها لا يفيدهم شيئاً، إذ ما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر، فما قالوه في حق ما جاء به من كونه سحراً أو كهانة، يقولونه في حق ما لم يأت به على فرض إتيانه به، قال تعالى: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾. قوله: ﴿**وَيَهْدِي إِلَيْهِ**﴾ أي يوصله لمرضاته ولما يحبه. قوله: **(ويبدل من من)** أي بدل كل، ويصح جعله مبتدأ خبره الموصول الثاني، وما بينهما اعتراض.

قوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي اتصفوا بالتصديق الباطني الناشيء عن إذعان وقبول. قوله: ﴿**وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ**﴾ هذه علامة المؤمن الكامل، والطمأنينة بذكر الله، هي ثقة القلب بالله، والاشتغال به عمن سواه، ثم اعلم أن هذه الآية تفيد أن ذكر الله تطمئن به القلوب، وآية الأنفال تفيد أن ذكر الله يحصل به الوجل والخوف، فمقتضى ذلك أنه بين الآيتين تناف، وأجيب: بأن الطمأنينة هنا معناها السكون إلى الله والوثوق به، فينشأ عن ذلك، عدم خوف غيره، وعدم الرجاء في غيره، فلا ينافي حصول الخوف من الله والوجل منه، وهذا معنى آية الأنفال، وحينئذ فصار الغير عندها هباء منثوراً ليس معداً لدفع ضر، ولا لجلب نفع، وبمعنى الآيتين قوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ فتحصل أن المؤمن الكامل، هو المطمئن بالله الواثق به، الخائف من هيبته وجلاله، فلا يشاهد غيره، لا في جلب نفع ولا دفع ضر، لأن الله هو المالك المتصرف في الأمور، خيرها وشرها، فحيث شاهد المؤمن وحدانية الله في الوجود، أعرض عما سواه واكتفى به، فلا يعرج على غيره أصلاً، وهذا أتم مما ذكره المفسر، حيث دفع الشافي بأن معنى الطمأنينة، سكون القلب بذكر الوعد، والبشارات والوجل بذكر الوعيد والنذارات. قوله: ﴿**تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ**﴾ أي الكاملة في الإيمان.

﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر من الطيب أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام مايقطعها ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ ﴿٢٩﴾ مرجع ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له وما الرحمن ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ ﴿٣٠﴾ . ونزل لما قالوا له إن كنت نبياً فسير عنا جبال مكة واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ نقلت

قوله: ﴿**طُوبَى**﴾ أصله طيبى، وقعت الياء ساكنة بعد ضمة، قلبت واواً، والمعنى عيشة طيبة لهم، وقد فسرت في آية أخرى بقوله تعالى: ﴿فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية﴾. قوله: (**أو شجرة في الجنة**) أي وأصلها في دار النبي ﷺ، وفي كل دار وغرفة في الجنة، منها غصن لم يخلق الله لوناً ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها ينبع من أصلها عينان: الكافور والسلسبيل، كل ورقة منها تظل أمة، ثياب أهل الجنة تخرج منها أكمامها، فتنبت الحلل والحلي، ويخرج منها الخيل المسرجة الملجمة، والإبل برحالها وأزمتها، وما ذكره المفسر في تفسير طوبى قولان من أقوال كثيرة، وقيل إنه دعاء من الله لهم، والتقدير طيب عيشكم، وقيل غير ذلك. قوله: ﴿**وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾ أي ولهم حسن مرجع ومنقلب في الآخرة وهي الجنة.

قوله: ﴿**كَذٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ**﴾ هذا تسلية له ﷺ، أي فلا تحزن على عدم إيمان قومك، فإننا أرسلنا الأنبياء إلى قومهم فكفروا ولم يطيعوا، فليس من كذبك بأول مكذب. قوله: ﴿**فِي أُمَّةٍ**﴾ أي إلى أمة. قوله: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ**﴾ أي سبقت ومضت. قوله: ﴿**وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ**﴾ الجملة حالية. قوله: (**لما أمروا بالسجود له**) أي كما ذكره في سورة الفرقان بقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ وهذا القول منهم على سبيل العناد، ويسمى عند أرباب المعاني تجاهل العارف، فإن الرحمن هو المنعم على عباده، وهم يشاهدون نعمه عليهم، ومع ذلك قالوا: (**وما الرحمن**) وهذا كقول فرعون ﴿وما رب العالمين﴾.

قوله: ﴿**هُوَ رَبِّي**﴾ أي الرحمن الذي أنكرتموه هو خالقي. قوله: ﴿**عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ**﴾ أي فوضت أموري إليه. قوله: ﴿**مَتَابِ**﴾ أي توبتي ومرجعي. قوله: (**ونزل لما قالوا**) أي كفار مكة منهم: أبو جهل وعبد الله بن أمية، جلسوا خلف الكعبة، وأرسلوا إلى النبي ﷺ فأتاهم، وقيل إنه مر بهم وهم جلوس، فدعاهم إلى الله، فقال عبد الله بن أمية: إن سرك أن نتبعك، فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تفسح، فإنها أرض ضيقة لمزارعنا، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً، لنغرس الأشجار ونزرع ونتخذ البساتين، فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود، حيث سخر له الجبال تسير معه، أو سخر لنا الريح لنركبها إلى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا، كما سخرت لسليمان الريح كما زعمت، فلست أهون على ربك سليمان، وأحي لنا جدك قصياً، فإن عيسى كان يحيي الموتى، ولست بأهون على الله منه؛ فنزلت هذه الآية.

عن أماكنها ﴿ أَوْ قُطِّعَتْ ﴾ شققت ﴿ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ بأن يحيوا لما آمنوا ﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره وإن أوتوا ما اقترحوا. ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعاً في إيمانهم ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ﴾ يعلم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن ﴾ مخففة أي أنه ﴿ لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ من أهل مكة ﴿ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ ﴾ بصنعهم أي كفرهم ﴿ قَارِعَةٌ ﴾ داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب ﴿ أَوْ تَحُلُّ ﴾ يا محمد بجيشك ﴿ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ مكة ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ﴾ بالنصر عليهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (٣١) وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة ﴿ وَلَقَدِ

قوله: ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ﴾ أي من خشية الله عند قراءته، فجعلت أنهاراً وعيوناً. قوله: **(لما آمنوا)** جواب لو، والمعنى لو فعل الله ما ذكر وأجابهم، لم يحصل منهم إيمان، لأن الله على علم عدم هداهم. قوله: **﴿بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً﴾** أي القدرة على كل شيء، وهو إضراب عما تضمنته الجملة الشرطية من معنى النفي، والمعنى بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه، إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك، لعلمه بأنهم لا يؤمنون. قوله: **(وإن أوتوا ما اقترحوه)** أي اعطوا ما طلبوه. قوله: **(لما أراد الصحابة)** إلخ، أي فقالوا: يا رسول الله إنك مجاب الدعوة، فاطلب لهم ما اقترحوا، عسى أن يؤمنوا. قوله: **(يعلم)** يطلق اليأس على العلم في لغة هوازن ونخع لتضمنه معناه، فإن الآيس من الشيء عالم بأنه لا يكون. قوله: **﴿أَنْ﴾(مخففة)** أي واسمها ضمير الشأن، وجملة **﴿لَوْ يَشَاءُ﴾** إلخ، خبر أن.

قوله: **﴿ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾** أي ولكن لم يفعل ذلك لعدم تعلق مشيئته باهتدائهم. إن قلت: لم لم يجب الله نبيه بعين ما طلبوا، كما أجاب صالحاً في الناقة، وعيسى في المائدة، مع علمه بأنهم لا يؤمنون؟ أجيب: بأنه جرت عادة الله في عباده الكفار، أنهم متى طلبوا شيئاً من المعجزات، وعاهدوا نبيهم على الإيمان عند مجيئها ولم يؤمنوا، أنه يهلكهم ويقطع دابرهم عن آخرهم، وقد أراد الله إبقاء هذه الأمة المحمدية، وعدم استئصالها بالهلاك، إكراماً لنبيها، فلم تحصل الإجابة بعين ما طلبوا رحمة بهم وإكراماً لنبيهم.

قوله: **﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** إخبار من الله لنبيه بالنصر المرتب على صبره، وقوله: **(تصيبهم)** خبر يزال. قوله: **(بصنعهم)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية تسبك ما بعدها بمصدر، والباء سببية أي بسبب صنعهم. قوله: **﴿قَارِعَةٌ﴾** التنوين للتنكير، إشارة إلى أنها ليست مخصوصة بشيء معين، بل هي عامة في كل ما يهلكهم. قوله: **(تقرعهم)** أي تهلكهم. قوله: **﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً﴾** معطوف على قارعة، والمعنى تصيبهم بما صنعوا قارعة، أو حلولك قريباً من دارهم، والعطف يقتضي المغايرة فالمراد بالقارعة غير حلوله، وإن كان من أعظم القوارع، وهذا تسليه له ﷺ، والمعنى اصبر فإنك منصور ومؤيد، وهم مخذولون، فإن الدواهي مسلطة عليهم. قوله: **﴿قَرِيباً﴾** أي مكاناً قريباً وهو الحديبية. قوله: **(بالنصر عليهم)** أي بفتح مكة. قوله: **(وقد حل بالحديبية)** أي مرتين: الأولى سنة ست حين أراد العمرة وبعث عثمان، وقد صدوا النبي ﷺ والمؤمنين عن البيت، فصالح الكفار النبي على أن يمكنوه من الدخول في السنة السابعة، فدخلها واعتمر، والثانية سنة ثمان، حين أراد فتح مكة، فإنه حل بها هو وجيشه، وأمرهم أن

﴿ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزىء بك وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ﴿٣٢﴾ أي هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا. دل على هذا ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له من هم ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ ـه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار أي لا شريك له إذ لو كان لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿أَم﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل

يتفرقوا ويوقد كل شخص ناراً على حدة إرهاباً للعدو، ففي صبيحتها حصل الفتح العظيم ودخلوا مكة.

قوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى، حيث عامل عباده معاملة ملك عدل في رعيته، حيث أمرهم بطاعته المرة بعد المرة وأغدق عليهم النعم، وكلما عصوه سترهم وأمدهم بالعطايا، فلما تكرر منهم العصيان وعدم الخوف أخذهم بالعقاب، فهل هذا ظلم منه أو عدل؟ وجواب الاستفهام أنه عدل لو كان صادراً من سلطان في رعيته، فكيف من الخالق الذي يستحيل عليه الظلم عقلاً؟ قوله: **(فكذلك أفعل بمن استهزأ بك)** أي لا على العموم إكراماً لنبيه ﷺ.

قوله: ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعميتم وسويتم بين الله وبين خلقه فمن هو قائم إلخ، والمعنى أفمن كان حافظاً للنفوس ورازقها وعالماً بها، كمن ليس بقائم، بل هو عاجز عن القيام بنفسه فضلاً عن غيره؟ قوله: **(لا)** هذا هو جواب الإستفهام. قوله: **(دل على هذا)** أي على الجواب المحذوف، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ أي كمن قسا قلبه، يدل عليه قوله ﴿فويل للقاسية قلوبهم﴾، ونظيره قوله تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ ولكنه صرح فيها بالمقابل.

قوله: ﴿**قُلْ سَمُّوهُمْ**﴾ أي صفوهم، وانظروا هل بتلك الأوصاف تستحق العبادة؟ قوله: **(من هم)** أي بينوا حقيقتهم من أي جنس ومن أي نوع. قوله: ﴿**أَمْ تُنَبِّؤُونَهُ**﴾ إلخ، أم منقطعة، فلذا فسرها ببل والهمزة، والمعنى أتخبرون الله بشريك لا يعلمه في الأرض لعدم وجوده، إذ لو وجد لعلمه، وخص بالأرض لكون آلهتهم التي جعلوها شركاء كائنين فيها. قوله: ﴿**أَمْ بِظَاهِرٍ**﴾ أم هنا للإضراب الإبطالي، ولذا فسرها ببل فقط، والمعنى أن تسميتهم شركاء، ظن باطل فاسد لا يعتبر، وإنما هو اسم من غير مسمى.

قوله: ﴿**بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ إضراب عن محاجتهم كأنه قال: لا تلتفت لهم ولا تعتبر بهم، فإنهم لا فائدة فيهم، لأنهم زين لهم ما هم عليه من المكر والكفر. قوله: ﴿**وَصُدُّوا**﴾ بضم الصاد وفتحه قراءتان سبعيتان، والمعنى منعوا عن طريق الهدى، أو منعوا الناس عنه.

والأسر ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّ ﴾ أشد منه ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي من عذابه ﴿مِن وَاقٖ﴾ ﴿٣٤﴾ مانع ﴿مَّثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ مبتدأ خبره محذوف أي فيما نقص عليكم ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ أُكُلُهَا﴾ ما يؤكل فيها ﴿دَآئِمٞ﴾ لا يفنى ﴿وَظِلُّهَاۚ﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها ﴿ تِلۡكَ﴾ أي الجنة ﴿عُقۡبَى﴾عاقبة﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ﴾ الشرك ﴿وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ كعبدالله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ﴾

فائدة: قال الطيبي: في هذه الآية احتجاج بليغ مبني على فنون من علم البيان، أولها: ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾**(كمن ليس كذلك)** احتجاج عليهم وتوبيخ لهم على القياس الفاسد لفقد الجهة الجامعة لهما. ثانيها: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ**﴾ من وضع الظاهر موضع الضمير، للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد، لا يشاركه أحد في اسمه. ثالثها: قوله: ﴿**قُلْ سَمُّوهُمْ**﴾ أي عينوا أسماءهم، فقولوا فلان وفلان، فهو إنكار لوجودها على وجه برهاني كما تقول: إن كان الذي تدعيه موجوداً فسمه، لأن المراد بالاسم العلم. رابعها: قوله: ﴿**أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ**﴾ احتجاج من باب نفي الشيء بنفي لازمه، وهو المعلوم وهو كناية. خامسها: قوله: ﴿**أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ**﴾ احتجاج من باب الاستدراج، والهمزة للتقرير لبعثهم على التفكر، المعنى أتقولون بأفواهكم من غير رؤية، فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه. وسادسها: التدريج في كل من الإضرابات على ألطف وجه، وحيث كانت الآية مشتملة على هذه الأساليب البديعة مع اختصارها، كان الاحتجاج المذكور منادياً على نفسه بالإعجاز، وأنه ليس من كلام البشر، اهـ.

قوله: ﴿**وَمَا لَهُمْ**﴾ خبر مقدم، و ﴿**وَاقٍ**﴾ مبتدأ مؤخر، و ﴿**مِنَ اللهِ**﴾ متعلق به، أي ليس لهم مانع من عذاب الله إذا جاءهم. قوله: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ**﴾ مبتدأ و ﴿**الَّتِي**﴾ صفته، و ﴿**وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**﴾ صلة الموصول والخبر محذوف، والتقدير كائن فيما نقص عليك كما قال المفسر. قوله: ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا**﴾ أي من تحت قصورها وغرفها. قوله: ﴿**الأَنْهَارُ**﴾ فسرت في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ إلخ. قوله: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ**﴾ أي كل شيء يؤكل يتجدد غيره، فلا تنقطع أنواع مأكولاتها، فليست كثمار الدنيا تنقطع في بعض الأحيان. قوله: ﴿**وَظِلُّهَا**﴾**(دائم)** المراد بالظل فيها عدم الشمس، فلا ينافي أنها نور، نورها حاصل من نور العرش لأنه سقفها، ومع ذلك فأنوار أهلها تغلب على ضوء العرش. قوله: ﴿**عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾ أي مآلهم ومنتهاهم. قوله: ﴿**الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾**(الشرك)** تقدم أن هذا أدنى مراتب التقوى. قوله: ﴿**وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾ أي مآلهم ومنتهاهم.

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**﴾ أي التوراة والإنجيل، فأل في الكتاب للجنس. قوله: **(من مؤمني اليهود)** أي ومؤمني النصارى، كأهل نجران والحبشة واليمن، فإنهم كانوا إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول، فاضت أعينهم دموعاً، كما تقدم في المائدة. قوله: **(لموافقته ما عندهم)** أي في التوراة والإنجيل. قوله: ﴿**مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ**﴾ أي فكانوا إذا سمعوا شيئاً يوافق هواهم سلموه وأقروا به، وإذا خالف هواهم أنكروه، فمثل القصص لا ينكرونها، ومثل الدعاء إلى التوحيد ينكرونه. قوله: **(كذكر الرحمن)** أي

كذكر الرحمن وما عدا القصص ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ فيما أنزل إليَّ ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ ﴿٣٦﴾ مرجعي ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإنزال ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أي الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضاً ﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿وَلِيٍّ﴾ ناصر ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ ﴿٣٧﴾ من قبلك مانع من عذابه. ونزل لما عيروه بكثرة النساء ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةًۚ﴾ أولاداً وأنت مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ مدة ﴿كِتَابٌ﴾ ﴿٣٨﴾ مكتوب فيه تحديده ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ﴾ منه

بالنسبة إلى مشركي العرب؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لما كتب لهم كتاب الصلح يوم الحديبية قال فيه: بسم الله الرحمن، قالوا: وما نعرف الرحمن، إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلة الكذاب، لقول بعضهم مادحاً له:

سميت بالمجد يا ابن الأكرمين أباً ... وأنت غير الورى لا زلت رحمانا

وقد هجاه بعض الصحابة بقوله:

سميت بالخبث يا ابن الأخبثين أباً ... وأنت شر الورى لا زلت شيطانا

قوله: ﴿أَعْبُدَ اللهَ﴾ أي أوحده. قوله: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُو﴾ أي إلى عبادته وشريعته. قوله: **(مرجعي)** أي في الآخرة. قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ﴾ مثل إنزال الكتب السابقة. قوله: ﴿حُكْماً عَرَبِيّاً﴾ حالان من الضمير في أنزلناه، والمعنى أنزلناه حاكماً بين الناس بلغة العرب، وأسند الحكم له لأنه ترجمان عن الله، فطاعته طاعة الله. قوله: **(فيما يدعونك إليه من ملتهم)** أي كقولهم له اعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، وكالصلاة إلى بيت المقدس بعد ما حولت عنه. قوله: **(فرضاً)** أي على سبيل الفرض والتقدير، والمقصود تحذير من يجوز عليه اتباع الهوى، لأن المعصوم إذا خوطب بمثل ذلك، وكان المقصود غيره.

قوله: ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ أصله واقي، استثقلت الكسرة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما. قوله: **(لما عيروه بكثرة النساء)** أي حيث قالوا: لو كان مرسلاً حقاً، لكان مشتغلاً بالزهد وترك الدنيا والنساء، فرد الله تعالى عليهم مقالتهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إلخ، فقد كان لسليمان ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية، وكان لأبيه داود مائة امرأة، ومع ذلك فلم يقدح في نبوتهما، فكيف يجعلون ذلك قادحاً في نبوتك، واعلم أن القوم كانوا يذكرن أنواعاً من الشبهات في إبطال النبوة، فالشبهة الأولى قولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وسيأتي ذكره في الفرقان. الثانية قولهم: رسول الله إلى الخلق، لابد وأن يكون من جنس الملائكة، كما قالوا ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾، وقالوا: ﴿لوما تأتينا بالملائكة﴾، وسيأتي أيضاً. الثالثة قولهم: لو كان رسولاً من عند الله لما اشتغل بالنساء. فأجاب الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآية. الرابعة قولهم: لو كان رسولاً من عند الله، لكان أي شيء طلبناه من المعجزات أتى به. فأجاب تعالى بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَاتِيَ بآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ الآية. الخامسة قولهم: لو كان رسولاً ما أوعدنا به من نزول العذاب. فأجاب الله تعالى بقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أي لكل حادث وقت معين، لا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه. السادسة قولهم: لو كان صادقاً، ما نسخ الأحكام

﴿ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ بالتخفيف والتشديد فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ﴿٣٩﴾ أصله الذي لا يتغير منه شيء وهو ما كتبه في الأزل ﴿وَإِن﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ لا عليك إلا التبليغ ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ ﴿٤٠﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿ نَنقُصُهَا

التي هي ثابتة في التوراة والأنجيل، وما نسخ بعض الأحكام التي جاء بها. فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿يَمْحُو ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾.

قوله: ﴿وَذُرِّيَّةً﴾ أي وقد كان لرسول الله سبعة أولاد ثلاثة ذكور وأربع إناث، وترتيبهم في الولادة هكذا: القاسم فزينب فرقية ففاطمة فأم كلثوم فعبد الله فإبراهيم، وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية، وكلهم ماتوا في حياته إلا فاطمة فماتت بعده بستة أشهر. قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ إلخ، أي لم يجعل الله للرسول الإتيان بآية مما اقترحه قومه إلا بإرادته تعالى. قوله: (مربوبون) أي مقهورون مغلبون.

قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ رداً لاستعجالهم العذاب، فإنه كان يخوفهم بذلك، فاستعجلوه عناداً. قوله: (مكتوب فيه) أي في ذلك الكتاب وهو اللوح المحفوظ. قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (وهو ما كتبه في الأزل) أي قدره بمعنى تعلق به علمه وإرادته، وما مشى عليه المفسر، من أن الصحف واللوح المحفوظ، يقع فيها التغيير والتبديل، والمراد بأم الكتاب، علم الله المتعلق بالأشياء أزلاً، هو أحد تفسيرين: إن قلت: يرد على هذا ما ورد أن الله لما خلق اللوح والقلم، وأمر بكتابة ما كان وما يكون وما هو كائن، قال رفعت الأقلام وجفت الصحف. أجيب: بأن المراد رفعت الأقلام عما هو مطابق لعلم الله والتفسير الآخر: أن المحو والإثبات، يقعان في صحف الملائكة فقط، والمراد بقوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ، وهو لا يقبل التغيير ولا التبديل، والحاصل: أن ما في علم الله، لا يقبل التغيير جزماً، وما في الصحف يقبل التغيير جزماً، والخلاف في اللوح المحفوظ، والآية محتملة، والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ إن شرطية مدغمة في ما الزائدة كما قال المفسر، و ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره نحن، والكاف مفعول أول، و ﴿بَعْضَ الَّذِي﴾ مفعول ثان، والمفعول الثالث محذوف، قدره المفسر بقوله: (في حياتك). قوله: (أي فذاك) مبتدأ خبره محذوف تقديره شاف صدرك من أعدائك.

قوله: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ معطوف على ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ فهو شرط أيضاً، وجوابه محذوف، والتقدير فلا لوم عليك، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ دليل للمحذوف. قوله: (فنجازيهم) أي على أعمالهم خيرها وشرها، وقد جمع الله لنبيه بين تعذيبهم على يده في الدنيا، ومجازاة الله لهم في الآخرة قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أينكرون ما وعدناهم به من العذاب ولم يروا، إلخ. قوله: (نقصد أرضهم) أي أرض أهل مكة، فالمقصود نصر للنبي بزوال نعمة

مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ﴾في خلقه بما يشاء ﴿لَا مُعَقِّبَ﴾لا راد ﴿لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ﴾ وليس مكرهم كمكره لأنه تعالى ﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ﴾ فيعد لها جزاءها وهذا هو المكر كله لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ﴾ المراد به الجنس وفي قراءة الكفار ﴿لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ ﴿٤٢﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألهم أم للنبي ﷺ وأصحابه ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لك ﴿لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ﴾ لهم ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ على صدقي ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ﴿٤٣﴾ من مؤمني اليهود والنصارى.

الكفار وملكه إياهم، قال تعالى: ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم﴾ الآية، فالمراد بنقص أطراف الأرض ملك كبرائها وخذلانهم، وما ذكره المفسر هو أحد قولين، والآخر أن المراد بالأرض جميعها، لا خصوص أرض الكفار، وبنقص أطرافها موت العلماء والأشراف والكبراء والصلحاء، وحينئذ فوجه مناسبة هذا لما قبله، كأن الله يقول: ألم ينظروا إلى التغيرات الحاصلة في الدنيا، من الخراب بعد العمارة، والموت بعد الحياة، والذل بعد العز؟ فإذا كان هذا مشاهداً لهم، فما المانع من أن الله يصير الكفار أذلاء بعد عزهم، ومقهورين بعد قدرتهم؟ قوله: ﴿**لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**﴾ أي لا مغير ولا ناقص له. قوله: ﴿**وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ أي فيحاسبهم في زمن يسير. قوله: ﴿**وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ هذا تسلية له ﷺ. قوله: ﴿**فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً**﴾ أي لأنه الخالق لهم، العالم بأحوالهم، فهو يوصل إليهم العذاب من جهة لا يعلمون بها. قوله: (**فيعد لها**) أي يهيء ويحضر. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً**﴾ أي لأنه الخالق للمعجزات على يدي. قوله: ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾ معطوف على لفظ الجلالة، والمعنى أن الله ومن عنده علم الكتاب، فيهم الكفاية في الشهادة بيني وبينكم، وأل في الكتاب للجنس، فيشمل التوراة والإنجيل والفرقان، فقوله: (**من مؤمني اليهود والنصارى**) أي أو مطلقاً فهو نظير قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

مكيّة

إلا ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا﴾ الآيتين
وهي إحدى أو اثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِ﴾ أمر ﴿رَبِّهِمْ﴾ ويبدل من النور ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ (١) المحمود ﴿ٱللَّهِ﴾ بالجر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة والرفع مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة إبراهيم عليه السلام مكية

إلا ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا﴾ الآيتين
وهي إحدى أو اثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية

سميت بذلك لذكر قصته فيها. إن قلت: إن قصة إبراهيم قد ذكرت في غير هذه السورة كالأنبياء والبقرة. أجيب: بأن علة التسمية لا تقتضي اطراد التسمية، بل التسمية أمر توقيفي. قوله: **(الآيتين)** أي إلى قوله تعالى: ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾. قوله: **(إحدى)** الخ، أي ففي آياتها أربعة أقوال. قوله: **(هذا القرآن)** قدره إشارة إلى أن قوله: **﴿كِتَابٌ﴾** خبر لمحذوف قوله: **﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾** أي لفظاً ومعنى قوله: **﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾** هذا هو حكمة الإنزال. قوله: **(الكفر)** عبر عنه بالظلمات جمعاً لتعدد طرقه، بخلاف الإيمان فهو متحد لا تعدد فيه، وحكمة التعبير عن الكفر بالظلمات، أنه يوصل لدار الظلمات وهي النار، وعن الإيمان بالنور، لأنه يوصل إلى دار النور وهي الجنة.

قوله: **﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾** فسره بالأمر، إشارة إلى أن المعنى: لنأمرهم بالخروج من الظلمات إلى النور. قوله: **(ويبدل من إلى النور)** أي بإعادة الجار، وهو بدل كل من كل. قوله: **(طريق)** **﴿ٱلْعَزِيزِ﴾** أي وهو الإسلام، وسمي بذلك، لأنه الموصل لدار السعادة. قوله: **(بدل أو عطف بيان)** أي من العزيز، وهذا على القاعدة، من أن نعت المعرفة إذا تقدم عليها يعرب بحسب العوامل، وتعرب هي منه بدلاً أو عطف بيان، وحينئذ فالأصل ﴿إلى صِراطِ ٱلعزيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾. قوله: **(والرفع مبتدأ)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

وخلقاً وعبيداً ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣﴾ عن الحق ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ﴾ بلغة ﴿قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ليفهمهم ما أتى به ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿٤﴾ في صنعه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع وقلنا له ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ بنعمه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التذكير ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ ﴿٥﴾ للنعم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ

قوله: **(ملكاً وخلقاً وعبيداً)** أي فلا شريك له في شيء من ذلك.

قوله: **﴿وَوَيْلٌ﴾** قيل معناه دمار وهلاك للكافرين، وقيل واد في جهنم، لو وضعت في جبال الدنيا لذابت من حره، وهو مبتدأ، وسوغ الابتداء به قصد الدعاء. قوله: **(نعت)** أي للكافرين، وفيه الفصل بين النعت والمنعوت بأجنبي وهو قوله: **﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾** فالأوضح أن يكون مبتدأ خبره **﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾**. قوله: **﴿يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾** أي يحبونها ويألفونها زيادة على الآخرة، والمعنى يقدمون الحياة الدنيا على الآخرة. قوله: **﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾** أي يمنعون الناس عن الدين الحق. قوله: **﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾** أي يطلبون العدول والانحراف عنها، والمعنى أنهم يضلون غيرهم، ويضلون في أنفسهم. قوله: **﴿فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾** أي كفر مبعد لهم عن الرحمة والخير.

قوله: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ﴾** أي محمداً أو غيره فظاهر. إن قلت: إن كان المراد بقومه الذين نشأ فيهم، وإن كان المراد الذين أرسل لهم، فرسول الله أرسل لكافة الخلق، مع أنه لم يظهر منه إلا اللسان العربي، وهو لسان بعض قومه أجيب: بأن الله علمه جميع اللغات، فكان يخاطب كل قوم بلغتهم، وإن لم يثبت أنه تكلم باللغة التركية، لأنه لم يتفق أنه خاطب أحداً من أهلها، ولو خاطبه لكلمه بها. قوله: **﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾** استئناف مفصل لقوله: **﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾** **﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾** أي الغالب على أمره وهو كالعلة لقوله: **﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾** الخ قوله: **﴿حَكِيمُ﴾** أي الذي يضع الشيء في محله

قوله: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾** تفصيل لما أجمل في قوله: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ﴾** الآية قوله: **(التسع)** تقدم منها ثمانية في الأعراف، والتاسعة في يونس قوله: **(وقلنا له)** لا حاجة لتقديره، بل المناسب أن يفسر أن بأي التفسيرية، لأن ضابطها موجود، وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو **﴿أَرْسَلْنَا﴾**، ويصح جعلها مصدرية أي بإخراج قومك، وهذه الباء للتعدية، وفي **﴿بِآيَاتِنَا﴾** للحال قوله: **(بنعمه)** أي فالمراد بالأيام النعم، وعبر عنها بالأيام لحصولها فيها قوله: **﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾** أي كثير الصبر وقوله: **﴿شَكُورٍ﴾** أي كثير الشكر، وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها قوله: **﴿وَ﴾ (اذكر)** خطاب للنبي ﷺ، والمعنى اذكر لقومك ما وقع لموسى وقومه لعلهم يعتبرون قوله: **﴿يَسُومُونَكُمْ﴾** أي يذيقونكم قوله: **﴿سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾** أي العذاب السيىء وهو الشديد قوله: **﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾** عطفه بالواو هنا،

﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ المولدين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٦﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم دل عليه ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لقومه ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ ﴿٨﴾ محمود في صنعه بهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ استفهام تقرير ﴿نَبَؤُا﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ لكثرتهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّوا﴾ أي الأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي إليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ على زعمكم

إشارة إلى أنه غير العذاب السيىء المذكور، وأما في البقرة، فهو تفسير لسوء العذاب، فصح التغاير بهذا الاعتبار، وإن كانت الصحة واحدة

قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ أي للخدمة، فكانوا يستخدمونهن ويمنعونهن عن أزواجهن قوله: **(لقول بعض الكهنة)** جمع كاهن وهو المخبر عن المغيبات المستقبلة، وأما العراف فهو المخبر عن الأمور الماضية قوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي فالله سبحانه وتعالى، يختبر عباده بالخير والشر، قال تعالى: ﴿ونبلوكم بالخير والشر فتنة﴾ لأن النعمة أو البلية، إذا أصابت الشخص فهو معرض: إما لرضا الله إن شكر وصبر، أو لغضبه إن جزع وكفر

قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّن رَبُّكُمْ﴾ من جملة كلام موسى لقومه، كأنه قيل: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾، واذكروا حين تأذن ربكم قوله: **(بالتوحيد والطاعة)** أي بأن وحدتموني ودمتم على طاعتي قوله: ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي من خيري الدنيا والآخرة، فيحصل لكم النعم والرضا فتظفرون بالسعادتين قوله: ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ لم يصرح بالجواب في جانب الوعيد، وصرح به في جانب الوعد، إشارة إلى كرمه سبحانه وتعالى، وأن رحمته سبقت غضبه، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿بيدك الخير﴾ ولم يقل وبيدك الشر قوله: **(لأعذبنكم)** هذا هو جواب القسم، وحذف جواب الشرط للقاعدة، أنه عند اجتماعهما يحذف جواب المتأخر

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ أي بعد أن أيس من إيمانهم. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ أي عن شكركم وإيمانكم قوله: ﴿حَمِيدٌ﴾ أي مستحق للحمد، والمعنى: أن كفركم بالله أنتم وأهل الأرض جميعاً، لا ينقص من ملكه شيئاً، وإيمانكم لا يزيد في ملكه شيئاً، بل على حد سواء، وإنما ذلك راجع إلى أنفسكم، وهو غني عنكم قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ من كلام موسى أيضاً، أو من كلام الله قوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ إما مبتدأ خبره. قوله: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ أو معطوف على قوله: ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾، وقوله: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ اعتراض قوله: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ما قصتهم وما شأنهم. قوله: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي لكراهتهم ذلك، فإن شأن الإنسان، إذا كره شيئاً واغتاظ منه، ولم يقدر على دفعه، يعض على يديه. قوله: **(ليعضوا عليها)** بفتح العين وضمها. قوله: **(على زعمكم)** أي وإلا فلم يعترفوا برسالة رسلهم

﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ⑨ موقع في الريبة ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ استفهام إنكار أي لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه ﴿فَاطِرِ﴾ خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ من زائدة فإن الإسلام يغفر به ما قبله أو تبعيضية لأخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿قَالُوٓاْ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ⑩ حجة ظاهرة على صدقكم ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن﴾ ما ﴿نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كما قلتم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالنبوة ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره لأنا عبيد مربوبون ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ⑪ يثقوا به ﴿وَمَا

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾ الخ أي والشك كفر، فلا ينافي قولهم ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾. قوله: (في الريبة) أي وهي عدم اطمئنان النفس إلى الشيء قوله: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾ أي جواباً لقول الأمم ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾. قوله: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ الهمزة للاستفهام، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره أثبت، و ﴿شَكٌّ﴾ فاعل بالجار والمجرور لاعتماده على الاستفهام، والجار والمجرور خبر مقدم، و ﴿شَكٌّ﴾ مبتدأ مؤخر، والأولى لسلامته من الفصل بين الصفة وهو ﴿فَاطِرِ﴾، والموصوف وهو لفظ الجلالة بأجنبي وهو المبتدأ. قوله: (للدلائل الظاهرة) أي العقلية والنقلية. قوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا من جملة أدلة توحيده.

قوله: ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ الجملة حالية قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ أي لا ليتكمل بطاعتكم، بل ثمرة امتثالكم وطاعتكم عائدة عليكم قوله: (من زائدة) هذا مبني على مذهب الأخفش، من أنها تزاد في الإثبات، وهي طريقة ضعيفة، فلا يناسب تخريج القرآن عليها، وقوله: (أو تبعيضية) فيه أنه ظاهر في المسلم الأصلي، وأما الكافر إذا أسلم فلا يظهر، لأن الإسلام يجب ما قبله، ولو حقوق العباد، وحينئذ فالجواب الأتم، أن تجعل ﴿مِنْ﴾ بمعنى بدل، أي يغفر لكم بدل عقوبة ذنوبكم، أو ضمن يغفر معنى يخلص، ومن على بابها للتعدية، والتقدير: ليخلصكم من ذنوبكم، ولعل هذا الجواب هو الأقرب.

قوله: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ معطوف على يغفر، والمعنى يدعوكم إلى طاعته لأمرين: غفران ذنوبكم، وتأخير العذاب إلى أجل مسمى، بأن تعيشوا في الدنيا سالمين من الخزي، كالخسف والمسخ، فإذا متم على الإيمان دخلتم الجنة ففزتم بالسعادتين. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي الأمم، جواباً لمقالة الرسل. قوله: ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أي فلا مزية لكم علينا، فلم اختصصتم بالنبوة دوننا. قوله: ﴿أَنْ تَصُدُّونَا﴾ ﴿أَنْ﴾ مصدرية، وتصدوا منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل، ونا مفعوله. قوله: (من الأصنام) بيان لما قوله: (حجة ظاهرة) أي غير ما جئتم به.

قوله: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ أي جواباً لمقالتهم. قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي فإننا وإن كنا بشراً مثلكم، إلا أن الله فضلنا عليكم بالنبوة، وأعطانا المعجزات على مراده، فإن آمنتم فهو خير لكم، وإن كفرتم فهو شر لكم، فلا قدرة لنا على إتيان ما تطلبونه، لأننا عبيد مقهورون. قوله: (بأمره)

﴿لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي لا مانع لنا من ذلك ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ﴾ على أذاكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ تصيرن ﴿فِى مِلَّتِنَا ۖ﴾ ديننا ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ﴿١٣﴾ الكافرين ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أرضهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ﴾ بعد هلاكهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي مقامه بين يدي ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ ﴿١٤﴾ بالعذاب ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾ استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿وَخَابَ﴾ خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ﴾ ﴿١٥﴾ معاند للحق ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ أي أمامه ﴿جَهَنَّمُ﴾ يدخلها ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ فيها ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ ﴿١٦﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطاً بالقيح والدم ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿وَلَا يَكَادُ

المناسب أن يقول بإرادته. قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي يفوضوا أمورهم إليه، ويصبروا على ما أصابهم. قوله: ﴿وَمَا لَنَا﴾ أي أي شيء ثبت لنا. قوله: (**أي لا مانع لنا من ذلك**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿**وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا**﴾ أي أرشدنا إلى طرقنا الموصلة للسعادة العظمى. قوله: ﴿**وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا**﴾ أي فلا نبالي بكم ولا بإذايتكم. قوله: (**على أذاكم**) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية. قوله: ﴿**فَلْيَتَوَكَّلِ الْمَتَوَكِّلُونَ**﴾ أي يدوموا على التوكل.

قوله: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي المتعنتون المتمردون. قوله: ﴿**لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا**﴾ أي فلا تخالطونا، بل أريحونا من هذا التعب. قوله: (**لتصيرن**) دفع بذلك ما يقال: إن العود يقتضي أنه سبق لهم التلبس بملتهم، مع أن الرسل معصومون من ذلك؛ فأجاب المفسر: بأن المراد بالعود الصيرورة، أي لتصيرن داخلين في ملتنا.

قوله: ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ**﴾ أي إلى الرسل بعد هذه المقالات لليأس من إيمانهم قوله: ﴿**لَنُهْلِكَنَّ آلظَّالِمِينَ**﴾ أي نستأصلهم بالهلاك، فلا يبقى منهم أحد. قوله: ﴿**ذٰلِكَ**﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿**لِمَنْ خَافَ**﴾ الخ. قوله: (**أي مقامه بين يدي**) أي موقفه عندي يوم القيامة. قوله: ﴿**وَخَافَ وَعِيدِ**﴾ (**بالعذاب**) في هذه الآية إشارة إلى أن الخوف من الله غير الخوف من وعيده، لأن العطف يقتضي المغايرة. قوله: ﴿**وآسْتَفْتَحُوا**﴾ أي طلب الرسل الفتح من الله، لما أيسوا من إيمان قومهم. قوله: (**استنصر الرسل**) أي طلبوا من الله النصر.

قوله: ﴿**وَخَابَ**﴾ معطوف على مقدر، والتقدير فنصروا وخاب الخ. قوله: (**خسر**) أي في الدنيا والآخرة. قوله: (**متكبر عن طاعة الله**) أي متعظم في نفسه، محتقر لما سواه. قوله: (**أي أمامه**) أي فالوراء يستعمل في الأمام والخلف، فهو من الأضداد، وقيل هو اسم لما توارى عنك، سواء كان من خلفك أو من أمامك. قوله: ﴿**صَدِيدٍ**﴾ بدل أو عطف بيان قوله: (**هو ما يسيل**) الخ، وقيل هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر. قوله: ﴿**يَتجرَّعُهُ**﴾ أي يكلف تجرعه ويقهر عليه.

قوله: ﴿**وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ**﴾ أي لا يقرب من إساغته: قال عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿**وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ**﴾ قال «يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدني منه، شوى وجهه ووقعت فروة

﴿يُسِيغُهُۥ﴾ يزدرده لقبحه وكراهته ﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب ﴿مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ بعد ذلك العذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾ قوي متصل ﴿مَّثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ الصالحة كصلة وصدقة في عدم الانتفاع بها ﴿كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثوراً لا يقدر عليه، والمجرور خبر المبتدإ ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾ أي الكفار ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ عملوا في الدنيا ﴿عَلَىٰ شَيۡءٖۚ﴾ أي لا يجدون له ثواباً لعدم شرطه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ﴾ الهلاك ﴿ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تنظر يا مخاطب استفهام تقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ متعلق بخلق ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩﴾ بدلكم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠﴾ شديد ﴿وَبَرَزُواْ﴾ خرجوا أي الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقق وقوعه ﴿لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ

رأسه أي جلدتها بشعرها، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبر» كما قال ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾، وقال ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً﴾.

قوله: ﴿**وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ**﴾ أي فيستريح، قال ابن جريج: تعلق نفسه عند حنجرته، فلا تخرج من فيه فيموت، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة. قوله: (**بعد ذلك العذاب**) أشار بذلك إلى أن الضمير في ورائه عائد على **العذاب**، وقيل عائد على كل جبار، والمعنى: ويستقبل في كل وقت عذاباً أشد مما هو فيه، كالحيات والعقارب والزمهرير، وغير ذلك، أجارنا الله من ذلك. قوله: (**متصل**) أي لا ينقطع بل هو دائم مستمر. قوله: (**ويبدل منه**) أي من الموصول، والأصل مثل أعمال الذين كفروا. قوله: (**في عدم الانتفاع بها**) أي فهي وإن كانت أعمال بر، إلا أنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره ولأن كفره أحبطها وأبطلها، وإنما جزاؤها إن كانت لا تتوقف على الإسلام، يكون في الدنيا بتوسيع الرزق والعافية في البدن.

قوله: ﴿**اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ**﴾ أي حملته وذهبت به. قوله: (**لعدم شرطه**) أي وهو الإيمان. قوله: ﴿**الْبَعِيدُ**﴾ أي الذي لا يرجى زواله. قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾ الخطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر، فليس خاصاً بالنبي ﷺ. قوله: (**تنظر**) أي تبصر وتتأمل ببصيرتك، فتستدل على أن الخالق متصف بالكمالات. قوله: (**استفهام تقرير**) أي والمعنى أقر يا مخاطب بذلك واعترف ولا تعاند، فإن القادر على خلق السموات لا يعجزه شيء، فهو حقيق بالعبادة دون غيره. قوله: ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ الباء إما للسببية أو الملابسة، والمعنى خلق السموات والأرض بسبب الحق أو ملتبساً بالحق، أي الحكمة الباهرة لا عبثاً. قوله: (**متعلق بخلق**) أي أو بمحذوف حال من فاعل.

قوله: ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ**﴾ أي يعدمكم، فإن القادر لا يصعب عليه شيء، قال تعالى: ﴿إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين﴾. قوله: ﴿**وَمَا ذٰلِكَ**﴾ أي الإذهاب والإتيان بشديد على الله، قال تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾. قوله: ﴿**وَبَرَزُوا**﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن محاجة الكفار، مع بعضهم ومع إبليس يوم القيامة، والبروز الظهور، والمعنى يظهرون بين الخلائق، فلا يغيب لهم شيء من أوصافهم أبداً. قوله: (**خرجوا**) أي من القبور، للحساب والجزاء.

﴿ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ المتبوعين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ من الأولى للتبيين والثانية للتبعيض ﴿قَالُواْ﴾ أي المتبوعين ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ﴾ لدعوناكم إلى الهدى ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن﴾ زائدة ﴿مَّحِيصٍ﴾ ﴿٢١﴾ ملجأ ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ إبليس ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن﴾ زائدة ﴿سُلْطَـٰنٍ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ على إجابتي ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ بفتح الياء وكسرها ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ

قوله: (والتعبير) الخ، جواب عما يقال: إن هذه الأشياء لم تحصل. فأجاب: بأن ذلك لتحقق الوقوع، أي لأن الله سبحانه وتعالى، عالم بما كان وما يكون وما هو كائن فالماضي والمستقبل في علمه على حد سواء.

قوله: ﴿قَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ أي في الرأي. قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً﴾ أي في تكذيب الرسل والدخول في دينكم. قوله: (من الأولى للتبيين) الخ، أي والكلام فيه تقديم وتأخير، والتقدير فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي جواباً لهم، واعتذاراً عما فعلوا بهم. قوله: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ أي لو وصلنا الله لدار السعادة في الدنيا بالإيمان لهديناكم، لكن حصل لنا الضلال فأضللناكم، فاخترنا لكم ما لأنفسنا. قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ هذا من كلام جميع الكفار الأتباع والرؤساء، ويؤيده ما روي أنهم يقولون: تعالوا نجزع، فيجزعون خمسمائة عام، فلا ينفعهم، فيقولون: تعالوا نصبر، فيصبرون كذلك، فلا ينفعهم ثم يقولون ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ الخ، والجزع: القلق وعدم تحمل الشدائد. قوله: (ملجأ) أي محل هروب نلتجىء له.

قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ الخ، أي حين يوضع له منبر من نار في النار، فيجتمع عليه أهل النار يلومونه، فيقول لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾ الخ. قوله: ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي نفذ قضاؤه باستقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. قوله: ﴿وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أي الوعد الثابت الناجز، وليس المراد الوعد بالخير، بل المراد به الجزاء والبعث. قوله: (فصدقكم) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذفاً بدليل قوله: ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾. قوله: (أنه غير كائن) قدره إشارة إلى أن مفعول وعد الثاني محذوف. قوله: ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ أي تبين خلافه. قوله: (لكن) أشار بذلك إلى الاستثناء منقطع، لأن دعوته ليست من جنس السلطان.

قوله: ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ أي على وسوستي لكم. قوله: ﴿وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي وبخوها على اتباعي، فإني لم أكن مكرهاً لكم على اتباعي، بل جاءتكم البينات والرسل، وسمعتم الدلائل الظاهرة على توحيد الله، فتركتموها واتبعتموني. قوله: (على اجابتي) أي ومخالفة ربكم. قوله: (بمغيثكم) أي من العذاب. قوله: (بفتح الياء وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان، والأصل بمصرخين لي، حذفت اللام

أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿مِن قَبۡلُۗ﴾ في الدنيا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ ﴿٢٢﴾ مؤلم ﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَٰمٌ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تنظر ﴿كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ ويبدل منه ﴿كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ أي لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾ في الأرض ﴿وَفَرۡعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿تُؤۡتِيٓ﴾ تعطي ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ﴾ بإرادته كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن وعمله يصعد إلى السماء ويناله بركته وثوابه في كل وقت ﴿وَيَضۡرِبُ﴾ يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ

للتخفيف، والنون للإضافة، فاجتمع مثلان، أدغم أحدهما في الآخر، فحركت ياء الإضافة بالفتح طلباً للخفة على إحدى القراءتين، وكسرت على أصل التخلص من التقاء الساكنين على الأخرى.

قوله: ﴿**إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَا أَشۡرَكۡتُمُونِ**﴾ أي تبرأت وأنكرت إشراككم إياي مع الله، حيث اطعتموني في وسوستي لكم بالشرك، فكأنهم أشركوه مع الله. قوله: **(قال تعالى)** أشار بذلك إلى أنه ليس من كلام إبليس، وقيل من كلامه. قوله: ﴿**وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**﴾ لما ذكر أحوال الأشقياء، شرع في ذكر أحوال السعداء. قوله: **(حال مقدرة)** أي مقدرين الخلود فيها وتقدير الخلود عند الدخول من تمام النعيم. قوله: ﴿**بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ**﴾ متعلق بأدخل. قوله: (من الله) قال تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾. قوله: **(ومن الملائكة)** قال تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾.

قوله: ﴿**أَلَمۡ تَرَ**﴾ الخطاب إما للنبي، أو لكل من يتأتى منه الخطاب. قوله: ﴿**مَثَلٗا**﴾ المثل تشبيه مجهول بمعلوم ليقاس عليه. قوله: **(أي لا إله إلا الله)** خصها بالذكر لأنها مفتاح الجنة، ولم يقبل من أحد الإيمان إلا بها، وقيل كل كلمة حسنة، كالتسبيح والتحميد والاستغفار وغير ذلك. قوله: ﴿**أَصۡلُهَا ثَابِتٞ**﴾ أي عروقها ثابتة في الأرض ماكثة فيها، حتى أنها لا تحتاج لسقي، بل تشرب من عروقها. قوله: ﴿**وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾ أي لجهة العلو.

قوله: ﴿**كُلَّ حِينِۭ**﴾ اختلف في مقداره، فقيل الحين كل سنة، لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة، وقيل ستة أشهر، لأنه من وقت طلعها إلى طيبها كذلك، وقيل ثمانية أشهر، لأن حملها ظاهراً وباطناً كذلك، وقيل أربعة أشهر، لأنه من حين ظهورها إلى إدراكها كذلك، وقيل شهران، لأنه من وقت أكلها إلى قطع ثمرها كذلك، وقيل كل وقت، لأن ثمر النخل يؤكل دائماً، فيؤكل منها الطلع والبلح والبسر الرطب والتمر، وهو الأولى. قوله: **(وعمله يصعد إلى السماء)** قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ ووجه الشبه بين الإيمان والشجرة، أن الشجرة لها عرق راسخ وفرع عال وثمر يؤكل، والإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان، فإذا أكثر الإنسان من ذكر هذه الكلمة، ظهرت عليه أنوارها، ولمعت في فؤاده أسرارها، فدام نفعه بها في العاجل والآجل، ومن هنا اختص الصوفية بها، بمعنى أنهم تلقوه عن أشياخهم بالسند المتصل وتعلقوا بها، فصارت شعارهم ودثارهم، ولذا قال السنوسي: فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضراً، لما احتوت عليه من المعاني، حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب، ما لا يدخل تحت حصر.

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظل ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ استؤصلت ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ ﴿٢٦﴾ مستقر وثبات كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ هي كلمة التوحيد ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي في القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب كما في حديث الشيخين ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون لا ندري كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي شكرها ﴿كُفْرًا﴾ هم كفار قريش ﴿وَأَحَلُّوا۟﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ ﴿٢٨﴾ الهلاك ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَبِئْسَ

قوله: (**هي كلمة الكفر**) أي كل ما يدل عليه. قوله: (**هي الحنظل**) حكمة التشبيه بها، أنها لا تغوص في الأرض، بل عروقها في وجه الأرض، ولا غصون لها تصعد إلى جهة السماء، بل ورقها يمتد على الأرض كشجر البطيخ، وثمرها رديء، وتسميتها شجراً مشاكلة، لأنها من النجم لا من الشجر، لأن الشجر ما له ساق، والنجم ما لا ساق له. قوله: اجتثت أي قلعت جثتها، والمعنى على التشبيه، أي كأنها لعدم ثبات أصلها وامتداده في الأرض، كالشيء المقلوع جثته. قوله: ﴿**يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ هذا راجح للمثل الأول. قوله: ﴿**فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا**﴾ أي فلا يتزلزلون عن الدين إذا ابتلوا بالمصائب، كالقتل، وأخذ المال، وفقد الأحباب، والفتنات عند الممات، وغير ذلك، وهذه بشرى للمؤمنين، بأن إيمانهم ثابت في قلوبهم، لا يتزلزل أبداً بل يثبتهم الله دنيا وأخرى. قوله: (**أي في القبر**) خصه بالذكر، لأنه بعد سؤاله لا يفتنون في التوحيد، وإنما يكون حسابهم في الموقف على فروع الدين. قوله: (**لما يسألهم الملكان**) أي حين يحيي الله الميت، حتى يسمع قرع من كان ماشياً في جنازته، فيقعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فيقولان له: نم نومة العروس، قد علمنا إن كنت لموقناً، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون شيئاً فقلت مثل ما يقولون، فيضربانه بمطراق من نار، فيصيح صيحة يسمعه من في الأرض غير الثقلين، ويقولان له: لا دريت ولا تليت. قوله: ﴿**وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ أي يحكم لا معقب لحكمه، وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره: لم هدى هؤلاء، وأضل هؤلاء؟ فأجاب: بأنه يفعل ما يشاء، فلا يسأل عما يفعل.

قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾ استفهام تعجيب، وهو خطاب لرسول الله ولكل عاقل. قوله: (**أي شكرها**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: (**هم كفار قريش**) أي فنعم الله التي بدلوا **شكرها** كفراً، كون نسبهم أشرف الأنساب، وبلدهم أشرف البلاد، وكون الخلق تسعى إليهم ولا يسعون، فبدلوا ذلك، حيث كذبوا خير الخلق، وعبدوا الأصنام. قوله: ﴿**قَوْمَهُمْ**﴾ أي أتباعهم. قوله: ﴿**دَارَ ٱلْبَوَارِ**﴾ يقال بار يبور بواراً بالضم هلك، وبار الشيء بواراً كسد، فأطلق اللازم وأريد الملزوم، لأنه يلزم من الكساد والهلاك. قوله: ﴿**يَصْلَوْنَهَا**﴾ حال من القوم.

﴿ٱلْقَرَارُ﴾ ﴿٢٩﴾ المقر هي ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِّيُضِلُّواْ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ بدنياكم قليلاً ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾ فداء ﴿فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ ﴿٣١﴾ مخالة أي صداقة تنفع، هو يوم القيامة ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ

قوله: **﴿وَجَعَلُوا﴾** عطف على ما بدلوا. قوله: **﴿أَنْدَاداً﴾** جمع ند بمعنى النظير. قوله: **﴿لِيَضِلُّوا﴾** اللام للعاقبة والصيرورة، لأن اتخاذهم الأنداد، ليس لأجل الضلال، بل لكونهم يقربونهم إلى الله زلفى. قوله: **(بفتح الياء وضمها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، والمعنى ليضلوا في أنفسهم وهذا على الفتح، أو ليضلوا غيرهم وهذا على الضم. قوله: **(بدنياكم)** أي أو بعبادتكم الأصنام، لأنها من جملة الشهوات التي يتمتع بها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن هذا تهديد لكل ظالم. قوله: **﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾** أي مآلكم إليها.

قوله: **﴿قُلْ لِعِبَادِي﴾** بثبوت الياء مفتوحة، وبحذفها لفظاً لا خطاً، قراءتان سبعيتان هنا وفي أربعة مواضع من القرآن، في سورة الأنبياء في قوله: ﴿إن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾. وفي العنكبوت في قوله: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾. وقوله في سبأ ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾. وقوله في سورة الزمر ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾. والإضافة في عبادي للتشريف، ولذا قال العارف:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

قوله: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾** أي اتصفوا بالإيمان، وفي ذلك إشارة إلى أن الصلاة والزكاة وغيرهما من وجوه البر، لا تكون إلا لمن اتصف بالإيمان، فلا تنفع الكافر في حال كفره، فلا ينافي أنه مخاطب بفروع الشريعة، لكن لا تصح منه إلا الإسلام، وفائدة خطابه بها، أنه يعذب عليها زيادة على عذاب الكفر، بدليل قوله تعالى: ﴿ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين﴾ الآية. قوله: **﴿وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾** أي النفقة الواجبة كالزكاة، والمندوبة كالتطوعات، وقوله: ﴿سراً وعلانية﴾ أي فالإنسان مخير في الاتفاق، إما سراً، أو جهراً، لكن الأفضل في الواجبة الجهر، لئلا يتهم بقلة الدين، وفي التطوعات السر، لكونه أقرب إلى الاخلاص. قوله: **(فداء)** مشى المفسر على أن المراد بالبيع الفداء، مشى غيره على إبقاء البيع على ظاهره، أي لا شيء يباع فيه للفداء. قوله: **(مخالة)** أشار المفسر إلى أن قوله: **﴿خِلَالٌ﴾** مصدر بمعنى المخالة، وقال غيره إن خلال جمع خلة، كقلال جمع قلة. قوله: **(أي صداقة تنفع)** هذا محمول على الكفر بدليل آية الزخرف ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾، فالمتقون لهم الأخلاء يوم القيامة، وفي القبور، وفي كل موطن مخوف، والكفار قد تقطعت بهم الأسباب، فليس لهم أخلاء نافعون أصلاً.

قوله: **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾** شروع في ذكر دلائل وحدانيته تعالى، واتصافه بالكمالات، وهذه الآية

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦ ۖ﴾ بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ﴾ جاريين في فلكهما لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ ﴿٣٣﴾ لتبتغوا فيه من فضله ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ﴾ على حسب مصالحكم ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ بمعنى إنعامه ﴿لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ لا تطيقوا عدها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿لَظَلُومٌ

مشتملة على عشرة أدلة. قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي فماء المطر من السماء، كما ذكره أهل السنة. قوله: ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ المراد بها ما يشمل المطعوم والملبوس. قوله: ﴿رِزْقاً لَكُمْ﴾ حال من الثمرات. قوله: **(السفن)** أي الكبار والصغار، وقوله: **(بالركوب)** أي على ظهرها، وقوله: **(والحمل)** أي حمل الأثقال من محل إلى آخر.

قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ٱلأَنْهَارَ﴾ جمع نهر، أي ذللها لكم في جميع الأرض على ما تشتهّي أنفسكم. قوله: ﴿دَائِبَيْنِ﴾ الدأب العادة المستمرة دائماً على حال واحدة، والمعنى أن الله سخر الشمس والقمر يجريان من يوم خلقهما الله، لا يخلقان ولا يفتران عن سيرهما إلى آخر الدهر، فالشمس نعمة النهار، والقمر نعمة الليل، وهما منافع للعالم، بهما يهتدون، ويعرفون السنين والحساب، وتطيب ثمارهم وزروعاتهم، فهما سبب عادي لنفع العالم، يوجد النفع عندهما لا بهما. قوله: **(لا يفتران)** أي لا يضعفان ولا ينكسران. قوله: **(في فلكهما)** أي محلهما ومقرهما، وهو السماء الرابعة للشمس، وسماء الدنيا للقمر. قوله: **(لتسكنوا فيه)** أي تطمئنوا فيه من تعب النهار. قوله: **(لتبتغوا من فضله)** أي تسعوا في معايشكم ومعادكم، قال تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾.

قوله: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ عطف عام على خاص، و ﴿مِنْ﴾ قيل صلة على مذهب الأخفش، من زيادتها في الأثبات، أي آتاكم كل ما سألتموه، وقيل تبعيضية، أي آتاكم بعض كل ما سألتموه، أي احتجتم إليه، ولو لم يحصل سؤال بالفعل، فالمراد شأنكم تسألون عنه لاحتياجكم إليه، فإن الله أعطانا النعم من غير سؤال منا، والمعنى أعطى الله كل فرد، فرد، بعض، كل ما يحتاج إليه العالم، فأصول النعم اشترك فيها جميع العالم، عقلاء وغيرهم، مسلمين وكفاراً، وما يحتمل أنها موصولة وهو الأتم، والتقدير بعض كل ما سألتموه، أو مصدرية، والتقدير بعض كل مسؤولكم. قوله: **(على حسب مصالحكم)** جواب عما يقال: إن الإنسان لم يعط بعض كل ما سأل، فإنه قد يسأل السلطنة مثلاً ولا يعطاها، فأجاب: بأن هذه العطية ليست على حسب ما يصلح للعبد، بل على حسب مراد الله تعالى، فعطاياه سبحانه وتعالى، على حسب مراده في خلقه، فمنهم من جعل رزقه واسعاً، ومنهم من جعل رزقه ضيقاً، وهكذا.

قوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي أفرادها فإنها غير متناهية. قوله: **(بمعنى إنعامه)** أشار بذلك إلى أن المراد بالنعمة الأنعام، وهو صفة فعل، ودفع بذلك ما يقال، كيف يقول الله ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعمَت اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، مع أن كل نعمة دخلت الوجود متناهية ويمكن عدها؟ فأجاب: بأن المراد بالنعمة الإنعام، بمعنى تجددها شيئاً فشيئاً، قوله: **(الكافر)** المراد به أبو جهل، لأنها نزلت فيه، والعبرة بعموم

كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ مكة ﴿ءَامِنًا﴾ ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرماً لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه ﴿وَٱجْنُبْنِى﴾ بعدني ﴿وَبَنِىَّ﴾ عن ﴿ أَن نَّعْبُدَ

اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ**﴾ ﴿**إِذْ**﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله (**اذكر**) وهو خطاب للنبي ﷺ، أي اذكر لهم قصة إبراهيم، ودعواته لساكني البيت الحرام ولبنيه، لعلهم يعتبرون، فينزجروا عما هم عليه، فإن لم يعتبروا، فقد تعرضوا لما يحل بهم. قوله: ﴿**هَٰذَا ٱلْبَلَدَ**﴾ قال الأشياخ: حكمة تعريف البلد هنا، وتنكيرها في البقرة، أن إبراهيم تكرر منه الدعاء، فما في البقرة كان قبل بنائها، فطلب من الله أن تجعل بلداً، وأن تكون آمناً، وما هنا بعد بنائها، فطلب من الله أن تكون آمنا. قوله: (**لا يسفك فيه دم إنسان**) أي لا يتمكن منه جبار، بقصد إهانة البيت وأهله، وما وقع من الحجاج، في مقاتلته لابن الزبير، وهدمه للبيت، إنما كان بقصد التعظيم للبيت، بسبب دعواه أن ابن الزبير كان مخطئاً في بنائه البيت على قواعد إبراهيم، وقوله: (**لا يسفك فيه دم إنسان**) أي ولو قصاصاً، وهو مذهب أبي حنيفة، وإنما يضيق عليه ليخرج، فإذا خرج اقتص منه. قوله: (**ولا يظلم فيه أحد**) أي ومن تجرأ وظلم فيه، فقد تعرض لعذاب الله، قال تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ .قوله :(**ولا يصاد صيده**) أي يحرم صيد البر في الحرم، على كل شخص محرماً أو غيره. قوله: (**ولا يختلي خلاه**) أي لا يقطع حشيشه النابت بنفسه، واستثنى العلماء من ذلك الاذخر والسنا والسواك والعصا وقطع الشجر للبناء محله، لأنه ينبغي توسعته. إن قلت: إن قوله: ﴿**آمِناً**﴾ يعارضه ما روي: أن ذا السويقتين يخرب البيت، ويخيف أهله في آخر الزمان. أجيب: بأن معنى الأمن الطمأنينة، ظاهراً وباطناً، من سطوات الخالق والمخلوق، للحيوان العاقل، وغيره غالباً، فلا ينافي حدوث النوادر من بعض الجبابرة. وأجيب أيضاً: بأن المراد الأمن من الخراب إلى قرب الساعة، فإن ذا السويقتين، يخرب الكعبة قرب الساعة، بعد موت عيسى عليه السلام.

فائدة: قول ابراهيم ﴿**رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ**﴾ الخ، يقتضي أن دأبه الدعاء، وما ورد من قوله حين ألقي في النار: حسبي من سؤالي علمه بحالي، يقتضي أنه لم يكن دأبه الدعاء، فما السر في ذلك؟ أجيب: بأنه كان في زمن إلقائه في النار، في مقام الفناء والسكر، وهو الغيبة عن شهود الخلق بشهود الحق، فلا يشهد أثراً، وفي زمن دعائه في مقام البقاء وجمع الجمع، وهو البقاء بالله بمعنى شهود الآثار بعد شهود مؤثرها، فمقامه في حال دعائه، أعلى وأجل من مقامه في حال تركه له، ولا يقاس بمقامات الأنبياء مقام، بل بدايتهم أعلى وأجل من نهاية غيرهم، فالأولياء وإن عظموا، لا يصلون لأدنى رتب الأنبياء، وأما قول أبي الحسن الشاذلي: واقرب مني بقدرتك قرباً تمحق به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك الخ، فمعناه قرباً يليق بي، لا كقرب الخليل، فقد طلب من الله أن يذيقه قطرة من بحار تجلياته التي تجلى بها على الخليل حتى أسكره، فلم يشهد شيئاً سواه.

قوله: ﴿**وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ**﴾ المراد أولاده وأولاد أولاده، كإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط. إن

﴿ٱلْأَصْنَامَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ بعبادتهم لها ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ على التوحيد ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٣٦﴾ هذا قبل علمه أنه تعالى لا يغفر الشرك ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي بعضها وهو إسماعيل مع أمه هاجر ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هو مكة ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً﴾ قلوباً ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ﴾ تميل وتحن ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: لو قال: أفئدة

قلت: إن الأنبياء معصومون من الشرك، ففي دعائه تحصيل الحاصل. والجواب الأتم: أن دعاءه تشريع وتعليم وتذلل وتواضع، مع كونه يعلم عصمة نفسه، ويقال مثل هذا في دعوات باقي الأنبياء بالنجاة، مما هم معصومون منه، كعذاب النار، وغضب الجبار، ونحو ذلك.

قوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ كرر النداء تأكيداً. قوله: (**بعبادتهم لها**) أشار بذلك إلى أن نسبة الإضلال للأصنام مجاز، لأنها سبب في الضلال بسبب عبادتها. قوله: ﴿**فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾ أي منسوب لي وملحق بي. قوله: (**هذا قبل علمه**) الخ. جواب عما يقال: إن الله لا يغفر الشرك، فكيف يقول ﴿**فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾؟ وأجيب أيضاً: بأن قوله: ﴿**وَمَنْ عَصَانِي**﴾ أي بغير الكفر، وبأن طلب الغفران لذريته الكفار إن ماتوا على الإسلام. قوله: (**وهو إسماعيل مع أمه هاجر**) وسبب ذلك الاسكان، أن هاجر كانت جارية لسارة، فوهبتها لإبراهيم، فولدت منه إسماعيل، فغارت سارة منها، ، لأنها لم تكن قد ولدت قط، فأنشدته بالله أن يخرجها من عندها، فأمره الله تعالى بالوحي أن ينقلها إلى أرض مكة، وأتى له بالبراق، فركب عليه هو وهاجر والطفل، فأتى من الشام ووضعها في مكة عند البيت مكان زمزم، وليس بمكة أحد، ولا بناء ولا ماء، ثم قام إبراهيم منطلقاً، فتبعته هاجر وقالت: أين تذهب وتتركني بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟ فلم يلتفت، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعني ثم رجعت، فانطلق إبراهيم، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ**﴾ الخ. قوله: ﴿**بِوَادٍ**﴾ أي في واد، والوادي هو المنخفض بين الجبلين. قوله: ﴿**غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**﴾ أي لا يصلح للزرع به، لكونه أرضاً حجرية لا تنبت شيئاً. قوله: (**الذي كان قبل الطوفان**) أشار بذلك، إلى أن تسميته بيتاً محرماً، فيه مجاز باعتبار ما كان، ويصح أن يكون مجازاً، باعتبار ما يؤول إليه الأمر، لأن الله أوحى إليه وأعلمه، أن هناك بيتاً حراماً، وأنه سيعمره.

قوله: ﴿**رَبَّنَا**﴾ كرر النداء، لأن الدعاء ينبغي فيه الأطناب وكثرة الابتهال. قوله: ﴿**لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾ اللام لام كي متعلقة بأسكنت، والمعنى أسكنتهم بهذا الوادي الخالي من كل مرتفق، ليشتغلوا بأشراف العبادات في أشرف الأماكن، والمراد من الدعاء بإقامة الصلاة، توفيقهم لأدائها على الوجه الأكمل. قوله: ﴿**تَهْوِي**﴾ القراء السبعة على كسر الواو، أي تسرع وتطير شوقاً إليهم، وقرىء شذوذاً بفتح الواو، وخرجت على زيادة إلى، أي تهواهم، وخص الأفئدة بالذكر، لأن القلوب سلاطين الأعضاء، فإذا حنت إليهم القلوب، سعت لهم الأجساد قهراً. قوله: (**تميل وتحن**) أشار بذلك إلى أنه ضمن تهوي معنى تميل، فعداه بإلى، وإلا فهو يتعدى باللام، وفي هذا دعاء للمؤمنين، بأن يرزقهم الله حج البيت، ودعاء لسكان مكة من ذريته بميل الناس إليهم، ليرتفقوا وينتفعوا بهم، فقد جمع في هذا

الناس لحنت إليه فارس والروم والناس كلهم ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ وقد فعل بنقل الطائف إليه ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى﴾ نسر ﴿وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أو كلام إبراهيم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى﴾ أعطاني ﴿عَلَى﴾ مع ﴿ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ ولد وله تسع وتسعون سنة ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ ولد وله مائة واثنتا عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِى﴾ من يقيمها وأتى بمن لإعلام الله تعالى له أن منهم كفاراً ﴿رَبَّنَا

الدعاء، بين أمر الدين والدنيا للناس ولذريته. قوله: **(لو قال أفئدة الناس)** الخ، أي ولكنه لم يقل ذلك، فلم يحصل لسابقة علم الله تعالى، أنه لا يحن إليهم جميع الناس لوجود الكفار منهم، فإبراهيم دعا بما سيحصل في الخارج، المطابق لما علمه الله.

قوله: **﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾** أي يصرفون النعم في مصارفها. قوله: **(وقد فعل بنقل الطائف إليه)** أي وهو قطعة من أرض الشام، من مكان يقال له حوران، بدلت بقطعة من الحجاز، فصارت العيون والأشجار بالطائف، والحجارة والحصا والقفر بأرض حوران، يشاهده كل من رآه، وهو إجابة قوله: **﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَاتِ﴾**، وأما قوله: **﴿فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾** الخ، فقد حصل مبدأ إجابته بجرهم، وذلك أن إبراهيم لما وضع إسماعيل وأمه، تركهما ومعهما جراب من تمر وسقاء من ماء، فلما نفد الماء، عطشت هي وولدها، فصعدت على الصفا لتنظر هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، فهبطت ثم أتت المروة، فقامت عليها فنظرت، هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، ولذلك شرع السعي بينهما سبعاً فعند ذلك جاء جبريل، وضرب زمزم بجناحه فخرج الماء فجعلت تحوط عليه وتقول زمي زمي، وفي الحديث «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم لكانت عيناً معيناً» فجعلت تشرب منه، فمكثوا كذلك، حتى مرت بهم قبيلة من جرهم، كانوا ذاهبين إلى الشام، فعطشوا فرأوا الماء عندها فقالوا لها: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، فقالوا لها: أشركينا في مائك، نشركك في ألباننا، ففعلت، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم، فلما شب إسماعيل، تعلم منهم العربية وكان أنفسهم، فزوجوه بامرأة منهم، وماتت أمه وما تزوج.

قوله: **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾** أي تعلم ما نسره من جميع أمورنا وما نظهره منها، أو المعنى: تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة إسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذي زرع. وما نعلن، أي من قول هاجر آلله أمرك بهذا؟ وقولي لها نعم. قوله: **(يحتمل أن يكون)** أي قوله: **﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى ٱللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾** الخ، فعلى الأول: هو اعتراض بين كلامي إبراهيم، وعلى الثاني: ففيه وضع الظاهر موضع المضمر.

قوله: **﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** الخ، هذا قاله إبراهيم في وقت آخر بعد الدعاء، فإنه حين الدعاء، لم يكن إسحاق موجوداً، بل كان إسماعيل فقط طفلاً، وحين الحمد كان إسحاق موجوداً، ومعلوم أن بينهما ثلاث عشرة سنة. قوله: **﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾** مجيبه. قوله: **﴿مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾** أي مواظباً عليها، بشروطها وأركانها وآدابها. قوله: **﴿وَ﴾ (اجعل) ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾** أشار المفسر إلى أن قوله: **﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾**

وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ (٤٠) المذكور ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عدواتها لله عز وجل، وقيل أسلمت أمه وقرىء والدي مفرداً وولدي ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾ يثبت ﴿ٱلْحِسَابُ﴾ (٤١) قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (٤٢) لهول ما ترى، يقال شخص بصر فلان أي فتحه فلم يغمضه ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين حال ﴿مُقْنِعِي﴾ رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلى السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ

معطوف على الياء في اجعلني، فيكون الفعل مسلطاً عليه. قوله: ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَائِي﴾ بثبوت الياء وصلاً ووقفاً، وحذفها كذلك قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي﴾ إن قلت كيف يطلب المغفرة، مع أنه نبي معصوم من جميع الذنوب؟ أجيب: بأن المغفرة لا تستدعي سبق ذنب، بل تكون من الطاعات، كما إذا ارتقى مقاماً أعلى مما كان فيه، فيستغفر الله مما كان فيه، على حد ما قيل في قوله: ﷺ «إني ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة. قوله: (**هذا قبل أن يتبين له عداوتها لله**) جواب عما يقال: كيف ساغ لإبراهيم طلب المغفرة لأبويه وهما كافران. قوله: (**وقرىء**) أي شذوذاً في هذه والتي بعدها، وقرىء شذوذاً أيضاً وولدي بضم الواو وسكون اللام، فالقراءات الشواذ ثلاث: والدي مفرداً، وولدي بالتثنية، وولدي جمع ولد. قوله: (**يثبت**) أي يوجد ويظهر وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة، والله لا يرد دعاء خليله إبراهيم، ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة.

قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان في هذه، وفي قوله الآتي﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾وفي هذه الآية تسلية لكل مظلوم، ووعيد عظيم لكل ظالم، فإن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فإنها وإن كان نزولها في جق كفار قريش، إلا أن المراد عمومها لكل ظالم، لأن كل آية وردت في الكفار. فإنها تجر بذيلها على عصاة المؤمنين. قوله: ﴿غَافِلًا﴾ الغفلة في الأصل معنى يعتري الإنسان من قلة التحفظ، وقيل معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور، وهذا المعنى في حق الله مستحيل فظنه كفر، بل المراد لازم الغفلة، وهو عدم المجازاة، لأنه يلزم من الغفلة عن الشيء تركه، فالمعنى لا تحسبن الله يا مخاطب تاركاً مجازاة الظالمين، بل مجازيهم ولا بد، وإمهالهم مدة حلم منه، وسيخرجهم منه في الآخرة لما ورد «الظلمة وأعوانهم كلاب النار». قوله: (**من أهل مكة**) خصهم بالذكر، وإن المراد العموم، لأن الآية نزلت فيهم.

قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ في معنى التعليل لقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَافِلًا﴾ الخ، والتقدير: لا تظن أن الله تارك مجازاتهم، ولا تحزن بتأخير العذاب، لأن تأخيره للتشديد والتغليظ. قوله: ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي لأجل حصول يوم، أو اللام بمعنى إلى التي للغاية. قوله: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَارُ﴾ أي فلا تقر في أماكنها. قوله: (**مسرعين**) أي إلى الداعي وهو إسرافيل، وقيل جبريل حيث ينادي على صخرة بيت المقدس، وهي أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فعند ذلك ينفخ إسرافيل في الصور. قوله: (**حال**) أي من المضاف المحذوف، والتقدير تشخيص فيه أبصارهم، حال كون أصحاب الأبصار مهطعين الخ.

﴿طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءٌ﴾ ﴿٤٣﴾ خالية من العقل لفزعهم ﴿وَأَنذِرِ﴾ خوف يا محمد ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكفار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ كفروا ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ﴾ بأن تردنا إلى الدنيا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ فيقال لهم توبيخاً ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم﴾ حلفتم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن﴾ زائدة ﴿زَوَالٍ﴾ ﴿٤٤﴾ عنها إلى الآخرة ﴿وَسَكَنتُمْ﴾ فيها ﴿فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر من الأمم السابقة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبْنَا﴾ بينا ﴿لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ ﴿٤٥﴾ في القرآن فلم تعتبروا ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟﴾ بالنبي ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي علمه أو جزاؤه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ وإن عظم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ ﴿٤٦﴾ المعنى لا عبأ به ولا يضر إلا أنفسهم والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات وفي قراءة بفتح لام لتزول ورفع الفعل فإن مخففة

قوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي لا ينطبق لهم جفن لعظم الهول، وهو تأكيد لشخوص البصر. قوله: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ إما مستأنف أو حال. قوله: **(خالية من العقل لفزعهم)** أي خالية من الفهم لشدة الحيرة والدهشة، والمعنى أن القلوب حينئذ، تكون فارغة من الإدراك والفهم، والأبصار شاخصة، والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدته. قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ مفعول ثان لأنذر على حذف مضاف، أي أنذرهم هوله وشدته.

قوله: ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه إظهار في مقام الاضمار، لزيادة التشنيع عليهم. قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي أخر العذاب عنا، وردنا إلى الدنيا مدة من الزمان، نستدرك فيها ما فات. قوله: ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ مجزوم في جواب الأمر. قوله: **(فيقال لهم)** القائل لهم الملائكة أو الله. قوله: **(حلفتم)** أي كما حكى الله عنهم ذلك في سورة النحل بقوله: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾. قوله: ﴿وَسَكَنتُمْ﴾ معطوف على ﴿أَقْسَمْتُم﴾. قوله: ﴿فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ المراد بمساكنهم دار الدنيا، لا خصوص منازل الذين ظلموا، فإن كفار قريش لم يسكنوا ديار الكفار الذين هلكوا قبلهم. قوله: **(السابقة)** أي كقوم نوح وعاد وثمود ولوط وغيرهم. قوله: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ أي حالهم وخبرهم. قوله: **(من العقوبة)** بيان لقوله: ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾.

قوله: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ أي أهل مكة. قوله: **(حيث أرادوا قتله)** الخ، أي حين اجتمعوا بدار الندوة يتشاورون في شأنه، وقد تقدم ذلك في الأنفال في قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ الخ. قوله: **(ما)** ﴿كَانَ﴾ فسر إن بما، لأن اللام في لتزول لام الجحود، وهي لا تقع إلا بعد كون منفي بما أو لم. قوله: **(لا يعبأ به)** أي لا يلتفت إليه. قوله: **(والمراد بالجبال هنا)** أي ففيها قولان: قيل المراد حقيقتها، وقيل شرائع الإسلام، فهي مستعملة في مجازها. قوله: **(في القرار والثبات)** هذا هو وجه الشبه بينهما. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(فإن مخففة)** أي واللام في لتزول فارقة. قوله:

والمراد تعظيم مكرهم وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً﴾ وعلى الأول ما قرىء وما كان ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ بالنصر﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ﴿٤٧﴾ ممن عصاه اذكر ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ هو يوم القيامة فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما في

(والمراد تعظيم مكرهم) أي على هذه الثانية فتحصل أن المعنى على القراءة الأولى: ما كان مكرهم مزيلاً للجبال، لضعفه وعدم العبرة به، وعلى الثانية: والحال أن مكرهم، لتزول منه الجبال لعظمه وشدته، والمكر على القراءتين، قيل تشاورهم في شأن النبي، وقيل كفرهم، ولكن القول الثاني، يوافق القراءة الثانية، بدليل آية ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا لرحمن ولداً﴾. قوله: **(وعلى الأولى)** أي القراءة الأولى وهي النافية. قوله: **(ما قرىء)** أي الذي قرىء وهي قراءة شاذة.

قوله: **﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾** هذا مفرع على قوله ﴿ولا تحسبن الله غافلاً﴾ وهو تسلية للنبي ﷺ وتهديد للظالمين. قوله: **﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾** القراءة السبعية بإضافة مخلف إلى وعده ورسله بالنصب، وقرىء شذوذاً بإضافته إلى رسله ونصب وعده، فيكون قد فصل بين المتضايفين بالمفعول، وهذا نظير قراءة ابن عامر في الأنعام: قتل أولادهم شركائهم. قوله: **(اذكر)** قدره إشارة إلى أن قوله: **﴿يَوْمَ﴾** ظرف معمول لمحذوف، ويصح أن يكون معمولاً لقوله: **﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾**، ويصح أن يكون بدلاً من يوم الأول في قوله: ﴿يأتيهم العذاب﴾.

قوله: **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتُ﴾** اختلف المفسرون في هذا التبديل، فقيل: المراد تبدل صفاتها فتسوى الجبال، وتقلع الأشجار، وتنشق الأنهار، وتذهب الكواكب من السماوات وتكسف شمسها ويخسف قمرها، وقيل: تبدل ذاتها، فتبدل الأرض بأرض نقية بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم، وتبدل السماوات بسماء من ذهب، وعلى هذا القول، فالخلائق يكونون قيل: على الصراط وما زاد منهم يكون على متن جهنم، وقيل يكون في ظلمة قبل المحشر، وقيل على أكف ملائكة سماء الدنيا، وجمع بين القولين بأن تبديل الصفات، يكون أولاً قبل نفخة الصعق، وتبديل الذات يكون بعد النفخة الثانية. قوله: **(فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية)** أي ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس والضحاك، أن الخلائق إذا جمعوا في صعيد واحد، الأولين والآخرين، أمر الجليل جل جلاله، بملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم، فيأخذ كل واحد منهم إنساناً وشخصاً المبعوثين، إنساً وجناً، ووحشاً وطيراً، وحولوهم إلى الأرض التي تبدل، وهي أرض بيضاء من فضة نورانية، وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة، فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات، ثم إن الله يأمر بملائكة السماء الثانية، فيحدقون بهم حلقة واحدة، وإذا هم مثلهم عشرين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة، فيحدقون من وراء الكل بهم حلقة واحدة، فإذا هم مثلهم ثلاثين ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة، فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، فيكونون أكثر منهم بأربعين ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة، فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة، فيكونون مثلهم خمسين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة، فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، وهم مثلهم ستين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السابعة، فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة،

حديث الصحيحين، وروى مسلم حديث «سئل النبي ﷺ أين الناس يومئذ؟ قال: على الصراط» ﴿وَبَرَزُواْ﴾ خرجوا من القبور ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد تبصر ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ مشدودين مع شياطينهم ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ ﴿٤٩﴾ القيود والأغلال ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار ﴿وَتَغْشَىٰ﴾ تعلو ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿لِيَجْزِىَ﴾ متعلق ببرزوا ﴿ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ ﴿٥١﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي أنزل لتبليغهم ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ﴾ بما فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أي الله ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال يتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ﴿٥٢﴾ أصحاب العقول.

وهم مثلهم سبعين مرة، والخلق تتداخل وتندمج، حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام، ويخوض الناس في العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان، وإلى الصدر، وإلى الحقوين، وإلى الركبتين، ومنهم يصيبه الرشح اليسير، كالقاعد في الحمام، ومنهم من يصيبه البلة، كالعاطش إذا شرب الماء، وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق، وقد قربت الشمس من رؤوسهم، حتى لو مد أحد يده لنالها، وتضاعف حرها سبعين مرة، وقال بعض السلف: لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة، لاحترقت الأرض وذاب الصخر، ونشفت الأنهار. قوله: ﴿وَبَرَزُوا﴾ عطف على تبدل، فهو بمعنى المضارع، أي يوم تبدل الأرض وتبرز الخلائق. قوله: ﴿وَتَرَى﴾ معطوف على تبدل أيضاً. قوله: **(مشدودين مع شياطينهم)** أي فتجمع أيديهم وأرجلهم في أعناقهم، ويشد كل واحد مع شيطانه الذي كان معه في الدنيا. قوله: **﴿فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾** جمع صفد بفتحتين وهو القيد. قوله: **(والأغلال)** جمع غل بالضم، وهو طوق من حديد. قوله: **﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾** أي جلودهم تطلى بالقطران، حتى يكون الطلاء كالقميص. قوله: **﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ﴾** أي وقلوبهم. قوله: **(متعلق ببرزوا)** أي وما بينهما اعتراض. قوله: **(في نصف نهار)** أي وكل واحد يرى أنه يحاسب وحده. قوله: **﴿هٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾** في هذه الآية من المحسنات البديعية، رد العجز على الصدر، فقد افتتحت هذه السورة بقوله﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾. قوله: **(لتبليغهم)** أي توصيلهم إلى ما فيه صلاحهم ورشدهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ الحِجْرِ

مدنيّة

وآياتها تسع وتسعون

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى من ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة ﴿رُّبَمَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ ورب للتكثير فإنه يكثر منهم تمني ذلك، وقيل للتقليل فإن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجر مكية

وهي تسعة وتسعون آية

أي بإجماع، وسميت بالحجر لذكره فيها، وهو واد بين المدينة والشام، وسيأتي قصة أصحابه. قوله: (**الله أعلم بمراده**) تقدم أن هذا هو التحقيق عند ذوي التحقيق. قوله: (**هذه الآيات**) أي آيات السورة. قوله: (**والإضافة بمعنى من**) أي لأن الآيات بعض الكتاب. قوله: (**عطف**) أي مرادف، وإنما سوغه وحسنه تغاير اللفظ، وزيادة الصفة في المعطوف، فحينئذ يؤخذ من الآية، أنه كما يسمى كتاباً، يسمى قرآناً. قوله: (**بزيادة صفة**) أي وهي قوله: ﴿مُبِينٍ﴾. قوله: (**بالتشديد والتخفيف**) أي فهما قراءتان سبعيتان، ولغتان في رب. قوله: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي من أهل مكة وغيرهم. قوله: (**وإذا عاينوا حالهم**) أي من العذاب. قوله: (**وحال المسلمين**) أي من النعيم المقيم.

قوله: ﴿**لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ يصح في ﴿لَوْ﴾ أن تكون امتناعية، وجوابها محذوف تقديره لسروا بذلك، أو مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر معمول ليود، والتقدير ربما يود الذين كفروا كونهم مسلمين. قوله: (**ورب للتكثير**) أي وما كافة لها عن الجر. إن قلت: إن (رب) إذا دخلت عليها ما الكافة، اختصت بالفعل الماضي، وهنا قد دخلت على المضارع. أجيب: بأن المضارع بالنسبة لعلم الله واقع ولا شك، فلا تفاوت بين ماض ومستقبل بالنسبة لعلمه تعالى، وإنما ذلك بالنظر لعقولنا. قوله: (**وقيل للتقليل**) أي باعتبار الأوقات التي يفيقون فيها من الدهشة، فالكفار من شدة الهول يدهشون، فلا يفيقون إلا في بعض الأوقات، فإذا أفاقوا كثر منهم التمني.

الأهوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة ﴿ذَرْهُمْ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمُ﴾ يشغلهم ﴿ٱلْأَمَلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ عاقبة أمرهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن﴾ زائدة ﴿قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ﴾ أجل ﴿مَّعْلُومٌ ۝٤﴾ محدود لإهلاكها ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ﴾ زائدة ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾ يتأخرون عنه ﴿وَقَالُواْ﴾ أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ ﴿لَّوْ مَا﴾ هلا ﴿تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧﴾ في قولك إنك نبي وأن هذا القرآن من عند الله، قال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا﴾ أي حين نزول الملائكة بالعذاب

قوله: ﴿**ذَرْهُمْ**﴾ لم يستعمل لهذا الأمر ماض استغناء عنه بترك، بل يستعمل منه المضارع، وقد جاء منه الماضي قليلاً، قال عليه الصلاة والسلام «ذروا الحبشة ما وذرتكم». قوله: ﴿**يَأْكُلُوا**﴾ مجزوم بحذف النون في جواب الأمر، وكذا قوله: ﴿**وَيَتَمَتَّعُوا**﴾. قوله: ﴿**وَيُلْهِهِمُ**﴾ مجزوم أيضاً بحذف الياء، وفيه ثلاث قراءات سبعية: كسر الهاء الثانية والميم وضمهما، وكسر الهاء وضم الميم، وأما الهاء الأولى فمكسورة لا غير، لأنها من بنية الكلمة. قوله: ﴿**الْأَمَلُ**﴾ فاعل ﴿**يُلْهِهِمُ**﴾. قوله: (**عاقبة أمرهم**) قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿**يَعْلَمُونَ**﴾ محذوف. قوله: (**وهذا قبل الأمر بالقتال**) أي قوله: ﴿**ذَرْهُمْ**﴾ الخ فهذه الآية منسوخة بآية القتال. قوله: (**زائدة**) أي في المفعول. قوله: (**أريد أهلها**) أي ففيه مجاز، إما بالحذف، أو مرسل من إطلاق المحل وإرادة الحال فيه. قوله: ﴿**إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ**﴾ الجملة حالية، والمعنى وما أهلكنا قرية في حال من الأحوال، إلا في حال أن يكون لها كتاب، أي أجل مؤقت لهلاكها، وجعلنا الواو حالية، أسهل من جعلها زائدة بين الصفة والموصوف. قوله: ﴿**مِنْ أُمَّةٍ**﴾ فاعل تسبق، و ﴿**مِنْ**﴾ لا زائدة في الفاعل للتأكيد قوله: ﴿**أَجَلَهَا**﴾ أي وهو الكتاب المتقدم. قوله: (**يتأخرون عنه**) أي الأجل.

قوله: ﴿**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ**﴾ نادوه ﷺ على سبيل التهكم والاستهزاء، لا إقرار بأنه نزل عليه الذكر، ولذا قال المفسر (**في زعمه**) فدفع به ما قد يقال، إن في الآية مضاربة أولها لآخرها. قوله: ﴿**إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾ أي إنك لتقول قول المجانين، حيث تدعي أن الله نزل عليك الذكر، وقولهم هذا كقول فرعون ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ والحاصل أنهم قالوا مقالتين: الأولى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ**﴾، والثانية ﴿**لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ**﴾ وقد رد الله ذلك على سبيل اللف والنشر والمشوش فقوله: ﴿**مَا تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ**﴾ رد للثانية، قوله: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ**﴾ رد للأولى.

قوله: ﴿**لَوْمَا تَأْتِينَا**﴾ تستعمل ﴿**لَوْمَا**﴾ حرف تحضيض، وحرف امتناع لوجود، فالتحضيضية لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً، والامتناعية لا يليها إلا الأسماء لفظاً أو تقديراً، إذا علمت ذلك فهي هنا للتحضيض، ولذا فسرها بهلا. قوله: ﴿**بِالْمَلَائِكَةِ**﴾ أي لتخبرنا بصدقك. قوله: (**فيه حذف إحدى التاءين**) أي والأصل تتنزل، وفي قراءة سبعية أيضاً، ننزل بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الزاي المشددة، ونصب الملائكة على المفعولية، وقرىء شذوذاً ما تنزل، بفتح التاء وسكون النون وكسر الزاي، و ﴿**الْمَلَائِكَةُ**﴾ فاعل.

﴿مُّنظَرِينَ﴾ ⁽٨⁾ مؤخرين ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم إن، أو فصل ﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ⁽٩⁾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِى شِيَعِ﴾ فرق ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ⁽١٠⁾ ﴿وما﴾ كان ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ⁽١١⁾ كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له ﷺ ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك ندخله ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ⁽١٢⁾ أي كفار مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ⁽١٣⁾ أي سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وهؤلاء مثلهم ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ﴾ في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾ ⁽١٤⁾ يصعدون ﴿لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾

قوله: ﴿**إلَّا بِالْحَقِّ**﴾ أي إلا تنزيلاً ملتبساً بالحق لا بما قلتم واقترحتم، والمعنى جرت عادة الله في خلقه، أنه لا يظهر الملائكة إلا لمن يريد إهلاكهم، وهو لا يريد ذلك مع أمته ﷺ لعلمه بقاءها، وأنه يخرج منها من يعبد الله ويوحده إلى يوم القيامة، فهم لا يجابون لما اقترحوا. قوله: ﴿**وَمَا كَانُوا إذاً مُنْظَرِينَ**﴾ أصل إذن إذ بمعنى حين، فضمت لها أن فصار إذ إن، فاستثقلوا الهمزة فحذفوها فصار إذن، ومجيء لفظة أن، دليل على إضمار فعل بعدها، والتقدير وما كانوا إذ كان ما طلبوه، الخ.

قوله: ﴿**إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ**﴾ أي وليس إنزاله بزعمك كما اعتقدوا. قوله: (**أو فصل**) أي ضمير فصل، واعترض بأن ضمير الفصل لا يكون إلا ضمير غيبة، ولا يقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك، وحينئذ فالمناسب للمفسر أن يقتصر على الأول. قوله: ﴿**وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ أي حيث جعله معجزاً للبشر، مغايراً لكلامهم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، باق على مرّ الدهور، سيما وقد جعل الله له خدمة من البشر يحفظونه، فترى الكبير العظيم إذا غلط وهو يقرأ، يرده أصغر صغير في المجلس، مع عدم العيب في ذلك، بخلاف الكتب السماوية، فقد دخل فيها التبديل والتغيير، والزيادة والنقص، ومن معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ الآية.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا**﴾ هذا تسلية له ﷺ. قوله: (**رسلاً**) قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿**أَرْسَلْنَا**﴾ محذوف، وعدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر، وقيل لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى. قوله: ﴿**فِي شِيَعِ**﴾ جمع شيعة، والمراد بها هنا الفرقة المتفقة في المذهب كان حقاً أو باطلاً، وإضافة شيع للأولين على حذف مضاف، أي في شيع الأمم الأولين. قوله: ﴿**وَمَا يَأْتِيهِمْ**﴾ قدر المفسر (**كان**) إشارة إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وأتى به مضارعاً، استحضاراً للحال الماضية للتعجب منها. قوله: ﴿**يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ أي يسخرون. قوله: (**وهذا تسلية له**) أي فاصبر ولا تحزن، فلست بأول من سخر به قومه، بل وقع لمن قبلك مثلك. قوله: ﴿**كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ**﴾ السلك بالفتح إدخال الخيط في اللؤلؤة، وبالكسر نفس الخيط. قوله: (**أي مثل إدخالنا التكذيب**) أي الذي دل عليه بقوله: ﴿**يَسْتَهْزِئُونَ**﴾. قوله: ﴿**وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ**﴾ أي طريقتهم، والجملة مستأنفة. قوله: (**وهؤلاء مثلهم**) أي فانتظر ما ينزل بالمكذبين من العذاب.

قوله: ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ**﴾ أي على كفار مكة. قوله: ﴿**فَظَلُّوا**﴾ الضمير إما عائد على المشركين،

سدت ﴿أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥﴾ يخيل إلينا ذلك ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل، والعقرب والزهرة والثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر له السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿لِلنَّٰظِرِينَ ١٦﴾ ﴿وَحَفِظۡنَٰهَا﴾ بالشهب ﴿مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ١٧﴾ مرجوم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ﴾

والمعنى فتحنا باب السماء لهؤلاء المشركين، ولو صعدوا إلى السماء ورأوا عجائبها لقالوا إلخ، أو على الملائكة، والمعنى لو كشفنا عن أبصار الكفار، فرأوا باب السماء مفتوحاً، والملائكة تصعد منه، لما آمنوا. قوله: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد، قراءتان سبعيتان. قوله: **(سدت)** أي فيقال سكرت النهر، من باب قتل سدته، والسكر بالكسر ما يسد به، والمعنى بسد أبصارنا عن محسوساتنا المعتادة بتلك التخيلات. قوله: **﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾** إضراب انتقالي عما أفاده أولاً من خصوص سحر العين بالحصر، والمعنى أنهم يقولون: إنما سدت أبصارنا، فخيل لها أمر لا حقيقة له، ولم يتجاوزها لقلوبنا، ثم أضربوا عن ذلك، وجعلوا السحر واصلاً لقلوبهم. قوله: **﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَاءِ بُرُوجاً﴾** هذا من أدلة توحيده سبحانه وتعالى، والبروج جمع برج، والمراد منازل وطرق تسير فيها الكواكب السبعة. قوله: **(اثني عشر برجاً)** أي وقد جمعها بعضهم في قوله:

حمل الثور جوزة السرطان ورمى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدي نزح الدلو بركة الحيتان

قوله: **(وهي منازل الكواكب)** أي محل سيرها. قوله: **(المريخ)** بكسر الميم نجم في السماء الخامسة، وقد جمع الكواكب بعضهم في قوله:

زحل شرى مريخه من شمسه فتزاهرت لعطارد الأقمار

فزحل في السماء السابعة، والمشتري في السادسة، والمريخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزهرة في الثالثة، وعطارد في الثانية، والقمر في الأولى، وهي سماء الدنيا. قوله: **(والشمس ولها الأسد)** أي بيتها المنسوب لها، فلا ينافي أنها تسير في البروج كلها، المتقسمة لثمان وعشرين منزلة، لكل برج منزلتان وثلث، وتقطعها الشمس في سنة، والقمر في شهر، وقد جعل الله بهذه الكواكب، النفع في العالم السفلي، كالأكل والشرب، يوجد النفع عندها لا بها، فهي أسباب عادية. قوله: **﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ (بالكواكب)** أي جعلنا الكواكب زينة للسماء، وهل الكواكب في السماء الدنيا، أو ثوابت في العرش، قولان للعلماء. قوله: **﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾** أي المتأملين بأبصارهم وبصائرهم. قوله: **﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾** أي السماء. قوله: **﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾** أي وذلك لأن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السماوات، فيدخلونها ويأتون بأخبارها إلى الكهنة، فلما ولد عيسى، منعوا من ثلاث سماوات، ولما ولد سيدنا محمد ﷺ منعوا من السماوات كلها، ولما بعث رميت عليهم الشهب، فكانت تخطىء وتصيب، فلما عرج به ﷺ صارت لا تخطئهم أبداً.

خطفه ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١٨﴾ كوكب يضيء ويحرقه أو يثبه أو يخبله ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت لئلا تتحرك بأهلها ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ ﴿١٩﴾ معلوم مقدر ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ بالياء من الثمار والحبوب ﴿وَ﴾ جعلنا لكم ﴿مَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ من العبيد والدواب والأنعام فإنما يرزقهم الله ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ مفاتيح خزائنه ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿٢١﴾ على حسب

قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ استثناء منقطع، لأن ما قبل الاستثناء دخولهم السماء، وما بعده استراقهم من خارجها، والمعنى أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً، يريدون الاستراق، فتكون الشهب بالمرصاد لهم، كما صرحت به سورة الجن في قوله: ﴿وأنا كنا نقعد منها﴾ الخ. قوله: (**كوكب مضيء**) وقيل الشهاب، شعلة نار تنفصل من الكوكب، وهو الصحيح. قوله: (**أو يخبله**) أي يفسد أعضاؤه، فيصير غولاً في الوادي يضل الناس. قوله: ﴿**وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا**﴾ الأرض منصوب بفعل محذوف يفسره ﴿**مَدَدْنَاهَا**﴾. قوله: (**بسطناها**) أي على الماء. قوله: (**لئلا تتحرك بأهلها**) أي لأن الله لما خلقها وبسطها على الماء، تحركت واضطربت، فثبتها بالجبال الرواسي فسكنت. قوله: (**معلوم**) أي الله، فيعلم قدر ما يحتاج إليه الخلق في معاشهم. قوله: ﴿**مَعَايِشَ**﴾ جمع معيشة، وهي ما يعيش بها الإنسان، من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك. قوله: (**بالياء**) أي بإتفاق السبعة، لأنها في المفرد أصلية، فلا تقلب في الجمع همزة، بل تبقى على حالها، بخلاف المد الزائد في المفرد، فإنه يقلب همزة في الجمع، قال ابن مالك:

والمد زيد ثالثاً في الواحد همزاً يرى في مثل كالقلائد

وقرىء شذوذاً بالهمزة على التشبيه بشمائل. قوله: ﴿**وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ برازِقِينَ**﴾ مشى المفسر على أنه معطوف على ﴿**مَعَايِشَ**﴾ حيث قدر قوله جعلنا لكم. قوله: (**من العبيد**) أي والخدم وغيرهم، فأنتم تنتفعون بتلك الأشياء، ولستم برازقين لها، وإنما رزقها على خالقها. قوله: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ**﴾ كالدليل لقوله: ﴿**وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ**﴾ و ﴿**مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ**﴾ فهو إعلام بسعة فضله سبحانه وتعالى، قوله: ﴿**شَيْءٍ**﴾ نكرة في سياق النفي، فتعم كل شيء كان في الدنيا أو الآخرة، جليلاً أو حقيراً. قوله: ﴿**إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ**﴾ أي إلا يوجده الله، إذا تعلقت قدرته وإرادته به، ففي الكلام مجاز، حيث شبه سرعة إيجاده الأشياء بحصولها بالفعل، وجعلها في خزائن، والجامع بينهما سرعة الحصول في كل، فالمعنى بيده الأشياء كلها، خيرها وشرها، جليلها وحقيرها، فإذا أراد الله شيئاً حصل، فلا يطلب الإنسان من غيره بل بطلب المفاتيح ممن بيده الخزائن، والمفاتيح كناية عن التسهيل، فمن أراد الله له شيئاً أعطاه مفتاحه، بمعنى سهل أسبابه.

قوله: ﴿**إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾ أي فيسعد هذا ويشقى هذا، ويفقر هذا ويغنى هذا، على حسب ما قدره الله، إذا علمت ذلك، فالمناسب للمفسر أن يقول على حسب تقدير الله، فإن الله تعالى ليس مراده مقيداً بمصالح عباده، بل أفعاله على حسب ما أراده وعلمه، وإلا فنجد الكافر يطول عمره، وهو في فقر ومرض، ثم يختم له بالكفر ويكون في النار، فأي مصلحة في ذلك؟

المصالح ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ تلقح السحاب فيمتلىء ماء ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ السحاب ﴿مَآءً﴾ مطراً ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ أي ليست خزائنه بأيديكم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ الباقون نرث جميع الخلق ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ أي من تقدم من الخلق من لدن آدم ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾ بخلقه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدم ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ طين أسود ﴿مَّسْنُونٍ﴾ ﴿٢٦﴾

قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ﴾ جمع ريح، وهو جسم لطيف منبث في الجو سريع المرور. قوله: ﴿لَوَاقِحَ﴾ إما جمع ملقح من ألقح، وحينئذ فجمعه ملاقح، حذفت الميم تخفيفاً، أو جمع لاقح من لقح، يقال لقحت الريح إذا حملت الماء إلى السحاب، وأعلم أن الله سبحانه وتعالى، يرسل الرياح الأربعة لخدمة المطر، فريح الصبا تثير السحاب من ثمر شجرة في الجنة، وريح الشمال تجمعه، وريح الدبور تفرقه. قوله: **(تلقح السحاب)** أي تمج الماء فيه. قوله: **(السحاب)** أي فالمراد بالسماء كل ما علا وارتفع، ويصح أن يراد بالسماء حقيقتها، لأن أصل ماء المطر من السماء. قوله: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ الكاف مفعول أول، والهاء مفعول ثاني، والمعنى جعلناه سقياً لكم ولأرضكم ومواشيكم. قوله: **(أي ليست خزائنه بأيديكم)** أي بل خزائنه عند الله، فهو من مشمولات. قوله: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾.

قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي﴾ أي جميع الخلق، وإن حرف توكيد ونصب، ونا اسمها، وجملة ﴿نُحْيِي﴾ خبرها، وقوله: ﴿لَنَحْنُ﴾ ضمير منفصل توكيد لنا، لا ضمير فصل، لما تقدم أنه مردود بأن ضمير الفصل لا يقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك. قوله: ﴿وَنَحْنُ ٱلوَارِثُونَ﴾ الوارث في الأصل، هو الذي يأخذ المال بعد موت مورثه، ثم أطلق الإرث وأريد لازمه، وهو البقاء بعد فناء غيره، فإنه يلزم من أخذ الوراث مال الموروث بقاؤه بعد موت صاحبه، فهو سبحانه وتعالى وارث جميع الخلق بمعنى أنه يبقى بعد فنائهم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ أي علماً تفصيلياً، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. قوله: **(المتأخرين)** أشار بذلك إلى أن السين والتاء في المستقدمين والمستأخرين زائدتان، والمعنى أن عمله محيط بجميع خلقه، متقدمهم ومتأخرهم، طائعهم وعاصيهم، لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه. قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي يجمعهم للحساب، ثم بعد ذلك ينقسمون فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير. قوله: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ الصلصال بمعنى المصلصل، كالزلزال بمعنى المزلزل، ووزنه فعلال بتكرار اللام، فقلبت الأولى منها من جنس فاء الكلمة، والصلصال طور رابع من أطوار آدم الطينية، لأنه أولاً كان تراباً ثم عجن بأنواع المياه فصار طيناً، ثم ترك حتى أنتن واسود، فصار حمأ مسنوناً، ثم يبس بعد تصويره فصار صلصالاً، ثم نفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين سنة، أربعين وهو طين، وأربعين وهو حمأ مسنون، وأربعين وهو صلصال مصور، وهكذا أطوار أولاد آدم، تمكث النطفة في الرحم أربعين يوماً، ثم تصير علقة مثل ذلك، ثم تصير مضغة مثل ذلك، ثم تنفخ فيه الروح بعد مائة

متغير ﴿ وَٱلْجَآنَّ ﴾ أبا الجن وهو إبليس ﴿ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي قبل خلق آدم ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ ﴿٢٧﴾ هي نار لا دخان لها تنفذ في المسام ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أجريت ﴿ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ فصار حياً وإضافة، الروح إليه تشريف لآدم ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ فيه تأكيدان ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أَبَىٰٓ﴾ امتنع من ﴿أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ ﴾ ما منعك ﴿ أَلَّا ﴾ زائدة ﴿ تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة وقيل من

وعشرين يوماً. قوله: **(متغير)** أي من طول مكثه حتى يتخمر. قوله: **(أبا الجن وهو إبليس)** هذا أحد قولين، وقيل هو أبو الشياطين، فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد، والجان هو أبو الجن، وعلى هذا تكون الأصول ثلاثة: آدم وهو أبو البشر، وإبليس وهو أبو الشياطين، والجان وهو أبو الجن، وعلى ما مشى عليه المفسر يكونان أصلين فقط: آدم وإبليس. قوله: **(هي نار لا دخان لها)** أي ومنها تكون الصواعق. قوله: **(تنفذ في المسام)** أي تدخل فيها، للطف المسام وشدة حرارة النار، فإذا دخلت في الإنسان قتلته.

قوله: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ**﴾ ﴿**إِذْ**﴾ ظرف معمول لمحذوف، قدره المفسر بقوله: **(اذكر)** قوله: ﴿**مِنْ صَلْصَالٍ**﴾ ﴿**مِنَ**﴾ لابتداء الغاية. قوله: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ**﴾ أي صورته إنساناً كاملاً، معتدل الأعضاء والطبائع. قوله: ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**﴾ أي افضت عليه روحاً من الأرواح التي خلقتها، فصار بها حياً، وليس المراد النفخ حقيقة لاستحالته على الله. قوله: **(وإضافة الروح إليه)** أي كما يقال: بيت الله وناقة الله. قوله: ﴿**فَقَعُوا**﴾ الفاء واقعة في جواب إذا، وقعوا فعل أمر من وقع يقع، بمعنى سقط وخر. قوله: **(بالانحناء)** أي لا بوضع الجبهة، وهذا أحد قولين، وقيل المراد بالسجود حقيقته، وآدم كالقبلة، والسجود لله، أو يقال إن السجود لذات آدم، وقولهم السجود لغير الله كفر، محله في غير ما أمر الله به، وأما في مثل هذا، فالكفر في المخالفة . قوله: **(فيه تأكيدان)** أي للمبالغة وزيادة الاعتناء، فبالتأكيد الأول اندفع توهم المجاز، وبالثاني استفيد أنهم سجدوا جملة واحدة، قوله: **(كان بين الملائكة)** أشار بذلك إلى صحة الاستثناء، ثم هم يحتمل أن يكون منقطعاً، لأنه لم يكن منهم حقيقة أو متصلاً، باعتبار أنه كان متصفاً بصفاتهم، وقيل إنه منهم، والتحقيق خلافه. قوله: ﴿**أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾ استئناف مبين لكيفية عدم السجود.

قوله: ﴿**قَالَ**﴾ **(تعالى)**. إن قلت: إن مكالمة الله تعالى بدون واسطة شرف وتعظيم، وإبليس ليس من أهل ذلك. أجيب: بأن محل كونها شرفاً إن كانت على سبيل الإكرام، وأما كلام الله تعالى لإبليس، فهو على سبيل الإهانة والطرد، فلم يكن تشريفاً. قوله: **(ما منعك)** الخ، حمله على هذا التفسير قوله في الآية الأخرى﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ ولذا قال: ﴿**لاَ**﴾ **(زائدة)** ويصح أن تكون غير زائدة، والمعنى أي شيء ثبت لك في عدم كونك مع الساجدين. قوله: **(لا ينبغي لي)** أي لا يصح ولا يليق. قوله: ﴿**لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ**﴾ الخ، أي وخلقتني من نار فأنا خير منه، لأن النار جسم لطيف نوراني، والصلصال

السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ مطرود ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٣٥﴾ الجزاء ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ أي الناس ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ ﴿٣٨﴾ وقت النفخة الأولى ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي بإغوائك لي والباء للقسم وجوابه ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ أي المؤمنين ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾ وهو ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قوة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ الكافرين ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ أي من تبعك معك ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أطباق ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿مِنْهُمْ جُزْءٌ﴾ نصيب ﴿مَقْسُومٌ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ ﴿٤٥﴾ تجري فيها ويقال

جسم كثيف ظلماني، والنوراني خير من الظلماني، هذا وجه تكبره عن السجود، وادعائه الخيرية وهي مردودة، بأن آدم مركب من العناصر الأربع، بخلاف إبليس، وأيضاً فالفضل بيد الله يعطيه لمن يشاء.
قوله: **(وقيل من السماوات)** وهذا الخلاف مرتب على الخلاف في أن السجود لآدم، هل كان في الجنة أو خارجها، فمن قال بالأول، جعل الضمير في منها عائداً على الجنة، ومن قال بالثاني، جعله عائداً على السماوات.

قوله: **﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾** أي مرجوم، والرجم كما في القاموس: اللعن والشتم والطرد والهجران.
قوله: **﴿إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾** أي وبعد ذلك يزداد عذاباً على اللعنة التي هو فيها وقوله: **﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** قصد اللعين بذلك أنه لا يموت أبداً، لأنه إذا أمهل إلى يوم البعث، الذي هو يوم النفخة الثانية، فقد أمهل إلى الأبد، لانقطاع الموت حينئذ، وقصد أيضاً الفسحة في الأجل، لأجل الإغواء، فأجابه الله إلى الثانية دون الأولى. قوله: **(وقت النفخة الأولى)** أي فيموت في جملة الخلائق، ثم يبعث مع الناس، فمدة موته أربعون سنة، ولم يكن هذا الإمهال إكراماً له، بل إهانة وشقاوة ليزداد عذابه. قوله: **(والباء للقسم)** وقيل للسببية. قوله: **﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾** الضمير عائد على أولاد آدم، وإن لم يتقدم لهم ذكر للعلم بهم. قوله: **﴿الْمُخْلَصِينَ﴾** أي الذين أخلصوا في أعمالهم، فلا تسلط لي عليهم.

قوله: **﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾** أي هذا دين مستقيم لا اعوجاج فيه، فعليّ حفظه تفضلاً وإحساناً. قوله: **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾** حاصل ذلك، أن إبليس لما قال **﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾** أوهم بذلك أن له سلطاناً على غير المخلصين، فبين تعالى أنه ليس له سلطان على أحد من العباد، لا من المخلصين، ولا من غيرهم، بل من اتبعه، فهو من طرد الله لا من سلطنة إبليس، ويؤيده قوله في الآية الأخرى﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ وتقييد المفسر بالمؤمنين نظراً للصورة. قوله: **(لكن)** أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع. قوله: **﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾** أي وأعلاها جهنم، وهي لعصاة المؤمنين، ثم لظى لليهود، ثم الحطمة للنصارى، ثم السعير للصابئين، ثم سقر للمجوس، ثم الجحيم لعباد الوثن، ثم الهاوية للمنافقين.

قوله: **﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾** أي طبقة من أطباقها. قوله: **﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾** أي حزب معد لها. قوله: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾** أي الذين اتقوا الشرك، وهم المؤمنون ولو عصاة، لأن المتقي هو الآتي بالتقوى ولو مرة واحدة،

لهم ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ﴾ أي سالمين من كل مخوف أو مع سلام أي سلموا وادخلوا ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ من كل فزع ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾ حقد ﴿ إِخۡوَٰنًا ﴾ حال من هم ﴿ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ حال أيضاً أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم ﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا

غير أن العاصي، إذا مات مصراً على المعاصي تحت المشيئة، إن شاء الله عذبه مدة، ثم يعفو عنه بشفاعة النبي ﷺ، وإن شاء لم يعذبه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقال أبو هاشم الجبائي وجمهور المعتزلة: إن المتقين هم الذين اتقوا جميع المعاصي، فلا يثبت دخول الجنة، إلا لمن ترك جميع المعاصي، وهذا مذهب باطل، لمخالفته النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والذي يجب الإيمان به، أن الجنة تملك بالموت على كلمة التوحيد، ولو صحبها أمثال الجبال من المعاصي، غير أن أهل الجنة مراتب.

قوله: ﴿**وَعُيُونٍ**﴾ يحتمل أن المراد بها الأنهار التي قال فيها ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ الآية، ويحتمل أن تكون زيادة عليها، وهل كل مؤمن له عدة بساتين وعدة أنهار، أو كل له بستان ونهر، لمقابلة الجمع بالجمع. قوله: (**ويقال لهم**) أي إذا ارادوا الانتقال من محل إلى آخر، وإلا فهم مستقرون فيها، فأمرهم حينئذ بالدخول، تحصيل حاصل، والقائل يحتمل أن يكون الملائكة أو الله تعالى. قوله: ﴿**بِسَلَامٍ**﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الواو في ادخلوا، أي ادخلوها حال كونكم مصحوبين بسلامة من الله من جميع المخاوف والمكاره، وهذا على المعنى الأول الذي ذكره المفسر، ويقال على المعنى الثاني: ادخلوها مصحوبين بسلام من بعضكم لبعض، ومن الملائكة، أي يسلم بعضكم على بعض، وتسلم الملائكة عليكم. قوله: (**أي سلموا**) تفسير للمعنى الثاني.

قوله: ﴿**آمِنِينَ**﴾ قدر المفسر (**ادخلوا**) إشارة إلى أنه حال ثانية، وهي مرادفة للأولى، ولا حاجة لهذا التقدير. قوله: (**من كل فزع**) أي ومنه زوال ما هم فيه من النعيم المقيم، وقوله: ﴿**بِسَلَامٍ آمِنِينَ**﴾ زيادة في سرور أهل الجنة، لأن النعيم إذا لوحظ فيه عدم الانقطاع، كان في غاية السرور، ولا شك أن الجنة كذلك، بخلاف الدنيا، فإن نعيمها ملاحظ فيه الانقطاع عند حصوله، فلذلك كانت دارهم وغم. قوله: ﴿**مِنْ غِلٍّ**﴾ الغل هو من أمراض القلب، كالحسد والكبر والعجب والشحناء والبغضاء، روي أن المؤمنين يوقفون على باب الجنة وقفة، فيقتص بعضهم من بعض، ثم يؤمر بهم إلى الجنة، وقد نقى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد، فهم يحبون بعضهم بحبهم لربهم، وشأن المحب أن لا يكون لمحبوبه غل في قلبه، بل بينهم الصفاء والوفاء. قوله: (**حال من هم**) أي من ضمير صدورهم المضاف إليه، والشرط موجود، لأن المضاف جزء المضاف إليه، أو المعنى: ونزعنا ما في صدورهم من غل، حال كونهم متآخين في المودة والمحبة.

قوله: ﴿**عَلَى سُرُرٍ**﴾ جمع سرير وهو كما قال ابن عباس: من ذهب مكلل بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير مثل ما بين صنعاء إلى الجابية. قوله: (**حال أيضاً**) أي من الضمير في ﴿**إِخْوَاناً**﴾. قوله: (**لدوران الأسرة بهم**) أي أنهم إذا اجتمعوا وتلاقوا، ثم أرادوا الانصراف، يدور سرير كل واحد منهم، بحيث يبقى مقابلاً بوجهه لمن كان عنده، وقفاه إلى الجهة التي يسير لها السرير، وهذا أبلغ في الأنس والإكرام. قوله: ﴿**لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ**﴾ أي إعياء بخلاف الدنيا، ففيها الاعياء والتعب

نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ أبداً ﴿نَبِّئْ﴾ خبر يا محمد ﴿عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ بهم ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ المؤلم ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ خائفون ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾ تخف ﴿إِنَّا﴾ رسل بك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ ذي

والكدرات والمشقات. قوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أي بل هم خالدون فيها، لا يزالون ولا يحولون، فالجنة بلا زوال، وبقاء بلا فناء، وكمال بلا نقصان.

قوله: ﴿نبِّىء عِبَادِي﴾ الخ، أي أخبر يا محمد عبادي المؤمنين العاصين، بأني أنا الغفور الرحيم فلا يقنطون من رحمتي، ولا يخافون عذابي. وهذا من الله تعطف لعباده واستجلابهم للتوبة. وقد أكد هذه الجملة بألفاظ ثلاثة: أولها ﴿أنِّي﴾ وثانيها ﴿أنَا﴾، وثالثها تعريف الجملة بأل. ولما ذكر العذاب لم يقل وإني أنا المعذب، وهذا يدل على أن الرحمة تغلب الغضب، فلا يستبعد العاصي رحمة الله، بل يقبل على سيده بالتوبة والإنابة، فإنه هو الغفور الرحيم، فمتى كان في العبد أوصاف متعددة، تقتضي الغضب، ووصف واحد يقتضي الرحمة، فإن وصف الرحمة يغلب.

قوله: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ أي بهذه الآية لمناسبة ذكر النار أولاً، فقد ذكر النار والجنة ثم ذكر ما يناسب كلاً على سبيل اللف والنشر المشوش، واستفيد من هذه الآية، أن العبد يكون بين الرجاء والخوف، ففي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال «لو يعلم العبد قدر عفو الله، ما تورع عن حرام، ولو يعلم قدر عذابه، لجمع نفسه إلى قتله». وعنه ﷺ أنه مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال: أتضحكون وبين أيديكم النار؟ فنزل ﴿نبِّىء عِبَادِي﴾ الخ.

قوله: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ معطوف على قوله: ﴿نبِّىء عِبَادِي﴾ الخ، والمعنى وأخبر عبادي عن قصة ضيوف إبراهيم الخ، واعلم أنه في هذه السورة، أثبت نبوة سيدنا محمد ﷺ أولاً، ثم أتبع ذلك بذكر أدلة التوحيد، ثم خلق آدم وما يتعلق به، ثم بين أهل السعادة وأهل الشقاوة، ثم أتبع ذلك بذكر قصص بعض الأنبياء، ليكون عبرة للمعتبرين، وأوقع في نفسه المتعظين، وقد ذكر هنا أربع قصص: قصة إبراهيم، ثم قصة لوط، ثم قصة شعيب، ثم صالح على سبيل الاختصار وقد تقدمت في سورة هود بأبسط مما هنا. قوله: ﴿عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الضيف في الأصل الميل، سمي النازل للقرى بذلك، لميله إليك ونزوله عندك، وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وقد يجمع ويثنى. قوله: (منهم جبريل) أي على كل من الأقوال الثلاثة.

قوله: ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ ﴿إذْ﴾ ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر. قوله: (أي هذا اللفظ) أي لفظ ﴿سَلاماً﴾ وهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره سلمنا عليك، أو سلم الله عليك سلاماً، ولم يذكر هنا رد السلام، ولا بقية القصة اختصاراً. قوله: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ تقدم أن سبب خوفه منهم، أنه رأى فيهم جلال الله وهيبته. قوله: ﴿قَالُوا لاَ تَوْجَلْ﴾ قرأ السبعة بفتح التاء والجيم، وفعله وجل كعلم،

علم كثير هو إسحق كما ذكر في هود ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ حال أي مع مسه إياي ﴿فَبِمَ﴾ فبأي شيء ﴿تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ استفهام تعجب ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾ الآيسين ﴿قَالَ وَمَن﴾ أي لا ﴿يَقْنَطُ﴾ بكسر النون وفتحها ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ الكافرون ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ كافرين أي قوم لوط لإهلاكهم ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾﴾ لإيمانهم ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ الباقين في العذاب لكفرها ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ أي لوط ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾﴾ ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ لا أعرفكم ﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟﴾ أي قومك ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ يشكون وهو العذاب ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ

وقرىء شذوذاً بالبناء للمفعول، ولا تأجل بقلب الواو ألفاً، ولا تؤاجل بضم التاء وزيادة ألف بعد الواو، فالقراءات الشاذة ثلاث. قوله: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ هكذا بهمزة الاستفهام في قراءة الجمهور، وقرىء شذوذاً بحذفها، فيحتمل الإخبار والاستفهام، وحذفت أداته للعلم بها. قوله: ﴿عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي فكان عمره إذ ذاك مائة واثنتي عشرة سنة.

قوله: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونِ﴾ الجار والمجرور متعلق بتبشرون، وقدم لأن الاستفهام له صدر الكلام، وقرأ العامة بفتح النون مخففة على أنها نون الرفع، وقرأ نافع بكسرها مخففة، وابن كثير بكسرها مشددة. قوله: (**استفهام تعجب**) أي من أن يولد له ولد مع مس الكبر إياه، وتعجبه بالنظر للعادة لا بالنظر لقدرة الله تعالى، ولذا دفع ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّون﴾. قوله: ﴿قَالُو بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي اليقين الذي لا لبس فيه. قوله: (**أي لا**) ﴿يَقْنَطُ﴾ أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: (**بكسر النون وفتحها**) أي فهما قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بضم النون.

قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة فإن البشارة يكفي فيها واحد، فلا تحتاج لعدد. قوله: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ يحتمل أن يكون مستثنى من الأرسال، والمعنى إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين، إلا آل لوط، فلم نرسل لهلاكهم، بل أرسلنا لنجاتهم، وحينئذ يكون الاستثناء متصلاً، أو مستثنى من قوم مجرمين، فهو منقطع، لأنهم لم يدخلوا في القوم المجرمين، ويشير للثاني قول المفسر لإيمانهم.

قوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ﴾ الأقرب أنه مستثنى من ضمير منجوهم. قوله: ﴿قَدَّرْنَا﴾ إسناد التقدير للملائكة مجاز، إذ المقدر حقيقة هو الله تعالى، وهذا كما يقول خواص الملك: أمرنا بكذا، والآمر هو الملك. قوله: (**الباقين في العذاب**) أي فيقال غبر الشيء بقي، ويقال أيضاً مضى، فهو من الأضداد. قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ أي بعد أن خرجوا من عند إبراهيم، وسافروا لقرية لوط، وكان بينهما أربعة فراسخ. قوله: (**أي لوطاً**) أشار بذلك إلى أن لفظة آل زائدة، بدليل الآية الأخرى ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً﴾. قوله: ﴿مُنْكَرُونَ﴾ أي تنكركم نفسي وتجزع منكم، وإنما جزع منهم، لخوفه من قومه عليهم، بدليل آية هود ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب﴾. قوله: ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الباء للملابسة أي متلبسين بالحق.

وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ في قولنا ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ امش خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ وهو الشام ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ وهو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ حال أي يتم استئصالهم في الصباح ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ مدينة سذوم وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط مرداً حساناً وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ حال طمعاً في فعل الفاحشة بهم ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ ﴿٦٩﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٧٠﴾ عن إضافتهم ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ ﴿٧١﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أي وحياتك ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ يترددون ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ وقت شروق الشمس ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا ﴾ أي قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ ﴿٧٤﴾ طين طبخ بالنار ﴿إِنَّ فِى

قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أي وهم بنتاه، فلم يخرج من قريته إلا هو وبنتاه. قوله: ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي جزء منه. قوله: (امش خلفهم) أي لتطمئن عليهم. قوله: (لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم) أي فينزعج من ذلك. قوله: (وهو الشام) أي فطوى الله لهم الأرض في الوقت حتى نجوا، ووصلوا إلى إبراهيم. قوله: (أوحينا) أشار بذلك إلى أن ﴿قَضَيْنَا﴾ ضمن معنى (أوحينا) فعدي بما تعدى به.

قوله: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ الواو لا تقضي ترتيباً ولا تعقيباً، فإن هذا المجيء قبل إعلام الملائكة له بأنهم رسل الله، فالقصة هنا على خلاف الترتيب الواقعي، بخلافها في هود. قوله: (مدينة سذوم) بالسين المهملة والذال المعجمة، وأخطأ من قال بالمهملة. قوله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي يبشر بعضهم بعضاً بأضياف لوط، وتقدم أن المخبر لهم بالضيوف امرأة لوط. قوله: ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ أي لا تسيئوني فيهم. قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي خافوا عقابه. قوله: ﴿عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي عن تضييف أحد من الغرباء، وكانوا يمنعونه من مخالطة الناس وإضافتهم، خوفاً من أن يؤلفهم ويستعين بهم عليهم. قوله: (فتزوجوهن) أي إن أسلمتم، ويحتمل أنه كان في شريعته، يحل تزوج الكافر بالمسلمة، وتقدم في هود أنه يحتمل أن المراد نساء أمته.

قوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ بفتح العين لغة في العمر بضمتين، وهو مدة حياة الإنسان في الدنيا، ولكن لم يرد القسم في كلام العرب إلا بالفتح. قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي قوم لوط، وقيل المراد قريش، وعلى كل حال فهذه الجملة معترضة بين قصة قوم لوط. قوله: (أي وقت شروق الشمس) أي طلوعها، وهذا بيان لانتهاء العذاب، وابتداؤه كان وقت الصباح.

قوله: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ أي وجه الأرض وما عليه. قوله: (أي قراهم) أي وكانت أربعة، فيها أربعمائة ألف مقاتل، وقيل خمسة وفيها أربعة آلاف ألف، قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ تقدم في هود أنه يحتمل أن المطر كان على من كان غائباً عن القرى، ويحتمل أنه عليهم بعد قلبها بهم. قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾

ذَالِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَٰتٍ﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴾﴿٧٥﴾ للناظرين المعتبرين ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي قرى قوم لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾﴿٧٦﴾ طريق قريش إلى الشام لم تندرس، أفلا يعتبرون بهم ﴿إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾﴿٧٧﴾ ﴿وَإِن﴾ مخففة أي إنه ﴿كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ هي غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب ﴿لَظَٰلِمِينَ﴾﴿٧٨﴾ بتكذيبهم شعيباً ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي قرى قوم لوط والأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ﴾ طريق ﴿مُّبِينٍ﴾﴿٧٩﴾ واضح، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ﴾ واد بين المدينة والشام وهم ثمود ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾﴿٨٠﴾ بتكذيبهم صالحاً لأنه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ في الناقة ﴿فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾﴿٨١﴾ لا يتفكرون فيها ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾﴿٨٢﴾ ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ﴾﴿٨٣﴾ وقت الصباح ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾ دفع

(المذكور) أي من قصة إبراهيم ولوط. قوله: ﴿**لِلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾ أي المتفكرين الذين يتأملون الشيء فيعرفون حقيقته. قوله: **(لم تندرس)** أي آثارهم. قوله: **(لعبرة)** ﴿**لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك.

قوله: ﴿**وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ**﴾ شروع في ذكر قصة شعيب مع قومه أصحاب الأيكة، وذكرت هنا مختصرة، وسيأتي بسطها في سورة الشعراء. قوله: **(مخففة)** أي واسمها ضمير الشأن، و﴿**كَانَ**﴾ ناقصة، و﴿**أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ**﴾ اسمها، و﴿**لَظَالِمِينَ**﴾ خبرها، واللام للتوكيد، والجملة خبر ﴿**إِنَّ**﴾. قوله: **(هي غيضة شجر)** الغيضة في الأصل اسم للشجر الملتف، والمراد بها هنا، المكان الذي فيه الشجر الكثير، ونسبوا لها لملازمتهم لها وإقامتهم عندها، وكان عامة شجرهم المقل أي الدوم. قوله: **(بتكذيبهم شعيباً)** أي وبخسهم الكيل والميزان وقطعهم الطريق. قوله: **(بشدة الحر)** أي فسلطها الله عليهم سبعة أيام، حتى قربوا من الهلاك، فبعث الله لهم سحابة كالظلة، فالتجؤوا إليها، واجتمعوا تحتها للتظلل بها، فبعث الله عليهم منها ناراً فأحرقتهم جميعاً، فإهلاكهم أولاً بشدة الحر، ثم بالظلة، وأما أهل مدين، فأهلكوا بالصيحة، كما تقدم في سورة هود، من أنه أرسل لأهل مدين ولأصحاب الأيكة. قوله: **(طريق)** ﴿**مُبِينٍ**﴾ أي وسمي الطريق إماماً، لأنه يؤم ويتبع، لأن الإنسان إذا أراد الانتقال من موضع لآخر، فإنه يأتم بالطريق حتى يصل إلى الموضع الذي يريده.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ**﴾ شروع في قصة صالح. قوله: **(واد بين المدينة والشام)** أي وآثاره باقية، يمر عليها الذاهب من الشام للحجاز. قوله: **(لأنه تكذيب لباقي الرسل)** جواب عما يقال: لم جمع المرسلين مع أنهم لم يكذبوا إلا رسولاً واحداً. قوله: ﴿**وَآتَيْنَاهُمْ**﴾ أضاف الايتاء لهم، وإن كان لصالح لأنه مرسل لهم. قوله: **(في الناقة)** أشار بذلك إلى أن الناقة، وإن كانت آية واحدة، إلا أنها اشتملت على آيات، كخروجها من الصخرة، وعظم جثتها، وغزارة لبنها، وولادتها فصيلاً قدرها. قوله: **(لا يتفكرون)** أي لا يتأملون ولا ينظرون فيها.

قوله: ﴿**وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً**﴾ أي ينقرون الجبال بالمعاويل، حتى تصير بيوتاً من غير

﴿عَنۡهُم﴾ العذاب ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ﴾ لا محالة فيجازي كل أحد بعمله ﴿فَٱصۡفَحِ﴾ يا محمد عن قومك ﴿ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ ﴿٨٥﴾ أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه وهذا منسوخ بآية السيف ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ لك شيء ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ ﴿٨٦﴾ بكل شيء ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ قال ﷺ هي الفاتحة رواه الشيخان لأنها تثنى في كل ركعة ﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿لَا

بنيان. قوله: ﴿آمِنِينَ﴾ أي من وصول اللصوص لهم، ومن تخريب الأعداء لبيوتهم لشدة اتقانها. قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ أي من السماء، والزلزلة من الأرض، لما عقروا الناقة، وتقدم في هود، أن صالحاً قال لهم قبل نزول العذاب بهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام. قوله: **(وقت الصباح)** أي بعد مضي الثلاثة الأيام. قوله: ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿مَا﴾ اسم موصول أو مصدرية أو نكره موصوفة فاعل أغنى؛ والتقدير الذي كانو يكسبونه أو كسبهم أو شيء يكسبونه. قوله: **(من بناء الحصون)** الخ، بيان لما.

قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي خلقاً ملتبساً بالحكمة والمصلحة والمنافع للعباد، ودلائل على وحدانية الله. قوله: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ﴾ أي القيامة. قوله: **(فيجازي كل واحد بعمله)** أي فينتقم من المسيء، وينعم على المحسن. قوله: **(وهذا منسوخ)** أي قوله: فاصفح الصفح الجميل، وهو أحد قولين، والثاني أن الآية محكمة، ولا ينافي أمره بالقتال، فإن المقصود أمره بأن يصفح عن الخلق الصفح الجميل، ويعاملهم بالخلق الحسن، فيعفو عن المسيء، ويسامح المذنب، وإن كان مأموراً بقتال المشركين، فقتاله للأمر به لا لهوى نفسه، ولذا قال البوصيري:

ولو أن انتقامه لهوى النفـ ـس لدامت قطيعة وجفاء

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾ سبب نزولها أن سبع قوافل، أتت من بصرى وأذرعات في يوم واحد، ليهود قريظة والنضير، فيها أنواع من البز والطيب والجواهر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقربنا بها، وأنفقناها في سبيل الله فنزلت، والمعنى قد أعطيتكم سبع آيات، خير لكم من سبع قوافل. إن قلت: إن مقتضى ذلك، أن تكون الآية مدنية، مع أنه تقدم أن السورة مكية بإجماع. أجيب: بأنه لا مانع أن هذه الآية نزلت مرتين، مرة بمكة مرة بالمدينة. قوله: **(هي الفاتحة)** أي لأنها سبع آيات، فمن عد البسملة آية منها، تكون الآية الأخيرة. ﴿صراط الذين﴾ الخ، ومن لم يعدها آية، تكون السابعة قوله: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، وهذا القول هو الراجح، وعليه فيكون عطف قوله: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ من عطف الكل على الجزء، أو من عطف العام على الخاص، وقيل المراد بالسبع المثاني الحواميم، وقيل السبع الطوال أولها البقرة، وآخرها مجموع الأنفال مع براءة، وقيل جميع القرآن، وعليه يكون العطف مرادفاً. قوله: **(لأنها تثنى في كل ركعة)** أي تعاد في كل ركعة، وهذا أحد الوجوه في سبب تسميتها بالمثاني، وقيل سميت بذلك، لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين، فنصفها الأول ثناء على الله، ونصفها الثاني دعاء، وقيل لأن كلماتها مثناة مثل قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ ﴿إيّاك نعبد وإياك نستعين﴾ إلى آخرها، وقيل لأنها نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة، معها سبعون ألف ملك.

تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا ﴾ أصنافاً ﴿مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ ألن جانبك ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينـزل بكم ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ ﴿٨٩﴾ البين الإنـذار ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا﴾ العـذاب ﴿ عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴾ ﴿٩٠﴾ اليهود والنصـارى ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي كتبهم المنزلة عليهم ﴿عِضِينَ ﴾ ﴿٩١﴾ أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإسلام، وقال بعضهم: في القرآن سحر، وبعضهم: كهانة، وبعضهم: شعر ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ سؤال

قوله: ﴿**لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ**﴾ أي لا ترغب فيما متعنا به أصنافاً من الكفـار، فإنـه مستحقر، وفي الحديث عن أبي بكر قال: قال رسول الله ﷺ «من أوتي القرآن، فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي، فقد صغر عظيماً، وعظم صغيراً». قوله: ﴿**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**﴾ أي لأجلهم. قوله: (**ألن جانبك**) أي تواضع لهم وارحمهم، كالطائر الذي يخفض جناحه على أفراخه، رحمة بها وشفقة عليها، وقد فعل ﷺ ما أمر به، قال البوصيري في هذا المعنى:

أحـل أمتـه في حـرز ملتـه كـالليث حـل مـع الأشبـال في أجم

قوله: ﴿**كَمَا أَنْزَلْنَا**﴾ الكاف حرف تشبيه وجر، وما اسم موصول في محل جر، والجار والمجرور متعلق بمحذوف، والتقدير: وقل: إني أنا النذير لكم بالعذاب، كالعذاب الذي أنزلناه على المقتسمين والماضي بمعنى المستقبل، إذ الذي نزل بأهل مكة لم يكن واقعاً حين نزول الآية، بل وقع بعد الهجرة، وكذا ما وقع للمقتسمين طرق مكة لم يكن واقعاً حينئذ، بل وقع يوم بدر. إن قلت: إن العذاب المنذر، ينبغي تشبيهه بشيء قد وقع ليحصل به الاتعاظ. أجيب: بأنه سهل ذلك تحتم نزوله، فكأنه واقع ولا بد، وقد تحقق ذلك يوم بدر. قوله: (**اليهود والنصارى**) أي حيث اقتسموا كتبهم، فآمنوا ببعضها الذي وافق هواهم، وكفروا بالبعض الذي خالفه.

قوله: ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا**﴾ بيان للمقتسمين. قوله: ﴿**الْقُرْآنَ**﴾ المـراد به عـلى هذا التفسـير معناه اللغوي، فحينئذ صح تفسير المفسر له بكتبهم المنزلة عليهم. قوله: ﴿**عِضِينَ**﴾ جمع عضة، وأصلها قيل عضو، وقيل عضة، فعلى الأولى يكون: من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء، أي أجزاء متفرقة. وعلى الثاني يكون: من عضه إذا كذب، والمعنى جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، أو جعلوه أكاذيب. قوله: (**وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة**) أي وهم ستة عشر رجلاً، بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم، فاقتسموا أعتاب مكة وأنقابها وفجاجها ويقولون لمن سلكها: لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعي النبوة، فإنه مجنون، وربما قالوا ساحر، وربما قالوا شاعر، وربما قالوا كاهن، وسموا المقتسمين لأنهم اقتسموا هذه الطرق، فأماتهم الله شر ميتة، وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكماً على باب المسجد، فإذا سألوه عن النبي ﷺ قال: صدق أولئك، وما ذكره المفسر قولان من سبعة ذكرها القرطبي. قوله: (**وقال بعضهم**) معطوف على اقتسموا، فالضمير في بعضهم عائد على الذين اقتسموا، وهو إشارة إلى أن المراد بالقرآن على هذا القول، الكتاب المنزل على سيدنا محمد فجعلوه أجزاء، وحيث اختلفت أقوالهم فيه، فقال بعضهم سحر، وبعضهم كهانة، أو المراد جعلوه أكاذيب فلم يؤمنوا به. قوله: (**سؤال توبيخ**) جواب عما يقال:

توبيخ ﴿ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿ فَٱصۡدَعۡ ﴾ يا محمد ﴿بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ أي أجهر به وأمضه ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ ﴿٩٤﴾ هذا قبل الأمر بالجهاد ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ ﴿٩٥﴾ بك بإهلاكنا كلا منهم بآفة وهم: الوليد بنُ المغيرة، والعاصي بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ صفة وقيل مبتدأ، ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره، وهو ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ عاقبة أمرهم ﴿ وَلَقَدۡ ﴾ للتحقيق

إنه أثبت سؤالهم هنا، ونفاه في سورة الرحمن حيث قال ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ فحاصل الجواب: أن المنفي هناك سؤال الإكرام والاحترام، والمثبت هنا سؤال التوبيخ والتقريع.

قوله: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾ سبب نزولها: أن رسول الله أول أمره، كان يدعو إلى الله مختفياً، ويأمر كل من آمن به بالاختفاء، فلما نزلت هذه الآية، أظهر أمره وبالغ في إظهاره. قوله: (**هذا قبل الأمر بالجهاد**) أي فتكون الآية منسوخة، وقيل ليست منسوخة بل هي محكمة، والمعنى لا تلتفت لهم ولا تبال بهم. قوله: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ أي وهم جماعة من قومه، كانوا يسخرون به ويبالغون في إيذائه، وإنما عجلت لهؤلاء العقوبة، لشدة إيذائهم لرسول الله وبغضهم له، وإلا فالمستهزئون كثير، كأبي لهب وزوجته وولده، وأبي جهل. قوله: (**وهم الوليد بن المغيرة**) أي وقد مر برجل نبال وهو يجر إزاره، فتعلقت قطعة من النبل بإزار الوليد، فمنعه الكبر أن يطاطىء رأسه وينزعها، فجعلت تضرب في ساقه فخدشته، فمرض منها فمات، وقوله: (**والعاصي بن وائل**) خرج على راحلته يتنزه، فدخل شعباً فدخلت شوكة في أخمص رجله، فانتفخت حتى صارت مثل عنق البعير، فمات مكانه، وقوله: (**وعدي بن قيس**) الصواب الحرث بن قيس بن الطلاطلة، كما ذكره في الهمزية وشراحها، والخازن وغيره من كتب التفسير، وقد هلك بأن صار القيح يجري من أنفه وعينه وفمه حتى مات، وقوله: (**والأسود بن المطلب**) رماه جبريل بورقة خضراء، فذهب بصره ووجعت عينه، فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك، وقوله: (**والأسود بن عبد يغوث**) أصابه مرض الاستسقاء فمات به، وقيل إن النبي شكا هؤلاء الخمسة لجبريل عليه السلام، فكفاه الله شرهم، وقد أجاد صاحب الهمزية حيث قال في حقهم:

كفاه المستهزئين وكم سا ... ء نبياً من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء الـ ... ـبيت فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم اصيبوا بداء ... والردى من جنوده الأدواء
فدهى الأسود بن المطلب ... أي عمى ميت به الأحياء
ودهى الأسود بن عبد يغوث ... أن سقاه كاس الردى استسقاء
واصاب الوليد خدشة سهم ... قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا ... ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحرث القيوح وقد سا ... ل بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الأر ... ض فكف الأذى بهم شلاء

قوله: ﴿**الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ**﴾ أي يشركون في عبادته غيره. قوله: ﴿**فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾

﴿ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ﴿٩٧﴾ من الاستهزاء والتكذيب ﴿فَسَبِّحْ﴾ متلبساً ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أي قل سبحان الله وبحمده ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ﴿٩٨﴾ المصلين ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ ﴿٩٩﴾ الموت.

هذا تهديد ووعيد لهم. قوله: ﴿**بِمَا يَقُولُونَ**﴾ أي بسبب قولهم وتكلمهم في شأنك، فإن شأن ذلك، يضيق منه الصدر بحسب الطبيعة البشرية. قوله: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾ أي فافزع إلى ربك والتجىء إليه، يكفك ما يهمك من أمور الدنيا والآخرة، ففي الحديث «اعمل لوجه واحد يكفك كل الأوجه». قوله: (**أي قل سبحان الله وبحمده**) أي تنزيهاً له عن كل نقص، واتصافاً له بكل كمال. قوله: (**المصلين**) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه مجاز، من إطلاق الجزء على الكل، وخص السجود بالذكر، لأنه أشرف أركانها. قوله: ﴿**وَٱعْبُدْ رَبَّكَ**﴾ عطف عام على خاص، والمعنى دم على عبادته. قوله: ﴿**حَتَّى يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ**﴾ أي أعبد ربك في جميع زمن حياتك، ولا تخل لحظة من عمرك من غير عبادة، فإن العمر ساعة فاجعله طاعة، وهذا الخطاب وإن كان للنبي، إلا أن المراد منه العموم. قوله: (**الموت**) أي وسمي يقيناً، لأنه متيقن الوقوع والنزول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النَّحْلِ

مكيّة

إلا ﴿وإن عاقبتم﴾ إلى آخرها. وهي مائة وثمان وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ لما استبطأ المشركون العذاب نزل ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي الساعة وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه أي قرب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ تطلبوه قبل حينه فإنه واقع لا محالة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النحل مكية

إلا ﴿وإن عاقبتم﴾ إلى آخرها. وهي مائة وثمان وعشرون آية

سميت بذلك، لذكر قصة النحل فيها، على سبيل العبرة العظيمة، وتسمى أيضاً سورة النعم، لكثرة تعداد النعم فيها، والمقصود من ذكر هذه السورة، الدلالة على اتصافه تعالى بكل كمال، وتنزيهه عن كل نقص، وأدل ما فيها على هذا المعنى، أمر النحلة وشأنها في دقة فهمها واتخاذها البيت، واختلاف ألوان ما يخرج منها، وجعله شفاء، مع أكلها من كل الثمرات النافعة والضارة، الحلوة والمرة، وغير ذلك. قوله: (**إلا وإن عاقبتم**) فإنها نزلت بالمدينة في قتل الحمزة، وظاهر المفسر أنه لم يكن منها مدني إلا تلك الآيات وهو المشهور، وقيل مكية إلا خمس آيات، هؤلاء الثلاثة، وقوله: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا﴾، وقوله: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا)، وقيل غير ذلك. قوله: (**لما استبطأ المشركون العذاب**) الخ، قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا الرجل يزعم أن القيامة قد قربت، فأمسكوا عن بعض ما كنتم عليه، حتى تنظروا ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نرى شيئاً، فنزل ﴿اقترب للناس حسابهم فأشفقوا﴾، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به، فنزل ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ فوثب النبي ﷺ، ورفع الناس رؤوسهم، وظنوا أنها قد جاءت حقيقة فنزل ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنوا. قوله: (**أي الساعة**) مشى المفسر على أن المراد بأمر الله القيامة، وهو أحد قولين، وقيل المراد بأمر الله، عقوبة المكذبين في الدنيا بالسيف. قوله: (**وأتى بصيغة الماضي**) أي على سبيل المجاز، ففي الكلام استعارة تبعية، حيث شبه الإتيان في المستقبل، بالإتيان في الماضي، بجامع تحقق الحصول في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الإتيان في الماضي أتى بمعنى يأتي. قوله: (**فإنه واقع لا محالة**) أي ولا مفر لكم

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ① به غيره ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ أي جبريل ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بالوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ بإرادته ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ وهم الأنبياء ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنذِرُوٓا۟﴾ خوفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ ② خافون ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي محقاً ﴿تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ③ به من الأصنام ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني إلى أن صيره قوياً شديداً ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة ﴿مُّبِينٌ﴾ ④ بينها في نفي البعث قائلاً من يحيي العظام وهي رميم ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ﴾ الإبل والبقر والغنم ونصبه بفعل مقدر يفسره ﴿خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ﴾ من جملة الناس ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها ﴿وَمَنَـٰفِعُ﴾ من النسل والدر والركوب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ⑤ قدم الظرف للفاصلة ﴿وَلَكُمْ

منه. قوله: ﴿**عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ تنازعه كل من سبحانه وتعالى، وقوله: (**غيره**) قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿**يُشْرِكُونَ**﴾ محذوف. قوله: (**أي جبريل**) أي وجمع تعظيماً له. قوله: (**بالوحي**) أي وسمي روحاً، لأن به حياة القلوب، الناشيء عنه السعادة الأبدية، ومن حاد عنها فهو هـالك، كما أن الروح بها حياة الأجسام، وهي بدونها هالكة. قوله: (**بإرادته**) أشار بذلك إلى أن المراد بالأمر الإرادة، ومن بمعنى الباء. قوله: ﴿**أَنْ**﴾ (**مفسرة**) أي وضابطها تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله: ﴿**يُنَزِّلُ ٱلْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ**﴾. قوله: (**خوّفوا الكافرين**) أي بعد إعلامهم بالتوحيد. قوله: (**بالعذاب**) قدره إشـارة إلى معمول الإنذار محذوف، وقوله: ﴿**أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: (**وأعلموهم**). قوله: ﴿**فَاتَّقُونِ**﴾ أي امتثلوا أوامري واجتنبوا نواهيّ، ففيه تنبيه على الأحكام الفرعية، بعد التنبيه على التوحيد. قوله: (**أي محقاً**) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور، في محل نصب على الحال. قوله: ﴿**تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ أي تنزه عن إشراكهم به غيره. قوله: ﴿**خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ**﴾ أي غير آدم. قوله: ﴿**مِنْ نُطْفَةٍ**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ لابتداء الغاية، وقوله: (**إلى أن صيره قوياً شديداً**) قدره جواباً عما يقال: إن كونه خصيماً مبيناً لا يكون عقب خلقه من نطفة، بل بعد قوته وشدته. قوله: (**في نفي البعث**) في للسببية، والمعنى أنه يخاصم ويجادل، بسبب كونه منكراً لبعث. قوله: (**قائلاً من يحيي العظام**) الخ، أشار بذلك إلى ما روي أن أبي بن خلف، جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أتظن أن الله يحيي هذا بعدما رم؟ قال ﷺ: «نعم»، ففي هذه الآية رد على هذا الكافر، ومن حذا حذوه.

قوله: ﴿**وَٱلْأَنْعَامَ خَلَقَهَا**﴾ هذا من جملة أدلة توحيده وتعداد نعمه، وذلك أن الله تعالى لما ذكر خلق السماوات والأرض، أتبعه بذكر خلق الإنسان، ثم بذكر ما يحتاج إليه في ضروراته من أكل ولبس، فذكر الأنعام التي يكون منها ذلك. قوله: (**في جملة النـاس**) أشار بذلك إلى أن الخطاب في ﴿**لَكُمْ**﴾ لقريش، ولو حمل على العموم، كما هو الواقع لاستغنى عن ذلك. قوله: ﴿**فِيهَا دِفْءٌ**﴾ هو بوزن حمل، يطلق على كل ما يستدفأ به، من ملبوس ومأكول. قوله: (**وأصوافها**) أي وأوبارها. قوله: ﴿**وَمَنَافِعُ**﴾ عطف عام على خاص. قوله: (**والدر**) أي اللبن، قوله: (**والركوب**) أي بالنسبة للمجموع. قوله: (**للفاصلة**) أي لا للحصر، فإن الإنسان قد يأكل من غيرها، وليس منهياً عنه، قال تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾.

﴿فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردونها إلى مراحها بالعشي ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ﴿٦﴾ تخرجونها إلى المرعى بالغداة ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ بجهدها ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ بكم حيث خلقها لكم ﴿وَ﴾ خلق ﴿الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ مفعول له، والتعليل بهما لتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا﴾ أي السبيل ﴿جَائِرٌ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَاكُمْ﴾ إلى قصد السبيل ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩﴾ فتهتدون إليه

قوله: ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا**﴾ أي الأنعام. قوله: ﴿**حِينَ تُرِيحُونَ**﴾ قدم الإراحة على التسريح، مع أنه خلاف الواقع، لأن الجمال في الرواح، أعظم منه في وقت التسريح، لأن النعم تقبل من المرعى، مملوءة البطون حافلة الضروع، فيفرح أهلها بها، بخلاف تسريحها إلى المرعى، فإنها تخرج جائعة البطون، ضامرة الضروع، وأكثر ما تكون هذه الإراحة أيام الربيع، لحسن النعم إذ ذاك.

قوله: ﴿**وَتَحْمِلُ**﴾ أي النعم، والمراد بها خصوص الإبل. قوله: ﴿**أَثْقَالَكُمْ**﴾ جمع ثقل، وهو ما يحتاج إليه من آلات السفر والأحمال الثقيلة. قوله: ﴿**إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ**﴾ الخ، المراد أي بلد بعيد، مكة أو غيرها، وقال ابن عباس: أريد بها اليمن ومصر والشام، وقال عكرمة: مكة، والظاهر أنه عام لكل بلد بعيد كما علمت. قوله: ﴿**إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ**﴾ أي تعبها.

قوله: ﴿**وَالْخَيْلَ**﴾ معطوف على ﴿**الْأَنْعَامَ**﴾ ولذا قدر المفسر (**خلق**). قوله: ﴿**وَالْبِغَالَ**﴾ جمع بغل، وهو المتولد بين الخيل والحمير. قوله: (**مفعول له**) أي لأجله، وجر الأول باللام لأن الفاعل مختلف، ففاعل الخلق هو الله، وفاعل الركوب المخلوق. قوله: (**بهما**) أي الركوب والزينة. قوله: (**لا ينافي خلقها لغير ذلك**) أي فلا يفيد الحصر في الركوب والزينة، بل خلقها للأكل أيضاً، وبذلك أخذ الشافعي، وأما عند الأئمة الثلاثة، فأكل الخيل حرام كباقي الدواب، استدلوا بأن منفعة الأكل، أعظم من منفعة الركوب، فلو كان أكل لحوم الخيل جائزاً، لكان أولى بالذكر، فلما لم يذكره الله، علمنا تحريمه، ولأن الله خص الأنعام بالأكل حيث قال: ﴿**وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾، وخص هذه بالركوب فقال: ﴿**لِتَرْكَبُوهَا**﴾، فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل، وفي الحقيقة الآية ليست صريحة، في نهي ولا جواز، وإنما مستند الأئمة السنة، فمن حرم لحم الخيل، حمل الحديث الصحيح على النسخ أو الاضطرار، ومن جوزها قال: الأصل عدم الاضطرار والنسخ. قوله: (**بحديث الصحيحين**) أي وهو ما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً ونحن بالمدينة فأكلناه. قوله: (**من الأشياء العجيبة**) أي كالطيور والسباع والوحوش وغيرها من الحيوانات.

قوله: ﴿**وَعَلَى اللهِ**﴾ أي تفضلاً وإحساناً. قوله: (**أي بيان الطريق المستقيم**) أي طريق الهدى والحق وتبيينها، بإرسال الرسل وإنزال الكتب. قوله: ﴿**وَمِنْهَا جَائِرٌ**﴾ أي سبيل جائر، وهو سبيل الضلال والكفر. والجور العدول عن الاستقامة. قوله: ﴿**وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ أي وصلكم إلى

باختيار منكم ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٌ﴾ تشربونه ﴿وَمِنۡهُ شَجَرٌ﴾ ينبت بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ١٠ ترعون دوابكم ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَةً﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١١ في صنعه فيؤمنون ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ﴾ بالنصب عطفاً على ما قبله والرفع مبتدأ ﴿وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ﴾ بالوجهين ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ بالنصب حال والرفع خبر ﴿بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾ بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ ١٢ يتدبرون ﴿وَ﴾ سخر لكم ﴿مَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من

الطريق المستقيم بأجمعكم، ولكنه لم يشأ ذلك، فلم يحصل لما سبق في عمله، أن الجنة لها أهل، وأن النار لها أهل.

قوله: ﴿**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً**﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى منته على بني آدم بخلق الحيوانات الخاصة بهم، أعقبه بذكر نعمه عامة لكل الحيوانات، آدميين وغيرهم، وهي إنزال الماء من السماء، الناشيء عنه النباتات، التي ينتفع بها جميع الحيوانات. قوله: ﴿**لَكُمْ**﴾ الجار والمجرور صفة لماء، وقوله: ﴿**مِنْهُ شَرَابٌ**﴾ مبتدأ وخبر. إن قلت: إنه ليس خاصاً ببني آدم، بل هو عام لكل حيوان. أجيب: بأن بني آدم هم المقصودون بالذات، وغيرهم بالتبع، والضمير في ﴿**مِنْهُ**﴾ عائد على الماء، أي تشربون من ماء السماء. إن قلت: إن غالب الشرب، يكون من السحاب والأنهار والعيون، وهي بالأرض. أجيب: بأن أصل الماء الكائن في الأرض من السماء، لقوله تعالى ﴿وأنزلنامن السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾.

قوله: ﴿**وَمِنْهُ شَجَرٌ**﴾ المراد بالشجر هنا مطلق النبات، سواء كان له ساق أم لا. قوله: (**ينبت بسببه**) أشار بذلك إلى أن من الثانية للسببية، وأما الأولى فهي ابتدائية. قوله: ﴿**يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ**﴾ المراد به الحب الذي يقتات، وقدمه لأن به قوام البدن، وثنى بالزيتون لأنه إدام ودهن، وثلث بذكر النخيل لأنه غذاء وتفكه، وأخر الأعناب لأنها تشبه النخيل في ذلك. قوله: ﴿**وَمِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ**﴾ عطف عام على خاص. قوله: (**المذكور**) أي من إنزال الماء وإنبات النبات قوله: ﴿**لَآيَةً**﴾ ذكر لفظ الآية في هذه السورة سبع مرات، خمس بالأفراد، واثنتان بالجمع. والحكمة في ذلك: أن ما جاء بلفظ الأفراد. باعتبار المعلول الذي هو وحدانية الحق، وما جاء بلفظ الجمع، فباعتبار الدليل، فإن في كل شيء آية تدل على أنه الواحد.

قوله: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ**﴾ لما ذكر النعم الكائنة في العالم السفلي، أعقبه بذكر النعم الكائنة في العالم العلوي، وكل ذلك لنفع العالم وتمام نظامه. قوله: (**بالنصب**) أي ففي الشمس والقمر والنجوم ومسخرات، قراءتان سبعيتان، الرفع والنصب. قوله: ﴿**مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ**﴾ أي مذللات بإرادته، فهو سبحانه وتعالى، المؤثر في العالم العلوي والسفلي، فلا تتحرك ذرة في الدنيا، ولا تسكن إلا بتأثير الله فيها، وإنما هذه الأشياء أسباب عادية، يوجد النفع عندها لا بها، ففي هذه الآية رد على القائلين: إن العالم العلوي، هو المؤثر في العالم السفلي، بطبع أو علة. قوله: (**بالنصب حال**) أي مؤكدة لعاملها، وهو سخر.

قوله: ﴿**لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ عبر هنا بالعقل، إشارة إلى أن العالم العلوي مغيب عن الأبصار، فيحتاج

الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُۥٓ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ يتعظون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ ذلله لركوبه والغوص فيه ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ عطف على لتأكلوا، تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ الله على ذلك ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِكُمْ﴾ وجعل فيها ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ كالنيل ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ إلى مقاصدكم ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ بمعنى النجوم ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ إلى الطرق والقبلة بالليل ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ هذا فتؤمنون ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ تضبطوها فضلاً عن أن تطيقوا شكرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم

المتأمل فيه لمزيد العقل بخلاف العالم السفلي فهو مشاهد، فيكفي فيه أدنى تأمل وتعقل، والأسلم أن يقال: إن التغاير في هذا وما قبله وما بعده، تفنن في التعبير، دفعاً للثقل، وإشارة إلى أن من اتصف بواحد منها، فقد اتصف بجميعها. قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ معطوف على ﴿ٱللَّيْلَ﴾، ولذا قدر المفسر الفعل. قوله: (من الحيوان والنبات) فهي مذللة لبني آدم، ينتفعون بها ولا يعجزون عنها. قوله: (وغير ذلك) أي كالأحجار والمعادن والأنهار. قوله: ﴿مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾ أي وطعومه.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ أي عذباً وملحاً. قوله: (لركوبه) أي بالسفن والعوم. قوله: (والغوص) أي النزول فيه. قوله: ﴿لَحْماً طَرِيّاً﴾ وصف بالطراوة لأنه يسرع إليه الفساد، وحكمة ذلك، انتفاع الناس به، وعدم عزته عن الفقراء، وإلا فلو كان يمكث من غير فساد، لادّخره الأغنياء، وحرموا منه الفقراء. قوله: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ﴾ أي البحر وهو الملح فقط. قوله: (والمرجان) هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف. قوله: (عطف على لتأكلوا) أي وما بينهما اعتراض. قوله: (بالتجارة) أي فيسافرون لها في البحر، ويقدمون في أقل ومن. قوله: ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ قدر المفسر «لا» ليصح الكلام، لأن جعل الجبال في الأرض، لأجل عدم الميد، لا لأجل حصوله، والمراد بالميد، الميل والتحرك والاضطراب. قوله: (طرقاً) أي في الجبال. قوله: ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ أي أمارات. قوله: ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ المراد به الثريا وبنات نعش والفرقدان والجدي، فيهتدي بها إلى الطريق والقبلة.

قوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ أي أتسوون بين الخالق لتلك الأشياء العظيمة والنعم الفخيمة، وبين من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن غيره، والكلام على القلب، والتقدير: أفمن لا يخلق كمن يخلق؟ لأنهم يشبهون من لا يخلق بمن يخلق في العبادة، وإنما أتى العبارة مقلوبة، زيادة في التشنيع عليهم. قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ هذا تذكير إجمالي، بعد تفصيل بعض النعم. قوله: (حيث ينعم

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ ⑲ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ بالتاء والياء تعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وهم الأصنام ﴿ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ ⑳ يصورون من الحجارة وغيرها ﴿ أَمۡوَٰتٌ ﴾ لا روح فيهم خبر ثان ﴿ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ ﴾ تأكيد ﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ أي الأصنام ﴿ أَيَّانَ ﴾ وقت ﴿ يُبۡعَثُونَ ﴾ ㉑ أي الخلق فكيف يعبدون إذ لا يكون إلهاً إلا الخالق الحي العالم بالغيب ﴿ إِلَٰهُكُمۡ ﴾ المستحق العبادة منكم ﴿ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته وهو الله تعالى ﴿ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ ﴾ جاحدة للوحدانية ﴿ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ ㉒ متكبرون عن الإيمان بها ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقاً ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ فيجازيهم بذلك ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾ ㉓ بمعنى أنه يعاقبهم. ونزل في النضر بن الحرث ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّا ﴾ استفهامية

عليكم مع تقصيركم) أي ولم يقطع نعمة عنكم بسبب ذلك، بل وسعها عليكم. قوله: ﴿**وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**﴾ أي ما تخفون من العقائد والأعمال، وما تظهرونه من ذلك. قوله: **(بالياء والتاء)** فهما قراءتان سبعيتان في قوله: ﴿**تَدعُونَ**﴾ فقط، وأما ﴿**تُسِرُّونَ**﴾ و ﴿**تُعْلِنُونَ**﴾ فبالتاء الفوقية سبعية، والياء التحتية شاذة. قوله: ﴿**لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾ ليس تكراراً مع قوله: ﴿**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ**﴾ لأنه أولاً أفاد أنهم لا يخلقون شيئاً، وهنا أفاد أنهم مع كونهم لم يخلقوا شيئاً، هم مخلوقون، ففيه زيادة فائدة. قوله: **(خبر ثان)** أي والأول قوله: ﴿**يَخْلُقُونَ**﴾ وقوله: ﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ خبر ثالث. قوله: **(أي الخلق)** ويصح أن يعود الضمير على الأصنام، والمعنى أن الأصنام لا تشعر متى يبعثها الله، قال ابن عباس: إن الله تعالى يبعث الأصنام، لها أرواح ومعها شياطينها، فتتبرأ من عابديها، فيأمر الله بالكل إلى النار.

قوله: ﴿**إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ**﴾ هذا نتيجة ما قبله، أي فحيث ثبت أنه الخالق لتلك الأشياء المتقدم ذكرها، فقد تقرر أنه المعبود المتصف بالوحدة في الذات والصفات والأفعال، فلا شريك له فيها قوله: ﴿**فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ**﴾ أي لا يصدقون بها، وما يحصل فيها من بعث وحساب وجزاء وهذا نتيجة قوله: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ وحينئذ فيكون المعنى: أتى أمر الله، فآمنوا وصدقوا أخبارنا ولا تنكروها، فالذين لا يؤمنون الخ. قوله: **(متكبرون)** أشار بذلك إلى أن السين مزيدة للتوكيد.

قوله: ﴿**لَا جَرَمَ**﴾ تقدم أن فيها ثلاثة أوجه، أحسنها أن ﴿**لَا**﴾ نافية، ومنفيها محذوف، و ﴿**جَرَمَ**﴾ فعل ماض بمعنى حق وثبت، وأن وما دخلت عليه في محل رفع فاعل، وحينئذ يصير المعنى: لا عبرة بإنكار الكفار واستكبارهم، بل حق وثبت، علم الله بما يسرونه وما يعلنونه، وعلى هذا فقول المفسر **(حقاً)** مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقاً. قوله: **(بمعنى أنه يعاقبهم)** روي عن الحسين بن علي أنه مر بمساكين قد قدموا كسراً لهم وهم يأكلون فقالوا: الغذاء يا أبا عبدالله، فنزل وجلس معهم وقال: ﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾ ثم أكل، فلما فرغوا قال: قد أجبتكم فأجيبوني، فقاموا معه إلى منزله، فأطعمهم وسقاهم وأعطاهم فانصرفوا، وفي الحديث «إن المتكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة، تطؤهم الناس بأقدامهم لتكبرهم». قوله: **(ونزل في النضر بن الحرث)** أي في شأنه وسببه. وكان عنده كتب التواريخ، ويزعم أن حديثه أحسن مما أنزل على محمد.

﴿ذَآ﴾ موصولة ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمد ﴿قَالُوٓاْ﴾ هو ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ إضلالاً للناس ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةً﴾ لم يكفر منها شيء ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ﴾ بعض ﴿أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنهم دعوهم إلى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في الإثم ﴿أَلَا سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ يحملونه حملهم هذا ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وهو نمروذ بنى صرحاً طويلاً ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾ قصد ﴿بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن

قوله: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ**﴾ القائل يحتمل أن يكون المسلمين، أو الوافد عليهم، أو بعضهم لبعض، على سبيل التهكم، فإن الكفار لا يقرون بأنه منزل من عند الله. قوله: ﴿**أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ جمع أسطورة، كأحاديث وأكاذيب وأعاجيب، جمع أحدوثة وأكذوبة وأعجوبة. قوله: (**إضلالاً للناس**) علة للقول. قوله: (**في عاقبة الأمر**) أشار بذلك إلى أن اللام في ﴿**لِيَحْمِلُوا**﴾ لام العاقبة والصيرورة، والمعنى أنهم لما وصفوا القرآن، بكونه أساطير الأولين، كان عاقبتهم بذلك حملهم ذنوبهم. قوله: ﴿**كَامِلَةً**﴾ أي وبلاياهم التي أصابتهم في الدنيا، لا تكفر عنهم شيئاً يوم القيامة، بل يعاقبون على جميع أوزارهم، بخلاف بلايا المؤمنين، فإنها تكفير لذنوبهم، أو رفع درجات لهم، فالبلايا للمجرمين عقوبات، وللأبرار مكفرات، وللعارفين درجات، فقد يكون السابق في علمه تعالى، أن العارف لا ينال تلك الدرجة إلا بمنحة، فيوصلها الله له لينال تلك الدرجة.

قوله: ﴿**وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ**﴾ أي ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم، بعض أوزار الأتباع، وهو السبب، هذا ما قرره المفسر تبعاً للبيضاوي، وهو خلاف التحقيق، بل التحقيق أن ﴿**مِنْ**﴾ بمعنى مثل، والمعنى أن الرؤساء مثل أوزار الاتباع، ويشهد لذلك قوله ﷺ «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

قوله: ﴿**بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ إما حال من المفعول، أي يضلون الأتباع، حال كون الأتباع، غير عالمين بأن الرؤساء في ضلال، بل يعتقدون أنهم على خير حيث قلدوهم، أو من الفاعل، والمعنى يضلون غيرهم، حال كونهم غير عالمين بما يستحقونه من العذاب، في مقابلة ضلالهم وإضلالهم. قوله: (**فاشتركوا في الإثم**) أي العقوبة، فعقوبة المتبوعين بضلالهم وإضلالهم، وعقوبة التابعين بالمطاوعة والتقليد، ولا يعذرون بالجهل، قوله: ﴿**أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾ ﴿**سَاءَ**﴾ فعل ماض لإنشاء الذم كبئس، و ﴿**مَا**﴾ اسم موصول و ﴿**يَزِرُونَ**﴾ صلته أو نكرة موصوفة، و ﴿**يَزِرُونَ**﴾ صفة لها، والعائد على كل محذوف، والتقدير يزرونه، والمخصوص بالذم محذوف، كما أشار له المفسر بقوله: (**حملهم**) هذا.

قوله: ﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ هذا تسلية له ﷺ. قوله: (**وهو نمروذ**) بضم النون وبالذال المعجمة، وهو ابن كنعان، وكان يدعي الألوهية، وكان أعظم أهل الأرض تجبراً. قوله: (**بنى صرحاً طويلاً**) أي ببابل، وكان طوله لجهة السماء خمسة آلاف ذراع، وقيل كان طوله فرسخين قوله: (**الأساس**)

فَوْقِهِمْ﴾ أي وهم تحته ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ من جهة لا تخطر ببالهم، وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخاً ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ بزعمكم ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي يقول ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ يقولونه شماتة بهم ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ شرك، فتقول الملائكة ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ فيجازيكم به ويقال لهم ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾

بكسر الهمزة جمع أس بضمها، كرماح جمع رمح، أو فتحها جمع أسس بضمتين، كعنق وأعناق. قوله: **(فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها)** أي فقصفته وألقت رأسه في البحر، وخر عليهم الباقي فأهلكهم وهم تحته.

قوله: ﴿**فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ**﴾ أي سقط ونزل عليهم. قوله: **(أي وهم تحته)** تفسير لقوله: ﴿**مِن فَوْقِهِمْ**﴾ ودفع بقوله: ﴿**مِن فَوْقِهِمْ**﴾ ما يتوهم أنهم لم يكونوا تحته. قوله: **(وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه)** أي فإن الآية محمولة على العموم، وليس هناك بناء حقيقة، بل هو مثل ضربه الله للذين مكروا بأنبياء الله، فأهلكهم الله بمكرهم، فمثلهم بقوم بنوا بنياناً شديداً، فانهدم ذلك البنيان، وسقط عليهم فأهلكهم. قوله: **(على لسان الملائكة)** مرور منه على القول بأن الله لا يكلم الكفار، وقيل إن الله يكلمهم، قوله تعالى ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ أي كلام رحمة وتعظيم. قوله: ﴿**أَيْنَ شُرَكَائِيَ**﴾ أي ما لهم لا يحضرون معكم، ليدفعوا معكم ما نزل بكم من العذاب. قوله: ﴿**تُشَاقُّونَ**﴾ بفتح النون وكسرها قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بكسر النون مع التشديد، والأصل تشاقونني فأدغم. قوله: **(تخالفون المؤمنين)** أي تنازعونهم في شأنهم.

قوله: ﴿**قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ**﴾ أي وهم في الموقف. قوله: **(شماتة بهم)** أي فرحاً بما حصل لهم، جزاء لاستهزائهم بالمؤمنين في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة، وظهر أهل الحق، وأكرموا بأنواع الكرامات. وعذب أهل الباطل بأنواع العذاب، فعند ذلك يفرح المؤمنون بذلك، ويقول رؤساء المؤمنين: إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، لكنه مع الياء يقرأ بالإمالة، و ﴿**ٱلْمَلَائِكَةُ**﴾ فاعل، والمراد بهم عزرائيل وأعوانه، وإنما أنث الفعل على قراءة التاء، لأن لفظ الجمع مؤنث.

قوله: ﴿**مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ**﴾ إنما أنكروا ذلك، رجاء أن يقبلوا. قوله: **(ويقال لهم)** أي عند خروج أرواحهم، وحينئذ فيكون المراد بالدخول، شهود أرواحهم دار العذاب، أو يوم القيامة؛ والدخول على حقيقته. قوله: ﴿**أَبْوَابَ جَهَنَّمَ**﴾ أي طبقاتها، والمعنى ليدخل كل صنف الطبقة التي أعدت له. قوله: ﴿**فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ أي مقامهم ومنزلهم، والمخصوص بالذم محذوف تقديره هو.

الشرك ﴿ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ﴾ بالإيمان ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾ حياة طيبة ﴿ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿خَيۡرٞۚ﴾ من الدنيا وما فيها قال تعالى: ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ هي ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ إقامة مبتدأ خبره ﴿ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ﴾

قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ مقابل قوله: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾ والقائل وفود العرب القادمين على مكة للبحث عن حال القرآن وحال محمد، فكانوا إذا صادفوا المسلمين سألوهم وقالوا لهم ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً﴾، وإذا صادفوا الكفار سألوهم. وقالوا: ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾فكل إناء بالذي فيه ينضح. قوله: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ ﴿مَاذَا﴾ بتمامها اسم استفهام مفعول مقدم لأنزل، وحينئذ فتكون الجملة فعلية، وهو أنسب ليطابق الجواب السؤال، فإن الجواب جملة فعلية أيضاً، لأن ﴿خَيْراً﴾ مفعول بفعل محذوف، تقديره أنزل خيراً، بخلاف ما تقدم، فإن ما اسم استفهام، وذا اسم موصول، و ﴿أَنْزَلَ﴾ صلته، فالجملة اسمية لمطابقة الجواب، فإنه مرفوع باتفاق السبع، وما هنا منصوب باتفاق السبع، والحكمة في رفع الأول ونصب الثاني، الفرق بين جواب المقر، حيث طابق بين السؤال والجواب، فجعلهما من جنس واحد، وجواب الجاحد حيث عدل عن السؤال فقال: هو أساطير الأولين، وليس من الإنزال في شيء.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ هذا بيان لقوله: ﴿خَيْراً﴾ كأنهم قالوا: أنزل ربنا من أحسن في الدنيا بالطاعة، فله حسنة في الدنيا، وحسنة في الآخرة. قوله: **(حياة طيبة)** أي وهي تختلف باختلاف الاقبال على الله وعدمه، فكلما زاد العبد في الاقبال على ربه طابت حياته، فيزداد ترقياً في القرب والمحبة والعلوم والمعارف والمشاهدة، وغير ذلك من الكرامات التي تحصل له في الدنيا، وما خفي كان أعظم، قال تعالى ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلآخِرَةِ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، أو للابتداء مؤكدة. قوله: ﴿خَيْرٌ﴾ **(من الدنيا وما فيها)** أي ولو حصل له في الدنيا، غاية الرفعة والعز واسم التفضيل على بابه، إن أعطي العبد النعيم في الجنة، وليس على بابه إن لم يكن من أهل الجنة، إذ لا خير في لذة بعدها النار، بل كل من عظم تنعمه في الدنيا، ولم يكن مرضياً عليه، فتنعمه زيادة في عذابه، قال تعالى: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾. وقال تعالى: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾. قوله: **(قال تعالى)** إنما قال ذلك، إشارة إلى أن جواب المؤمنين تم بقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلآخِرَةِ خَيْرٌ﴾، وقوله: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ثناء ومدح من الله لدار الآخرة التي هي خير. قوله: **(هي)** قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف.

قوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي إقامة لا يطرأ عليها زوال ولا فناء، بل هي دائمة بأهلها على سبيل التأبيد. قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ﴾ أي من تحت قصورها وغرفها، قال تعالى: ﴿من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار﴾أو المراد بالأنهار المذكورة في قوله تعالى: ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ الخ. قوله: ﴿مَا يَشَاؤُونَ﴾ أي يطلبون مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. قوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ الكاف بمعنى مثل، نعت لمصدر محذوف معمول ليجزي، والتقدير يجزي الله المتقين جزاء مثل ذلك الجزاء. قوله:

الجزاء ﴿يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ ويقال لهم في الآخرة ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ العذاب أو القيامة المشتملة عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ بالكفر ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ أي العذاب ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ من أهل

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي الذين اجتنبوا الشرك، وأل في المتقين للاستغراق. قوله: **(نعت)** أي للمتقين.

قوله: ﴿**تَتوفَّاهُمُ ٱلْمَلائِكَةُ**﴾ أي تقبض أرواحهم. قوله: ﴿**طَيِّبِينَ**﴾ حال من ضمير ﴿**تَتوفَّاهُمُ**﴾ وحينئذ تبشرهم الملائكة عند قبض أرواحهم، بالرضوان والجنة والكرامة، فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح، فيسهل عليهم قبض أرواحهم، ويطيب لهم الموت على هذه الحالة، فلو خير المؤمن، بين الرجوع إلى الدنيا، ويعطى جميع ما يشتهي فيها، وبين الموت، لاختار الموت، ولا يرجع إلى الدنيا، لشهوده حقارة الدنيا، بالنسبة لما رآه مهيأ له. قوله: **(عند الموت)** أي لما ورد «إذا أشرف العبد المؤمن على الموت، جاءه ملك فقال له: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة». قوله: **(في الآخرة)** هذا أحد قولين، وقيل إن القول المذكور يكون عند خروج الروح، ويكون الأمر بالدخول للروح دون الجسم، ويشهد له قوله تعالى﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك﴾ الآية، بناء على أن هذه المقالة، تقال للمؤمن عند خروج روحه. قوله: ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ الباء سببية، وما اسم موصول، والعائد محذوف، والتقدير بسبب الذي كنتم تعملونه.

قوله: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ**﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ولذا فسره بما النافية، والمعنى لا ينتظر الكفار إلا أحد أمرين: إما نزول الموت بهم، أو حلول العذاب، وأو مانعة خلو تجوز الجمع. قوله: **(بالتاء والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أو القيامة)** أو لحكاية الخلاف.

قوله: ﴿**وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ**﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: **(كذبوا رسلهم فأهلكوا)**. قوله: ﴿**فَأَصَابَهُمْ**﴾ معطوف على فعل ﴿**ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ وما بينهما اعتراض. قوله: **(أي جزاؤها)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والأصل. فأصابهم جزاء سيئات ما عملوا قوله: ﴿**مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ أي جزاء الذي كانوا به يستهزئون.

قوله: ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ الخ، هذا كلام صحيح في حد ذاته، لكنهم توصلوا به إلى أمر باطل، وحاصل ذلك أنهم قالوا: لو شاء الله عدم عبادتنا لغيره لحصل، لكن وقعت منا العبادة لغيره، فهي بمشيئته، فهو راض بها، واعتقدوا أن الإرادة لازمة للرضا في حقه تعالى، وهو اعتقاد باطل، وحاصل الرد عليهم أن يقال: إن الإرادة لا تستلزم الرضا، بل قد يريد شيئاً ولا يرضى به، لتنزهه عن الأغراض في الاحكام والأفعال، فلا تقاس أفعال الله على أفعال العباد، وذلك لأن ما يغضب الله، لا يصل له منه

مكة ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ من البحائر والسوائب، فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي كذبوا رسلهم فيما جاؤوا به ﴿ فَهَلْ ﴾ فما ﴿ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ﴿٣٥﴾ الإبلاغ البين وليس عليهم هداية ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿ أَنِ ﴾ أي بأن ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وحدوه ﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ الأوثان أن تعبدوها ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ فآمن ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ ﴾ وجبت ﴿ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ في علم الله فلم يؤمن ﴿ فَسِيرُوا۟ ﴾ يا كفار مكة ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ رسلهم من الهلاك ﴿ إِن تَحْرِصْ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ ﴾ وقد أضلهم الله لا تقدر على ذلك ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿ مَن يُضِلُّ ﴾ من يريد إضلاله ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ مانعين من عذاب الله ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ

ضرر، وما يرضيه لا يصل له منه نفع، بل معنى ذلك، أنه يعاقب على ما يغضبه، ويثيب على ما يرضيه، بخلاف العباد، فرضاهم لازم لإرادتهم، لأن ما يرضيهم يحصل لهم به النفع، فهو واقع منهم بإرادتهم، وما يغضبهم يحصل لهم به الضرر، فهو غير واقع بإرادتهم، والكفار قد سووا بين الخالق والمخلوق، فقالوا ما قالوا، والمقصود من هذه الشبهة، إبطال إرسال الرسل وجعله عبثاً، تعالى الله عن ذلك. قوله: ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من الأولى ابتدائية، والثانية زائدة. قوله: **(فهو راض به)** هذا هو محط شبهتهم التي رتبوا ما ذكر عليها. قوله: **(الإبلاغ البين)** أشار بذلك إلى أن البلاغ مصدر بمعنى الإبلاغ.

قوله: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فهي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً﴾** أي فلا خصوصية لك. قوله: **(أي بأن) ﴿آعْبُدُوا﴾** أشار بذلك إلى أن أن مصدرية، ويصح جعلها تفسيرية، والضابط موجود لتضمن البعث معنى القول. قوله: **﴿وَآجْتَنِبُوا ٱلطَّاغُوتَ﴾** أي تباعدوا عن عبادة الطاغوت، والمراد بالطاغوت، قيل كل ما يعبد من دون الله، وقيل الشيطان. قوله: **(فلم يؤمن)** أفرد باعتبار لفظ من، وفي نسخة فلم يؤمنوا بالجمع مراعاة للمعنى.

قوله: **﴿فَسِيرُوا﴾** أمر لأهل مكة بالسير، والنظر في أحوال من تقدمهم. قوله: **﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾** أي مآلهم وآخر أمرهم على أي كيفية. قوله: **(رسلهم)** قدره إشارة إلى أن قوله: **﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾** مفعوله محذوف. قوله: **(وقد أضلهم الله)** الجملة حالية. قوله: **(لا تقدر على ذلك)** هذا هو جواب الشرط، وقوله: **﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾** الخ، تعليل للجواب. قوله: **﴿لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾** الجملة خبر إن، والرابط ضمير مقدر في يضل، تقديره من يضله، والظاهر أن هذا الرابط هو فاعل يضل العائد على الله، وأما الضمير المفعول الذي هو الهاء، فإنه عائد على من ولا ربط فيه. قوله: **(بالبناء للفاعل والمفعول)** أي فهما قراءتان سبعيتان، والمعنى أن من أراد الله إضلاله، فلا تمكن هدايته، فلا تتعب نفسك في هداه. إن قلت: إن التكليف لمن أراد الله عدم هداه بالهدى تكليف بالمستحيل. أجيب: بأنه لا يسأل عما يفعل. قوله: **﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾** أي من يريد إضلاله، لا مانع له من عذاب الله إذا نزل به.

قوله: **﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ﴾** أي حلفوا به، وقوله: **﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾** أي لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم

أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ قال تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثهم ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر أي وعد ذلك وحقه حقاً ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ ذلك ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ متعلق بيبعثهم المقدر ﴿ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ في إنكار البعث ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ أي أردنا إيجاده، وقولنا مبتدأ خبره ﴿ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ﴿٤٠﴾ أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفاً على نقول، والآية لتقرير القدرة على البعث ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ ﴾ لإقامة دينه ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ بالأذى من أهل مكة وهم النبي ﷺ وأصحابه ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ ننزلنهم ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ داراً ﴿حَسَنَةً﴾ هي المدينة ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤١﴾ أي الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم هم ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ فسيرزقهم من حيث لا يحتسبون ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ

وآلهتهم، فإذا كان الأمر عظيماً حلفوا بالله. قوله: **(أي غاية اجتهادهم)** أي فالمراد بالجهد بالفتح الطاقة، فقولهم الجهد بالفتح المشقة، وبالضم الطاقة بحسب الغالب. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً لمقالتهم. قوله: **(مصدران مؤكدان)** أي للجملة المقدرة بعد ﴿بَلَى﴾. قوله: **(أي وعد ذلك)** الخ، الأوضح أن يقول أي وعد ذلك وعداً، وحقه حقاً. قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ **(ذلك)** أي أنهم يبعثون لجهلهم. قوله: **(المقدر)** أي بعد ﴿بَلَى﴾. قوله: **(من أمر الدين)** أي وهو البعث. قوله: **(بتعذيبهم)** إلخ، متعلق ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ والمعنى ليميز لهم الأمر الذي يختلفون فيه، بإثابة المطيع، وتعذيب العاصي. قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ معطوف على ﴿لِيُبَيِّنَ﴾. قوله: ﴿لِشَيْءٍ﴾ تسميته شيئاً باعتبار ما يؤول إليه، وإلا فالمعدوم لا يسمى شيئاً. قوله: **(والآية لتقرير القدرة على البعث)** أي فهي رد على من قال: إن الله لا يبعث من يموت، والأمر كناية عن سرعة الإيجاد عند تعلق الإرادة بالإيجاد، وليس ثم كاف ولا نون، وإلا لزم إما خطاب المعدوم حال عدمه، وهو لا يعقل، أو تحصيل الحاصل إن كان الخطاب له بعد وجوده، وكلا الأمرين محال.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أي انتقلوا من مكة للمدينة. قوله: **(لإقامة دينه)** أشار بذلك إلى أن في بمعنى اللام، والكلام على حذف مضافين. قوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ أي من دار الدنيا. قوله: **(أو المتخلفون)** تفسير ثان للضمير في ﴿يَعْلَمُونَ﴾. قوله: **(لوافقوهم)** جواب الشرط. قوله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(هم)**. قوله: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي يثقون به، ويفوضون أمورهم إليه، والتعبير بالمضارع لاستحضار الحال الماضية، إشارة إلى أن توكلهم كان أعظم توكل، وذلك أنهم خرجوا عن أموالهم وأنفسهم في مرضاة ربهم، ورضوا بالذل بدل العز، وبالفقر بدل الغنى، فجازاهم الله بإبدال الذل عزاً والفقر غنى، فصاروا سادات الناس في الدنيا والآخرة، قال البوصيري رضي الله عنه:

ما لموسى ولا لعيسى حواريو ن في فضلهم ولا نقباء

قوله: **(فيرزقهم الله من حيث لا يحتسبون)** نتيجة التوكل، وليست معنى التوكل. قوله: ﴿وَمَا

﴿إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ لا ملائكة ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ ذلك، فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ متعلق بمحذوف أي أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَٱلزُّبُرِۗ﴾ الكتب ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ في ذلك فيعتبرون ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ﴾ المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنبي ﷺ في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر في الأنفال ﴿أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ كقارون ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ أي من جهة لا تخطر ببالهم وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدروا ذلك ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ بفائتين العذاب ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ تنقص شيئاً فشيئاً حتى يهلك الجميع حال من الفاعل أو المفعول ﴿فَإِنَّ

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً﴾ سبب نزولها: أن كفار مكة قالوا: ما كان الله أن يرسل رسولاً من الرجال، بل اللائق أن يرسل ملكاً. قوله: ﴿فَاسْئَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ جواب شرط مقدر دل عليه. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ تقديره: إن شككتم في ذلك فاسألوا. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أي على سبيل الفرض والتقدير، وإلا فهم عالمون بذلك، وإنما كفرهم عناد. قوله: (أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد) أي لأن كفار مكة، كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب عندهم علم الكتب القديمة، وقد أرسل الله لهم رسلاً، كموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم، وكانوا بشراً، فإذا سألوهم، فلا بد أن يجيبوا بأن الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشراً، فحينئذ يزول عن قلوبهم الريب والشك. قوله: (متعلق بمحذوف) أي جواباً لسؤال مقدر، كأنه قال: لم أرسلوا؟ فقيل: أرسلوا بالبينات والزبر، وهذا أحسن ما قيل هنا. قوله: (القرآن) إنما سمي القرآن ذكراً، لأنه مشتمل على المواعظ التي بها يتذكر العاقل، ويتنبه الغافل.

قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي ما أجمل من الأحكام، فبيان المجمل من القرآن، تكفل به رسول الله ﷺ، فأحاديثه كالشرح والتفسير للقرآن. قوله: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، تقديره أعموا ولم يتفكروا، فأمن الذين الخ. قوله: ﴿ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ صفة لمقدر محذوف، قدره المفسر بقوله: (المكرات) بفتح الكاف جمع مكرة بسكونها المرة من المكر. قوله: ﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾ ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر معمول لأمن، والتقدير أفأمنوا خسف الله بهم الأرض. قوله: (وقد أهلكوا ببدر) أي أهلك صناديدهم، وهم الذين اجتمعوا في دار الندوة. قوله: (يقدروا ذلك) أي الهلاك، أي يعتقدوه ويظنونه، وهو بدل من يكونوا، والمبدل من المجزوم مجزوم، أو حذفت النون تخفيفاً، قوله: ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ أي حال كونهم منقلبين في أسفارهم. قوله: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ أي يهلكهم في حال خوفهم، أو المراد بالتخوف التنقص كما قال المفسر من تخوفته إذا انتقصته، روي أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر: ما تقولون فيها؟ فسكتوا، فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا التخوف التنقص، فقال: هل تعرف العرب ذلك في اشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو بكر يصف ناقته:

رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٤٧﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ له ظل كشجر وجبل ﴿يَتَفَيَّؤُا﴾ تتميل ﴿ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ جمع شمال أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿ سُجَّدًا لِّلَّهِ ﴾ حال أي خاضعين بما يراد منهم ﴿وَهُمْ﴾ أي الظلال ﴿ دَاخِرُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ صاغرون، نزلوا منزلة العقلاء ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ ﴾ أي نسمة تدب عليها أي يخضع له بما يراد منه، وغلب في الإتيان بما لا يعقل لكثرته ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ خصهم بالذكر تفضيلاً ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ يتكبرون من عبادته ﴿ يَخَافُونَ ﴾ أي الملائكة حال من ضمير يستكبرون ﴿ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ حال من هم أي عالياً عليهم بالقهر ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا

تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر: عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم، والرحل بالحاء المهملة رحل الناقة، والتامك بالفوقية السنام، والقرد بفتح القاف وكسر الراء، هو المرتفع أو المتراكم، والنبع شجر تتخذ منه القسي، والسفن بفتحتين وهو المبرد أو القدوم، والمعنى أن الرحل أثر في سنام تلك الناقة، فأكله وانتقصه كما ينقص المبرد أو القدوم العود من الشجر.

قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعموا ولم يروا، والاستفهام للتوبيخ. قوله: **(له ظل)** خرج الملك والجن. قوله: ﴿**تَتَفَيَّأُ**﴾ أي تنتقل من جانب إلى آخر، واختلف في الفيء، فقيل: هو مطلق الظل قبل الزوال أو بعده، وهو الموافق لمعنى الآية هنا، وقيل: الظل ما كان قبل الزوال، والفيء ما كان بعده، وقيل غير ذلك. قوله: ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ**﴾ أي يمين المستقبل للقبلة وشماله، وذلك أن الشمس إذا طلعت من المشرق، وأنت متوجه إلى القبلة، كان ظلك عن يمينك، فإذا ارتفعت واستوت في وسط السماء، كان ظلك خلفك، فإذا مالت إلى الغروب، كان ظلك عن يسارك، وأفرد اليمين، وجمع الشمال تفنناً. قوله: **(أي عن جانبيهما)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **(حال)** أي من قوله: ﴿**ظِلَالُهُ**﴾. قوله: **(بما يراد منهم)** أي من طول وقصر وتحول من جانب لآخر. قوله: ﴿**وَهُمْ دَاخِرُونَ**﴾ الجملة حالية من الضمير في ﴿**سُجَّداً**﴾. قوله: **(نزلوا)** أي في جمعهم بالواو والنون كالعقلاء، وذلك لاتصافها بالطاعة والانقياد لله، وذلك من وصف العقلاء، فجمعت بالواو والنون.

قوله: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ أي طوعاً وكرهاً، فسجود الملائكة وغير العاقل طوعاً فقط، وسجود الآدميين والجن طوعاً من مؤمنهم، وكرهاً من كافرهم. قوله: **(أي يخضع له)** أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود معناه اللغوي. قوله: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ**﴾ عطف على ما في قوله: ﴿**مَا فِي السَّمٰوَاتِ**﴾. قوله: **(تفضيلاً)** أي تشريفاً وتعظيماً. قوله: **(يتكبرون عن عبادته)** أي لا يتركون عبادة ربهم، ولا يتكبرون عنها. قوله: **(حال من هم)** صوابه من ربهم بدليل قوله: **(عالياً)** الخ، والمعنى يخافون الله حال كونه سبحانه وتعالى مستعلياً عليهم وقاهراً لهم، فالمراد بالفوقية الاستعلاء والقهر لا الجهة، لأنها

يُؤۡمَرُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ به ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ تأكيد ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ ﴿٥١﴾ خافون دون غيري وفيه التفات عن الغيبة ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ ﴾ الطاعة ﴿وَاصِبًا﴾ دائماً، حال من الدين، والعامل فيه معنى الظرف ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره، والاستفهام للإنكار أو التوبيخ ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ لا يأتي بها غيره، وما شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ﴾ أصابكم ﴿ٱلضُّرُّ﴾ الفقر والمرض ﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾

مستحيلة عليه تعالى. قوله: ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ أي فلا يعصون ربهم أبداً، بل هم ممتثلون لأمره مجتنبون لنهيه.

قوله: ﴿**وَقَالَ ٱللَّهُ**﴾ أي لعباده. قوله: ﴿**لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ**﴾ ﴿**لَا**﴾ ناهية، و ﴿**تَتَّخِذُوا**﴾ مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، و ﴿**إِلَٰهَيۡنِ**﴾ مفعول أول، و ﴿**ٱثۡنَيۡنِ**﴾ تأكيد له، والمفعول الثاني محذوف تقديره معبوداً، ويعلم من النهي عن اتخاذ اثنين، النهي عن اتخاذ الأكثر بالأولى. قوله: ﴿**إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**﴾ أتى به لإثبات الألوهية والوحدانية، والمعنى أن المعبود لا يكون إلا واحداً، وإلا لم يوجد شيء من العالم، قال تعالى:﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾وقال تعالى:﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾. قوله: ﴿**فَإِيَّايَ فَارۡهَبُونِ**﴾ إياي مفعول لفعل محذوف، يفسره قوله ارهبون، أي ارهبوا إياي فارهبون، والمعنى لا تخافوا غيري، فإن النفع والضر بيدي، والألوهية وصفي، فلا تخشوا غيري، ولا ترجوا غيري. قوله: (**وفيه التفات عن الغيبة**) أي إلى التكلم، لأنه أبلغ في التخويف.

قوله: ﴿ **وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلۡأَرۡضِ**﴾ فيه التفات من التكلم للغيبة، وهذا دليل على أنه المنفرد بالألوهية والوحدانية، إذ غيره لا يخلو، إما أن يكون في السماوات أو الأرض، وكل بما فيها مملوك لله، فلا يصح ولا يليق اتخاذ غيره إلهاً. قوله: (**ملكاً وخلقاً وعبيداً**) أي فجميع ما في السماوات والأرض مملوكون مخلوقون له، يتصرف فيهم كيف يشاء. قوله: ﴿**وَلَهُ ٱلدِّينُ**﴾ أي التدين والانقياد لا لغيره، فالطاعة لا تكون إلا لله وحده، وطاعة الرسول والوالدين وأولي الأمر، من طاعة الله لأمره بها. قوله: (**والعامل فيه معنى الظرف**) أي الاستقرار المفهوم من الجار والمجرور، والمعنى استقر الدين له حال كونه دائماً، وهذا ظاهر على أن ﴿**ٱلدِّينُ**﴾ فاعل بالجار والمجرور، وأما إن جعل الدين مبتدأ مؤخراً، والجار والمجرور خبراً مقدماً، فلا يصح ما قاله المفسر، لأن العامل في الحال، هو العامل في صاحبها، والمبتدأ ليس معمولاً للخبر، وحينئذ فالأولى أن يجعل حالاً من الضمير الكائن في الظرف، والتقدير والدين ثابت له حال كونه واصباً. قوله: ﴿**أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف تقديره أتركتم عبادة الله ومخافته فغير الله تتقون. قوله: (**والاستفهام للإنكار**) أي والمعنى لا يليق منكم، أي تتقوا غيره، ولا تطيعوا غيره، إلا إذا كان الآمر بذلك هو الله، كطاعة الوالد والرسول، ففي الحقيقة التقوى لله. قوله: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ**﴾ أي دنيوية أو أخروية. قوله: (**وما شرطية**) أي وفعل الشرط محذوف، والتقدير أيما نزل بكم،

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعكم على عبادة الأصنام، أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥٥) عاقبة ذلك ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها لا تضر ولا تنفع وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأنعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ (٥٦) على الله من أنه أمركم بذلك ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ بقولهم الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عما زعموا ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (٥٧) ـه أي البنون والجملة في محل رفع أو نصب بيجعل، المعنى يجعلون له البنات التي يكرهونها وهو منزه عن الولد ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونها فيختصون بالأسنى كقوله ﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون﴾ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى﴾ تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ﴾

وقوله: ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ جواب الشرط، وقوله: ﴿مِنْ نِعْمَةٍ﴾ بيان لما، ويرد عليه أنه لا يحذف فعل الشرط، إلا بعد إن في موضعين: الأول في باب الاشتغال نحو: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره. الثاني أن تكون لا النافية تالية، لأن مع وجود ما يدل على الشرط، كقول الشاعر:

فطلقها فلست لها بكفء ... وإلا يعل مفرقك الحسام

فإن لم توجد لا، أو كانت الأداة غير إن، لم يحذف إلا لضرورة، فالأحسن الإعراب الثاني. قوله: **(أو موصولة)** أي بمعنى الذي، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صلة ما، و ﴿مِنْ نِعْمَةٍ﴾ بيان لما وهو مبتدأ: وخبره قوله: ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ والفاء زائدة في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط، والمعنى أن الله هو مولى النعم لا غيره، وتسمية غيره منعماً، باعتبار أن النعم أجريت على يده، وهو مظهر لها. قوله: ﴿تَجْأَرُونَ﴾ من الجؤار بوزن غراب، وهو رفع الصوت بالدعاء، في كشف ما نزل من الضر.

قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ﴾ أي أزاله بإيصال النفع لكم. قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ اللام لام كي، وهي متعلقة بيشركون، أو لام العاقبة والصيرورة، أو لام الأمر للتهديد. قوله: **(أمر تهديد)** أي تخويف. قوله: **(عاقبة ذلك)** أي وهي الخلود في النار. قوله: **(لأنها لا تضر ولا تنفع)** أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف. قوله: **(وهي الأصنام)** تفسير لما، والمعنى: ويجعل المشركون للأصنام، التي لا يعلمون منها نفعاً ولا ضراً نصيباً، الخ. قوله: **(من الحرث)** بيان لما، والمراد بالحرث الزرع. قوله: **(بقولهم)** متعلق بيجعلون. قوله: **(وفيه التفات عن الغيبة)** أي لزيادة التوبيخ عليهم. قوله: **(بقولهم الملائكة بنات الله)** أي وليس المراد بالبنات بناتهم التي يلدونها، لأنهم يعترفون بأنها منسوبة لهم، فلا يضيفونها لله، وإنما البنات التي يضيفونها لله، هي الملائكة، والقائل ذلك كنانة وخزاعة. قوله: **(والجملة في محل رفع)** المناسب أن يقول مستأنفة، لأن هم خبر مقدم، وما مبتدأ مؤخر لا محل لها من الإعراب. قوله: **(أو نصب بيجعل)** أي بالعطف على معمولي يجعل، فإن قوله: ﴿لَهُمْ﴾ معطوف على ﴿اللَّهِ﴾، و ﴿مَا﴾ معطوفة على ﴿الْبَنَاتِ﴾ مسلط عليهما، ويجعل فيه العطف على معمولي عام واحد، وهو جائز باتفاق. قوله: **(بالأسنى)** أي الأرفع والأشرف.

قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُكُمْ﴾ الجملة في محل نصب حال من الواو في ﴿يَجْعَلُونَ﴾ والمراد بالبشارة

﴿مُسْوَدًّا﴾ متغيراً تغير مغتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ ممتلىء غماً فكيف تنسب البنات إليه تعالى ﴿يَتَوَارَىٰ﴾ يختفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي قومه ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ خوفاً من التعيير متردداً فيما يفعل به ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ هوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى التُّرَابِ﴾ بأن يئده ﴿أَلَا سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هي عندهم بهذا المحل ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي الكفار ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي الصفة السوأى بمعنى القبيحة وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الصفة العليا وهو أنه لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ في خلقه ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ بالمعاصي ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾ عليه ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾

الإخبار. قوله: (صار) أشار بذلك إلى أن ﴿ظَلَّ﴾ ليست على بابها من أنها تدل على الإقامة على تلك الصفة نهاراً، بل المراد منها الانتقال من حالة لأخرى. قوله: ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ أي من أجل سوء الأنثى التي بشر بها، وسوءها من حيث إنه يخاف عليها الزنا ويتحمل عارها، وكونها لا تكتسب وغير ذلك. قوله: (متردداً) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿أَيُمْسِكُهُ﴾ الخ، معمول لحال محذوفة، ولا يصلح أن يكون حالاً لأنه جملة طلبية. قوله: ﴿عَلَى هُونٍ﴾ حال من المفعول، والمعنى أيمسكه مهيناً له. قوله: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ﴾ أي يخفيه. قوله: (بأن يئده) الوأد دفن البنت حية. قوله: (بهذا المحل) أي الرقبة، وهي الحقارة والذل. قوله: (أي الصفة السوأى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ من إضافة الموصوف لصفته، والسوأى بضم السين والقصر بوزن طوبى. قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي فصفات الله أعلى الصفات، وصفات الكفار أخسها، حيث ينسبون لله ما يكرهون لأنفسهم، مع كونه منزهاً عن صفات الحوادث. قوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ (في ملكه) أي الغالب فلا يعجزه شيء. قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾ (في خلقه) أي يضع الشيء في محله.

قوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾ الخ. أي لو يعجل الله للناس العقوبة بسبب عصيانهم، لم يبق أحداً. قوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ الضمير عائد على الأرض المفهومة من السياق، لأن الدابة ما دب على وجه الأرض. قوله: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة في المفعول، ووجه هلاك الجميع، أن الله تعالى يمسك السماء عن المطر، والأرض عن النبات، فإذا حصل ذلك، هلك كل مرزوق، لأن كل دابة محتاجة للقوام، فإذا أمسك قوامها هلكت عن آخرها، وهو أقرب ما يقال في ذلك.

قوله: ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي لكن سبقت حكمة الله، بأن الدنيا تصير عماراً، إلى أن تنقضي المدة التي قدرها الله تعالى، فإذا كان كذلك، فلا يعاجلهم بالعقوبة، بل يوفيهم أرزاقهم وآجالهم، لغلبة الرحمة على الغضب، فلو عاجلهم بالعقوبة، لكان الغضب غالباً على الرحمة، وهو خلاف ما سبق علمه به. قوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي لا يتقدمون على الأجل المعين الذي حضر. إن قلت: إنه لا يحسن ترتبه على الشرط لأن الأجل إذا جاء، لا يتوهم التقدم عليه إذ هو مستحيل، ولا ينفى إلا ما

لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة وإهانة الرسل ﴿وَتَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ عند الله أي الجنة لقوله: ولئن رجعت إلى ربي وإن لي عنده للحسنى قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ متروكون فيها أو مقدمون إليها، وفي قراءة بكسر الراء أي متجاوزون الحد ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾ متولي أمورهم ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أي في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾ مؤلم في الآخرة، وقيل المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أي لا ولي لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ من أمر الدين

يتوهم ثبوته. أجيب: بأن قوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ معطوف على جملة الشرط، وجوابه كأنه قال: فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون عنه ساعة، وإذا لم يجىء لا يستقدمون عليه.

قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ هذا من جملة صفات السوء. قوله: **(والشريك في الرياسة)** أي وهو الأصنام، جعلوها شركاء لله في الألوهية التي هي أعلى أوصاف الرياسة. قوله: **(وإهانة الرسل)** أي كما أهانوا رسول الله، فهم يكرهون البنات والشريك في الرياسة وإهانة رسلهم، ويجعلون ما يكرهونه لله، فينسبون لله البنات، ويشركون مع الله في الألوهية غيره، ويهينون رسول الله. قوله: ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ مفعول به، وقوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ بدل كل من كل. والمعنى: وتقول ألسنتهم زيادة على ما سبق منهم، أن لهم الحسنى. قوله: **(لقوله)** دليل لقوله: **(عند الله)**. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً عليهم وتبكيتاً لهم.

قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ تقدم أن ﴿لَا﴾ نافية لمعنى ما قبلها، و ﴿جَرَمَ﴾ بمعنى حق وثبت، و ﴿أَنَّ﴾ وما دخلت عليه في محل رفع فاعل. والمعنى: لا عبرة بقولهم الكذب، بل حق وثبت كون النار لهم وتركهم فيها. وتقدم أن قول المفسر (حقاً) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقاً. قوله: **(أو مقدمون إليها)** أي معجلون إليها قبل غيرهم. قوله: **(وفي قراءة)** وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ شروع في تسليته ﷺ. قوله: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي جعلها حسنة ليضلهم بها. قوله: **(أي في الدنيا)** هذا أحد قولين ذكرهما المفسر، وعلى هذا القول فلا يحتاج لتأويل، لأن مدة الدنيا كالوقت الحاضر بالنسبة الآخرة، وقيل المراد باليوم يوم القيامة الخ، أي وعليه فاليوم مستعمل في غير معناه الأصلي، لأنه حقيقة في الزمان الحاضر المقارن للتكلم، ولذا أوله المفسر بقوله: **(على حكاية الحال الآتية)** أي فعبر عن الزمان الذي لم يحصل، بما هو موضوع للحاضر المقارن لتحقق حصوله، فكأنه حاضر الآن. قوله: **(أي لا ولي لهم)** أي لا ناصر ولا مغيث لهم غيره. قوله: **(وهو عاجز)** الخ، الجملة حالية. قوله: **(فكيف ينصرهم)** أشار بذلك إلى أن المراد بالولي على هذا القول الثاني الناصر، وأما على الأول، فمعناه القرين المتولي إغواءهم.

قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا﴾ الخ هذا من جملة تسليته ﷺ. قوله: **(من أمر الدين)** أي كالتوحيد وأحكام

﴿وَهُدًى﴾ عطف على لتبين ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ به ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ يبسها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ سماع تدبر ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ اعتباراً ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بيان للعبرة ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ أي الأنعام ﴿مِنۢ﴾ للابتداء متعلقة بنسقيكم ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾ ثفل الكرش ﴿وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون وهو بينهما ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ سهل المرور في حلقهم لا يغص به ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ ثمر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ خمراً يسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر

العبادات والمعاملات وغير ذلك. قوله: ﴿وَهُدًى﴾ أي من الضلال. قوله: ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي إحساناً. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصهم لأنهم المنتفعون به دون غيرهم. قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾. قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً﴾ شروع في ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى. قوله: **(دالة على البعث)** أي لأن القادر على إحياء الأرض بالماء بعد يبسها، قادر على إعادة الأجسام بعد تفرقها وانعدامها. قوله: **(سماع تدبر)** أي فالمراد بالسماع سماع القلوب، لا سماع الآذان.

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَامِ﴾ ﴿فِي﴾ للسببية. والمعنى: وإن لكم بسبب الأنعام لعبرة الخ. قوله: ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي اتعاظاً وتذكاراً، يعتبر بها المعتبر ويستدل على أن الله هو الرحمن الرحيم الفعال لما يريد. قوله: **(بيان لعبرة)** أي لمتعلقها وهو المعتبر به. قوله: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ من للتبعيض، قوله: ﴿مِنْ بَيْنَ فَرْثٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ ابتدائية كما قال المفسر. والمعنى: نسقيكم بعض الذي في بطونه لبناً خالصاً، ناشئاً من بين فرث ودم، وذكر الضمير في بطونه هنا، مراعاة للفظ الأنعام، وأنثه في سورة المؤمنون، مراعاة للمعنى الذي هو جماعة الأنعام، لأن الأنعام اسم جمع. قوله: **(ثفل الكرش)** بضم المثلثة وسكون الفاء، و **(الكرش)** بوزن الكبد. قوله: ﴿لَبَناً﴾ مفعول ثان لنسقيكم، والأول هو الكاف. قوله: **(وهو بينهما)** وذلك لأن البهيمة إذا أكلت العلف طبخه الكرش، فيجعل الله أسفله فرثاً، وأوسطه لبناً خالصاً لا يشوبه شيء وأعلاه دماً، وبينهما حاجز بقدرة الله تعالى، ثم يسلط الكبد عليه، فتجري عليه الدم في العروق، واللبن في الضروع، ويبقى الفرث في الكرش، فينزل من مخرجه روثاً. قوله: **(سهل المرور)** أي ولذا جعل غذاء لصغار الحيوانات التي ترضعها أمهاتها، ولعظم مزيته يقال عقب أكله: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، بخلاف غيره من الأطعمة، فيقال وعوضنا خيراً منه.

قوله: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتَ ٱلنَّخِيلِ﴾ خبر مقدم، والمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله: **(ثمر)**، قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ نعت لذلك المحذوف، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ عائد على ذلك المحذوف. قوله: **(خمراً)** أي وقيل إنه اسم للخل بلغة الحبشة، وقيل اسم للعصير ما دام حلواً، وتسميته سكراً باعتبار ما يؤول إليه، وعلى هذين التفسيرين، فالامتنان به باق لم ينسخ. قوله: **(سميت بالمصدر)** أي فالسكر مصدر سكر من باب فرح. قوله: **(وهذا قبل تحريمها)** أي لأن هذه السورة مكية، وتحريم الخمر كان بالمدينة، نزلت به

والزبيب والخل والدبس ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ على قدرته تعالى ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ يتدبرون ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ وحي إلهام ﴿أَنِ﴾ مفسرة أو مصدرية ﴿ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها ﴿ وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ﴾ بيوتاً ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ أي الناس يبنون لك من الأماكن وإلا لم تأو إليها ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى ﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه في طلب المرعى ﴿ذُلُلًا﴾ جمع ذلول حال من السبل أي مسخرة لك فلا تعسر عليك وإن توعرت ولا تضلي عن العود منها وإن بعدت وقيل من الضمير في اسلكي أي منقادة لما يراد منك ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا

سورة المائدة وهي مدنية. قوله: **(والدبس)** هو عسل الرطب ويطلق على عسل العنب. قوله: **(المذكور)** أي من إخراج اللبن على هذه الكيفية، واتخاذ السكر والرزق من الثمرات.

قوله: **﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾** لما ذكر سبحانه وتعالى، ما يدل على باهر قدرته وعظيم حكمته، من إخراج اللبن من بين فرث ودم، وإخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، ذكر إخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من النحل، وهي دابة ضعيفة، لما فيه من العجائب البديعة والأمور الغريبة، وكل هذا يدل على وحدانية الصانع، وقدرته وعظمته. قوله: **﴿إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾** هو اسم جنس جمعي، يفرق بينه وبين واحده بالتاء، كنمل ونملة، وشجر وشجرة، ويذكر ويؤنث، فمن التأنيث قوله هنا **﴿أَنِ ٱتَّخِذِي﴾** ويجوز في غير القرآن تذكيره فيقال أن اتخذ. قوله: **(وحي إلهام)** أي هداية ورشد، لا وحي نبوة، إذ هي مستحيلة على غير المختصين من بني آدم، فمن أثبتها لغير النوع الإنساني فقد كفر. قوله: **(مفسرة)** أي لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله: **﴿أَوْحَىٰ﴾**. قوله: **(أو مصدرية)** أي فهي وما دخلت عليه، في تأويل مصدر مجرور بالباء، والتقدير أوحى ربك إلى النحل باتخاذها.

قوله: **﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً﴾** أي أماكن و **﴿مِنَ﴾** بمعنى في، أي اتخذي في الجبال أماكن تأوين إليها الخ. ومن عجيب قدرته تعالى، أن ألهمها اتخاذ بيوت على شكل مسدس، من أضلاع متساوية، لا يزيد بعضها على بعض، وليس فيه فرج خالية ولا خلل، وألهمها الله تعالى، أن تجعل عليها أميراً كبيراً نافذاً حكمه فيها وهي تطيعه، وهذا الأمير أكبرها جثة وأعظمها خلقة، يسمى يعسوب، وألهمها سبحانه وتعالى، أن تجعل على كل باب خلية بواباً، لا يمكن غير أهلها من الدخول إليها، وألهمها أن تخرج من بيوتها فتدور وترعى، ثم ترجع إلى بيوتها ولا تضل عنها. قوله: **﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾** أي وفيما **(يبنون لك)** أي فالنحل تارة تبني بيوتها التي هي من الشمع والماء، تارة في الجبال، وتارة في الأشجار، وذلك في النحل الوحشي، وتارة تبنيه في الخلايا، وهذا في النحل الأهلي. قوله: **(وإلا لم تأو إليها)** أي وإلا بأن لم يلهمها الله اتخاذ البيوت في الأماكن الثلاثة لم تأو إليها، فيضيع عسلها ولا ينتفع به.

قوله: **﴿مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ﴾** أي حلوها مرها، طيبها ورديئها. قوله: **(وإن توعرت)** أي صعبت. قوله: **(ولا تضلي)** معطوف على قوله: **(فلا تعسر عليك)**. قوله: **(أي منقادة لما يراد منك)** أي ممتثلة، ولذا يقسم يعسوبها أعمالها بينها، فالبعض يعمل الشمع، والبعض يعمل العسل، والبعض يأتي بالماء ويصبه في البيت، والبعض يبني البيوت.

شَرَابٌ ﴾ هو العسل ﴿ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ من الأوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء أو لكلها بضميمته إلى غيره أقول وبدونها بنيته وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه، رواه الشيخان ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ في صنعه تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ أي أخسه من الهرم

قوله: ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أي ما بين أبيض وأصفر وأحمر، وغير ذلك من ألوان العسل، واختلف في سبب اختلاف ألوانه، فقيل بسبب اختلاف المرعى، وقيل بسبب اختلاف سن النحل، فالأبيض لصغيرها، والأصفر لكهلها، والأحمر لمسنها، ورد هذا بأنه لا دليل عليها. قوله: (قيل لبعضها أي الأوجاع، كالبلغم والبرودة وباقي الأمراض الباردة. قوله: (أو لكلها) أي الأوجاع جميعها، فالأمراض التي شأنها البرودة هو نافع لها بنفسه، والأمراض التي شأنها الحرارة، ينفع فيها مضموماً لغيره، ولذلك تجد غالب المعاجين لا تخلو منه. قوله: (أقول وبدونها بنيته) أي بنية الشفاء الجازمة، أن الله يخلق الشفاء عند استعماله، لاخباره تعالى بذلك، فتحصل أن في قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ أقوال ثلاثة: قيل شفاء لبعض الأوجاع التي شأنها البرودة، وقيل شفاء لجميعها، لكن في الأمراض الباردة يستعمل خالصاً، والحارة يستعمل مشوباً بغيره، وقيل شفاء لجميعها بالنية في كل ولكل أحد، ولذا روي عن ابن عمر، أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً، إلا جعل عليها عسلاً، حتى الدمل إذا خرج، طلى عليه عسلاً، وحكى النقاش عن أبي وجرة، أنه كان يكتحل بالعسل، ويتنشق بالعسل، ويتداوى بالعسل. قوله: (وقد أمر به ﷺ) الخ قد اقتصر المفسر الحديث ونصه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله ﷺ: اسقه عسلاً، فسقاء ثم جاءه فقال: إني سقيته عسلاً، فلم يزده إلا استطلاقاً، فقال له ثلاث مرات، ثم جاءه الرابعة فقال: اسقه عسلاً، فقال: سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً، فقال رسول الله ﷺ: صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فبرأ، ولا عبرة باعتراض الملحدين الذين في قلوبهم مرض على هذا الحديث حيث قالوا: إن الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل، فكيف يوصف لمن به الإسهال، لأن الإسهال يكون من أنواع كثيرة، منها الإسهال الحادث من التخم والأخلاط، وقد أجمع الأطباء على أن علاجه بالمعين على الإسهال، إذ حبس الطبيعة مضر فهذا الحديث محمول على ذلك، ولذا نفعه آخراً، حين نظفت المعدة، وخلصت من الغش.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي دلالة على وحدانية الصانع الحكيم القادر. قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أي أنشأكم وأوجدكم. قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ أي يميتكم. قوله: ﴿وَمِنْكُمْ﴾ الخ، معطوف على محذوف، والتقدير فمنكم من يبقى على قوة جسمه وعقله إلى أن يموت، ومنكم الخ. قوله: ﴿إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أي أضعفه، قال بعض العلماء: عمر الإنسان له أربع مراتب، أولها: سن النشوء والنماء، وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة، وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد. ثم المرتبة الثانية: سن الوقوف، وهو من ثلاث وثلاثين سنة إلى أربعين. وهو غاية القوة وكمال العقل. ثم المرتبة الثالثة: سن الكهولة، وهي الأربعين إلى ستين سنة، وفي هذه المرتبة يشرع الإنسان في النقص، غير أنه يكون خفياً. ثم المرتبة الرابعة: سن الشيخوخة والانحطاط، من الستين إلى آخر العمر، وفيه يتبين النقص، ويكون الهرم

والخرف ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ بتدبير خلقه ﴿قَدِيرٌ﴾ ﴿٧٠﴾ على ما يريده ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك ﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ ﴾ أي الموالي ﴿ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ أي بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم ﴿فَهُمْ﴾ أي المماليك والموالي ﴿فِيهِ سَوَآءٌ﴾ شركاء، المعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٧١﴾ يكفرون حيث يجعلون له شركاء ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ فخلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ أولاد الأولاد ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ من

والخرف، وقد استعاذ منه ﷺ حيث قال: «اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات».

قوله: ﴿**لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً**﴾ اللام لام التعليل، وكي مصدرية، ولا نافية، و﴿**شَيْئاً**﴾ تنازعه الفعل والمصدر، فأعمل في الثاني، وأضمر في الأول وحذف. والمعنى لأجل انتفاء علمه بالأشياء التي كان يعلمها قبل هذه الحالة، فيرجع إلى مبدئه في عدم المعرفة والعلم، كالطفل الذي لا يدري شيئاً. قوله: (**من قرأ القرآن**) أي عاملاً به، وكذلك العلماء العاملون، لا يصيرون بهذه الحالة، بل كلما ازدادوا في العمر، ازدادوا في العلم والمعرفة والعقل، كما هو مشاهد، ولذا قالوا: أعلى كلام العارفين، ما صدر منهم في آخر عمرهم، بل قالوا: الرد لأرذل العمر، يكون للكفار وللمنهمكين في الشهوات من عوام المؤمنين.

قوله: ﴿**وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ**﴾ المقصود من ذلك الرد على الكفار، حيث جعلوا لله شريكاً في ألوهيته، كأنه قال: الله جعل منكم أغنياء وفقراء، فالأغنياء لا ترضى أن تشرك الفقراء في أوصافهم، فكيف يجعلون لله شريكاً في صفاته، مع أنه الغني المطلق عما سواه، وهذا من ثمرات قوله: ﴿**ويجعلون لله ما يكرهون**﴾. قوله: (**أي الموالي**) المراد بهم السادة. قوله: (**المعنى ليس لهم شركاء**) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ**﴾ حذف منه أداة الاستفهام، والتقدير أفهم فيه سواء، ومعناه النفي، أي ليسوا مستوين فيه، أي لا ترضى الأغنياء بتسوية الفقراء معهم في غناهم، ولا الموالي بتسوية العبيد معهم في سيادتهم، فكيف يجعلون وصف الألوهية لغيره تعالى. قوله: ﴿**أَفَبِنِعْمَـةِ ٱللهِ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، وهي داخلة على الفعل. والمعنى أيشركون به فيجحدون نعمته؟ قوله: (**يكفرون**) أشار بذلك إلى أنه ضمن قوله: ﴿**يَجْحَدُونَ**﴾ معنى (**يكفرون**) فعداه بالباء، وإلا فالجحد يتعدى بنفسه.

قوله: ﴿**مِنْ أَنْفُسِكُمْ**﴾ أي نوعكم وجنسكم. قوله: (**فخلق حواء من ضلع آدم**) أي الأيسر القصير. قوله: ﴿**بَنِينَ**﴾ لم يذكر البنات لكراهتهم لهن، فلم يمتنّ عليهم إلا بما يحبونه. قوله: (**أولاد الأولاد**) أي وسموا حفدة، لأنهم يخدمون أجدادهم، ويسارعون في طاعتهم، لأن الحافد معناه الخادم.

أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ بإشراكهم ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ﴾ أي غيره ﴿ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ بالمطر ﴿ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْـًٔا﴾ بدل من رزقاً ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ﴿٧٣﴾ يقدرون على شيء وهو الأصنام ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ لا تجعلوا لله أشباهاً تشركونهم به ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٧٤﴾ ذلك ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ ويبدل منه ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ صفة تميزه من الحر فإنه عبدالله ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لعدم ملكه ﴿وَمَن﴾ نكرة موصوفة أي حراً ﴿رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي يتصرف فيه كيف يشاء والأول مثل الأصنام والثاني مثله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ أي العبيد العجزة والحر المتصرف لا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾

قوله: ﴿**أَفَبِالبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ**﴾ يقال فيه ما قيل فيما قبله، فيكون التقدير أبعد تحقق ما ذكر من نعم الله يؤمنون بالباطل؟ وهو استفهام توبيخ وتقريع. قوله: ﴿**وَيَعْبُدُونَ**﴾ عطف على ﴿**يَكْفُرُونَ**﴾. قوله: ﴿**مَا لَا يَمْلِكُ**﴾ الخ أي أصناماً، لا تستطيع جلب نفع ولا دفع ضر. قوله: (**بالمطر**) أي بإنزاله. قوله: (**بدل من رزقاً**) أي على أن الرزق اسم عين بمعنى المرزوق، وفيه أن البدل إما للتوكيد أو للبيان، وشيئاً لا يصلح لذلك، وحينئذ فالمناسب جعله صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله يملك، والتقدير ما لا يملك لهم ملكاً شيئاً، أي قليلاً أو كثيراً، جليلاً أو حقيراً. قوله: (**تشركونهم به**) أي فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال، والله منزه عن الأحوال والكيفيات، وأما ضرب المثل، بمعنى تشبيه حال بعض المخلوقات بحال بعض، لأجل الاستدلال على اتصافه بالكمالات، فلا ينهى عنه، بل ذكره الله تعالى في كتابه، وعلمنا كيفية ضربه. قال تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ إلى آخره، وقال هنا ﴿**ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً**﴾ الخ. قوله: (**أن لا مثل له**) وقيل المراد أن الله يعلم كيفية ضرب الأمثال، وأنتم لا تعلمون كيفيتها.

قوله: ﴿**ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً**﴾ هذا مرتب على قوله: ﴿**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ**﴾ لأن المنهي عنه، الأمثال التي تفيد تشبيه الله بغيره، وأما المثل الذي يفيد التوحيد، فقد ضربه الله بقوله: ﴿**ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً**﴾ الخ. قوله: (**صفة تميزه من الحر**) جواب عما يقال: إن كل شخص مملوك لله، حراً كان أو عبداً. فأجاب: بأن المراد به الرفيق، إذ الحر لا يسمى مملوكاً عرفاً، وإن كان عبداً لله. قوله: ﴿**لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ**﴾ أي من التصرفات. واختلف العلماء في العبد، هل يملك ما تحت يده من الأموال، أو لا يملكها؟ فقال مالك: إنه يملك، غير أن ملكه غير تام. وقال الشافعي: لا يملك أصلاً، وإنما الذي تحت يده ملك سيده، والآية مفروضة في عبد لا يقدر على شيء، وكون العبد يملك أو لا شيء آخر.

قوله: ﴿**وَمَنْ**﴾ معطوف على عبداً. قوله: ﴿**حَسَناً**﴾ أي حلالاً. قوله: (**والأول مثل الأصنام والثاني مثله تعالى**) أي فالمقصود من ذلك التوصل إلى إبطال الشريك، والرد على الكفار، كأن الله يقول: أنتم لا تسوون العبد المملوك العاجز، بالحر الغني الذي يتصرف في ماله كيف يشاء، فكيف تشركون الأصنام التي هي أضعف من العبد المملوك، مع الله القادر المتصرف في خلقه. قوله: ﴿**هَلْ يَسْتَوُونَ**﴾ أي في الإجلال والتعظيم، ولم يقل يستويان، نظراً إلى تعدد أفراد كل قسم، وإنما لم يجمع المفسر الحر، كما

أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ ولد أخرس ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لأنه لا يفهم ولا يفهم ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقيل ﴿عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ ولي أمره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ يصرفه ﴿لَا يَأْتِ﴾ منه ﴿بِخَيْرٍ﴾ بنجح، وهذا مثل الكافر ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي الأبكم المذكور ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٦﴾ وهو الثاني المؤمن؟ لا، وقيل هذا مثل لله، والأبكم للأصنام، والذي قبله في الكافر والمؤمن ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي علم ما غاب فيهما ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ منه لأنه بلفظ كن فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٧٧﴾ ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ الجملة حال ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ ـه على ذلك فتؤمنون ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ مذللات للطيران

جمع العبيد، إشارة إلى أنه مثل متوصل به إلى توحيد الله، والله تعالى واحد فأفرده تأدباً. قوله: **(لا)** هو جواب استفهام.

قوله: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** هذا حمد من الله لنفسه، في مقام الرد على المشركين، أي هو المستحق لجميع المحامد، المنعم المتفضل الخالق الرازق، وأما هذه الأصنام فلا تستحق ذلك، لأنها جمادات عاجزة، لا تنفع ولا تضر. قوله: **(فيشركون)** أي يعبدون غير الله، مع ظهور البراهين والحجج الدالة على وحدانية الله تعالى. قوله: **﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾** أي والآخر ناطق قادر خفيف على مولاه، أينما يوجهه يأت بخير، وقد حذف هذا المقابل لدلالة قوله: **﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾** الخ. قوله: **(ولد أخرس)** المناسب تفسيره بالذي لا يسمع ولا يبصر ليظهر قوله: **(لأنه لا يفهم ولا يفهم)**. قوله: **﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ﴾** الخ أين اسم شرط جازم، و **﴿يُوَجِّهْهُ﴾** فعل الشرط، وقوله: **﴿لَا يَأْتِ﴾** جواب الشرط مجزوم بحذف الياء. قوله: **(بنجح)** بضم النون بوزن قفل، أي لا يأت بشيء نافع.

قوله: **﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾** معطوف على الضمير في **﴿يَسْتَوِي﴾** والشرط موجود، وهو الفصل بالضمير المنفصل. قوله: **(وقيل هذا)** أي من يأمر بالعدل. قوله: **(والذي قبله)** أي وهو قوله ﴿عبداً مملوكاً﴾ ﴿ومن رزقناه﴾ وقيل كل في الكافر والمؤمن، وقيل كل في المعبود بحق، والمعبود بباطل، فتكون الأقوال أربعة. قوله: **(في الكافر والمؤمن)** قيل محمول على العموم، وقيل المراد بالكافر أبو جهل، والمؤمن النبي ﷺ، وقيل غير ذلك.

قوله: **﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمٰوَاتِ﴾** هذا دليل على كمال علمه وقدرته. قوله: **(أي علم ما غاب)** أي خفي وبطن. قوله: **﴿وَمَا أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾** أي قيام الخلق من القبور. قوله: **﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾** أي انطباق جفن العين أو فتحه. قوله: **(لأنه بلفظ كن فيكون)** فيه تسامح، إذ ليس ثم كاف ولا نون، بل المراد سرعة الإيجاد، فإذا أراد شيئاً أوجده سريعاً. قوله: **﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾** أي لا تعرفون قوله: **(حال)** أي من الكاف في أخرجكم. قوله: **﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾** أفرده باعتبار كونه مصدراً في الأصل.

﴿فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي الهواء بين السماء والأرض ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهن وبسطها أن يقعن ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٧٩﴾ هي خلقها بحيث يمكنها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ موضعاً تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾ سفركم ﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾ أي الغنم ﴿وَأَوۡبَارِهَا﴾ أي الإبل ﴿وَأَشۡعَارِهَآ﴾ أي المعز ﴿أَثَٰثٗا﴾ متاعاً لبيوتكم كبسط وأكسية ﴿وَمَتَٰعًا﴾ تتمتعون به ﴿إِلَىٰ حِينٖ ۝٨٠﴾ يبلى فيه ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظِلَٰلٗا﴾ جمع ظل تقيكم حر الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ جمع كن وهو ما يستكن فيه كالغار والسرب ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ﴾ قمصاً ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ أي والبرد ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾ حربكم أي الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما خلق هذه الأشياء ﴿يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿تُسۡلِمُونَ ۝٨١﴾ توحدونه ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أعرضوا عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٨٢﴾ الإبلاغ البين وهذا قبل الأمر

قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْ﴾ أي ينظروا بأبصارهم. قوله: ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ هو حال من ﴿ٱلطَّيْرِ﴾. قوله: ﴿فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ﴾ الجو الفضاء الكائن بين السماء والأرض، قال كعب الأحبار: إن الطير يرتفع في الجو مسافة اثني عشر ميلاً، ولا يترفع فوق ذلك. قوله: **(عند قبض أجنحتهن)** هذا يفيد أنها في حال الطيران تقبض أجنحتها، مع أنه خلاف المشاهد، فالمناسب أن يقول ما يمسكهن في حال طيرانهن إلا الله، فإن ثقل أجسادها يقتضي سقوطها، ولا علاقة فوقها، ولا شيء تحتها يمسكها. قوله: ﴿مِنْ جُلُودِ ٱلْأَنْعَامِ بُيُوتاً﴾ أي وذلك في بعض الناس كالسودان، فإنهم يتخذون خيامهم من الجلود. قوله: **(كالخيام)** جمع خيمة، والقباب جمع قبة، وهي دون الخيمة. قوله: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي يخف عليكم حملها في رحيلكم وإقامتكم، فلا يثقل عليكم حملها في الحالين. قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ معطوف على ﴿مِنْ جُلُودِ ٱلْأَنْعَامِ﴾، وقوله: ﴿أَثَاثاً﴾ معطوف على ﴿بُيُوتاً﴾، ولم يذكر القطن والكتان، لأنها لم يكونا ببلاد العرب. قوله: **(كبسط)** بضم الباء والسين وقد تسكن.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً﴾ أي ما تستظلون به، وذكر في مقام الامتنان، لأن بلاد العرب شديدة الحر، فحاجتهم للظلال، وما يدفع عنهم شدة الحر وقوته أكثر. قوله: **(والغمام)** أي السحاب. قوله: **(جمع كن)** أي غطاء، والأكنة الأغطية، ومنه ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ قوله: **(أي والبرد)** أشار بذلك إلى أن فيه حذف الواو مع ما عطفت، ويسمى عند أهل المعاني اكتفاء. قوله: **(كالدروع)** أي دروع الحديد، قوله: **(والجواشن)** جمع جوشن وهو الدرع، فالعطف للتفسير. قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي داموا على التولي والاعراض. قوله: **(وهذا قبل الأمر بالقتال)** مراده أن هذه الآية منسوخة، وفيه أنه لا يظهر إلا لو قدر جواب الشرط، فلا تقاتلهم مثلاً، وأما لو قدر، فلا عتب عليك ولا مؤاخذة، لأنك لا قدرة لك على خلق الإيمان في قلوبهم، فلا يظهر النسخ، لأنه لا ينافي الأمر بقتالهم.

بالقتال ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي يقرون بأنها من عنده ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بإشراكهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيها يشهد لها وعليها وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يرضي الله ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ يمهلون عنه إذا رأوه ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾ نعبدهم ﴿مِن

قوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي وهي ما تقدم من أول السورة إلى هنا من النعم العظيمة، بأن يقرونها من عند الله، ولا يصرفونها في مصارفها. قوله: ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ أتى بثم إشارة إلى أن إنكارهم مستبعد بعد المعرفة، لأن من عرف النعمة، فحقه أن لا ينكرها بعد ذلك. قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ أي يموتون كفاراً، وأقلهم يتهدي للإسلام، فإن أكثر صناديدهم مات كافراً والأقل منهم أسلم.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله: (اذكر)، والمعنى: اذكر يا محمد لقومك، يوم نجعل لكل أمة شهيداً، أو المراد بالبعث الإحياء، أي يوم نحيي من كل أمة شهيداً، والأول أقرب. قوله: (يشهد عليها) أي بالتكذيب والكفر، وقوله: (ولها) أي بالتصديق والإيمان. قوله: (وهو يوم القيامة) أي لأنه ورد: أنه يؤتى بالأمم الماضية وأنبيائهم، فيقال للأنبياء: هل بلغتم أممكم؟ فيقولون: نعم بلغنا، فيقال للأمم: هل بلغكم رسلكم؟ فيقولون: يا ربنا ما جاءنا من نذير، فيؤتى بالأمة المحمدية، فتشهد للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأمم بالتكذيب، فتقول الأمم: من أين أتى لكم ذلك، وأنتم آخر الأمم؟ فيقولون: أخبرنا نبينا بذلك عن ربنا، وهو صادق عن صادق، فيأتي رسول الله ﷺ فيزكي أمته، فحين يقول: يا رب قد بلغتهم تنقطع حجتهم، فهو مخصوص بأنه مقبول الشهادة، من غير مزك له.

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اختلف في متعلق الإذن المنفي، فقال المفسر في الاعتذار، ويدل له قوله تعالى﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾وقيل لا يؤذن لهم في كثرة الكلام، وقيل في الرجوع إلى الدنيا والتكليف، وقيل في التكلم وقت شهادة الشهود، بل يسكتون وقتها، ولا يقدر أحد منهم على التكلم إذ ذاك. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي لا تزال عتباهم، وهي ما يعتبون ويلامون عليها، يقال استعتبت فلاناً، بمعنى أزلت عتباه، فالسين والتاء للسلب، نظير الهمزة في أعذر إليه على ألسنة المرسلين. قوله: (إلى ما يرضي الله) أي من الرجوع إلى الدنيا والعبادة فيها. قوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ أي فهم لا يخفف عنهم، وإنما احتيج لتقدير المبتدأ، لصحة دخول الفاء، لأن الفعل المضارع الصالح لمباشرة الأداة لا يقرن بالفاء، فاحتيج لجعلها جملة اسمية لوجود الفاء. قوله: ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ تفسير للضمير المستتر في الفعل.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَى﴾ أي أبصر. قوله: ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾ مفعول به، والإضافة لأدنى ملابسة، لكون الإشراك نشأ منهم، وكذا يقال في قوله: ﴿هؤلَاءِ شُرَكَاؤُنَا﴾. قوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا هؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا﴾ إنما

دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي قالوا لهم ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ﴿٨٦﴾ في قولكم إنكم عبدتمونا كما في آية أخرى ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ سيكفرون بعبادتهم ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ أي استسلموا لحكمه ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿٨٧﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟﴾ الناس ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ دينه ﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقارب أنيابها كالنخل الطوال ﴿بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ بصدهم الناس عن الإيمان ﴿وَ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ هو نبيهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿تِبْيَٰنًا﴾ بياناً ﴿ لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة

قصدوا بذلك توزيع العذاب بينهم. قوله: ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ المعنى: فيخلق الله الحياة والعقل والنطق في تلك الأصنام ويقولون: إنكم قد كذبتم في عبادتكم لنا، فإنكم ما عبدتمونا، بل عبدتم هواكم، وإنما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم، لأن الأوثان لم يكونوا راضين بذلك، فكأنهم لم يعبدوهم. قوله: **(أي استسلموا)** أي انقادوا بعد أن كانوا في الدنيا متكبرين، ولكن هذا الانقياد لا ينفعهم. قوله: **(من أن آلهتهم تشفع لهم)** أي حيث قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

قوله: ﴿**ٱلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿**زِدْنَاهُمْ**﴾. قوله: ﴿**وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾ أي منعوا الناس عن الدخول في الإيمان، وهذه الآية تعم من يحمل الناس على الكفر، ولو كان يقول: لا إله إلا الله. قوله: **(قال ابن مسعود)** أي في تفسير العذاب الزائد. وقال سعيد بن جبير: حيات كالبخت وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداهن اللسعة، فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفاً. وقال ابن عباس ومقاتل: يعني بزيادة العذاب خمسة أنهار، من أصفر مذاب كالنار يسيل من تحت الفرش، يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل، واثنان على مقدار النهار، وقيل إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير، فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها. قوله: **(أنيابها كالنخل الطوال)** أي وجسمها بالنسبة لأنيابها، كجسم أحدنا بالنسبة إلى نابه، فتكون عظيمة الجثة جداً، أجارنا الله والمسلمين منها. قوله: ﴿**بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ**﴾ الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب كونهم مفسدين. قوله: ﴿**يَوْمَ نَبْعَثُ**﴾ كرر لزيادة التهديد. قوله: **(أي قومك)** هذا أحد تفسيرين، وقيل المراد بهؤلاء الأنبياء، لاستجماع شرعه لشرائعهم، وأما كونه شهيداً على أمته، فقد علم مما تقدم، فحملها عليه فيه تكرار، إلا أن يقال: المراد بشهادته على أمته، تزكيته وتعديله لهم، حتى شهدوا على تبليغ الأنبياء، وهذا لم يعلم مما مر، مع أنه الوارد في الحديث.

قوله: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ**﴾ أي في الدنيا، فهو كلام مستأنف. قوله: ﴿**تِبْيَاناً**﴾ حال أو مفعول لأجله، وهو مصدر، ولم يجيء من المصادر على وزن تفعال بالكسر، إلا تبيان وتلقاء، وفي الأسماء كثير، نحو التمساح والتمثال. قوله: ﴿**تِبْيَاناً**﴾ أي بياناً شافياً بليغاً، لأن زيادة البناء، تدل على زيادة المعنى. قوله: ﴿**لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ محتاج إليه من أمر الشريعة. إن قلت: إنا نجد كثيراً من أحكام الشريعة، لم يعلم من

﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ الموحدين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ التوحيد أو الإنصاف ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ أداء

القرآن تفصيلاً، كعدد ركعات الصلاة، ونصاب الزكاة وغير ذلك، فكيف يقول الله تبياناً لكل شيء؟ أجيب: بأن البيان، إما في ذات الكتاب، أو بإحالته على السنة، قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ أو بإحالته على الإجماع، قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ الآية، أو على القياس، قال تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ والاعتبار النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس فهذه أربعة طرق، لا يخرج شيء من أحكام الشريعة عنها، وكلها مذكورة في القرآن، فكان تبياناً لكل شيء بهذا الاعتبار. قوله: ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ تنازعه كل من هدى ورحمة وبشرى. قوله: (**الموحدين**) أي وأما الكفار، فهو لهم خسران وعذاب وإنذار.

قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**﴾ هذه الآية من ثمرات قوله: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ حتى قال العلماء: إن لم يكن في القرآن غير هذه الآية، لكفت في البيان والهدى والرحمة، لأنها آمرة بكل خير، ناهية عن كل شر. قوله: (**التوحيد**) أي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وهذا التفسير وارد عن ابن عباس، وفي رواية عنه أيضاً: العدل خلع الأنداد، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، وأن تحب للمرء ما تحب لنفسك، فإن كان مؤمناً، تحب أن يزداد إيماناً، وإن كان كافراً تحب أن يكون أخاك في الإسلام. وفي رواية: العدل التوحيد، والإحسان الأخلاص، وكل هذا أفاده المفسر بقوله: (**التوحيد والانصاف**) أي في كل أمور، فالانصاف في التوحيد، اعتقاد أن الله متصف بكل كمال، منزه عن كل نقص، والانصاف في الاعتقاد، نسبة الأفعال كلها لله، ونسبة الكسب للعبيد، خلافاً للجبرية والمعتزلة، فالفرقة الأولى نفت الكسب أصلاً. وقالوا: العبد كالخيط المعلق في الهواء، لا فعل له أصلاً، وتعذيب الله له ظلم، وهؤلاء كفار. والفرقة الثانية قالوا: العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، وهؤلاء فساق، وكلا المذهبين جور، والانصاف نسبة الأفعال كلها لله، خيرها وشرها، ظاهرها وباطنها، ولكن من الأفعال ما هو جبري، وهذه لا كسب للعبد فيها، ولذا لا يثاب عليها ولا يعاقب، ومنها ما هو اختياري، وهذه للعبد فيها نوع كسب، ولذا يثاب عليه إن كان خيراً، ويعاقب عليه إن كان شراً، وهذا مذهب أهل السنة، خرج من بين فرث ودم، لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، والانصاف في العبادات، عدم التفريط والإفراط فيها، بل يكون بين ذلك قواماً، والانصاف في النفقات، أن لا يسرف ولا يقتر، قال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ والانصاف بين عباد الله: يقسم لزوجاته، وينصر المظلوم على الظالم، ويعامل الخلق باللطف والرفق، وغير ذلك.

قوله: ﴿**وَٱلْإِحْسَانِ**﴾ أي مع الله ومع عباده، فالإحسان مع الله، أداء فرائضه على الوجه الأكمل، والإحسان مع عباده، أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك. قوله: (**كما في الحديث**) أي فقد سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإحسان، فقال له عليه الصلاة والسلام: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، والمعنى أن تعبد الله ملاحظاً لجلاله، كأنك تراه ببصرك، وهذا مقام المشاهدة فإن لم تصل لهذه المرتبة، فلاحظ أنه يراك وأنك في حضرته، وهذا مقام المراقبة، فمثل المشاهد كالبصير الجالس في حضرة الملك، فأدبه من جهتين؛ كونه رائياً الملك، وكون الملك رائياً له، ومثل المراقب كمثل الأعمى الجالس في حضرة الملك، فأدبه من جهة ملاحظته، كون الملك رائياً له.

الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه كما في الحديث ﴿وَإِيتَآيِ﴾ إعطاء ﴿ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة، خصه بالذكر اهتماماً به ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ الزنا ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ شرعاً من الكفر والمعاصي ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾ الظلم للناس خصه بالذكر اهتماماً كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ تتعظون وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي المستدرك عن ابن مسعود وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ من البيع والإيمان وغيرها ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ بالوفاء حيث حلفتم به، والجملة حال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ تهديد لهم ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ﴾ أفسدت ﴿غَزْلَهَا﴾ ما غزلته ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له وبرم ﴿أَنكَٰثًا﴾ حال جمع نكث وهو ما ينكث أي يحل إحكامه وهي امرأة حمقاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ حال من

قوله: ﴿وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي التصدق على القريب، وهو آكد من التصدق على غيره، لأن فيه صدقة وصلة، قال عليه الصلاة والسلام: «إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم». قوله: **(من الكفر والمعاصي)** أي فيدخل فيه الزنا وغيره، فهو تعميم بعد تخصيص. قوله: **(اهتماماً به)** أي لأنه أعظم المعاصي بعد الكفر، ولذا قال بعض العلماء: أعجل العقوبة على المعاصي العقوبة على البغي. وفي الحديث: «لو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر، لانتقم الله من الباغي». وفيه أيضاً «الظلمة وأعوانهم كلاب النار». قوله: **(كما بدأ بالفحشاء كذلك)** أي اهتماماً به، لأن فيه ضياع الأنساب والأعراض، ويترتب عليه المقت والعقوبة من الله، قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾.

قوله: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ حال من فاعل يأمر وينهى، أي يأمركم وينهاكم، حال كونه واعظاً لكم. قوله: **(في الأصل)** أي فأصله تتذكرون، قلبت التاء ذالاً، وأدغمت في الدال. قوله: **(هذه أجمع آية)** الخ، روي أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة. فقال: أعدها يا محمد، فلما قرأها قال: إن له حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر، ولكونها أجمع آية استعملها الخطباء في آخر الخطبة.

قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ هذا من جملة المأمور به على سبيل التفصيل، وبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد، لأنه آكد الحقوق، وهذه الآية نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، ولكن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. قوله: **(من البيع)** بكسر الباء جمع بيعة، وهي المعاهدة على أمر شرعي. قوله: **(والإيمان)** جمع يمين، أي وأوفوا بما حلفتم عليه، ولا تحنثوا في أيمانكم، أي إذا كان فيها صلاح، وإلا فالحنث خير، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها، فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه» فهو عام مخصوص. قوله: **(وغيرها)** أي كالمواعيد، فالمراد من العهد كل ما يلزم الإنسان الوفاء به، سواء أوجبه الله على الشخص، أو التزمه الشخص من نفسه، كعهود المشايخ التي يأخذونها على المريدين، بأنهم يلازمون طاعة الله، ولا يخالفونه في أمرنا، فالواجب على المريدين الوفاء بها، حيث كانت المشايخ موزونين بميزان الشرع، متصفين بالأخلاق الحميدة والأفعال السديد. قوله: ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي تغليظها، والتوكيد مصدر وكد بالواو، ويقال أكد بالهمزة، فمصدره التأكيد، وهما لغتان. قوله: ﴿كَفِيلًا﴾ أي شهيداً. قوله: **(والجملة حال)** أي من فاعل تنقضوا.

ضمير تكونوا أي لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه، أي فساداً وخديعة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بأن تنقضوها ﴿أَن﴾ أي لأن ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف أولئك وحالفوهم ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾ يختبركم ﴿ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ أي بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي أو بكون أمة أربى لينظر أتفون أم لا ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٢) في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾ يوم القيامة سؤال تبكيت ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٣) لتجازوا عليه ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ كرره تأكيداً ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ﴾ أي

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ أي لا تنقضوا العهود التي عاهدتم عليها الخالق، أو المخلوق في غير معصية، فتكونوا كالتي نقضت غزلها. قوله: **(حال)** أي أو منصوب على المصدرية لأن معنى نقضت نكثت، فهو مطابق لعامله في المعنى. قوله: **(جمع نكث)** بكسر النون. قوله: **(وهي امرأة حمقاء)** أي واسمها ريطة ابنت سعد بن تميم قرشية، قد اتخذت مغزلاً قدر ذراع، وسنارة مثل الأصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلنه، وقوله حمقاء. أي قليلة العقل. قوله: **(كانت تغزل)** أي الصوف والوبر والشعر.

قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ أي تصيرون، و ﴿أَيْمَانَكُمْ﴾ مفعول أول، و ﴿دَخَلًا﴾ مفعول ثان. قوله: ﴿دَخَلًا﴾ أصل الدخل العيب، فإن شأنه أن يدخل في الشيء وليس من جنسه، والمراد به هنا الفساد والخديعة، كما قال المفسر. قوله: **(أي لأن)** ﴿تَكُونَ﴾ أشار بذلك إلى أن النصب على وجه التعليل، أي لأجل ﴿أَنْ تَكُونَ﴾، و ﴿أُمَّةٌ﴾ فاعل ﴿تَكُونَ﴾ على أنها تامة، أو اسمها على أنها ناقصة، وجملة ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ خبرها. قوله: **(وكانوا)** أي قريش، وهو مشاهد في أهل زماننا، حيث يلتجئون لأرباب المناصب ما داموا في مناصبهم، فإذا عزلوا أو نقصت مرتبتهم، تركوهم ولم يلتفتوا لهم، وكأنهم لم يعرفوهم، وليس هذا من الإيمان، بل الإيمان الوفاء بالعهد وعدم نقضه، إن لم يكن في بقائه عصيان الله. قوله: **(فإذا وجدوا أكثر منهم)** أي مالاً أو جاهاً. قوله: **(حلف أولئك)** الحلف بكسر فسكون، العهد يكون بين القوم. قوله: **(لينظر المطيع)** أي ليظهر لكم المطيع من غيره، فإن المطيع يدوم على العهد والود، وإن ذهبت من حليفه حظوظ المظاهر، وغيره يدور مع المظاهر. قوله: **(أو يكون)** معطوف على قوله: **(بما أمر به)**، وعليه فالضمير عائد على المصدر المنسبك من أن تكون، والمعنى لا تتخذوا عهودكم حيلة وخداعاً، من أجل كون تلك الأمة التي عاهدتموها ذات مال أو جاه؛ فإن انتقل المال أو الجاه لغيرهم، نقضتم عهود الأوائل، فصاحب هذه الأوصاف، خائن لله ولعباده. قوله: ﴿فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي ترددون.

قوله: ﴿وَلَو شَاءَ آللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ هذا تسلية له ﷺ. قوله: **(سؤال تبكيت)** أي لا تفهم، وقد أشار بذلك إلى وجه الجمع، بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ فالمثبت سؤال التبكيت، والمنفي سؤال التفهم. قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي عهودكم. قوله: ﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ أي فساداً وخديعة. قوله: **(كرره تأكيداً)** أي كرر النهي عن اتخاذ الأيمان خديعة

أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي العذاب ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي بصدكم عن الوفاء بالعهد أو بصدكم غيركم عنه لأنه يستن بكم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٩٤﴾ في الآخرة ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما في الدنيا ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ ذلك فلا تنقضوا ﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾ يفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ دائم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ بالياء والنون ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ على الوفاء بالعهود ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ أحسن بمعنى

وحيلة، تأكيداً للإشارة إلى أن هذا أمر فظيع جداً، فإن نقض العهد، فيه فساد الدين والدنيا والعرض، والوفاء به، خير الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ منصوب بإضمار أن في جواب النهي، وأفرد القدم ونكره، إشارة إلى أن زلة القدم ولو مرة واحدة، أو أي قدم مضرة، لأن من زل به القدم، فقد طرد عن باب الله. قوله: **(عن محجة الإسلام)** أي طريقه، ومثل من زل القدم في عهد شيخه فنقضه، فإنه مطرود عن طريقته، ومتى طرد عن طريقته، فقد سلب ما وهبه الله له من النور الإلهي، فلا يرجى له الفتح في طريقة أخرى، لأن غاية الطرق واحدة، وهو قد طرد عن الغاية. قوله: **(العذاب)** أي في الدنيا بدليل قوله: ﴿**وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ **(في الآخرة)**. قوله: ﴿**عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾ أي دينه الموصل لمرضاته. قوله: **(أي بصدكم عن الوفاء)** هو من صد اللازم، أي امتناعكم وإعراضكم عن الوفاء. قوله: **(أو بصدكم غيركم عنه)** هو من صد المتعدي، أي منعكم غيركم. قوله: **(لأنه)** أي ذلك الغير. قوله: **(يستن)** أي يقتدي بكم في نقض العهود.

قوله: ﴿**وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً**﴾ أي لا تتركوا عهد الله، في نظير عرض قليل تأخذونه قوله: **(بأن تنقضوه)** أي العهد، وقوله: **(لأجله)** أي الثمن القليل، وظاهره ولو من حلال، وإذا كان نقض العهد، لأجل القليل من الحلال مذموماً، فالحرام أولى بالذم، والمراد بالثمن القليل، أعراض الدنيا وإن كثرت. قوله: ﴿**إِنَّمَا عِنْدَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ علة لما قبله، وإن حرف توكيد ونصب، وما اسم موصول اسمها، و﴿**عِنْدَ ٱللَّهِ**﴾ صلته، وجملة ﴿**هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ خبرها، وقوله: **(من الثواب)** بيان لما. قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ شرط حذف جوابه. وقدره المفسر بقوله فلا تنقضوا.

قوله: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ**﴾ مبتدأ وخبر، والنفاد بالفتح الفناء والذهاب، يقال نفد بالكسر ينفد بالفتح، فني وفرغ، وأما نفذ بالفتح والمعجمة ينفذ بالضم، فمعناه مضى، يقال: نفذ حكم الأمير بمعنى مضى. قوله: ﴿**بَاقٍ**﴾ يصح الوقف عليه، بثبوت الياء وحذفها مع سكون القاف، قراءتان سبعيتان. قوله: **(دائم)** أي لا يفرغ ولا يفنى. قوله: **(بالياء والنون)** أي فهما قراءتان سبعيتان قوله: **(على الوفاء بالعهود)** أي والمراد مشاق التكاليف. قوله: ﴿**أَجْرَهُمْ**﴾ مفعول ثان ليجزي، قوله: ﴿**بِأَحْسَنِ**﴾ الباء بمعنى على. قوله: **(أحسن بمعنى حسن)** أشار بذلك إلى أن أفعل التفضيل ليس على بابه، ودفع بذلك ما يتوهم من قصر المجازاة على الأحسن الذي هو الواجبات، مع أنهم يجازون على الواجبات والمندوبات. وهناك تقرير آخر في الآية، وهو أن الأحسن صفة لموصوف محذوف، أي بثواب أحسن من عملهم، أي أكثر منه تفضلاً وإحساناً، قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ والباء لمجرد التعدية.

حسن ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قيل هي حياة الجنة وقيل في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي أردت قراءته ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ﴿٩٨﴾ أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ تسلط ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿إِنَّمَا

قوله: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً﴾** **﴿مَنْ﴾** اسم شرط مبتدأ، و **﴿عَمِلَ﴾** فعل الشرط، قوله: **﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ﴾** جوابه. قوله: **(قيل هي حياة الجنة)** هذا القول لمجاهد وقتادة، ورواه عوف عن الحسن وقال: لا يطيب لأحد الحياة إلا في الجنة، لأنها حياة بلا موت، وغنى بلا فقر، وصحة بلا سقم، وملك بلا هلاك، وسعادة بلا شقاوة. قوله: **(وقيل في الدنيا بالقناعة)** هذا القول للحسن، قوله: **(أو الرزق الحلال)** هو لسعيد بن جبير وعطاء وزيد، على ما ذكره المفسر ما قيل هي حلاوة الطاعة، وقيل رزق يوم بيوم، وقيل الحياة الطيبة تحصل في القبر، لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها، وقيل ما هو أعم، فالحياة الطيبة في الدنيا بالتوفيق للطاعة والرزق الحلال، وفي القبر بالراحة من النكد والتعب، وفي الجنة بالنعيم المقيم.

قوله: **﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** أي في الجنة، واستفيد من هذا، أن الحياة الطيبة ليست هي الجزاء، لأنه قد قيل بأنها تكون في الدنيا أو القبر، وليس النعيم في ذلك بجزاء، بل الجزاء ما كان في الآخرة بالجنة وما فيها. قوله: **﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ﴾** حكمة التفريع على ما تقدم، أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال، فطلب بالاستعاذة عند قراءته، ليحفظ من الضياع المترتب على الوساوس الشيطانية، والمعنى إذا علمت مما تقدم، أن عظم الجزاء محاسن الأعمال، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. عند قراءة القرآن، الذي هو أحسن الأعمال وأزكاها. قوله: **(أي أردت قراءته)** أشار بذلك إلى أن الأمر بالاستعاذة قبل القراءة، وإليه ذهب أكثر الفقهاء والمحدثين، ووجهه أن الاستعاذة تذهب الوسوسة، فتقديمها أولى، وذهب الأقل إلى إبقاء الآية على ظاهرها، وأن الأمر بالاستعاذة بعد تمام القراءة، ووجه بأن القارىء يستحق الثواب العظيم على قراءته، وربما حصلت له الوسوسة في قلبه، هل حصل له ذلك أم لا؟ فأمر بالاستعاذة لتذهب تلك الوسوسة، ويبقى الثواب خالصاً، لأن التردد في صدق الوعد بالثواب من أسباب منعه.

قوله: **﴿فَاسْتَعِذْ﴾** السين والتاء للطلب، أي اطلب من الله التعوذ والتحصن من شره، والأمر للاستحباب، وظاهر الآية، أن الاستعاذة مطلوبة عند قراءة القرآن مطلقاً في الصلاة وغيرها، وأنه أخذ الشافعي ووافقه مالك في النفل، وكره الاستعاذة في صلاة الفرض، لدليل أخذه من السنة. قوله: **(أي قل أعوذ بالله)** الخ، هذا بيان للأفضل، وإلا فامتثال الأمر يحصل بأي صيغة كانت، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ وأراد بالقلم الذي نسخ به من اللوح المحفوظ، ونزل به جبريل دفعة إلى سماء الدنيا، وليس المراد به القلم الذي كتب في اللوح المحفوظ، فإنه مقدم الرتبة على اللوح. قوله: **﴿مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾** هو من شطن إذا بعد، أو من

﴿سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ بطاعته ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ أي الله ﴿مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ بنسخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ﴾ أي الكفار للنبي ﷺ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ كذاب تقوله من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بنزل ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾ القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قين نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه قال تعالى: ﴿لِّسَانُ﴾ لغة ﴿ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾ يميلون ﴿إِلَيْهِ﴾ أنه يعلمه ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾

شاط إذا احترق، والرجيم بمعنى المرجوم أي المطرود عن رحمة الله.

قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ تعليل لمحذوف، والتقدير فإذا استعذت بالله كفيت شره، ودخلت في أمان الله لأنه الخ. قوله: (تسلط) أي استيلاء وقهر. قوله: ﴿عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ مقابل قوله: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ مقابل قوله: ﴿عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾. قوله: (أي الله) أشار بذلك إلى أن الضمير راجع لربهم والباء للتعدية، ويصح أن يعود على الشيطان، وتكون الباء سببية وهي أولى، لعدم تشتيت الضمائر.

قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً﴾ الخ، سبب نزولها، أن المشركين من أهل مكة قالوا: إن محمداً يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم عنه غداً، ما هذا إلا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه. قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه، أتى بها تسلية له ﷺ، والمعنى والله أعلم بالناسخ والمنسوخ، فيكفيك علمه، فلا يحزنك ما قالوه. قوله: (تقوله من عندك) أي تختلقه من عند نفسك وليس بقرآن. قوله: (حقيقة القرآن) أي وهو أنه اللفظ المنزل من عند الله على محمد ﷺ للإعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته. قوله: (وفائدة النسخ) أي وهي المصالح التي تعود على العباد. قوله: ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ بضم الدال وسكونها، قراءتان سبعيتان، أي الروح المقدس، بمعنى المطهر المنزه على الرذائل، فهو من إضافة الموصوف للصفة. قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ الباء للملابسة، أي نزله تنزيلاً ملتبساً بالحق. قوله: (بإيمانهم به) أي بسبب إيمانهم بالقرآن. قوله: ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ أي وأما لغيرهم فهو خسران، لا يزيدون به إلا ضلالاً، فهو تعريض بحصول ضد ذلك لغير المسلمين.

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ أي علماً مستمراً لا تجدد فيه. قوله: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر، أي لا يعلم محمد القرآن إلا بشر، لا جبريل كما يقول. قوله: (وهو قين) أي حداد وكان رومياً وفي نسخه قن أي عبد واسمه جبر، وهو غلام عامر بن الحضرمي، وقيل يعنون جبراً ويساراً، كانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن التوراة والإنجيل باللغة التي نزلا بها، وكان الرسول ﷺ يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه، ليتسلى بما وقع للأنبياء قبله، وقيل غير ذلك، وعلى كل فقد ورد أنه أسلم ذلك البشر الذي نسبوا لرسول الله التعلم منه. قوله: (قال تعالى) أي رداً عليهم. قوله: (يميلون) ﴿إِلَيْهِ﴾ أي ينسبون إليه أنه يتعلم منه. قوله: ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ الأعجمي الذي لم يتكلم بالعربية. قوله: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ﴾ أي ولا يكون

ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمي ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿١٠٤﴾ مؤلم ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن بقولهم هذا من قول بشر ﴿ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ ﴿١٠٥﴾ والتأكيد بالتكرار وإن وغيرهما رد لقولهم إنما أنت مفتر ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴾ على التلفظ بالكفر فتلفظ به ﴿ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ ومن مبتدأ أو شرطية والخبر أو الجواب لهم وعيد شديد دل على هذا ﴿ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ له أي فتحه ووسعه بمعنى طابت به نفسه ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ

العربي متلقياً من العجمي. قوله: (فكيف يعلمه أعجمي) أي لا يصح ولا يليق ذلك لاستحالته عادة.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي في علمه، وقوله: ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ أي في الخارج. قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أي في قولهم إنما يعلمه بشر. قوله: (والتأكيد) مبتدأ، وقوله: (رد) خبر.

قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر، وذلك أنه من جملة السبعة السابقين للإسلام وهم: عمار وأبوه ياسر وأمه سمية وصهيب وبلال وخباب وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم، وذلك أن الكفار، أخذوهم وعذبوهم ليرجعوا عن الإيمان، فأما سمية أم عمار، فربطوها بين بعيرين، وضربها أبو جهل بحربة في فرجها فماتت، وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين في الإسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه، وقلبه كاره لذلك، فأخبر النبي ﷺ بأن عماراً كفر، كلا إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه، فأتى عمار وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ: ما وراءك؟ فقال: شر يا رسول الله، نلت منك وذكرت، فقال: كيف وجدت قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان، فجعل النبي يمسح عينيه وقال له: إن عادوا لك فقل لهم ما قلت. وأما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول: أحد أحد، حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه، وأما خباب فقد أوقدوا له ناراً، فلم يطفئها إلا ودك ظهره. وأما أبو بكر فحفظه الله بقومه وعشيرته. وفيما فعله عمار، دليل على جواز التلفظ بالكفر عند خوف القتل، ولكن القتل أجمل، كما وقع من أبويه، ولما روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: ما تقول فيّ، قال: أنت أيضاً فخلاه. وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: ما تقول فيّ؟ قال: أنا أصم، فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له. قوله: (على التلفظ بالكفر) أي أو فعله. قوله: (والخبر أو الجواب) الخ، الأولى تقدير هذا قبل الاستثناء. قوله: (لهم وعيد) الأولى أن يقدره بالفاء، لأن الجواب إذا وقع جملة اسمية يقرن بالفاء، والمبتدأ الذي يشبه الشرط، يقرن خبره بالفاء أيضاً لشبهة بالشرط. قوله: (دل على هذا) أي على الجواب أو الخبر.

قوله: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ﴾ أتى بالاستدراك، لأنه ربما يتوهم من قوله إلا من أكره، أنه حين الإكراه يجوز التكلم بالكفر، ولو انشرح صدره له في بعض الأحيان، فدفع التوهم بالاستدراك. ولا يبعد الوهم قوله: ﴿مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾، و ﴿مَنْ﴾ إما شرطية أو موصولة، ويلزم تقدير مبتدأ قبل ﴿مَنْ﴾، وما قيل إن الاستدراك لا يقع في الشروط ممنوع. قوله: (بمعنى طابت به نفسه) أي قبله ومال إليه. قوله:

عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ اختاروها ﴿عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ عما يراد بهم ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ إلى المدينة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ عذبوا وتلفظوا بالكفر وفي قراءة بالبناء للفاعل أي كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي الفتنة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿١١٠﴾ بهم إن الأولى دل عليه خبر الثانية اذكر ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ﴾ تحاج ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾ لا يهمها غيرها

﴿فعَلَيْهِمْ﴾ جمع مراعاة لمعنى ﴿مِنَ﴾. قوله: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي حاصل وثابت بسبب أنهم الخ، فاسم الإشارة مبتدأ، والجار والمجرور في محل رفع خبره. قوله: ﴿لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ أي لا يوصلهم إلى الإيمان، ولا يعصمهم من الزيغ.

قوله: ﴿أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الخ، أي جعل عليها غلافاً معنوياً، بحيث لا تذعن للحق، ولا تسمعه ولا تبصره. قوله: ﴿ٱلْخَاسِرُونَ﴾ أي لأنهم ضيعوا أعمارهم في غير منفعة تعود عليهم، والموجب لخسرانهم، أن الله تعالى وصفهم بست صفات تقدمت: الغضب، والعذاب العظيم، واختيار الدنيا على الآخرة، وحرمانهم من الهدى، والطبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وجعلهم من الغافلين.

قوله: ﴿ثُم إِنَّ رَبَّكَ﴾ نزلت هذه الآية في عياش بن ربيعة، وكان أخا أبي جهل من الرضاعة، وقيل من أمه، وفي أبي جندل بن سهل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام، وعبدالله بن أسد الثقفي، فتنهم المشركون وعذبوهم، فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، ثم هاجروا وجاهدوا. قوله: ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ متعلق بمحذوف هو خبر إن، أي لغفور رحيم للذين هاجروا، وهذا معنى قوله الآتي، وخبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى الخ. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً، وعليها فيحتمل أن الفعل لازم، فيكون معنى قوله: ﴿فُتِنُوا﴾، افتتنوا بمعنى قامت بهم الفتنة، وقد أشار له المفسر بقوله: (أي كفروا) أو متعد كما قال: (أو فتنوا الناس عن الإيمان).

قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ ﴿يَوْمَ﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله (اذكر)، والأمر للنبي ﷺ، أي اذكر يا محمد لقومك، أهوال الآخرة وما يقع فيها، لعلهم يعتبرون. قوله: (تحاج) أي تخاصم وتسعى في خلاصها. قوله: ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ إن قلت: إن ظاهر الآية مشكل، لأنه يقتضي أن النفس لها نفس وليس كذلك. أجيب: بأن المراد بالنفس الأولى، الإنسان المركب من جسم وروح وحقيقة، والمراد بالنفس الثانية، الذات المركبة من جسم وروح غير ملاحظ فيها الحقيقة فاختلفا بالاعتبار، فكأنه قال: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره، والمراد بالمجادلة الاعتذار بما لا يقبل منهم، كقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين، روي عن ابن عباس أنه قال: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة، حتى يخاصم الروح الجسد، فيقول الروح: يا رب لم يكن لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فضعف عليه العذاب، فيقول الجسد: يا رب أنت خلقتني كالخشبة، ليس لي يد أبطش بها، ولا

وهو يوم القيامة ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١١١﴾ شيئاً ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿قَرْيَةً﴾ هي مكة والمراد أهلها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من الغارات لا تهاج ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أ خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ بتكذيب النبي ﷺ ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ فقحطوا سبع سنين ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾

رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فجاء هذا الروح كشعاع النور، فيه نطق لساني، وبه أبصرت عيناي، وبه مشت رجلاي، فيضرب الله لهم مثلاً، أعمى ومقعداً دخلا حائطاً أي بستاناً فيه ثمار، فالأعمى لا يبصر الثمر، والمقعد لا يتناوله. فحمل الأعمى المقعد فأصابا الثمر، فعلى من يكون العذاب؟؟ قالا: عليهما، قال: عليكما جميعاً العذاب. إذا علمت ذلك، تعلم أن هذا الوعيد خاص بالكافر، وأما المؤمن فهو في أمن وأمان، لا يحزنه الفزع الأكبر، وإن كان يحصل له الخوف من جلال الله وهيبته، لأن الله تعالى سبحانه وتعالى في ذلك اليوم، يتجلى بالجلال على عباده، فيخاف المسلمون والمشركون، فالمشركون يخافون من العذاب اللاحق لهم، والمسلمون يخافون من هيبته تعالى، وإن كانوا مطمئنين بالإيمان. قوله: **(لا يهمها غيرها)** أي لشغلها بهمها. قوله: **﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (شيئاً)** أي لا يعذبون مّن غير ذنب، أو المراد لا ينقصون من أجورهم شيئاً، والأول أولى، لأن نفي النقص من الأجر علم من قوله: **﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾**.

قوله: **﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾** المثل تشبيه قول بقول آخر بينهما مشابهة، ليتبين أحدهما ويظهر. قوله: **(هي مكة)** هذا هو المشهور بين المفسرين وهو الصحيح، وعليه فالآية مدنية، لأن الله تعالى وصف القرية بصفات ست، كانت هذه الصفات في أهل مكة، حين كان النبي ﷺ بالمدينة، وعلى القول بأنها مكية، يكون إخباراً بالغيب، تنزيلاً لما سيقع منزلة الواقع لتحقق الحصول. قوله: **﴿رَغَداً﴾** بفتح الراء والغين المعجمة، يقال رغد العيش بالضم رغادة اتسع. قوله: **﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾** أي من كل جهة من البر والبحر. قوله: **﴿بِأَنْعُمِ ٱللهِ﴾** جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء، كدرع وأدرع، أو جمع نعماء، كأبؤس وبأساء. قوله: **(بتكذيب النبي)** الباء سببية.

قوله: **﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾** أي وذلك أن الله ابتلاهم بالجوع سبع سنين، فقطع عنهم المطر، وقطعت العرب عنهم الميرة، حتى جهدوا، فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة، وشربوا الدماء، واشتد بهم الأمر، حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان، ثم إن رؤساء مكة، كلموا رسول الله ﷺ في ذلك فقالوا له: ما هذا دأبك، عاديت الرجال، فما بال النساء والصبيان، فأذن رسول الله ﷺ للناس في حمل الطعام إليهم، وفي رواية أنهم أرسلوا إليه أبا سفيان بن حرب في جماعة، فقدموا عليه المدينة، وقال له أبو سفيان: يا محمد إنك جئت تأمر بصلة الرحم والعفو، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم، فدعا لهم رسول الله ﷺ، وأذن للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون، واعلم أن العلماء ذكروا في هذه الآية ثلاث استعارات: الأولى تصريحية أصلية في الجوع والخوف، من حيث إضافة اللباس إليهما، وتقريرها أن يقال: شبه ما غشيهم من اصفرار اللون ونحولة البدن وسوء الحال باللباس بجامع الظهور في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه. الثانية مكنية،

بسرايا النبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿فَكُلُوا۟﴾ أيها المؤمنون ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ﴾ أي لوصف ألسنتكم ﴿ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ لهم ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١١٧﴾ مؤلم ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ في آية ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل

وتقريرها أن يقال: شبه ذلك اللباس من حيث الكراهية، بالطعم المر البشع، طوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإذاقة، فإثباتها تخييل: الثالثة تبعية وتقريرها أن يقال: شبه الابتلاء بالإذاقة، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق منه الإذاقة أذاقهم بمعنى ابتلاهم. قوله: **(بسرايا النبي)** الباء سببية، والمراد بسراياه جماعته التي كان يبعثها للإغارة عليهم، فكان أهل مكة يخافونهم. قوله: **﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** أي بسبب صنعهم، أو بسبب الذي كانوا يصنعونه.

قوله: **﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾** أي أهل مكة. قوله: **﴿رَسُولٌ مِنْهُم﴾** أي من جنسهم. قوله: **﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾** الجملة حالية، والمراد بالظالمين الكافرون. قوله: **﴿فَكُلُوا﴾** مفرع على التمثيل، أي فإذا علمتم ما حصل للكفار من الحرمان، وما حل بهم، بسبب كفر النعم، فدوموا أيها المؤمنون على حالتكم المرضية وكلوا الخ. قوله: **﴿حَلَالاً طَيِّباً﴾** حالان من ما، أي كلوا مما رزقكم الله به حال كونه حلالاً طيباً. قوله: **﴿تَعْبُدُونَ﴾** أي تطيعون.

قوله: **﴿إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾** الخ شروع في ذكر المحرمات، ليعلم أن ما عدا ذلك حلال طيب قوله: **﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾** أي خارج على الإمام كالبغاة، وقوله: **﴿وَلَا عَادٍ﴾** أي قاطع للطريق، فلا يباح لهم تعاطي الميتة إذا اضطروا ما لم يتوبوا، وأما المضطر غير ما ذكر، فيحل له الأكل منها والشبع والتزود عند مالك، وعند الشافعي لا يحل له إلا ما يسد رمقه. قوله: **﴿وَلَا تَقُولُوا﴾** (لا) ناهية والفعل مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، وقوله: **﴿هٰذَا حَلَالٌ﴾** الخ مقول القول، وقوله: **﴿لِمَا تَصِفُ﴾** اللام للتعليل، وما مصدرية و **﴿الْكَذِبَ﴾** مفعول لتصف، قوله: **﴿لِتَفْتَرُوا﴾** بدل من التعليل الأول، والمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام، لأجل وصف ألسنتكم الكذب، افتراء على الله بنسبة ذلك إليه. قوله: **(بنسبة ذلك)** أي التحليل والتحريم. قوله: **﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾** أي لا يفوزون ولا يظفرون بمطلوبهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، والوقف هنا، وقوله: **﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾** كلام مستأنف. قوله: **﴿متاعٌ قليل﴾** مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله: **(لهم)** وقدره مقدماً ليكون مسوغاً للابتداء بالنكرة.

قوله: **﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾** شروع في ذكر ما يخص اليهود من التحريم، إثر بيان ما يحل لأهل الإسلام وما يحرم عليهم، وتحريم الشيء إما لضرر فيه، وإما لبغي المحرم عليهم، فأشار للأول بقوله:

ذي ظفر﴾ إلى آخرها ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١١٨﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ الشرك ﴿بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ﴾ رجعوا ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ﴾ عملهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ أي الجهالة أو التوبة ﴿لَغَفُورٞ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿١١٩﴾ بهم ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾ إماماً قدوة جامعاً لخصال الخير ﴿قَانِتٗا﴾ مطيعاً ﴿لِّلَّهِ حَنِيفٗا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ﴾ اصطفاه ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ هي الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾ الذين لهم الدرجات

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ الخ، وأشار للثاني بقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ الخ. قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ لما بالغ في تهديد المشركين، وبين ما حل وما حرم، ذكر أن فعل تلك القبائح، لا يمنع من التوبة والرجوع والإنابة، بل باب التوبة مفتوح لكل كافر ما لم يغرغر، فهو ترغيب للكافر في الإسلام، وللعاصي في التوبة، والإقلاع عن الذنوب. قوله: ﴿الَّذِينَ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه خبر ﴿إِنَّ﴾ الآتية، تقديره ثم إن ربك لغفور رحيم للذين عملوا السوء، الخ. قوله: ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ أي بسبب جهل العواقب وجلال الله، إذ لا يقع الذنب إلا من جاهل بالعواقب، أو جاهل بجلال الله، ولو علم قدر العقاب المدخر للعاصي، ما قدم على معصية قط. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾ أي الشرك. قوله: (أو التوبة) أو لتنويع الخلاف في مرجع الضمير. قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال، قيل الأمة معلم الخير، أي إنه كان معلماً للخير، يأتم به أهل الدنيا، وقيل إنه كان مؤمناً وحده، والناس كلهم كفار، فلهذا المعنى كان أمة وحده، وقيل الأمة الذي يقتدى ويؤتم به، لأنه كان إماماً يقتدى به، وفي الأصل الأمة الجماعة، وإطلاق الأمة بمعنى الجماعة عليه، لجمعه أوصاف الكمالات التي تفرقت في الخلق، ومنه قول الشاعر:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وقد ذكر الله في هذه الآيات من صفات إبراهيم، عشرة أوصاف حميدة. قوله: (مائلاً إلى الدين القيم) أي تاركاً لما عداه من الأديان الباطلة. قوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ هذا الوصف قد علم التزاماً من قوله: ﴿حَنِيفاً﴾ وإنما ذكره رداً على المشركين، حيث زعموا أنهم على ملة إبراهيم. قوله: ﴿شَاكِراً لأَنْعُمِهِ﴾ أي صارفاً جميع ما أنعم الله به عليه، إلى ما خلق لأجله فهو معصوم عن الغفلة، وعن كل شاغل يشغله عن الله، ظاهراً وباطناً. قوله: ﴿اجْتَبَاهُ﴾ أي اختاره من دون خلقه، وهذا الوصف وما بعده، ناشيء من الله خاصة، لم يكن له فيه كسب، إشارة إلى أن ما نشأ عنه من الأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة، باختيار الله له لا بنفسه. قوله: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي دين قويم لا اعوجاج فيه. قوله: (فيه التفات عن الغيبة) أي إلى التكلم، إشارة إلى زيادة الاعتناء بشأنه. قوله: (هي الثناء الحسن) أي الذكر بخير. قوله: (في كل أهل الأديان) أي عند كل أهل الملل، فجميعهم يترضون عنه ولا يكفرون به، ويزعمون أنهم على ملته. قوله: ﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي من أكملهم وأعلاهم درجة، وهذا تتميم لقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ فإن حسنة الدنيا لا تتم إلا بحسنة الآخرة.

العلا ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ﴾ دين ﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٣) كرر رداً على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على نبيهم وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٢٤) من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته ﴿ادْعُ﴾ الناس يا محمد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ مواعظه أو القول الرفيق

قوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ هذا هو الوصف العاشر، ولما كان أعلى الأوصاف لإبراهيم وأجلها وأكملها، اتباع رسول الله ﷺ ملته، فصله عما قبله، حيث عطفه بثم. قوله: ﴿أَنِ اتَّبِعْ﴾ يصح أن تكون ﴿أَنِ﴾ تفسيرية أو مصدرية، فتكون مع ما دخلت عليه في محل نصب مفعول لقوله: ﴿أَوْحَيْنَا﴾. قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي شريعته، ومعنى اتباع النبي فيها اتباعه في الأصول، وهي عقائد التوحيد، فرسول الله أمر باتباع إبراهيم، بل وباتباع من تقدمه من الأنبياء في التوحيد، لأنهم مشتركون فيه، قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ الآية. قوله: ﴿حَنِيفاً﴾ حال من ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو وإن كان مضافاً إليه، إلا أن شرطه موجود، وهو أن المضاف كالجزء من المضاف إليه، لأنه يصح الاستغناء بالثاني عن الأول. قوله: **(رداً على زعم اليهود والنصارى)** المناسب أن يقول رداً على المشركين، لأن اليهود والنصارى لم يكونوا مدعين الإشراك.

قوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ الخ، هذا رد على اليهود، حيث كانوا يدعون أن تعظيم السبت من شريعة إبراهيم، وهم متبعون له، فرد الله عليهم بأنه ليس السبت من شريعة إبراهيم التي زعمتم أنكم متبعون لها، بل كان من شريعته تعظيم يوم الجمعة، ولذا اختاره الله للأمة المحمدية، لأنه يوم تمام النعمة، ويوم المزيد في الجنة.

قوله: ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي خالفوا ربهم، حيث أمرهم على لسان نبيهم، أن يعظموا يوم الجمعة بالتفرغ للعبادة فيه، فأبوا واختاروا السبت، فشدد عليهم بتحريم الاصطياد فيه عليهم، وليس المراد بالاختلاف أن بعضهم رضي به والبعض لم يرض، بل المراد امتناع الجميع. قوله: **(واختاروا السبت)** أي وقالوا لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السماوات والأرض وما فيهما، فنحن نوافق ربنا في ترك الأعمال يوم السبت، واختارت النصارى يوم الأحد، وقالوا لأنه مبدأ الخلق، فنجعله عيداً لنا. قوله: **(من أمره)** أي السبت. قوله: **(بأن يثيب الطائع)** أي وهو من لم يصطد به ويعظمه. قوله: **(ويعذب العاصي)** أي وهو من صنع الحيلة، واصطاد فيه، فعذبوا في الدنيا بمسخهم قردة وخنازير، وفي الآخرة بالعذاب الدائم.

قوله: ﴿ادْعُ﴾ فعل أمر، وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنت، ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله: **(الناس)** وفي هذه إشارة إلى أن بعثته عامة، وعبر بالناس وإن كان داعياً للجن أيضاً، باعتبار ما ظهر لنا فقط. قوله: **(دينه)** سمي الدين سبيلاً، لأنه الموصل لدار السعادة الأبدية، والسعادة السرمدية. قوله: **(بالقرآن)** أي وسمي حكمة، لأنها العلم النافع.

﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي﴾ أي بالمجادلة التي ﴿هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ ﴿١٢٥﴾ فيجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال. ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال ﷺ وقد رآه: والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك

قوله: ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ عطف خاص على عام، لأن القرآن مشتمل على مواعظ وغيرها، والمراد بالموعظة الحسنة الترغيب والترهيب، والحكمة في ذكر الموعظة الحسنة، التشويق للعبادة والنشاط لها، وسهولة العبد عن المخالفات، لما في الحديث «كان ﷺ يتخولنا بالموعظة أحياناً، مخافة السآمة علينا» أي يخلل كلامه بالترغيب والترهيب في بعض الأحيان، لئلا يحصل لنا الملل من توالي الأمر والنهي، وتتابعهما من غير تخللهما بشيء يروح النفوس ويشوقها، ويحثها على فعل الطاعات واجتناب المنهيات. قوله: **(أو القول الرفيق)** تفسير ثان للموعظة الحسنة، والمراد بالقول الرفيق، الألفاظ التي فيها اللين والرفق كقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾وقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار﴾ الآيات.

قوله: ﴿**بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ أي ليترتب على ذلك حصول الفائدة لهم، والانقياد للطريق القويم. قوله: **(بآياته)** أي كقصة إبراهيم مع قومه، حيث قال لهم حين جن عليه الليل ورأى كوكباً﴿هذا ربي﴾ الخ. قوله: **(والدعاء إلى حججه)** أي براهينه ودلائله، قال تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ الآية. قوله: **(أي عالم)** أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه، ودفع بذلك ما يقال إن اسم التفضيل يقتضي المشاركة، مع أن صفات الله قديمة، لا مشارك له فيها. قوله: ﴿**بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ أي حاد وزاغ عنه.

قوله: ﴿**وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ حكمة التعبير في جانب أهل الهدى بصيغة الاسم، وفي جانب أهل الضلال بالفعل، الإشارة إلى أن أهل الهدى، استمروا على الفطرة الأصلية، وأهل الضلال غيروا تلك الفطرة وبدلوها بأحداث الضلال. إن قلت: قوله تعالى:﴿إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا﴾ الخ، يقتضي أن الأصل في الإنسان، الضلال والهدى طارىء عليه. أجيب: بأنه محمول على العالم الجسماني، أي أن الأصل في الإنسان، باعتبار عالم الأجساد الخسران والضلال، والهدى طارىء ببعثة الرسل، وما في هذه الآية محمول على عالم الأرواح، وهو الأصل الأصيل، لأن الله لما خاطب الأرواح في عالم الذر وقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا جميعاً: بلى، فالمهتدي في عالم الأجساد استصحب ذلك الأصل، ومن ضل في عالم الأجساد، فقد نسي ذلك العهد، وتبع شهوات نفسه. ثم اعلم أن مقتضى حل المفسر، يقتضي أن المدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن واحد، وقال بعضهم: الناس خلقوا ثلاثة أقسام، الأول العلماء الراسخون، فهم المشار إليهم بقوله: ﴿**ٱدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ**﴾ أي العلم النافع، لينتفعوا وينفعوا الناس. الثاني الذين لم يبلغوا حد الكمال، وكانوا دون الأوائل، وهم المشار إليهم بقوله: ﴿**ٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ**﴾. الثالث الكفار أصحاب الجدال والخصام، وهم المشار إليهم بقوله: ﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ أي لينقادوا للحق ويرجعوا إليه. قوله: **(وهذا قبل الأمر بالقتال)** أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة، وقيل ليست منسوخة، لأن الأمر بالمجادلة الحسنة، ليس

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ ﴾ عن الانتقام ﴿لَهُوَ﴾ أي الصبر ﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿١٢٦﴾ فكف ﷺ وكفر عن يمينه، رواه البزار ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ بتوفيقه ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي الكفار إن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾ أي لا تهتم بمكرهم فأنا ناصرك عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر.

فيها نهي عن القتال، بل المراد ادعهم وجادلهم برفق في أول الأمر، فإن امتثلوا فواضح، وإلا فشيء آخر. قوله: **(ونزل)** أي بالمدينة. قوله: **(لما قتل حمزة)** أي في السنة الثانية في أحد، وحمزة عم رسول الله وأخوه من الرضاع، وقريبه من الأم أيضاً، وكان أسن من النبي ﷺ بسنتين. قوله: **(ومثل به)** أي مثل به المشركون، فقطعوا أنفه وأذنيه، وذكره وأنثييه وفجروا بطنه. قوله: **(وقد رآه)** الجملة حالية. قوله: **(والله لأمثلن)** الخ في كلام المفسر اختصار للحديث، ولفظه «أما والله لئن ظفرني الله بهم لأمثلن» الخ. قوله: **﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾** أي أردتم المعاقبة. قوله: **﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ﴾** أي عفوتم وتركتم القصاص. قوله: **﴿لَهُوَ﴾** بضم الهاء وسكونها، قراءتان سبعيتان. قوله: **(فكف)** أي عن التمثيل بهم. قوله: **﴿وَٱصْبِرْ﴾** الخطاب للنبي، والمراد به العموم، تعليماً للأمة حسن الأدب. قوله: **﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ﴾** أي بإقداره لك عليه لا بنفسك، فإن الصبر كالحب والبغض قائم بالقلب، والقلب بيد الله يقلبه كيف يشاء، فمن خلق الله فيه الصبر صبر، ومن لا فلا، فليس للعبد مدخل فيه. قوله: **﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾** أي لا تتأسف على إعراضهم عن الهدى. قوله: **﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾** بفتح الضاد وكسرها، قراءتان سبعيتان، أي لا يكن فيك ضيق، فالكلام على القلب، وإنما أتى به مقلوباً، إشارة إلى أن الضيق إذا اشتد، كان كالشيء المحيط، وأتى هنا بحذف نون **تك**، وفي النمل بإثباتها تفنناً، لأن حذفها للتخفيف، وهو حذف غير لازم، قال ابن مالك:

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم

لأن أصل **يك** يكون، دخل الجازم فسكن النون فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، حذفت النون تخفيفاً. قوله: **(أي لا تهتم بمكرهم)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، تسبك مع ما بعدها بمصدر. قوله: **(بالعون والنصر)** أشار بذلك إلى أن المعية مع المتقين، والمحسنين معية معنوية خاصة، وهذا لا ينافي قوله تعالى ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾ لأن المعية خاصة وعامة، فالعامة بالتصريف والتدبير لكل مخلوق، والخاصة بالإعانة والنصر والرضا، للمتقين والمحسنين، أحياء وأمواتاً، فرضا الله على المتقين والمحسنين دائم مستمر لا ينقطع، فإذا كان كذلك، فينبغي زيارة الصالحين وخدمتهم، لكونهم في حضرة الرضا أحياء وأمواتاً، لا ينقطع عنهم مدد ربهم؛ وقوله في الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، علم ينتفع به» الخ، المراد ثواب أعمالهم المتجدد، فلا يتجدد لهم ثواب عمل، وأما ما ثبت لهم في نظير العمل السابق، فهو دائم مستمر، وإنما يتجدد لهم ثواب علم خلفوه، أو ولد صالح، إلى آخر ما في الحديث. ومن هنا زيارة الصالح الحي، أفضل من زيارة الصالح الميت، لأن الحي أعماله كلها مستمرة الصعود ما دام حياً، ويتجدد له ثوابها، ولذلك تضن روح المؤمن الصالح بالحياة، فلا تحب الموت، لأن فيه عزلها عن خدمة ربها، التي هي أشرف الأشياء وأفضلها.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإسراء

مكيّة

إلا ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ الآيات الثمان. وهي مائة وعشر آيات أو وإحدى عشرة آية

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ أي تنزيه ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ نصب على

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإسراء مكية

إلا ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ الآيات الثمان. وهي مائة وعشر آيات أو وإحدى عشرة آية

وتسمى سورة بني إسرائيل، وتسمى سورة سبحان، لأنه جرت عادة الله في كتابه، أنه يسمي السورة باسم بعضها، وسورة مبتدأ، ومكية خبر أول، وقوله: **(مائة)** الخ، خبر ثان. قوله: **(إلا وإن كادوا)** الخ، وقيل كلها مكية. قوله: **(الآيات الثمان)** أي وآخرها قوله تعالى: ﴿سلطاناً نصيراً﴾ لكن بحث البيضاوي فيه، بأن قوله تعالى ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾، نزلت بمكة حين أمر ﷺ بالهجرة، وقد يجاب عن بحثه بأنها نزلت بعد الأمر بالهجرة، التحقت بالمدني خصوصاً، وقد قال العلماء: المدني ما نزل بعد الهجرة. وإن بأرض مكة.

قوله: ﴿سُبْحَانَ﴾ هو في الأصل مصدر سماعي لسبح المشدد، أو اسم مصدر له، صم صار علماً على التنزيه، أي وعلى كل، فهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أسبح، فالمقصود منه إما التنزيه فقط، أي تنزيه من هذا وصفه عن كل نقص، لأن هذه معجزة لم تسبق لغيره ﷺ، أو المقصود التعجب فقط، على حد سبحان الله، المؤمن لا ينجس، أي عجباً لباهر قدرة فاعل هذا الفعل وكماله، أو التنزيه مع التعجب، كأنه قال: عجباً لتنزيه الله تعالى عن كل نقص، حيث صدر منه هذا الفعل العجيب الخارق للعادة.

قوله: ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول مضاف لسبحان، والموصول وإن كان مبهماً، إلا أنه تميز بالصلة، فإن هذه الصلة ليست لغيره تعالى، سيما مع تصدير الجملة بالتسبيح الذي هو مختص بالله قوله: ﴿أَسْرَىٰ﴾ هو وسرى فعل لازم، بمعنى سار في الليل، فالهمزة ليست للتعدية إلى المفعول. قوله: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ لم يقل بنبيه ولا برسوله، إشارة إلى أن وصف العبودية، أخص الأوصاف وأشرفها، لأنه إذا صحت نسبة العبد لربه، بحيث لا يشرك به في عبادته له أحداً، فقد فاز وسعد، ولذا ذكره الله في

الظرف والإسراء سير الليل وفائدة ذكره الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدته ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي مكة ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ بيت المقدس لبعده منه ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ بالثمار والأنهار ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ⟨١⟩ أي العالم بأقوال النبي ﷺ وأفعاله فأنعم

المقامات الشريفة كما هنا، وفي مقام الوحي قال تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ وفي مقام الدعوة قال تعالى، وأنه لما قام عبدالله يدعوه الخ، ولذا قال القاضي عياض:

ومما زادني شرفاً وتيهاً ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبياً

وهناك وجه آخر، وهو خلاف ضلال أمته به، كما ضلت أمة عيسى به حيث قالوا: ابن الله، وقوله: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ أي بروحه وجسمه على الصحيح، خلافاً لمن قال: إن الإسراء بالروح فقط، ونقل عن عائشة وهو مردود، بأنها كانت حديثه السن إذ ذاك، ولم تكن في عصمته ﷺ. قوله: **(محمد)** إنما لم يصرح به لعلمه من السياق، ومن سبب النزول. قوله: **(وفائدة ذكره)** أي مع علمه من ذكر الإسراء. قوله: **(إلى تقليل مدته)** أي فقيل قدر أربع ساعات، وقيل ثلاث، وقيل قدر لحظة، قال السبكي في تائيته: وعدت وكل الأمر في قدر لحظة.

قوله: ﴿**مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ**﴾ ﴿**مِنَ**﴾ لابتداء الغاية. قوله: **(أي مكة)** إنما فسره بذلك، ليصدق بكل من القولين وهما: هل كان مضطجعاً في المسجد، أو في بيت أم هانىء وفي الحقيقة لا تخالف، لأنه على القول بأنه كان في بيت أم هانىء، لقد احتملته الملائكة، وجاؤوا به إلى المسجد، وشقوا صدره هناك، ثم أتوا له بالبراق بعد ذلك، فلم يحصل الإسراء إلا من المسجد، فالأولى للمفسر، أن يبقي الآية على ظاهرها، وكان المسجد إذ ذاك بقدر المطاف، ثم وسعه الملوك. وأول من وسع فيه، عمر بن الخطاب رضي‌الله عنه، فكانوا يشترون دور مكة ويدخلونها فيه.

قوله: ﴿**إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى**﴾ هو أول مسجد بني في الأرض بعد الكعبة، بناه آدم بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة، والحكمة في الإسراء به إلى بيت المقدس، ليظهر شرفه على جميع الأنبياء والمرسلين، لأنه صلى بهم إماماً في مكانهم، وشأن الذي يتقدم على الإنسان في بيته، يكون هو السلطان، لأن السلطان له التقدم على غيره مطلقاً، وليسهل على أمته المحشر، حيث وضع قدمه فيه، فإن الخلق يحشرون هناك. قوله: **(بيت المقدس)** من إضافة الموصوف لصفته، أي البيت المقدس، أي المطهر من عبادة غيره تعالى، ولذا لم يعبد فيه صنم قط.

قوله: ﴿**الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ أي بركة دنيوية بالثمار والأنهار كما قال المفسر، وأما في داخله فليست مختصة به، بل البركة في كلا المسجدين، بل هي أتم في المسجد الحرام. قوله: ﴿**لِنُرِيَهُ**﴾ اللام للحكمة، أي حكمة إسرائنا به رؤيته من آياتنا، وعامة القراء على قراءته بالنون، وقرأ الحسن ليريه بالياء، فعلى الأول يكون في الكلام التفاتان، الأول من الغيبة للمتكلم في قوله: ﴿**بَارَكْنَا**﴾ و﴿**لِنُرِيَهُ**﴾، الثاني في قوله: ﴿**إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ وعلى الثاني يكون فيه أربع التفاتات: الأول من الغيبة في قوله: ﴿**بِعَبْدِهِ**﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿**بَارَكْنَا**﴾. الثاني من التكلم إلى الغيبة في ﴿**لِنُرِيَهُ**﴾. الثالث من الغيبة إلى

عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعروجه إلى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى فإنه ﷺ قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند

التكلم في قوله: ﴿مِنْ آيَاتِنا﴾. الرابع من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ومن في قوله: ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ للتبعيض، أي لنريه بعض آياتنا، وإنما أتى بها تعظيماً لآيات الله، أي أن محمداً، وإن ما رأى، من الآيات العظيمة والعجائب الفخيمة، فهو بعض بالنسبة لآيات الله، وعجائب قدرته، وجلائل حكمته. إن قلت: إن ما هنا يقتضي التبعيض، وقوله تعالى في حق إبراهيم ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾ أنه لا تبعيض، فظاهر هذا، أن ما رآه إبراهيم، أكثر مما رآه محمد، وهو خلاف الإجماع. أجيب: بأن ملكوت السماوات والأرض، بعض الآيات العظيمة التي رآها محمد، فإبراهيم رأى بعض البعض.

قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ المشهور أن الضمير عائد على الله تعالى، أي هو السميع للأقوال، البصير بالأحوال والأفعال، وقيل الضمير عائد على النبي ﷺ، وحكمة الإتيان بهذين الوصفين، الثناء على رسول الله ﷺ، حيث شاهد ما شاهد، وسمع ما سمع، ولم يزغ بصره، ولم يدهش سمعه، فهو نظير قوله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ إشار إلى علو مقامه ورفعة شأنه، ولذا قال العارف البرعي:

وإن قابلت لفظة لن تراني ... بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فإن الله كلم ذاك وحيا ... وكلم ذا مشافهة وأدنى

إلى أن قال:

فموسى خر مغشياً عليه ... وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

قوله: (**على اجتماعه بالأنبياء**) أي الرسل وغيرهم وصلوا خلفه. قوله: (**وعروجه إلى السماء**) أي صعوده إليها محفوفاً بالملائكة الكرام. قوله: (**ورؤية عجائب الملكوت**) أي كالملائكة والجنة والنار. واعلم أن العوالم أربع: عالم الملك وهو ما نشاهده، وعالم الملكوت وهو ما خفي عنا، وعالم الجبروت وهو العلوم والأسرار، وعالم العزة وهو ما لا يمكن التعبير عنه كذات الله، ويسمى سر سر السر. قال السيد البكري: وبسرسر سرك الذي لا تفي بالافصاح عن حقيقته الرقائق. قوله: (**ومناجاته له تعالى**) أي شفاها مع رفع الحجاب. قوله: (**فإنه ﷺ**) الخ، القصد على ذلك تفصيل ما أجمل في الآية الكريمة، وقد اختلفت الروايات في الإسراء والمعراج جداً، وقد اقتصر المفسر على هذه الرواية، لكونها رواية البخاري ومسلم. قوله: (**أتيت بالبراق**) أي بعد أن جاءه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر، فاحتملوه حتى جاؤوا به زمزم، فأضجعوه وشقوا من ثغرة نحره إلى أسفل بطنه، وأخرجوا قلبه وغسلوه ثلاث مرات، ثم ملؤوه حلماً وعلماً ويقيناً وإسلاماً، ثم أطبقوه وختموا بين كتفيه بخاتم النبوة، ثم أتى بالبراق بضم الباء مأخوذة من البرق لسرعة سيره، أو من البريق لشدة صفاء لونه ولمعانه، وهو من جملة أربعين ألف براق، ترتع في ربض الجنة معدة له ﷺ. قوله: (**دابة**) أي ليست ذكراً ولا أنثى، وفي الاستعمال يجوز التذكير، باعتبار كونه مركوباً، ويؤنث باعتبار كونه دابة. قوله: (**فوق الحمار ودون البغل**) أي وهو متوسط بينهما، قوله:

منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجائني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت الفطرة. قال: ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال

(عند منتهى طرفه) هو بسكون الراء البصر. قوله: **(فركبته)** أي وكان جبريل عن يمينه آخذاً بركابه، وميكائيل عن يساره آخذاً بزمام البراق. قوله: **(حتى أتيت بيت المقدس)** في هذه الرواية اختصار، وزيد في غيرها، أنه نزل بالمدينة ومدين وطور سيناء وبيت لحم، فصلى في كل موضع ركعتين، بأمر من جبريل عن الله، لتحصل زيادة بركته لتلك الأماكن، وليقتدي به غيره في العبادة بالأماكن المشرفة، ورأى بين كل موضع والآخر، عجائب مذكورة في قصة النجم الغيطي. قوله: **(فربطت الدابة)** يقال ربط يربط من باب ضرب شده. قوله: **(بالحلقة)** بسكون اللام ويجوز فتحها، والربط تعليماً لـلاحتياط في الأمـور، وإشارة إلى أن الأخذ في الأسباب لا ينافي التوكل قوله: **(التي تربط فيها الأنبياء)** أي الذين كانوا يأتون بيت المقدس لزيارته، وفي رواية أن جبريل أخذ البراق من الباب وأدخله المسجـد، وخرق الصخـرة بأصبعه وربط البراق فيها. قوله: **(فصليت فيه ركعتين)** أي إماماً بالأنبياء أجساداً وأرواحاً، والملائكة وأرواح المؤمنين، وهذه الصلاة لم يعلم كونها فرضاً أو نفلاً، غاية ما يقال إنه أمر بها وهو مطيع، وفي الحديث اختصار، لأنه طوى ذكر صلاة الركعتين تحية المسجد، حين اجتمع جمع الأنبياء والملائكة وأرواح المؤمنين، ويحتمل أن الركعتين المذكورتين في الحديث هما تحية المسجد، وطوى ذكر الركعتين اللتين أم فيهما الناس. قوله: **(فجاءني جبريل)** أي حين أخذني من العطش أشد ما أخذني. قوله: **(أصبت الفطرة)** أي الخلقة الأصلية وهي فطرة الإسلام، وفي بعض الروايات أن جبريل قال له: ولو اخترت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم إلا قليل، وفي رواية إن الآنية كانت ثلاثاً والثالث فيه ماء، وأن جبريل قال له: ولو اخترت الماء لغرقت أمتك. قوله: **(قال)** أي الراوي وهو أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ. قوله: **(ثم عرج بي)** أي بعد أن أتي بالمعراج، ووضع على صخرة بيت المقدس، وهو سلم له عشر مراق: إحداها من ذهب، والأخرى من فضة، وأحد جانبيه من ياقوتة حمراء، والآخر من ياقوتة بيضاء، وهو مكلل بالدر، سبع منها للسماوات السبع، والثامنة للسدرة، والتاسعة للكرسي، والعاشرة إلى العرش، فلما هما بالصعود، نزلت المرقاة التي عند السماء الدنيا، فركباها وصعدت بهما إلى محلها، ثم نزلت الثانية لهما وهكذا. قوله: **(إلى الدنيا)** أي وهي من موج مكفوف، والثانية من مرمرة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوتة حمراء، والكرسي من ياقوتة بيضاء، والعرش من ياقوتة حمراء، وأبواب السماوات كلها من ذهب، وأقفالها من نور، ومفاتيحها اسم الله الأعظم. قوله: **(فاستفتح جبريل)** أي طلب الفتح من الملك الموكل بالباب، وحكمة غلقها إذ ذاك، لزيادة الإكرام بالسؤال والترحيب له ﷺ. قوله: **(قيل من أنت)** الخ، فيه اختصار، وفي الرواية

جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد أرسل إليه قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم، فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا

المشهورة قيل مرحباً به وأهلاً، حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء. قوله: **(قيل وقد أرسل إليه؟)** المعنى أجاء وقد أرسل إليه؟ إن قلت: إن رسالته ليست خافية عليهم حتى يسألوا عنها. أجيب: بأن المراد أرسل إليه للعروج إلى السماوات والمكالمة. قوله: **(فإذا أنا بآدم)** في بعض الروايات: وعن يمينه أسودة وباب يخرج منه ريح طيبة، وعن يساره أسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر قبل شماله حزن وبكى، فسأل جبريل عن ذلك فقال: هذه الأسودة نسم بنيه، والباب الذي عن يمينه باب الجنة، والذي عن يساره باب النار، فإذا رأى من يدخل قبل يمينه ضحك، وإذا رأى من يدخل قبل يساره بكى. قوله: **(فرحب بي)** أي قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. قوله: **(ثم عرج بنا)** أي أنا مع جبريل. قوله: **(بابني الخالة)** فيه مسامحة، إذ عيسى ابن بنت خالة يحيى، ويحيى ابن خالة أم عيسى، لأن عيسى ابن مريم وهي بنت حنة، وحنة أخت اشاع، واشاع أم يحيى، وقد اتصف عيسى بصفات الملائكة، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام. قوله: **(شطر الحسن)** أي نصفه، والنصف الآخر قسم بين جميع الخلق وحسنه ﷺ، غير ذلك الحسن الذي أعطي يوسف شطره، إذ هو غير منقسم، ولم يعط منه شيء لغيره، قال البوصيري:

منزه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

قوله: **(بإدريس)** وهو أول من خاط الثياب، وقبل ذلك كانوا يلبسون الجلود. قوله **(بهارون)** في بعض الروايات: ونصف لحيته سوداء ونصف لحيته بيضاء، وذلك من مسك أخيه موسى لها، حين جاء ووجد قومه قد عبدوا العجل. قوله: **(فإذا أنا بموسى)** في بعض الروايات: وحوله نفر من قومه، فلما جاوزته بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث من بعدي، يدخل الجنة من أمته، أكثر ممن يدخل الجنة من أمتي، فلو أنه في نفسه لم أبال، وفي رواية أنه سأل الله تعالى أن يجعله من أمة محمد ﷺ فأجابه الله. قوله: **(بإبراهيم)** أي خليل الرحمن، فقال لي: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ودعا لي بخير وقال: أقرىء أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأن

يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلاع فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها قال فأوحى الله إلي ما أوحى وفرض عليّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة. قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال فرجعت إلى ربي

غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. قوله: **(وإذا هو)** القصد من ذلك بيان أن الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله، قال تعالى:﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾. قوله: **(ثم ذهب بي)** أي عرج بي، لأن هذا هو المعراج الثامن. قوله: **(إلى سدرة المنتهى)** أي إلى أعلاها، فإن السدرة أصلها في السماء السادسة، وأغصانها وفروعها فوق السماء السابعة. قوله: **(كآذان الفيلة)** أي في الشكل، وإلا فكل ورقة تظلل هذه الأمة. قوله: **(كالقلال)** جمع قلة وكانت معلومة عند المخاطبين، وفي بعض الروايات كقلال هجر، وهي بلدة القلة فيها كالري الكبير. قوله: **(فلما غشيها)** أي قام بها من الحسن والبهاء. قوله: **(قال فأوحى)** فيه اختصار، أي ثم رفع إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، وهو المعراج التاسع، ثم دلى الرفرف فزج به في النور، فعند ذلك تأخر جبريل فقال له: أهنا يفارق الخليل خليله؟ فقال له: هذا مكاني فلو فارقته لاحترقت من النور، أي ذهب نوري وتلاشيت لشدة الأنوار وظهورها، قال رسول الله: فخاطبني ربي ورأيته بعيني بصري وأوحى الخ. قوله: **(ما أوحى)** أبهم ذلك إشارة إلى عظم ما أوحى به إليه، وعدم إحاطة جميع الخلق به، قال البوصيري:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

قوله: **(وفرض علي)** الخ، عطف خاص على عام، وإنما صرح به لتعلقه بالأمة، وأما عطاياه التي تخصه فلم يعبر عنها، إذ لا تحيط بها العبارة ولا تحصيها الإشارة، وقوله: **(عليّ)** أي وعلى أمتي لأن الأصل عدم الخصوصية إلا لدليل يدل على التخصيص، فذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على أمته. قوله: **(فنزلت)** أي ومررت على إبراهيم فلم يقل شيئاً. قوله: **(إلى موسى)** أي في السماء السادسة، والحكمة في أن موسى اختص بالمراجعة دون غيره من الأنبياء، أن أمته كلفت من الصلوات بما لم يكلف به غيرها فثقلت عليهم، فرفق موسى بأمة محمد ﷺ لكونه طلب أن يكون منها، وأيضاً فقد طلب موسى الرؤية فلم ينلها، ومحمد نالها من غير طلب، فأحب مراجعته وتردده ليزداد من نور الرؤية، فيقتبس موسى من تلك الأنوار، ليكون رائياً من رأى، قال ابن الفارض:

أبق لي مقلة لعلي يوماً ... قبل موتي أرى بها من رآك

وفي هذا المعنى قال ابن وفا:

والسر في قول موسى إذ يردده ... ليتجلي النور فيه حيث يشهده
يبدو سناه على وجه الرسول فيا ... لله حسن جمال كان يشهده

قوله: **(وخبرتهم)** أي جربتهم، حيث كلفهم الله بركعتين في الغداة، وركعتين في وقت الزوال، وركعتين في العشي، فلم يطيقوا ذلك وعجزوا عنه. قوله: **(قال فرجعت إلى ربي)** أي إلى المكان الذي

فقلت أي رب خفف عن أمتي فحط عن خمساً فرجعت إلى موسى قال ما فعلت؟ فقلت قد حط خمساً قال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمساً خمساً حتى قال «يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشرة فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب فإن عملها كتبت له سيئة واحدة. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت. رواه الشيخان واللفظ لمسلم. وروى الحاكم في

ناجيت فيه ربي، وليس المراد أن الله في ذلك المكان ورجع له، فإن اعتقاد ذلك كفر، بل المراد أن الله جعل هذا المكان محلاً لسيدنا محمد ﷺ يناجيه فيه، ليجمع له بين الرفعتين الحسية والمعنوية. قوله: **(ويحط عني)** أي الله تعالى، فجملة المرات تسع، وكل مرة يرى فيها ربه كما رآه في المرة الأولى، فقد رأى ربه في تلك الليلة عشر مرات. قوله: **(حتى قال)** الخ هذا حديث قدسي من هنا إلى قوله: **(كتبت سيئة واحدة)**. قوله: **(بكل صلاة عشر)** أي في المضاعفة والثواب، فقد تفضل سبحانه وتعالى بتكثير الثواب على تلك الخدمة القليلة. قوله: **(ومن هم بحسنة)** المراد بالهم ترجيح الفعل دون عزم وتصميم، لأنه الذي يكتب في الخير ولا يكتب في الشر، وأما العزم والتصميم فيكتب في الخير والشر، وأما الهاجس والخاطر وحديث النفس، فلا يؤاخذ الإنسان بها، لا في خير ولا شر، وقد نظم بعضهم الخمسة بقوله:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا — فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه هم فعزم كلها رفعت — سوى الأخير ففيه الأخذ وقد وقعا

قوله: **(فنزلت)** في بعض الروايات إن الله قال له: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي.
قوله: **(استحييت)** بيائين بعد الحاء المهملة. قوله: **(رواه الشيخان)** أي البخاري ومسلم. والمعنى رويا معنى حديث الإسراء واتفقا عليه. قوله: **(واللفظ لمسلم)** أي وأما البخاري ففيه تغيير لبعض الألفاظ.
قوله: **(رأيت ربي)** أي بعيني رأسي، وأُتـي بهذا الحديث تتميماً للقصة، ثم بعد تمام الأمر، هبط من السماوات السبع إلى بيت المقدس، فركب البراق وأتى مكة قبيل الصبح، فلما أصبح قطع، وعرف أن الناس تكذبه، فقعد حزيناً، فمر أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزىء هل كان من شيء؟ قال: نعم أسري بي الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم، فقال أبو جهل: إذا دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني به؟ قال نعم، فقال: يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا، فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، فحدثهم ﷺ بذلك: بقي الناس بين مصفق، وواضع يديه على رأسه متعجباً، وضجوا لذلك وعظموه، فجاء أبو بكر فحدثه ﷺ بذلك فقال: صدقت صدقت، فقالوا: أتصدقه إنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ فقال: نعم أني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي الصديق، فقال القوم: صف لنا بيت المقدس، فشرع في وصفه، حتى إن جبريل نقله من مكانه ووضعه بين يديه ﷺ، وجعل ينظر إليه ويصف لهم، فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب، ثم قالوا: أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم عنها تفصيلاً،

المستدرك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ رأيت ربي عز وجل. قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ ﴿٢﴾ يفوضون إليه أمرهم وفي قراءة تتخذوا بالفوقانية التفاتاً، فأن زائدة والقول مضمر يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ﴿٣﴾ كثير الشكر لنا حامداً في جميع أحواله ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٤﴾ تبغون بغياً عظيماً ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاسُوا۟﴾ ترددوا لطلبكم ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ وسط دياركم ليقتلوكم ويسبوكم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ ﴿٥﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا

فقالوا: إن هذا لسحر مبين، فأنزل الله تعالى ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾.

قوله: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى﴾ معطوف على جملة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ومناسبتها لما قبلها أن كلا متعلقة بعطايا نبي، فالأولى متعلقة بعطايا سيدنا محمد، وهذه متعلقة بعطايا موسى عليهما السلام بجامع أن موسى أعطي التوراة بمسيره إلى الطور، وهو بمنزلة معراجه ﷺ لأنه منح ثمة التكلم، وشرف باسم الكليم. قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي موسى أو الكتاب. قوله: ﴿هُدَى﴾ أي هادياً من الضلالة والشرك.

قوله: ﴿أَنْ لَا يَتَّخِذُوا﴾ ﴿أَنْ﴾ مصدرية و ﴿لَا﴾ نافية، والفعل منصوب بحذف النون، ولام التعليل مقدرة كما زادها المفسر، وهذا على قراءة التحتية، وأما على قراءة التاء الفوقية، فالفعل مجزوم بلا الناهية، وأن زائدة، والقول مقدر والتقدير: وقلت لهم لا تتخذوا الخ، وقوله: ﴿مِنْ دُونِي﴾ في محل المفعول الثاني، و ﴿وَكِيلاً﴾ مفعول أول وهو مفرد في اللفظ جمع في المعنى، أي لا تتخذوا وكلاء غيري تلتجئون إليهم، وتفوضون أموركم إليهم. قوله: (فأن زائدة) المناسب أنها هنا مفسرة، لأن هذا ليس من مواضع زيادتها، وحينئذ فيقدر جملة فيها معنى القول دون حروفه، ولما كان وجه زيادتها ظاهراً بحسب الصورة، حملها المفسر عليه. قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ الخ، أعربه المفسر منادى، وحرف النداء محذوف، وحينئذ فالمعنى يا ذرية من حملنا مع نوح، وحدوا الله واعبدوه واشكروه في جميع حالاتكم كما كان نوح، إنه كان عبداً شكوراً، فقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾ الخ تعليل لمحذوف، وهذا هو الأقرب والأسهل، وبعضهم أعرب ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ مفعولاً ثانياً لتتخذوا. و ﴿وَكِيلاً﴾ مفعول أول، أو ذرية بدل من وكيلا، أو منصوب على الاختصاص، فتحصل أن في إعراب ذرية أربعة أقوال، أسهلها ما مشى عليه المفسر. قوله: (أوحينا) فسر القضاء بالوحي لتعديه بإلى، فإن قضى يتعدى بنفسه أو بعلى، وما هنا فهو مضمن معنى الإيحاء، والمراد بالكتاب التوراة، ويصح أن يبقى القضاء على بابه من أن معناه التقدير والحكم، وتكون إلى بمعنى على، أي حكمنا وقدرنا على بني إسرائيل، وحينئذ فالمراد بالكتاب اللوح المحفوظ. قوله: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ تثنية مرة وهي الواحدة من المر أي المرور. قوله: (تبغون) أي تظلمون وتطغون. قوله: ﴿وَعْدُ أُولاَهُمَا﴾ المراد بالوعد الوعيد، أي جاء وقت العقاب الموعود به. قوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا﴾ أي جالوت وجنوده كما يأتي للمفسر، وقيل بختنصر. قوله: ﴿فَجَاسُوا﴾ هو بالجيم بإتفاق الجمهور، وقرىء شذوذاً بالحاء المهملة، والمعنى على كل نقبوا وفتشوا. قوله: ﴿خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾ إما مفرد بمعنى (وسط) كما قال المفسر، أو

فبعث عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة بقتل جالوت ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ﴿٦﴾ عشيرة وقلنا ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَهَا﴾ إساءتكم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ المرة ﴿الْآخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزناً يظهر في وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾ يهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ غلبوا عليه ﴿تَتْبِيرًا﴾ ﴿٧﴾ هلاكاً وقد أفسدوا ثانياً بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم ألوفاً وسبى ذريتهم وخرب

جمع خلل كجبل وجبال. قوله: ﴿وَكَانَ﴾ أي البعث المذكور وتفتيش الأعداء عليهم. قوله: **(بقتل زكريا)** الخ، مشى المفسر على أن المرة الأولى هي قتل زكريا، والثانية هي قتل ولده يحيى، ومشى غيره على أن المرة الأولى، مخالفة أحكام التوراة، وقتل شعياء وقيل أرمياء، والثانية قتل زكرياء ويحيى، وقصد قتل عيسى قوله: **(فبعث عليهم جالوت وجنوده)** الصحيح أن الذي بعث عليهم في المرة الأولى بختنصر، قيل وقد كانت مدة ملكه سبعمائة سنة وأما جالوت وجنوده، فلم يقع منهم تخريب لبيت المقدس، بل جاؤوا ليغزوهم، فخرج إليهم داود وطالوت بجيوشهم، فقتل الله جالوت على يد داود، كما تقدم مفصلاً في سورة البقرة. قوله: **(الدولة)** في المصباح تداول للقوم الشيء، وهو حصوله في يد هذا تارة، وفي يد هذا أخرى، والاسم الدولة بفتح الدال وضمها، وجمع المفتوح دول بالكسر كقصعة وقصع، وجمع المضموم دول كغرفة وغرف اهـ. قوله: **(والغلبة)** تفسير. قوله: ﴿**وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ**﴾ أي بعد النهب والقتل الأول. قوله: ﴿**أَكْثَرَ نَفِيراً**﴾ أي أكثر الناس اجتماعاً وذهاباً للعدو، ونفيراً منصوب على التمييز. قوله: ﴿**إن أحسنتم**﴾ الخطاب لبني إسرائيل قوله: ﴿**أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ**﴾ أي فلا يصل إلى شيء من طاعتكم إذ مستحيل على الله تعالى أن يصل له من عباده نفع أو ضر، وحينئذ فلا ينبغي للإنسان أن يفتخر بطاعته، بل يعمل الطاعة وهو راج قبولها من ربه، لأنها علامة على دوام السعادة لصاحبها وأنه من أهل النعيم، ففي الحديث «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، وإنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه». وقال العارف:

ماذا يضرك وهو عاص أو يفيدك وهو طائع

فمن ظن أن الله ينتفع بالعبادة فقد كفر، لنسبته الافتقار له تعالى الله عنه. قوله: ﴿**فَلَهَا**﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر، واللام بمعنى على، وإنما عبر بها للمشاكلة. قوله: ﴿**فَإِذَا جَاءَ**﴾ جواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله: **(بعثناهم)** دل عليه جواب إذا الأولى. قوله: ﴿**الآخِرَةِ**﴾ صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله: **(المرة)**. قوله: ﴿**لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ**﴾ متعلق بهذا الجواب المحذوف، وفيها ثلاث قراءات سبعية: الأولى بضمير الجماعة مع الياء، فالواو فاعل الثانية بنون العظمة وفتح الهمزة آخراً، والفاعل هو الله. الثالثة بالياء المفتوحة والهمزة المفتوحة، والفاعل إما الله وإما الوعد وإما البعث وإما النفير، تأمل. قوله: **(بقتل يحيى)** أي وقيل بقتل زكرياء ويحيى، وقصد قتل عيسى. قوله: **(فبعث عليهم بختنصر)** وهو بضم الباء وسكون الخاء المعجمة والتاء المثناة معناه ابن ونصر بفتح النون وتشديد

بيت المقدس وقلنا في الكتاب ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ ﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ فسلط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ ⁽٨⁾ محبساً وسجناً ﴿ إِنَّ هَـٰذَا

الصاد والراء المهملة اسم صنم وهو علم أعجمي مركب وسمي بذلك لأنه وجد وهو صغير مطروحاً عند صنم ولم يعرف له أب فنسب إليه قيل إنه ملك الأقاليم كلها، قيل المسلط عليهم في المرة الثانية خردوش ملك من ملوك بابل وسيأتي في السيرة. قوله: **(ألوفاً)** أي نحو الأربعين. قوله: **(وسبى ذريتهم)** أي نحو السبعين ألفاً. قوله: **(وقلنا في الكتاب)** أي التوراة. قوله: **(وضرب الجزية عليهم)** أي على باقيهم كأهل خيبر. قوله: **(وسجنا)** تفسير فيكون معنى حصيراً محلا حاصراً لهم وقيل حصيراً فرشاً كالحصير فيكون بمعنى قوله تعالى ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ ـ تتمة ـ يذكر فيها تلخيص القصة التي ذكرها المفسرون في هذه الآيات، قال محمد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب، وكان الله متجاوزاً عنهم ومحسناً إليهم، وكان أول ما نزل بهم، أن ملكاً منهم كان يدعى صديقة، وكان الله إذا ملك عليهم الملك، بعث معه نبياً يسدده ويرشده ويتبع الأحكام التي تنزل عليه، فبعث الله معه شيعا بن أمضيا عليه السلام، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى، ففي آخر مدة صديقة، عظمت الأحداث فيهم والمعاصي، فبعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية، فنزل حول بيت المقدس، والملك مريض من قرحة كانت في ساقه، فجاء شعيا إليه وقال له: يا ملك بني إسرائيل، إن سنحاريب نزل بك هو وجنوده، فقال: يا نبي الله هل أتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به؟ فقال: لم يأتني وحي في ذلك، فبينما هم على ذلك، أوحى الله إلى شعياء، أن ائت إلى ملك إسرائيل، فمره أن يوصي وصيته، ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فإنه ميت، فأخبره شعيا بذلك، فأقبل الملك على القبلة، وصار يصلي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص، فاستجاب الله دعاء الملك، وأوحى إلى شعياء، أن أخبر صديقة أن ربه استجاب له ورحمه، وأخر أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوه سنحاريب، فلما قال له ذلك، انقطع عنه الحزن، وخر ساجداً شاكراً لله متضرعاً، فلما رفع رأسه، أوحى الله إلى شعياء، أن قل للملك يأتي بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى، فأخبره ففعل فشفاه الله، فقال الملك لشعيا: سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا، قال الله لشعيا: سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه، فلما أصبح وجدوا الأمر كما ذكر، فخرج الملك والتمس سنحاريب، فلم يجده في الموتى، فبعث في طلبه فأدركه ومعه خمسة نفر أحدهم بختنصر، فجعلوهم في أطواق الحديد، وقال الملك لسنحاريب: كيف رأيت فعل ربنا بكم، ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنحاريب: قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم، قبل أن أخرج من بلادي، فلم أطع مرشداً، وأوقعتني في الشقوة قلة العقل، فقال الملك لسنحاريب: إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه، وإنما أبقاك ومن معك، لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة، ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم، ثم إن الملك أطال عليهم العذاب، فقال سنحاريب له: القتل خير مما تفعل، فأوحى الله إلى شعيا، أن يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ففعل، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فأخبروهم الخبر، فقال له قومه: نهيناك فلم تطعنا، وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم، وكان أمر سنحاريب تخويفاً لبني إسرائيل، ثم كفاهم الله

. . . .

تعالى شرهم تذكرة وعبرة، ثم إن سنحاريب لبث سبع سنين ومات، فاستخلف على ملكه بختنصر، فعمل بعمله واستمر متباعداً عن بني إسرائيل، حتى مات ملكهم، فتنافسوا في الملك، وقتل بعضهم بعضاً، وشعيا ينهاهم فلم يقبلوا، فأوحى الله لشعيا قم في قومك أوح على لسانك، فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي فقال: يا سماء استمعي، ويا أرض أنصتي، فإن الله يريد أن يقضي شأن بني إسرائيل، الذين رباهم بنعمته، واصطنعهم لنفسه، وخصهم بكرامته، وفضلهم على عباده، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها، وضرب الله لهم مثلاً ثم قال: إنه مثل ضربته لهم، يتقربون إلي بذبح البقر والغنم، وليس ينالني اللحم ولا أكله، ويدعون أن يتقربوا إلي بالتقوى، والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها، وأيديهم مخضوبة منها، وثيابهم متزملة بدمائها، يشيدون لي بالبيوت مساجد، ويطهرون أجوافها، وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها، ويزوقون لي المساجد ويزينونها، ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها، فأي حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها، وأي حاجة إلى تزويق المساجد ولست أدخلها، إنما أمرت برفعها، لأذكر وأسبح، يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا، وصلينا فلم تنور صلاتنا، وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا، ودعونا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عواء الذئاب، في كل ذلك لا يستجاب لنا، قال الله: فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم؟ ألست أسمع السامعين، وأبصر الناظرين، وأقرب المجيبين، وأرحم الراحمين؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور، ويتقوون عليه بطعمة الحرام؟ أم كيف أنور صلاتهم، وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي؟ أم كيف تزكو عندي صدقاتهم، وهم يتصدقون بأموال غيرهم؟ إنما آجر عليها أهلها المغصوبين. أم كيف أستجيب دعاءهم؟ وإنما هو قول بألسنتهم، والفعل من ذلك بعيد، إلى أن قال: وإني قد قضيت يوم خلقت السماوات والأرض، أن أجعل النبوة في الأجراء، وأن أجعل الملك في الرعاء، والعز في الأذلاء، والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء، والعلم في الجهلة، والحلم في الأميين، فسلهم متى هذا؟ ومن القائم بها من أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون؟ فإني باعث نبياً أمياً ليس أعجمياً من عميان ضالين، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوال للخنا، أسدده لكل جميل، واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة مقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، واحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة، أجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة، وأهواء مشتتة، وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، توحيداً لي، وإيماناً بي، وإخلاصاً لي، يصلون لي قياماً وقعوداً، وركعاً وسجوداً، يقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني، ألهمهم التكبير والتوحيد، والتسبيح والتحميد، والمدحة لي والتمجيد لي، في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم، قربانهم دماؤهم، وأنا جيلهم في صدورهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، ذلك فضلي أوتيه من أشاء، والله ذو الفضل العظيم. فلما فرغ شعيا من مقالته، عدوا عليه ليقتلوه، فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها، واستخلف الله عليهم ملكاً يقال له ناشئة بن أموص، وبعث لهم أرميا بن حلقيا نبياً، ثم عظمت الأحداث وارتكاب المعاصي،

فأوحى الله إلى أرميا، أن ائت قومك من بني إسرائيل، فاقصص عليهم ما آمرك به، إلى أن قال: وإني حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم، ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً، البسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة، فسلط الله عليهم بختنصر، فخرج في ستمائة الف راية، ودخل بيت المقدس بجنوده، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرب بيت المقدس، وكان من أجل البيوت، ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام، سخر له الجن فأتوه بالذهب والفضة والمعادن، وأتوه بالجوهر والياقوت والزمرد، وبنوه بهذه الأصناف، فاحتمل تلك المعادن والأموال، على سبعين ألفاً ومائة الف عجلة، فأودعها ببابل، وأقاموا يستخدمون بني إسرائيل بالخزي والنكال مائة عام، إلى أن قال فذلك قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد﴾ يعني بختنصر وأصحابه، ثم إن بختنصر، قام في سلطانه ما شاء الله، ثم رأى رؤيا عجيبة، إذ رأى شيئاً أصابه فأنساه الذي رأى، فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشايل، وكانوا من ذراري الأنبياء، وسألهم عنها فقالوا: أخبرنا بها نخبرك بتأويلها قال: ما أذكرها، ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لأنزعن أكتافكم، فخرجوا من عنده فدعوا الله فأعلمهم بالذي سألهم، فجاؤوا فقالوا: رأيت تمثالاً قدماه وساقاه من فخار، وركبتاه وفخذاه من نحاس، وبطنه من فضة، وصدره من ذهب، ورأسه وعنقه من حديد، قال: صدقتم، قالوا: فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك، أرسل الله عليه صخرة فدقته، فهي التي أنستكها، قال: صدقتم فما تأويلها؟ قالوا: إنك أريت ملك الملوك، بعضهم كان ألين ملكاً، وبعضهم كان أحسن ملكاً، وبعضهم كان أشد ملكاً، فالفخار أضعفه، ثم فوقه النحاس أشد منه، ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك، والذهب أحسن من الفضة، ثم الحديد ملكك فهو أشد مما كان قبله، والصخرة التي رأيت، أرسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله فيدق ذلك أجمع، ويصير الأمر إليه، فلما تجبر بختنصر على أهل الأرض، ظن أنه بحوله وقوته، فقال لأصحابه: قد ملكت الأرض فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا، فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً، فبعث الله عز وجل إليه بعوضة، فدخلت في منخره، حتى عضت على أم دماغه، فما كان يقر ولا يسكن حتى مات، فلما مات، شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه، وارتحل من بقي من بني إسرائيل إلى الشام، وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه، وكانت التوراة قد حرقت، وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل، فلما رجع إلى الشام، جعل يبكي ليله ونهاره، وخرج عن الناس، فبينما هو كذلك، إذ جاءه ملك على صورة رجل فقال له: يا عزير ما يبكيك؟ قال: أبكي على كتاب الله وعهده الذي لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره، قال: أفتحب أن يرد إليك؟ ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك، ثم موعدك هذا المكان غداً ففعل، فأتى ذلك الرجل بإناء فيه ماء، فسقاه من ذلك الماء، فمثلت التوراة في صدره، فرجع إلى بني إسرائيل، فأملاها لهم وعادت كما كانت، ورجعت بنو إسرائيل لكثرة الأحداث والمعاصي، يكذبون الأنبياء ويقتلونهم، وكان آخر من بعث إليهم: زكريا ويحيى وعيسى، فقتلوا زكريا ويحيى، وقصدوا إلى قتل عيسى، فرفعه الله، والسبب في قتل يحيى: أن ملك بني إسرائيل، كان يكرمه ويدني مجلسه، وأن الملك هوى بنت امرأته، وقيل بنت أخيه، فسأل يحيى تزويجها، فنهاه عن نكاحها، فبلغ ذلك أمها، فحقدت على يحيى، وعمدت حين جلس الملك من شرابه، فألبستها ثياباً رقاقاً حمراً، وطيبتها وألبستها الحلي، وأرسلتها إلى الملك، وأمرتها أن تسقيه، فإن هو راودها عن نفسها، أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله،

﴿ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾ أي للطريقة التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾ أعدل وأصوب ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ ﴿وَ﴾ يخبر ﴿أَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾ مؤلماً هو النار ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَآءَهُۥ﴾ أي

فسألته أن يأتيها برأس يحيى في طست ففعل. وفي الحديث: لا خير في الدنيا، فإن يحيى بن زكريا قتلته امرأة، فسلط الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش، فسار إليهم بأهل بابل، فدخل عليهم الشام، فلما ظهر عليهم، أمر رأساً من رؤساء جنوده يقال له بيروزاذن، فدخل بيت المقدس، فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم، فوجد فيها دماً يغلي، فسألهم عنه فقال: يا بني إسرائيل، ما شأن هذا الدم يغلي؟ أخبروني خبره، فقالوا: هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي، فقال: ما صدقتموني، وقتل منهم سبعمائة وسبعين روحاً، فلم يهدأ الدم، فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم، فذبحهم على الدم، فلم يهدأ، فقال لهم: يا بني إسرائيل، ويلكم اصدقوني قبل أن لا أترك منكم نافخ نار، من ذكر ولا أنثى إلا قتلته، فأخبروه أنه دم يحيى بن زكريا، قال: الآن صدقتموني لمثل هذا ينتقم منكم ربكم، وآمن بالتوراة وقال لمن حوله: أغلقوا أبواب المدينة، وأخرجوا من كان هنا من جيش خردوش، ثم قال: يا يحيى بن زكريا، قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم، فأهدأ بإذن ربك، قبل أن لا أبقي من قومك أحداً، فهدأ الدم بإذن الله، ورفع القتل عن بني إسرائيل وقال لهم: إن خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكري، وإني لا أستطيع أن أعصيه، فأمرهم فحفروا خندقاً، وأتوا بالخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم، فأمر بذبحها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك، فطرحوا على ما قتل من المواشي، فلم يظن خردوش، إلا أن ما في الخندق من دماء بني إسرائيل، فاكتفى بذلك وأمر برفع القتل، وهذه هي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله فيها ﴿فإذا جاء وعد الآخر ليسُوءُوا وجوهكم﴾ الخ. ثم انتقل الملك بالشام ونواحيها، إلى الروم واليونانيين، إلا أن بقايا بني إسرئيل كثير، وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على وجه الملك، وكانوا في نعمة، إلى أن بدلوا وأحدثوا، فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوش الرومي، فخرب بلادهم وطردهم عنها، ونزع الله منهم الملك والرياسة، وضرب عليهم الذلة، فليسوا في أمة إلا وعليهم الصغار والجزية، وبقي بيت المقدس خراباً، إلى خلافة عمر بن الخطاب، فعمره المسلمون بأمره اهـ.

قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ﴾ أي الذي أنزل على محمد. قوله: ﴿يَهْدِي﴾ أي يرشد ويوصل. قوله: ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي فمن تمسك به نجا، ومن حاد عنه هلك ففي الحديث «إني تارك فيكم ثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، كتاب الله وعترتي». قوله: ﴿أَجْراً كَبِيراً﴾ أي لا يعلم قدره غيره تعالى، وهذا الأجر ثابت لمن عمل الصالحات، وإن لم يكن حافظاً لألفاظ القرآن، بل المدار على امتثال الأوامر واجتناب النواهي. قوله: ﴿وَ﴾ (يخبر) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الخ، معطوف على ﴿يُبَشِّرِ﴾ فهو غير داخل في حيز البشارة. قوله: **(أعددنا)** أي هيأنا وأحضرنا.

قوله: ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ﴾ حذفت الواو لالتقاء الساكنين، وحذفت من الخط، تبعاً لحذفها من اللفظ. قوله: **(إذا ضجر)** أي أصابه شدة الغم والغيظ. قوله: **(أي كدعائه)** أشار بذلك إلى أن الكلام

كدعائه له ﴿ بِٱلْخَيْرِۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ الجنس ﴿ عَجُولًا ﴾ ⑪ بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ ﴾ دالتين على قدرتنا ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان ﴿ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ أي مبصراً فيها بالضوء ﴿ لِّتَبْتَغُواْ ﴾ فيه ﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ بالكسب ﴿ وَلِتَعْلَمُواْ ﴾ بهما ﴿ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ ﴾ للأوقات ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ ﴾ يحتاج إليه ﴿ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ ⑫ بيناه تبييناً ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾ عمله يحمله ﴿ فِي عُنُقِهِۦۖ ﴾ خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه

على التشبيه، والمعنى أن الإنسان إذا أصابه الغم، يدعو على نفسه وأهله بالشر، كما يدعو لهم بالخير، إذا كان منبسطاً راضياً، وتقدم في قوله تعالى ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم﴾ الآية، إن الله يستجيب الدعاء بالخير، ولا يستجيب الدعاء بالشر. قوله: ﴿**عَجُولاً**﴾ أي لا يتأمل في عاقبة ما يريد فعله، بل يقدم على فعل كل ما خطر بباله، فإذا كان كذلك، فينبغي للإنسان التأني في الأمور، وتفويضها إلى الله تعالى، ليحصل له الراحة في الدنيا، والسعادة في العقبى، ولا يتعجل في الأمور، بحيث يسارع إلى الانتقام ممن ظلمه، والدعاء على من أساء إليه، بل الواجب، إما التفويض أو الدعاء للظالم بالهداية والتوفيق للخير.

قوله: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهار آيَتَيْنِ**﴾ أي علامتين على عظيم قدرتنا وباهر حكمتنا، حيث جعلناهما على منوال واحد، ينقص هذا ويزيد هذا. قوله: ﴿**فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ**﴾ أي خلقناه على هذه الحالة، وليس المراد أنه كان مضيئاً ثم محي ضوؤه، وفي الحقيقة في الكلام حكمتان، الأولى: حكمة خلق الليل والنهار من حيث ذاتهما، وهي الدلالة على باهر قدرة صانعهما. الثانية: حكمة كون الليل خلق مظلماً، والنهار خلق مضيئاً، وهي لتسكنوا في الليل، ولتبتغوا من فضله في النهار. قوله: (**لتسكنوا فيه**) قدره أخذاً له من مقابله، وهو قوله في جانب النهار لتبتغوا، الخ. قوله: (**والإضافة للبيان**) أي آية هي الليل، وكذا يقال في آية النهار. قوله: (**أي مبصراً فيها**) هو بفتح الصاد، وأشار بذلك إلى أن الكلام فيه الحذف، والإيصال حذف الجار فاتصل الضمير، فيكون فيه مجاز عقلي، من إسناد الحدث إلى زمانه.

قوله: ﴿**لِتَبْتَغُوا**﴾ أي تطلبوا. قوله: ﴿**وَلِتَعْلَمُوا**﴾ (**بهما**) أي فهو متعلق بكل من محونا وجعلنا، لأن علم عدد السنين والحساب، بمرور الليل والنهار جميعاً. قوله: ﴿**وَالْحِسَابَ**﴾ هو معطوف على ﴿**عَدَدَ**﴾ ولا يقال هو تكرار، لأنه يقال: إن العدد موضوع الحساب. قوله: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ**﴾ الأحسن أنه من باب الاشتغال، فكل منصوب بفعل محذوف يفسره. قوله: ﴿**فَصَّلْنَاهُ**﴾ وكذا يقال في قوله: ﴿**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ**﴾. قوله: (**للأوقات**) أي كآجال الديون، وأوقات الصلاة، والحج والصوم والزكاة، وغير ذلك من أمور الدين والدنيا. قوله: ﴿**تَفْصِيلاً**﴾ مصدر مؤكد لعامله، إشارة إلى أن الله لم يترك شيئاً من أمور الدين والدنيا، إلا بينه نظير قوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾.

قوله: ﴿**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ**﴾ فسر المفسر الطائر بالعمل، وفسره غيره بالكتاب، وإليه يشير بقول مجاهد: وسمي العمل طائراً، إما لأن العرب إذا أرادوا فعل أمر، نظروا إلى الطير إذا طار، فإن طار متيامناً، قدموا على ذلك الأمر، وعرفوا أنه خير، وإن طار متياسراً، تأخروا وعرفوا أنه شر، فلما كثر ذلك

ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا ﴾ مكتوباً فيه عمله ﴿ يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ ﴿١٣﴾ صفتان لكتاباً ويقال له ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ﴿١٤﴾ محاسباً ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ﴾ لأن ثواب اهتدائه لها ﴿ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ لأن إثمة عليها ﴿وَلَا تَزِرُ ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة أي لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ﴾

منهم، سموا نفس الخير والشر بالطائر، تسمية للشيء باسم لازمه. قوله: (**خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد**) أي ولأن العنق إما محل الزينة كالقلادة ونحوها، أو للشين كالأغلال ونحوها، فإن كان عمله خيراً، كان كالقلادة في عنقه، وهو مما يزينه، وإن كان شراً، كان كالغل في عنقه، وهو مما يشينه. قوله: (**مكتوب فيها شقي أو سعيد**) خص مجاهد السعادة والشقاوة، وإن كان الرزق والأجل مكتوبين فيها أيضاً، لأن السعادة أو الشقاوة، هما اللذان يبقيان معه في الآخرة، وأما الرزق والأجل فيقتضيان بموته. قوله: ﴿**وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كِتَاباً**﴾ قال الحسن: بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ عليك سيئاتك، حتى إذا مت، طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك، حتى تخرج لك يوم القيامة.

قوله: ﴿**ٱقْرَأْ كِتَابَكَ**﴾ روي أن الإنسان يقرأ كتابه، وإن لم يكن قارئاً في الدنيا. قوله: ﴿**كَفَى بِنَفْسِكَ**﴾ الباء زائدة في فاعل كفى، و ﴿**حَسِيباً**﴾ تمييز، و ﴿**عَلَيْكَ**﴾ متعلق به، وحسيباً بمعنى حاسب أو كاف أو محاسب كما قال المفسر، والمعنى أنه يكتفي بمحاسبة الشخص لنفسه، فلا يحتاج لأحد يحاسبه، بل إذا أنكر، تشهد عليه أعضاؤه بما علمت، ثم ما مشى عليه المفسر، من أن المراد بالطائر، العمل يكتب ويوضع في عنقه وهو في بطن أمه، فيلزمه ما دام في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة، يخرج له كتاباً من خزانة تحت العرش، وهو الصحيفة التي كانت الملائكة تكتبها عليه في الدنيا، فيأخذها إما بيمينه إن كان مسلماً، أو بشماله إن كان كافراً، فيقابله على ما في عنقه، هو أحد تفسيرين في الآية، والآخر أن الكتاب واحد، تكتبه الملائكة عليه ما دام في الدنيا، فإذا مات طوي ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة، أخرج من تلك الخزانة وألزمه في عنقه، فيكون معنى ألزمناه طائره في عنقه، أي في يوم القيامة عند تطاير الصحف، ويكون عطف قوله: ﴿**وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ**﴾ على ما قبله من عطف السبب على المسبب. قوله: ﴿**فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**﴾ أي فإنما تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه لا تتعداه إلى غيره. قوله: ﴿**فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**﴾ أي فإنما وبال ضلاله على نفسه، لا على من عداه ممن لم يباشر، وهذا تحقيق معنى قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾.

قوله: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ أي لا تحمل نفس مذنبة، بل ولا غير مذنبة، ذنوب نفس أخرى. إن قلت: ورد في الحديث «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» فمقتضاه أنه يحمل وزره فيكون منافياً لهذه الآية. أجيب: بأن المراد بالوزر الذي يحمله في الحديث وزر التسبب، ولا شك أن التسبب من فعل الشخص، ومع ذلك فلا ينقص من وزر الفاعل شيء، فالمتسبب الفاعل يعاقب على فعله وتسببه، والفاعل بدون تسبب يعاقب على فعله فقط.

قوله: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ**﴾ أي ولا مثيبين على الأعمال، لأن شرط صحة العبادات ووجوبها بلوغ

أحداً ﴿حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ۝١٥﴾ يبين له ما يجب عليه ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ منعميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾ بالعذاب ﴿فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ۝١٦﴾ أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها ﴿وَكَمۡ﴾ أي كثيراً ﴿أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ۝١٧﴾ عالماً ببواطنها وظواهرها، وبه يتعلق بذنوب ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ أي الدنيا ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ التعجيل له بدل من له بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا﴾ يدخلها ﴿مَذۡمُومٗا﴾ ملوماً ﴿مَّدۡحُورٗا ۝١٨﴾ مطروداً عن الرحمة ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا﴾ عمل عملها اللائق بها ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ حال ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم

الدعوة، فمن لم تبلغه الدعوة، لا تجب عليه عبادة، ولا تصح منه، لو فعلها فلا يثاب عليها، وعموم هذه الآية، يدل على أن أهل الفترة جميعاً ناجون بفضل الله، ولو غيروا وبدلوا، وما ورد من تخصيص بعض أفراد، كحاتم الطائي وامرىء القيس بدخولهم النار، فهي أحاديث آحاد لا تعارض القطعي. قوله: ﴿**مُتْرَفِيهَا**﴾ الترفه بالضم النعمة والطعام الطيب والشيء الظريف. قوله: (**منعميها**) أي المنهكمين في شهواتها، الغافلين عن الآخرة. قوله: (**بالطاعة**) متعلق بأمرنا. قوله: (**بإهلاك أهلها**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي دمرنا أهلها.

قوله: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا**﴾ كم خبرية منصوبة بأهلكنا، و ﴿**مِنَ ٱلْقُرُونِ**﴾ تمييز لكم. قوله: ﴿**مِن بَعْدِ نُوحٍ**﴾ خص بالذكر لأنه أول من كذبه قومه. قوله: ﴿**وَكَفَى بِرَبِّكَ**﴾ الباء زائدة في الفاعل، و ﴿**خَبِيراً بَصِيراً**﴾ تمييزان، و ﴿**بِذُنُوبِ**﴾ متعلق بخبيراً بصيراً، وقوله: (**عالماً ببواطنها وظواهرها**) لف ونشر مرتب، فالعلم بالبواطن هو معنى الخبير، وبالظواهر هو معنى البصير. قوله: (**وبه يتعلق بذنوب**) هكذا في النسخ التي بأيدينا، ولعل فيه تحريفاً، والأصل بذنوب متعلق بخبيراً بصيراً.

قوله: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ**﴾ أي من كان حظه الدنيا، فهو صادق بالكافر والمنافق، ويدخل في ذلك المراؤون بأعمالهم، إذ لولا المدحة والثناء عليهم ما فعلوا الطاعات. قوله: ﴿**عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا تَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ**﴾ أي أعطينا لمن نريد في الدنيا الذي نشاؤه، من سعة رزق وعافية وغير ذلك، والمعنى لا نزيده على ما قدر له أزلاً، بل ما يعطى إلا ما سبق في عمله تعالى أنه يعطاه، فمحبته في الدنيا لم تزده شيئاً منها، فينبغي الإخلاص في العبادة والتوجه لله تعالى والإقبال عليه، ليخطى بسعادة الدارين. قوله: (**بدل من له**) أي إن قوله: ﴿**لِمَنْ نُرِيدُ**﴾ بدل من قوله: ﴿**لَهُ**﴾ بدل بعض من كل بإعادة اللام، وقوله: ﴿**عَجَّلْنَا**﴾ جواب الشرط وهو ﴿**مِنْ**﴾ و ﴿**كَانَ**﴾ فعله و ﴿**يُرِيدُ**﴾ خبر ﴿**كَانَ**﴾ واسمها ضمير مستتر.

قوله: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَا**﴾ أتى بثم إشارة إلى أن دخول النار متأخر. قوله: (**ملوماً**) أي أن الخلق في القيامة يلومونه على ما حصل منه في الدنيا. قوله: ﴿**مَدْحُوراً**﴾ من دحر يدحر من باب خضع، فهو مدحور، بمعنى أن الله طرده وأبعده عن جنته. قوله: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ**﴾ أي من كان حظه ونيته ومنتهى آماله الدار الآخرة، بأن لم يجعل الدنيا قراراً له ولا وطناً، بل جعلها سفينة موصلة لمقصوده. قوله: ﴿**سَعْيَهَا**﴾ إما مفعول به أو مفعول مطلق، والمعنى كما قال المفسر، عمل عملها الذي يليق بها؛ كأعمال

﴿مَّشْكُورًا﴾ ﴿١٩﴾ عند الله مقبولاً مثاباً عليه ﴿كُلًّا﴾ من الفريقين ﴿نُّمِدُّ﴾ نعطي ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل ﴿مِنْ﴾ متعلق بنمد ﴿عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾ ﴿٢٠﴾ ممنوعاً عن أحد ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ ﴿٢١﴾ من الدنيا فينبغي الاعتناء بها دونها ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ ﴿٢٢﴾ لا ناصر لك ﴿وَقَضَىٰ﴾ أمر ﴿رَبُّكَ أَلَّا﴾ أي بأن ﴿تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾

البر والطاعات واجتناب المنهيات. قوله: (حال) أي من ضمير ﴿سَعَىٰ﴾.

قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ جواب الشرط، وفيه مراعاة معنى من وفيما قبله مراعاة لفظها، وهو إشارة إلى أن من جمع ثلاث خصال، فهو من أهل الجنة: الإيمان والعمل الصالح والاخلاص، ولذا قال بعضهم: من لم تكن معه ثلاث لم ينفعه علمه: إيمان ثابت، ونية صادقة، وعلم مصيب، وتلا هذه الآية، وهذا هو كمال الإيمان. قوله: (مثاباً عليه) أي فشكر الله لعباده قبولهم وإثابتهم على أعمالهم. قوله: (كلا) مفعول لنمد. قوله: (من الفريقين) أي مريد الدنيا ومريد الآخرة. قوله: (بدل) أي من ﴿كلاً﴾ بدل من كل كأنه قال: ﴿نُمِدُّ هٰؤُلَاءِ وهٰؤُلَاءِ﴾ الأول للفريق الأول، والثاني للفريق الثاني، فهو لف ونشر مرتب. قوله: (في الدنيا) أي كسعة الرزق والجاه والعافية وغير ذلك. قوله: (ممنوعاً عن أحد) أي مؤمن أو كافر. وأما في الآخرة، فعطاؤه ممنوع عن الكافر، وهو مختص بالمؤمن.

قوله: ﴿كَيْفَ﴾ منصوب على الحال من ﴿فَضَّلْنَا﴾ كأنه قال: انظر تفضيلنا بعضهم على بعض كائناً على أي حالة. قوله: (من الدنيا) أي من درجاتها، لأن فضل الآخرة عظيم لا ينقطع، بل هو دائم لا يفنى. قوله: (فينبغي الاعتناء بها) أي بالآخرة، وقوله: (دونها) أي الدنيا. قوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ﴾ الخطاب إما للنبي والمراد غيره، أو لكل مكلف، وهو الأولى، والمعنى لا تشرك أيها المكلف غير الله مع الله، لا في ظاهرك ولا باطنك، بل خلص قلبك من التعلق بغيره والمحبة لسواه، ولا تجعل الغير في خيالك، فإنه نقص عن مراتب الأخيار، ولذا قال ابن الفارض:

ولـو خـطرت لي في سـواك إرادة عـلى خاطـري يومـاً حكمت بـردتي

قوله: ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً﴾ يصح أن تكون قعد بمعنى عجز، فمذموماً مخذولاً حالان، ويصح أن تكون بمعنى صار، فمذموماً مخذولاً خبران لها. قوله: (لا ناصر لك) تفسير لمخذولاً، وتقدم تفسيره مذموماً بملوماً، والمعنى ملوماً من الخلق، مخذولاً من الخلق، لم يجعل له ناصراً.

قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات جملة من التكاليف، نحو خمسة وعشرين حكماً، بعضها أصلي، وبعضها فرعي، وابتدأ منها بالتوحيد بقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً﴾ وختم به بقوله: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ إشارة إلى أنه رأس الأمور وأساسها، وما عداه من الأحكام مبني عليه، ولما كان حق الوالـدين آكد الحقوق، بعد حق الله ورسوله، ذكر بعد التوحيد وشدد فيه، دون بقية التكاليف، لأن أمر العقوق فظيع، وفيه الوعيد الشديد، ففي الحديث «قل لعاق والديه يفعل ما يشاء فإن مصيره إلى النار». قوله: (أمر)

وَ﴾ أن تحسنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ بأن تبروهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾ فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ وفي قراءة يبلغان فأحدهما بدل من ألفه ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ بفتح الفاء وكسرها منونا وغير منون مصدر بمعنى تبّاً وقبحاً ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٢٣﴾ جميلاً ليناً ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ ألن لهما جانبك الذليل ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي لرقتك عليهما ﴿وَقُل رَّبِّ

أي أمراً جازماً، وقيل إن قضى بمعنى أوصى، وقيل بمعنى حكم، وقيل بمعنى ألـزم، وقيل بمعنى أوجب، وكـل صحيح.

قوله: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ بأن لا تشركوا معه في العبادة غيره، فتمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه، ودخل في ذلك الاقرار لرسول الله بالرسالة، ومحبته وتعظيمه، لأن ذلك من جملة المأمور به، قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾. قوله: **(أي بأن)** أشار بذلك إلى أن أن مصدرية، ويكون الفعل منصوباً بحذف النون، ويصح أن أن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ولا ناهية، والفعل مجزوم بحذف النون، والواو فاعل على كل حال. قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله: ﴿وَ﴾ **(أن تحسنوا)** والجملة معطوفة على جملة ﴿أَنَّ لَا تَعْبُدُوا﴾. قوله: **(بأن تبروهما)** أي تطيعوا أمرهما في غير معصية الله. قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ إن شرطيـة مدغمة في ما الزائدة، والفعل مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، في محل جزم، وأحدهما فاعل، وكلاهما معطوف عليه، وجواب الشرط هو قوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ وما عطف عليه من بقية الخمسة التي كلف بها الإنسان في حق والديه. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً، وعليها فالفعل مجزوم بحذف نون الرفع، والألف فاعل، والنون المشددة المكسورة للتوكيد والتقييـد بحالة الكبر، خرج مخرج الغالب، لأن الولد غالباً إنما يتهاون بوالديه عند حصول الكبر لهما، ومعنى قوله: ﴿عِنْدَكَ﴾ أن يكون في منزلك وكفالتك، ومعدوداً من عيالك، وهذا بحسب الغالب، وإلا فالولد مطلوب ببر والديه مطلقاً، كانا عنده أو لا. قوله: **(بفتح الفاء)** أي من غير تنوين، قوله: **(وكسرها)** أي منوناً وغير منون، فالتعميم راجع لقراءة الكسر، خلافاً لما يوهمه المفسر، فالقراءات السبعية ثلاث، وقرىء شذوذاً بالرفع مع التنوين وتركه، وبالفتح مع التنوين وسكون الفاء، فتكون الشواذ أربعاً، فجملة القراءات سبع هنا، وفي الأنبياء وفي الأحقاف ولغاتها أربعون لغة، ذكرها ابن عطية في تفسيره. قوله: **(مصدر بمعنى تباً)** بفتح التاء وضمها أي خسرانا، قوله: **(وقبحاً)** أي لا تقل لهما قبحاً لكما ولأفعالكما، والأوضح أن يقول اسم فعل المضارع، أي لا تقل لهما أنا اتضجر من شيء يصدر منكما. قوله: **(وتزجرهما)** أي عما لا يعجبك منهما بإغلاظ، بأن لا تأمرهما ولا تنهاهما، ولو كان ذلك الأمر غير مناسب، بل إذا أحب أن يأمرهما أو ينهاهما، فليكن على سبيل المشاورة باللطف والرفق. قوله: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾ أي حسناً، كأن يقول لهما: يا أبتاه يا أماه، ولا يسميهما.

قوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ في الكلام استعارة تبعية في الفعل، حيث شبهت إلانة الجانب بخفض الجناح، والجامع الرأفة في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، وإضافة جناح للذل، من إضافة الموصوف للصفة، أي جانبك الذليل، وقد أشار لذلك كله المفسر. قوله: **(أي لرقتك عليهما)** أشار بذلك إلى أن ﴿مِنَ﴾ للتعليل، والمعنى من أجل الرحمة، لا خوفاً من العار مثلاً. قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾

ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا﴾ رحماني حين ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ طائعين لله ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿غَفُورٗا﴾ ﴿٢٥﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمرون عقوقاً ﴿وَءَاتِ﴾ أعط ﴿ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُۥ﴾ من البر والصلة ﴿وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾ ﴿٢٦﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ أي على طريقتهم ﴿وَكَانَ

أي ادع لهما بالرحمة، ولو في كل يوم وليلة خمس مرات، ولو كافرين إذا كانا حيين، لأن من الرحمة أن يهديهما للإسلام. قوله: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ الكاف للتعليل، أي من أجل أنهما رحماني حين ربياني صغيراً. روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أبوي بلغا مني في الكبر، أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر، فهل قضيت حقهما؟ قال: لا، فإنهما كان يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك، وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما.

قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ هذا وعد ووعيد، والمعنى لا عبرة بادعاء البر باللسان، فإن الله عالم بالسرائر. قوله: (**طائعين لله**) أي في حق الوالدين. قوله: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ﴾ مرتب على محذوف، والتقدير وفعلتم معهما خلاف الأدب. قوله: (**الرجاعين إلى طاعته**) وقيل هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء ثم يستغفرون منها، وقيل غير ذلك، وفي الحقيقة الأواب هو التواب. قوله: (**من بادرة**) البادرة الزلة تقع خطأ. قوله: (**وهم لا يضمرون عقوقاً**) الجملة حالية.

قوله: ﴿وَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ لما قدم حق الله وحق الوالدين، ذكر حق الأقارب وغيرهما، وحق المساكين وأبناء السبيل الأجانب، والخطاب في هذه الآيات، إما للنبي والمراد هو وأمته، لأن الأصل عدم الخصوصية، أو للمكلف والأمر للوجوب عند أبي حنيفة، فعنده يجب على الموسر مواساة أقاربه المحارم، كالأخ والأخت، وللندب عند غيره، ومحل الخلاف في المواساة بالمال بأن ينفق عليهم، وأما صلتهم بمعنى عدم مقاطعتهم ومعاداتهم، فواجبة إجماعاً، كنفقة الأصول والفروع، والآية شاملة لذلك كله. قوله: (**من البر**) أي الإحسان بالمال، وقوله: (**والصلة**) أي مطلقاً فهو عطف عام على خاص. قوله: ﴿وَالْمَسْكِينَ﴾ المراد به ما يشمل الفقير، والمعنى وآت المسكين حقه من البر والإحسان على حسب الطاقة، فإن ذلك من أوصاف المتقين، قال تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم﴾ إلى أن قال ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾. قوله: ﴿وَآبنَ السَّبِيلِ﴾ أي الغريب، وسمي بذلك لأنه ملازم للطريق فكأنه ابن لها. قوله: (**في غير طاعة الله**) أي كالمعاصي والشهوات المستغنى عنها، بأن يزيد في الإنفاق على المباح، وهذا مذموم إذا كان المال حلالاً أما إن كان حراماً، فلا يجوز له الإنفاق منه أصلاً، بل يجب عليه أن يرده لأربابه.

قوله: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ﴾ إلخ، هذا غاية في الذم. قوله: ﴿كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي ولم يزالوا كذلك، والمعنى أن المبذرين يشبهون الشياطين، في أن كلا منهما ضل في نفسه وأضل غيره، فالشياطين صرفوا هممهم وقوتهم وما أنعم الله عليهم به من معاصي الله ولم يصلحوا، والمبذرون صرفوا أموالهم فيما يغضب الله تعالى وأفسدوا ولم يصلحوا. قوله: (**أي على طريقتهم**) أي مقتدين بهم وملازمين لأفعالهم، لأن الملازم للشيء يسمى

ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ ﴿٢٧﴾ شديد الكفر لنعمه فكذلك أخوه المبذر ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ أي المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تعطهم ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ﴿٢٨﴾ ليناً سهلاً بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع للأول ﴿مَّحْسُورًا﴾ ﴿٢٩﴾ منقطعاً لا شيء عندك راجع للثاني ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ

أخا له. قوله: (**شديد الكفر لنعمه**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير وكان الشيطان لنعم ربه كفوراً. قوله: (**فكذلك أخوه المبذر**) أي فقد كفر نعم ربه، حيث صرفها في غير طاعة الله.

قوله: ﴿**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ**﴾ معطوف على محذوف تقديره: وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل إن كان بيدك شيء وإما تعرضن الخ، والمعنى لا تقطع رجاء الفقير منك، بل إما أن تعطيه إن كان معك شيء، أو ترده بلطف، كما كان من خلقه ﷺ، فكان إذا سئل أعطى أو وعد بالعطاء. قوله: (**وما بعده**) أي المسكين وابن السبيل. قوله: ﴿**ٱبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ**﴾ مفعول لأجله، وهو علة مقدمة على المعلول، والمعنى: وإما تعرضن عنهم لأجل عسرك، فقل لهم قولاً ميسوراً، اعتماداً على الله وطلباً لرحمة من ربك ترجوها، وفي ذلك إشارة إلى أن الإنسان، لا ينبغي له قطع رجائه من الله بل يعتمد على الله دائماً في عسره ويسره، فإن الغنى هو وثوق القلب بالله، فلا يعتمد على سبب من الأسباب، بل يتوكل على الله، ولا يقطع رجاءه منه، ولا رجاء غيره فيه ثقة بربه. قوله: (**بأن تعدهم**) أي أو تدعو لهم بأن تقول: أغناكم الله، سهل لكم أسباب الخير، وغير ذلك.

قوله: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ**﴾ أي مضمومة ومجموعة معه في الغل، وهو بضم الغين المعجمة، طوق من حديد يجعل في العنق. قوله: (**أي لا تمسكها عن الإنفاق**) أي فهو نهي عن البخل على سبيل الكناية، لأن شأن من جعل يده مغلولة إلى عنقه، عدم القدرة على التصرف، وشأن البخيل عدم التصرف في المال بالانفاق وغيره. قوله: (**كل المسك**) المناسب الامساك لأن الفعل رباعي، وكأنه شاكل قوله: ﴿**ٱلْبَسْطِ**﴾. قوله: ﴿**كُلَّ ٱلْبَسْطِ**﴾ أي بأن تنفق زيادة على ما يجب وما يندب. قوله: ﴿**فَتَقْعُدَ**﴾ أي تصير، فقوله: ﴿**مَلُوماً**﴾ خبر لتقعد، و ﴿**مَّحْسُوراً**﴾ معطوف عليه. قوله: (**راجع للأول**) أي البخيل. قوله: (**منقطعاً لا شيء عندك**) أي فهو من حسره السفر إذا أثر فيه، ويصح أن يكون من الحسرة بمعنى الندامة، أي نادماً على ما حصل منك. قوله: (**راجع للثاني**) أي وهو من بسط يده كل البسط، ولا تشكل هذه الآية، على ما ورد من فعل السلف، الذين خرجوا عن أموالهم في محبة الله ورسوله وصاروا فقراء، لأن النهي محمول على من كان يعقبه الندم والتحسر، وأما من فعل ذلك من السلف، وأقره عليه رسول الله، كأبي بكر وغيره، من الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم، ومدحهم الله على ذلك، فلم يوجد منهم التحسر على فوات الدنيا لفنائهم عنها وبقائهم بالله، وخطاب تلك الآيات، إنما هو على حسب أخلاق العامة.

قوله: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ الخ، أي فانظر لما رزقك الله به، وأنفق على حسبه،

﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ عالماً ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ بالوأد ﴿خَشْيَةَ﴾ مخافة ﴿إِمْلَٰقٍ﴾ فقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا﴾ إثماً ﴿كَبِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ عظيماً ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ قبيحاً ﴿وَسَآءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلًا﴾ ﴿٣٢﴾ طريقاً هو ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ لوارثه ﴿سُلْطَٰنًا﴾ تسليطاً على القاتل ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ يتجاوز الحد ﴿فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ

وارض بما قسم الله لك، فوسع عند سعة الرزق وضيق عند ضيقه، وكن حيث أقامك الله. قوله: **(بيواطنهم وظواهرهم)** لف ونشر مرتب.

قوله: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾** سبب ذلك: أن بعض الجاهلية كانوا يقتلون البنات خوف الفقر، وبعضهم خوف العار، فحصل النهي عن ذلك، لما فيه من سوء الظن بالله وتخريب العالم، وكل منهما مذموم، وهو خطاب للموسرين بدليل قوله: **﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾** ولذلك قدم الأولاد، وما تقدم في الأنعام خطاب للموسرين، ولذلك قدم ذكر الآباء، وأخر ذكر الأولاد. قوله: **(بالوأد)** أي الدفن بالحياة، وخص بالذكر وإن كان القتل بأن شيء حراماً، لأنه الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية. قوله: **﴿كَانَ خِطْأً﴾** إما بكسر الخاء وسكون الطاء بوزن حمل مصدر خطىء كعلم، وبفتحتين اسم مصدر لأخطأ رباعياً، أو بكسر الخاء وفتح الطاء ممدوداً مصدر لأخطأ كقاتل، ثلاث قراءات وكلها سبعية.

قوله: **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾** هو بالقصر في القراءة الشائعة، وقرىء شذوذاً بالمد، وخرجت على وجهين: أحدهما أنه لغة في المقصور، والثاني أنه مصدر زانى كقاتل، لأنه يكون من اثنين. قوله: **(أبلغ من لا تأتوه)** أي لأنه يفيد النهي عن مقدماته، كاللمس والمباشرة والقبلة صريحاً، والنهي عن الفعل بالأولى. قوله: **﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾** أي لأنه طريق من طرق النار، وخص الزنا بالنهي، وإن كان اللواط أشنع وأقبح، لأنه كان سارياً في العرب، بخلاف اللواط، فقد كان في قوم لوط وتنوسي، ثم ظهر في هذه الأمة، بعد قرن الصحابة والتابعين. قوله: **﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾** أي حرم قتلها بأن عصمها منه، وهو المسلم أو الكافر الذي تحت ذمتنا. قوله: **﴿إلا بِالْحَقِّ﴾** مستثنى من النهي، والمعنى لا تقتلوا النفس المعصومة، إلا بالقتل بالحق، وهو أحد ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل مؤمن معصوم عمداً كما في الحديث.

قوله: **﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً﴾** أي وهو المؤمن المعصوم. قوله: **(تسليطاً على القاتل)** أي فحيث ثبت القتل عمداً عدواناً، وجب على الحاكم الشرعي، أن يمكن ولي المقتول من القاتل، فيفعل فيه الحاكم ما يختاره الولي من القتل أو العفو أو الدية، ولا يجوز للولي التسلط على القاتل، من غير إذن الحاكم، لأن فيه فساداً وتخريباً. قوله: **(غير قاتله)** أي غير قاتل المقتول. قوله: **(أو بغير ما قتل به)** يستثنى منه من قتل بمحرم كلواط وسحر، فإنه لا يجوز القتل بذلك بل يقتل بالسيف. قوله: **﴿إِنَّهُ كَانَ﴾** أي الولي منصوراً أي من الله ومن الحاكم.

قوله: **﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** أي لا تقربوه بحال من الأحوال، إلا

حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ إذا عاهدتم الله أو الناس ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ ﴿٣٤﴾ عنه ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ الميزان السويّ ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٣٥﴾ مآلاً ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ﴿٣٦﴾ صاحبه ماذا فعل به ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ ﴿٣٧﴾ المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ الموعظة ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ

بالخصلة التي هي أحسن من جميع الخصال، وهي تنميته له، والأنفاق عليه منه بالمعروف. قوله: ﴿**حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ**﴾ غاية لقوله: ﴿**إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ**﴾ كأنه قال: فاقربوه بالتي هي أحسن، إلى أن يبلغ أشده أي رشده، فإذا بلغ أشده فادفعوا إليه المال، ولا تصرف لكم فيه بوجه، وأشد إما مفرد بمعنى القوة، أو جمع لا واحد له من لفظه، أو جمع شدة، أو شد بكسر الشين فيهما، أو شد بفتحها، وعلى كل فالمراد به القوة، بأن يبلغ عاقلاً رشيداً، وإن كان الأشد في الأصل بلوغ ثلاث وثلاثين سنة. قوله: **(إن عاهدتم الله أو الناس)** أي أو ما عاهدكم الله عليه من التكاليف. قوله: ﴿**كَانَ مَسْـُٔولًا**﴾ **(عنه)** أي هل وفى به صاحبه أم لا، وقدر المفسر عنه إشارة إلى أن المسؤول صاحب العهد لا نفس العهد، إذ لا يتأتى سؤاله.

قوله: ﴿**وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ**﴾ خطاب للبائعين، قال بعضهم: يؤخذ من الآية، أن أجرة الكيال على البائع، لأنها من تمام التسليم، ما لم تشترط أو يجر عرف بأنها على المشترى. قوله: ﴿**بِٱلْقِسْطَاسِ**﴾ بضم القاف وكسرها قراءتان سبعيتان، ورمي استعملته العرب في لغتهم، وأجرته مجرى كلامهم في الاعراب ونحوه فصار عربياً. قوله: ﴿**ذَٰلِكَ**﴾ أي المذكور من قوله: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ إلى هنا، والمعنى امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، خير في الدنيا وأحسن تأويلاً أي عاقبة في الآخرة، ويحتمل عود اسم الإشارة على خصوص إيفاء الكيل والميزان، فخيره في الدنيا لما فيه من إقبال المشتري على البائع، وفي الآخرة بحسن العاقبة.

قوله: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ**﴾ أي لا تقل رأيت ولم ترَ، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم. قوله: ﴿**كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ**﴾ أي الحواس الثلاثة. قوله: ﴿**كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا**﴾ أي في الآخرة، فلا يجوز للإنسان أن يتكلم في غيره بمجرد الظن، ومن ذلك الفتوى بغير علم، وشهادة الزور، وظن السوء بالناس، وغير ذلك قوله: ﴿**مَرَحًا**﴾ مصدر مرح كفرح وزنا. ومعنى؟ قوله: ﴿**إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ**﴾ أي بكبرك وفخرك، فلست أعلى من الأرض حتى تدرك حدودها وتبلغ منتهاها. قوله: **(تثقبها)** بالثاء المثلثة والنون. قوله: ﴿**طُولًا**﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي ولن يبلغ طولك الجبال. وهذا تهكم على العبد المتكبر، كأن الله يقول له: شأن المتكبر أن يرى كل شيء أحقر منه، وأنت ترى كل شيء أعظم منك، لأنك بمشيك على الأرض لن تخرقها حتى تدركها، ولن يبلغ طولك الجبال حتى تكون أعلى منها، فلا يليق منك التكبر.

قوله: ﴿**كُلُّ ذَٰلِكَ**﴾ أي المذكور من الخمس والعشرين المذكورة في قوله تعالى ﴿**لَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ**

﴿ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ ٣٩ مطروداً عن رحمة الله ﴿ أَفَأَصْفَٰكُمْ ﴾ أخلصكم يا أهل مكة ﴿ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾ بنات لنفسه بزعمكم ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ ﴾ بذلك ﴿ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ ٤٠ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾ بينا ﴿ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿ لِيَذَّكَّرُوا ﴾ يتعظوا ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ ذلك ﴿ إِلَّا نُفُورًا ﴾ ٤١ عن الحق ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّوْ كَانَ مَعَهُۥ ﴾ أي الله ﴿ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا ﴾ طلبوا ﴿ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ ﴾ أي الله ﴿ سَبِيلًا ﴾ ٤٢ ليقاتلوه

﴿إلهاً آخر﴾ إلى قوله: ﴿ولاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾. قوله: ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ بالتاء والهاء قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى يكون المراد من قوله: ﴿كُلُّ ذٰلِكَ﴾ المنهيات وهي اثنتا عشرة خصلة، والتأنيث في ﴿سَيِّئُهُ﴾ باعتبار معنى ﴿كُلُّ﴾ وتذكير ﴿مَكْرُوهاً﴾ باعتبار لفظها، وعلى الثانية يكون المراد جميع ما تقدم من المأمورات والمنهيات، وقوله: ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ أي السيىء منه وهو المنهيات الاثنتا عشرة، ويكون في الآية اكتفاء، أي وكان حسنه محموداً. قوله: ﴿ذٰلِكَ مِمَّا أَوْحَى﴾ أي ما تقدم من المأمورات والمنهيات بعض ما أوحى إليك.

قوله: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللهِ إِلٰهاً آخَرَ﴾ ختم به الأحكام كما ابتدأها، إشارة إلى أن التوحيد مبدأ الأمور ومنتهاها، وهو رأس الأشياء وأساسها، والأعمال بدونه باطلة لا تفيد شيئاً. قوله: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ﴾ لما أمر بالتوحيد ونهى عن الاشراك، اتبعه بذكر التقبيح والتشنيع على من ينسب له الولد، خصوصاً اخس الأولاد في زعمهم وهي البنات، فالاستفهام للتوبيخ والتقريع. قوله: **(أخلصكم)** بيان لمعنى الصفاء اللغوي، يقال: صفاه بمعنى خلصه، والمعنى اخصكم ربكم بالبنين الذين تدعون انهم اشرف الأولاد، وجعل لنفسه البنات اللاتي تدعون خستها عن الذكور، إن هذا الرأي شنيع من وجوه: اولها نسبة الولد من حيث هو لله، ثانيها نسبة الخسيس له، ثالثها الحكم على الملائكة الكرام بالأنوثة، مع أنهم عباد مكرمون، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وكل ذلك موجب للخلود في النار. قوله: **(بنات لنفسه)** في بعض النسخ بإسقاط ألف بعد التاء وهي الصحيحة، لأن من المعلوم أن بنات جمع مؤنث سالم ينصب بالكسرة، وفي بعض النسخ بثبوتها. ولعلها من سهو الناسخ، أو مخرجة على لغة قليلة تنصبه بالفتحة. قوله: ﴿قَوْلاً عَظِيماً﴾ أي كبيراً لأن نسبة الولد إليه تستلزم حدوثه، وهو محال في حقه تعالى. قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ أي أظهرنا ووضحنا. قوله: **(من الأمثال)** الخ، بيان للمفعول، و ﴿مِنَ﴾ زائدة، والمعنى بينا في هذا القرآن الأمثال والوعد والوعيد. قوله: ﴿إِلاَّ نُفُوراً﴾ أي إعراضاً واستكباراً عن الهدى، قال البوصيري:

عجباً للكفار زادوا ضلالاً بالذي فيه للعقول ابتداء

قوله: ﴿قُلْ﴾ (لهم) أي في الاستدلال على إبطال التعدد، وإثبات الوحدانية له تعالى. قوله: ﴿وكَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ﴾ هذا إشارة إلى قياس استثنائي، يستثنى فيه نقيض التالي لينتج نقيض المقدم، وقد حذف منه الاستثنائية والنتيجة والأصل، لكنهم لم يطلبوا طريقاً لقتاله، فلم يكن معه آلهة، والمعنى لو فرض أن له شريكاً في الملك، لنازعه وقاتله واستعلى عليه، لكنه لم يوجد من هو بهذه المثابة، فبطل التعدد، وثبتت الوحدانية والكبرياء له سبحانه وتعالى. قوله: **(ليقاتلوه)** أي على عادة ملوك الدنيا عند

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الشركاء ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤٣﴾ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ تنزهه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن﴾ ما ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ ملتبساً ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي يقول سبحان الله وبحمده ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾ تفهمون ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأنه ليس بلغتكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾ أي ساتراً لك عنهم فلا يرونك، نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ من أن يفهموا القرآن، أي

تعددهم. قوله: ﴿وَتَعَالَى﴾ عطف على ما تضمنه قوله سبحانه كأنه قال تنزه وتعالى.

قوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ﴾ الخ، القصد من ذلك التوبيخ والتقريع على من أثبت لله شريكاً، والمعنى كيف يشركون مع الله غيره، وكل شيء ينزهه عن كل نقص. قوله: ﴿وَالأَرْضُ﴾ أفردها مع أنها سبع كالسماوات، لكون جنسها واحداً وهو التراب. قوله: (من المخلوقات) أي الإنس والجن والملك وسائر الحيوانات والجمادات. قوله: (أي يقول سبحان الله وبحمده) أي اعتقد تنزيه الله وأصفه بحمده، أي بكل كمال. قوله: ﴿وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ هذا يقتضي أن تسبيح الجمادات والحيوانات غير العاقلة بلسان المقال، وهو الذي اختاره جمهور السلف، وذهب الأقل إلى أنه بلسان الحال، بمعنى أنها تدل تلك المخلوقات، على أن لها صانعاً متصفاً بالكمالات، منزهاً عن النقائص، فكان ذلك تسبيحاً لها، قال العارف:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

قوله: (حيث لم يعاجلكم بالعقوبة) أي مع غفلتكم، وعدم تدبركم في آياته، ونظركم في مصنوعاته قوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ خطاب للنبي ﷺ حين أراد الكفار قتله على حين غفلة، وأل في القرآن، إما للجنس الصادق بأي آية وهو الحق، لما في الحديث «خذ من القرآن ما شئت لما شئت» وكون القرآن حجاباً ساتراً، ليس من خصوصياته ﷺ، بل له ولأمته المؤمنين به المخلصين، كما هو مشاهد ومجرب بين العارفين، وأدلة السنة في ذلك أشهر من أن تذكر، أو للعهد، والمراد ثلاث آيات مشهورات من النحل والكهف والجاثية، وهي قوله تعالى في سورة النحل ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم﴾. وفي سورة الكهف ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾. وفي الجاثية ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ الآية، وزاد العلماء أول سورة يس إلى قوله ﴿فهم لا يبصرون﴾ لما ورد أنه قرأها حين اجتمعوا على بابه لإرادة قتله، وأذن الله له في الهجرة، فأخذ حفنة من تراب في يده، وخرج وهو يتلو يس إلى قوله ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ وجعل ينثر التراب على رؤوسهم، ثم انصرف، فلم يره أحد منهم، بل أخذ الله أبصارهم.

قوله: ﴿وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ أي وهم المنكرون للبعث. قوله: (أي ساتراً) أشار بذلك إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل. قوله: (فيمن أراد الفتك به) أي كأبي جهل، وأم جميل زوجة أبي لهب، ويهود خيبر، ويهود المدينة، والمتفقين، والفتك بتثليث الفاء هو القتل على غفلة. قوله: (أغطية) أي

فلا يفهمونه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾ ثقلاً فلا يسمعونه ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ ﴿٤٦﴾ عنه ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ بسببه من الهزء ﴿إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾ قراءتك ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾ يتناجون بينهم أي يتحدثون ﴿إِذۡ﴾ بدل من إذ قبله ﴿يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في تناجيهم ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾ ﴿٤٧﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقله، قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فَضَلُّواْ﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾ ﴿٤٨﴾ طريقاً إليه ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ منكرين للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ﴾ إلى الحياة ﴿قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾ ولم تكونوا شيئاً لأن القادر على البدء

حجباً معنوية تمنعهم من إدراكه. قوله: **(فلا يسمعونه)** أي إما أصلاً كما وقع لبعض الكفار، حيث كان النبي يقرأ القرآن وهم لا يسمعونه، أو المنفي سماع التدبر والاتعاظ، وهو موجود في جميع الكفار والمنافقين. قوله: **﴿وَحْدَهُ﴾** حال من قوله: **﴿رَبَّكَ﴾** بمعنى منفرداً في الألوهية. قوله: **﴿وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾** أي أعرضوا ولم يؤمنوا.

قوله: **﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾** المقصود من هذه الآية، تسلية النبي ﷺ عما وقع من المشركين وتهديد لهم، حيث كانوا يجلسون عند النبي مظهرين الاستماع، وفي الواقع قاصدين الاستهزاء قوله: **(من الهزء)** بيان لما. قوله: **﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾** ظرف لأعلم، وكذا قوله: **﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾** والمعنى نحن أعلم بالذي يستمعون بسببه، وقت استماعهم إليك ووقت تناجيهم. قوله: **﴿نَجْوَى﴾** إما مصدر أو جمع نجي. قوله: **(بدل من إذ قبله)** أي وهو قوله: **﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾** قوله: **﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾** أي لبعضهم، أو لمن كان قريباً منهم في المجلس من المؤمنين. قوله: **﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾** أي حيث شبهوك بالأوصاف الناقصة، كالمسحور والشاعر والكاهن. قوله: **﴿فَضَلُّوا﴾ (بذلك عن الهدى)** أي لأن الهدى تابع للتسليم، وحسن العقيدة، وهؤلاء بريئون من ذلك. قوله: **(طريقاً إليه)** أي إلى الهدى لعدم تيسير أسبابه لهم. قوله: **(منكرين للبعث)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام للإنكار والاستبعاد. قوله: **﴿وَرُفَاتاً﴾** هو ما بولغ في تفتيته ودقه حتى يصير كالتراب، وقيل هو التراب يؤيده أنه تكرر في القرآن تراباً وعظاماً.

قوله: **﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً﴾** أي جواباً عن إنكارهم البعث. والمعنى قل لهم: لو صرتم حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر غيرهما، كالسماوات والأرض والجبال، فلا بد من إيجاد الحياة فيكم، فإن قدرة الله لا تعجز عن إحيائكم، وإعادتكم للجسمية والروحية، فكيف إذا كنتم عظاماً ورفاتاً؟ وليس المراد الأمر، بل المراد أنكم لو كنتم كذلك، لما أعجزتم الله عن الإعادة. قوله: **﴿مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾** أي اعتقادكم. والمعنى لو كنتم أشياء يعظم في اعتقادكم قبولها الحياة، لكونها بعيدة منها، لأحياكم الله، إذ القادر لا يعجزه شيء.

قادر على الإعادة بل هي أهون ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ ﴾ يحركون ﴿ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ تعجباً ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء ﴿ مَتَىٰ هُوَ ﴾ أي البعث ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ بأمره وقيل وله والحمد ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن ﴾ ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٥٢﴾ لهول ما ترون ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى ﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُوا۟﴾ للكفار الكلمة ﴿ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ ﴾ يفسد ﴿ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ ﴿٥٣﴾ بين العداوة، والكلمة التي هي أحسن هي ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِن يَشَأْ ﴾ تعذيبكم ﴿ يُعَذِّبْكُمْ ۚ ﴾ بالموت على الكفر ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ ﴿٥٤﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى

قوله: ﴿قل الذي فطركم﴾ أي يعيدكم الذي فطركم. قوله: (بل هي أهون) أي لأن البدء لم يكن على مثال سابق بخلاف الإعادة، وذلك بالنظر لعقولنا وأفعالنا، وإلا فالبدء والإعادة بالنسبة إليه تعالى على حد سواء، فخلق الجبل العظيم عنده مساو لخلق الذرة، قال تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾. قوله: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ﴾ يقال نغض الشيء تحرك، وأنغض رأسه حركه، كالمتعجب من الشيء. قوله: ﴿أَنْ يَكُونَ قَرِيباً﴾ هو في محل نصب خبر عسى على أنها ناقصة، واسمها ضمير يعود على البعث، أو في محل رفع فاعل بها على أنها تامة.

قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ ظرف لقوله: ﴿قَرِيباً﴾. قوله: (على لسان إسرافيل) هو أحد قولين، والآخر أن المنادي جبريل، والنافخ إسرافيل، وصورة النداء أنه يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. قوله: (فتجيبون) أي تبعثون. قوله: ﴿بِحَمْدِهِ﴾ حال من الواو في تستجيبون، أي تجيبونه حال كونكم حامدين له على ذلك، لما قيل: إنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك. قوله: (بأمره) تفسير آخر لمعنى الحمد هنا وعليه فالباء سببية. قوله: (وقيل وله الحمد) أي لما ورد أنهم يقولون نعم وله الحمد، وهو إخبار عن جميع الخلق، مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمنون يحمدون الله شكراً على ما أولاهم من النعم، والكفار يحمدونه رجاء أن ينفعهم ذلك الشكر، وهو لا ينفعهم، وقيل هو في خصوص المؤمنين. قوله: (في الدنيا) أي أو في القبور، لأنها من جملة عمر الدنيا. قوله: ﴿يَقُولُوا﴾ مجزوم في جواب الأمر. قوله: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. أي ولا يغلظوا عليهم؛ فإن ذلك داع إلى الشر، كأن يقولوا لهم: إنكم من أهل النار ومن الأشقياء، وغير ذلك. قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾ الخ، تعليل لمفهوم. قوله: ﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كأنه قال: ولا يقولوا غيرها مما ينفر النفوس، لأن الشيطان، الخ. قوله: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي بين المؤمنين والمشركين. قوله: (يفسد) ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي لأن الاغلاظ عليهم، ربما يثير العناد، ويؤدي لزيادة الفساد. قوله: (هي) ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾ الخ، أي وما بينهما اعتراض. والمعنى ربكم أعلم بعاقبة أمركم. قوله: (بالتوبة والإيمان) أي بسببهما.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ أي وما جعلنا أمرهم موكولاً لك، بل ليس عليك إلا البلاغ، فدارهم ومر أصحابك بتحمل أذاهم. قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي فهو منسوخ بآية ﴿يا أيها النبي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمد بالإسراء ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ أنهم آلهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ ﴿٥٦﴾ له إلى غيركم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ هم آلهة

جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ ومقتضى العلة، أنه حيث أدى الاغلاظ إلى زيادة الفساد، وجب تركه في أي زمن. قوله: ﴿بِمَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي بأحوالهم، فيخص بالنبوة من شاء من خلقه، وبولايته وسعادته من شاء منهم، وفي هذه الآيات رد على المشركين، حيث استبعدوا النبوة على رسول الله بقولهم: كيف يكون يتيم أبي طالب نبياً؟ وكيف يكون العراة الجوع أصحابه؟ وهذه العبارة لا يجوز إطلاقها على النبي، إلا في مقام الحكاية على الكفار، ولذا أفتى بعض المالكية بقتل قائلها في مقام النقيض، والباء متعلقة بأعلم، ولا يلزم عليه قصر علمه على من في السماوات والأرض، لأنه مفهوم لقب وهو لا يعتبر، وقد رد العلماء على من اعتبره، كأبي بكر الدقاق.

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي بتفضيل من الله ومزايا خصهم بها، ميز بعضهم عن بعض. قوله: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ خص بالذكر، لأن اليهود زعمت أنه لا نبي بعد موسى، ولا كتاب بعد التوراة، وقصدهم بذلك إنكار نبوة محمد وإنكار كتابه، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ لأنهم يعترفون بنبوة داود، ونزل الزبور عليه، مع أنه جاء بعد موسى، والزبور كتاب أنزل على داود، مشتمل على مائة وخمسين سورة، أطولها قدر ربع من القرآن، وأقصرها قدر سورة ﴿إذا جاء نصر الله﴾ وكلها دعاء وتحميد، ليس فيها حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام، وفي هذه الآية، إشارة إلى أن تفضيل الأنبياء بالفضائل النفسانية، والتخلي عن العلائق الجسمانية، والتحلي بالأخلاق الرحمانية، لا بكثرة الأموال والأتباع، حتى داود عليه السلام، فإن شرفه بما أوحى الله إليه من الكتاب، لا بما أوتيه من الملك، فالعز والتفضيل فى المزايا الأخروية لا الدنيوية، فإنها تكون في المؤمن والكافر، فلا يمتن الله بها على أحبابه وأصفيائه.

قوله: ﴿قُلِ﴾ (لهم) أي قل يا محمد رداً على من اعتقد مع الله شريكاً. قوله: (أنهم آلهة) أشار بذلك إلى أن مفعولي زعم محذوفان. قوله: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي غيره، وفي الآية تقديم وتأخير، والتقدير قل ادعوا الذين من دونه زعمتم أنهم آلهة، فالمعنى أنهم يعبدونها كما يعبدون الله، فاندفع ما يقال: إن المشركين. إنما يعتقدون الشركة مع الله، لا أن الآلهة غيره، وهو ليس بإله. قوله: (كالملائكة) الخ، أي وكمريم، فالكلام في خصوص العقلاء بدليل قوله: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ قوله: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾ أي لا يستطيعون إزالته لعجزهم، وحينئذ فهؤلاء ليسوا بآلهة، لأن الإله هو القادر الذي لا يعجزه شيء، والجملة جواب الأمر.

قوله: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هذا من تتمة ما قبله، واسم الإشارة مبتدأ، وجملة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ وما عطف عليه خبر، و ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من اسم الإشارة أو عطف بيان عليه و ﴿يَدْعُونَ﴾ صلته، وقدر المفسر مفعوليه والمعنى أن العقلاء الذين زعمتموهم وعبدتموهم آلهة، يطلبون من الله القرب بسبب

﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل من واو يبتغون أي يبتغيها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ ﴿٥٨﴾ مكتوباً ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر محمد ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ آية ﴿مُبْصِرَةً﴾ بينة واضحة ﴿فَظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ ﴿٥٩﴾ للعبادة

طاعتهم وخضوعهم وذلهم لربهم، ويرجون رحمته، ويخافون عقابه، بل كل من كان أقرب منهم في الدرجة، فهو أشد خضوعاً وخوفاً، ولا يرضون بكونهم معبودين من دون الله. قوله: **(بدل من واو يبتغون)** أي و ﴿أَقْرَبُ﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة، أي كما أشار له المفسر بقوله: **(يبتغيها الذي هو)** ﴿أَقْرَبُ﴾. قوله: **(فكيف تدعونهم آلهة)** أي مع كونهم راجين خائفين محتاجين لربهم، والإله لا يكون كذلك. قوله: ﴿كَانَ مَحْذُوراً﴾ أي مخافاً منه، والمعنى هو حقيق بأن يخاف منه كل أحد.

قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي طائعة أو عاصية، وقوله: ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ أي الطائعة، وقوله: ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾ أي العاصية، والمعنى أن كل أحد يفنى قبل يوم القيامة، قال تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ ولكن الفناء مختلف، فمنهم من يموت ميتة حسنة، ومنهم من يموت ميتة سوء. قوله: **(بالموت)** أي فالهلاك قد يستعمل في الموت، قال تعالى: ﴿إن امرؤ هلك﴾. قوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي ما ذكر من الإهلاك والتعذيب. قوله: ﴿مَسْطُوراً﴾ أي فلا يغير ولا يبدل.

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ﴾ الخ، سبب نزول هذه الآية، أنهم قالوا للنبي ﷺ: اقلب لنا الصفا ذهباً، وسير لنا هذه الجبال عن مكة لنزرع مكانها، وأحي لنا آباءنا الموتى، فإن فعلت ذلك آمنا بك، فشرع النبي يسأل الله تعالى في ذلك، فنزلت هذه الآية، والمعنى ما كان السبب في تركنا إجابتهم عجزاً منا، بل السبب في ترك الإجابة غلبة رحمتنا بهم، فإنه قد جرت عادتنا، من أول الزمان إلى وقتك هذا، أن كل أمة طلبت من نبيها آية نأتيهم بها، فإذا كفروا استأصلناهم بالهلاك، وقد سبق في علمنا أن أمتك تبقى على وجه الأرض إلى يوم القيامة، ولو آتيناهم ما طلبوه ولم يؤمنوا، لاستأصلناهم بالهلاك، فلم يتم ما سبق في علمنا، فمنعهم مما طلبوه رحمة بأمتك جميعاً. قوله: **(التي اقترحوها)** أي كقلب الصف ذهباً، وغير ذلك مما يأتي في قوله وقالوا ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ الآيات.

قوله: ﴿مُبْصِرَةً﴾ بكسر الصاد بإتفاق السبعة، وإسناد الإبصار لها مجاز، لأنها سبب في التبصر والاعتبار والاهتداء، وخصت معجزة صالح بالذكر هنا، لأن المكذبين لها ديارهم المهلكة قريبة منهم، يبصرونها في أسفارهم ذهاباً وإياباً. قوله: **(المعجزات)** دفع بذلك ما يقال إن في الآية تعارضاً، حيث نفى إرسال الآيات أولاً، وأثبته ثانياً. وحاصل الجواب أن يقال: إن المنفي أولاً الآيات المقترحة، والمثبت ثانياً المعجزات الغير المقترحة.

فيؤمنوا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علماً وقدرة فهم في قبضته فبلغهم ولا تخف أحداً فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ عياناً ليلة الإسراء ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم جعلناها فتنة لهم إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ ﴿٦١﴾ نصب بنزع الخافض أي من طين ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ أي أخبرني ﴿هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ﴾ فضلت

قوله: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ**﴾ إذ ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله: **(اذكر)**. قوله: **(فهو يعصمك منهم)** أي قتلهم لا من أذاهم فإنه حاصل. قوله: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا**﴾ المراد الرؤية بالبصر، واستعمالها بالألف قليل، والكثير استعمال البصرية بالتاء، والحلمية بالألف، وإنما عبر عنها بالألف لوقوعها بالليل، ولسرعة تقضيها كأنها منام.

قوله: ﴿**وَالشَّجَرَةَ**﴾ معطوفة على الرؤيا. قوله: ﴿**الْمَلْعُونَةَ**﴾ إسناد اللعن لها، إما حقيقة بالاعتبار أنها مؤذية ومذمومة ومطرودة عن رحمة الله، لأنها تخرج في أصل الجحيم، أو مجاز والمراد ملعون آكلوها. قوله: ﴿**فِي الْقُرْآنِ**﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة الشجرة، أي المذكورة في القرآن. قوله: **(وهي الزقوم)** هي أخبث الشجر المر تنبت بتهامة، وتكون في أصل الجحيم طعام أهل النار. قوله: **(إذ قالوا النار تحرق الشجر)** الخ، أي فقصدوا بذلك، إنكار قدرة الله تعالى وإثبات العجز له، والاستهزاء بقول الرسول، وهو غفلة منهم عن قدرة الله، معتمدين على الأمر العادي، مع أنه شوهد تخلفه في مثل النعامة، فإنها تبتلع الجمر والحديد المحمى بالنار ولا يحرقها، وطير السمندل يتخذ من وبره مناديل، فإذا اتسخت ألقيت في النار، فيزول وسخها وتبقى بحالها.

قوله: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ**﴾ كرر قصة آدم مع إبليس في القرآن مراراً، لابتناء السعادة والشقاوة عليها، وإشارة إلى أن السعيد هو من تبع آدم، والشقي هو من تبع إبليس، ليحصل ما ترتب على ذلك من النعيم المقيم لأهل السعادة، والعذاب الأليم لأهل الشقاوة. قوله: ﴿**اسْجُدُوا لِآدَمَ**﴾ أي بعد أن قال لهم ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ قال لهم: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ ثم علمه أسماء الأشياء كلها، ثم عرض الله على الملائكة المسميات؛ وأمر آدم أن يقول للملائكة: أنبئوني بأسماء هؤلاء، قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا، قال الله: يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم صار شيخاً لهم، فوجب تعظيمه واحترامه، فأمروا بالسجود له، وفاء ببعض حقوقه عليهم. قوله: **(سجود تحية بالانحناء)** دفع بذلك ما يقال: إن السجود لغير الله كفر، والملائكة بريئون منه، ويدفع أيضاً بأن السجود لآدم حقيقة بوضع الجبهة، وآدم كالقبلة كالمصلين للكعبة، وأيضاً محل كون السجود لغير الله كفراً، ما لم يكن الآمر به هو الله، وإلا فيجب امتثاله، وقد تقدم ذلك.

قوله: ﴿**فَسَجَدُوا**﴾ أي الملائكة جميعاً. قوله: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ**﴾ أي امتنع من السجود قولاً وفعلاً. قوله: ﴿**قَالَ أَأَسْجُدُ**﴾ إلخ، الاستفهام إنكاري فهو بمعنى النفي. قوله: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ**﴾

﴿عَلَيَّ﴾ بالأمر بالسجود له وأنا خير منه خلقتني من نار ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ لأستأصلن ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٢﴾ منهم ممن عصمته ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿ٱذْهَبْ﴾ منظراً إلى وقت النفخة الأولى ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ أنت وهم ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ ﴿٦٣﴾ وافراً كاملاً ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ استخف ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى معصية ﴿وَأَجْلِبْ﴾ صح ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ من الزنا ﴿وَعِدْهُمْ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿٦٤﴾ باطلاً ﴿إِنَّ

الهمزة للاستفهام، ورأى فعل ماض، والتاء فاعل، والكاف مؤكدة لتاء الخطاب، واسم الإشارة مفعول أول، و ﴿الَّذي﴾ بدل منه أو صفة له، و ﴿كَرَّمْتَ﴾ الموصول، والعائد محذوف تقديره كرمته، والمفعول الثاني محذوف تقديره لم كرمته عليّ؟ ولم يجبه الله عن هذا السؤال تحقيراً له، حيث اعترض على مولاه، وتكبر وحسد عباد الله، والإراءة هنا بمعنى الاخبار، ففيه مجاز مرسل، من باب إطلاق السبب على المسبب، لأن شأن من كان رائياً لشيء أن يخبر به، وأطلق الاستفهام وأريد منه الطلب، ففيه مجاز مرسل على مجاز، وتقدم نظائر هذه الآية في الأنعام، وسيأتي في القصص. قوله: **(خلقتني من نار)** أي وهي أفضل العناصر الأربع. قوله: **(لام القسم)** أي مقدرة تقديره والله، وقوله: ﴿**لَأَحْتَنِكَنَّ**﴾ جواب القسم، والجملة مستأنفة مرتبة على محذوف، والتقدير فطرده الله، فطلب اللعين الإمهال للنفخة الثانية، فأجابه الله بخلاف ما طلب فقال: ﴿**لَئِنْ أَخَّرتني**﴾ الخ، والاحتناك في الأصل مأخوذ من حنك الدابة إذا جعل الرسن في حنكها، واحتنك الجراد الأرض أكل ما عليها، والياء في أخرتني ثابتة لبعض القراء وصلاً ووقفاً، ومحذوفة لبعضهم كذلك، وثابتة لبعضهم وصلاً، وحذفها وقفاً، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية هنا، وأما التي تأتي في المنافقين، فالياء ثابتة للكل لثبوتها في الرسم. قوله: **(ممن عصمته)** أي عصمة واجبة كالأنبياء، أو جائزة كالصلحاء.

قوله: ﴿**قَالَ**﴾ **(تعالى)** ﴿**ٱذْهَبْ**﴾ هذا تهديد له، وليس الأمر في المواضع الخمسة على حقيقته، بل هو استدراج وتهديد لأنه معصية، والله لا يأمر بها، على حد: إذا لم تستح فاصنع ما شئت. قوله: **(إلى وقت النفخة الأولى)** هذا جواب له على خلاف ما طلب، فإنه طلب الانظار إلى النفخة الثانية ليفر من الموت، فإنه يعلم أن لا موت بعد النفخة الثانية. قوله: ﴿**جَزَاؤُكُمْ**﴾ غلب المخاطب لأنه سبب في الأغواء قوله: ﴿**جَزَاءً**﴾ منصوب بالمصدر قبله. قوله: **(وافر)** أشار بذلك إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل. قوله: **(بالغناء)** بكسر الغين والمد، وهو تطريب الصوت بما يهيج الشهوات المحرمة. قوله: **(وكل داع إلى معصية)** كالكلام مع الأجنبية ونحوه. قوله: ﴿**بِخَيْلِكَ**﴾ الباء للملابسة، والمعنى صح عليهم حال كونك ملتبساً بجنودك الركاب والمشاة، فالمراد بالخيل ركابها، وذلك كقطاع الطرق، الذين يركبون الخيل، ويأخذون الأموال، ويقتلون النفوس. قوله: ﴿**وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَالِ**﴾ أي بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام، والتصرف فيها فيما لا ينبغي. قوله: **(من الزنا)** أي ومثله ما لو طلق الرجل امرأته ثلاثاً، وأتى منها بالأولاد، فإن الشيطان شريكه فيهم. قوله: ﴿**وَعِدْهُمْ**﴾ أي احملهم على اعتقاد عدم البعث والجزاء.

عِبَادِى﴾ المؤمنين ﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ تسلط وقوة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ﴿٦٥﴾ حافظاً لهم منك ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى ﴾ يجري ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا ﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ تعالى بالتجارة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿٦٦﴾ في تسخيرها لكم ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ ﴾ الشدة ﴿ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ غاب عنكم ﴿ مَن تَدْعُونَ ﴾ تعبدون من الآلهة فلا تدعونه ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ تعالى فإنكم تدعونه وحده لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ عن التوحيد ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ ﴿٦٧﴾ جحوداً للنعم ﴿أَفَأَمِنتُمْ

قوله: ﴿**إِنَّ عِبَادِي**﴾ الإضافة للتشريف. قوله: ﴿**لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ أي بل هم محفوظون منك. قوله: ﴿**وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً**﴾ أي إن الشيطان، وإن كان قادراً على الوسوسة بأقدار الله، فالله أرحم بعباده، فهو يدفع عنهم كيده وشره، فالمعصوم من عصمه الله، وليس للعبد قدرة على دفع الوساوس عنه.

ـ **فائدة** ـ ذكر اليافعي عن الشاذلي، أن مما يعين على دفع وسوسة الشيطان، أنك عند وسوسته لك، تضع يدك اليمنى على جانب صدرك الأيسر بحذاء القلب وتقول: سبحان الملك القدوس والخلاق الفعال سبع مرات، ثم تقرأ قوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ اهـ.

قوله: ﴿**رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ**﴾ لما أخبر الله سبحانه وتعالى، بأن الشيطان مسلط على بني آدم، إلا من عصمه منهم، وحفظه بين أوصاف الحافظ للخلق من تسلط الشيطان، كأنه قال: ربكم الحافظ لكم هو الذي يزجي، والأزجاء الإجراء، يقال: زجاه وأزجاه بمعنى أجراه، والفلك السفينة؛ يستعمل مفرداً وجمعاً، ووزن المفرد قفل، والجمع بدن، ويذكر باعتبار المركب، ويؤنث باعتبار السفينة. قوله: (**السفن**) يشير إلى أن **الفلك** مستعمل في الجمع. قوله: ﴿**فِي الْبَحْرِ**﴾ أي عذباً وملحاً. قوله: ﴿**لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**﴾ أي الوصول إلى المقاصد دنيوية وأخروية فبالسفن يتوصل إلى التجارات والمكاسب وللحج وزيارة الصالحين.

قوله: ﴿**إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾ تعليل ثان لقوله: ﴿**يُزْجِي**﴾. قوله: (**الشدة**) أي من أجل هبوب الريح. قوله: (**خوف الغرق**) أي من أجل خوفه. قوله: ﴿**ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ**﴾ أي ذهب عن قلوبكم وخواطركم كل معبود سواه فلا تدعون غير الله لكشفه. قوله: ﴿**إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا بحمل قوله من تدعون على جميع المعبودات بحق أو بباطل ويحتمل أن يكون منقطعاً بحمله على المعبود بباطل، وتكون على هذا إلا بمعنى لكن. قوله: (**من الغرق**) الجار والمجرور متعلق بنجاكم، وقوله: ﴿**إِلَى الْبَرِّ**﴾ متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله: (**وأوصلكم**). قوله: ﴿**أَعْرَضْتُمْ**﴾ (**عن التوحيد**) أي تركتموه، فالكافر يرجع لعبادة الأصنام، والعاصي يرجع لغفلاته وشهواته، بعد أن كان الجميع آيبين متوجهين إلى الله خائفين منه. قوله: ﴿**وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً**﴾ كالتعليل لقوله: ﴿**أَعْرَضْتُمْ**﴾.

قوله: ﴿**أَفَأَمِنْتُمْ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أنجوتم

أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾ أي الأرض كقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ ﴿٦٨﴾ حافظاً منه ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ ﴾ أي البحر ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿ أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ ﴾ أي ريحاً شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتكسر فلككم ﴿ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾ بكفركم ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ ﴿٦٩﴾ ناصراً أو تابعاً يطالبنا بما فعلنا بكم ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا ﴾ فضلنا ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ ﴾ على الدواب ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ فمن بمعنى ما أو على بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس ولا يلزم تفضيل أفراده إذ هم

من الغرق فأمنتم الخ، والاستفهام للتوبيخ. قوله: ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ أي يخفيكم في باطن الأرض، والمعنى أنتم وإن أمنتم من الغرق في البحر، لا تأمنون من الخسف في البر، والأفعال الخمسة تقرأ بالنون والياء سبعيتان. قوله: **(كقارون)** أي فقد وقع بـه الخسف، قال الله تعـالى: ﴿فخسفنا بـه وبداره الأرض﴾. قوله: **(أي نرميكم بالحصباء)** أي بسبب ريح تأتيكم. قوله: **(كقوم لوط)** أي فقد نـزلت عليهم حجارة من السماء أهلكتهم. قوله: **(حافظاً منه)** أي مما ذكر من الخسف وإرسال الحصباء. قوله: ﴿تارة﴾ مصدر وتجمع على تيرة وتارات. قوله: **(إلا قصفته)** أي كسرته. قوله: ﴿فَيُغْرِقَكُمْ﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: **(فتكسر فلككم)**. قوله: **(بكفركم)** أي بسببه، وأشـار بذلـك إلى أن ما مصدرية، ويصح أن تكون اسم موصول، أي بسبب الذي كفرتم به. قوله: **(نصيراً)** أي ناصراً لكم علينا، فيحفظكم ويمنع عنكم ما فعلناه بكم. قوله: **(أو تابعاً يطالبنا)** الخ، تفسير ثان لتبيعا. والمعنى عليه لا تجدوا لكم مطالباً يأخذ ثأركم منا.

قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ أي شرفناهم على جميع المخلوقات، بأمور جليلة عظيمة، منها أنهم يأكلون بأيديهم لا بأفواههم، ومنها كونهم معتدلي القامة، على شكل حسن وصورة جميلة، ومنها أن الله خلق لهم ما في الأرض جميعاً، ومنها إخدام الملائكة الكرام لهم، حتى جعل منهم حفظة وكتبة لهم، وغير ذلك. قوله: **(بالعلم)** أي والعقل. قوله: **(ومنه طهارتهم بعد الموت)** أي فذوات بني آدم طاهرة بعد الموت، ونجاسة الكفار منهم معنوية لخبث باطنهم، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿إنما المشركون نجس﴾. قـوله: **(على الدواب)** أي الإبل والخيل والبغال والحمير. قوله: ﴿مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي المستلذات كاللحم والسمن واللبن والحبوب والفواكه في جميع الأزمان.

قوله: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ﴾ الخ، أي ميزناهم بفضائل ليست في كثير من غيرهم. قوله: **(فمن بمعنى ما)** أي فهي مستعملة في غير العقلاء، ويكون المراد بالكثير، جميع ما سواهم من غير الملائكة. قوله: **(أو على بابها)** أي فهي مستعملة في العقلاء، وغلبوا على غيرهم. قوله: **(والمراد تفضيل الجنس)** أي فجنس الإنسان، أفضل من جنس الملائكة، وهذا جواب عما يقال: لا نسلم أن جميع البشر أفضل من جميع الملائكة، فأجاب: بأن التفضيل بالجنس، فلا ينافي أن رؤساء الملائكة، أفضل من عامة البشر.

أفضل من البشر غير الأنبياء اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ نبيهم فيقال يا أمة فلان أو بكتاب أعمالهم فيقال يا صاحب الخير، يا صاحب الشر، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ منهم ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ ﴿٧١﴾ قدر قشرة النواة ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ أي الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عن

قوله: (إذ هم) أي الملائكة. قوله: (أفضل من البشر) ظاهره مطلقاً، وهو خلاف التحقيق، والتحقيق الذي عليه الأشاعرة، أن خواص البشر كالأنبياء والرسل، أفضل من خواص الملائكة، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وعوام البشر وهم الصلحاء، أفضل من عوام الملائكة وهم ما عدا الرؤساء الأربعة.

قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُو﴾ ﴿يَوْمَ﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: (اذكر). والمعنى اذكر يا محمد هذا اليوم وهوله لأمتك، ليكون داعياً إلى الاتعاظ والخوف، فيحملهم على الاستعداد.

قوله: ﴿كُلَّ أُنَاسٍ﴾ وزنه فعال، ويجوز حذف همزته فيقال ناس، فيصير وزنه عال. قوله: (نبيهم) أي لما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، فينادى يوم القيامة: يا أمة إبراهيم، يا أمة موسى، يا أمة عيسى، يا أمة محمد ﷺ، فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء، فيأخذون كتبهم بأيمانهم، ثم ينادي الأتباع: يا أتباع نمروذ. يا أتباع فرعون، يا أتباع فلان وفلان، من رؤساء الضلال وأكابر الكفار، فيأخذون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهرهم. قوله: (أو بكتاب أعمالهم) أي لقوله تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ وما ذكره المفسر قولان في تفسير الإمام، وبقي أقوال أخر، قيل المراد به الكتاب الذي أنزل عليهم، فينادى في القيامة: يا أهل التوراة، يا أهل الإنجيل، يا أهل القرآن، ماذا عملتم في كتابكم؟ هل امتثلتم أوامره؟ هل اجتنبتم نواهيه؟ وقيل: المراد به المذهب الذي كانوا يعبدون الله عليه، فيقال: يا حنفي، يا شافعي، يا معتزلي، يا قدري، ونحو ذلك، وقيل: المراد به عمل البر الذي اشتهر به في الدنيا، فينادي أهل الصدقات، وأهل الجهاد، وأهل الصيام وغير ذلك، وقيل المراد به الأمهات، لأن الإمام جمع أم، كخفاف جمع خف، فينادي الخلق بأمهاتهم فيقال: يا ابن فلانة، ستراً على ولد الزنا، ورعاية حق عيسى، وإظهار شرف الحسن والحسين، ورد هذا القول الزمخشري وقال: إنه من بدع المفسرين. قوله: (فيقال يا صاحب الخير) هو على حذف مضاف، أي يا صاحب كتاب الخير. قوله: (وهو يوم القيامة) وله أسماء كثيرة منها: الساعة والحاقة والقارعة والواقعة يوم الدين ويوم الجزاء ويوم الحشر، وغير ذلك.

قوله: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ من إما شرطية أو موصولة، ودخلت الفاء في خبرها، لشبهها بالشرط. قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ أي وإن لم يكونوا قارئين في الدنيا، وحين يقرؤون كتابهم يظهرون لأهل الموقف، قال تعالى حكاية عنه: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾ الخ. قوله: (قدر قشرة النواة) الصواب أن يقول: قدر الخيط الذي في قلب النواة، وأما القشرة التي ذكرها فهي القطمير، وأما النقير فهو الذي في النقرة التي في ظهرها، والثلاثة مذكورة في القرآن.

قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ﴾ أي وهو الذي يعطي كتابه بشماله، فيسود وجهه حينئذ ويحصل

الحق ﴿ فَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ عن طريق النجاة وقراءة الكتاب ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ﴿٧٢﴾ أبعد طريقاً عنه ونزل في ثقيف وقد سألوه ﷺ أن يحرم واديهم وألحوا عليه ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كَادُوا۟﴾ قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ يستنزلونك ﴿ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا ﴾ فعلت ذلك ﴿ لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ على الحق بالعصمة ﴿ لَقَدْ كِدتَّ ﴾ قاربت ﴿تَرْكَنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا﴾ ركوناً ﴿قَلِيلًا﴾ ﴿٧٤﴾ لشدة احتيالهم وإلحاحهم وهو صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب ﴿إِذًا﴾ لو ركنت ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ﴾ عذاب ﴿ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ﴾عذاب ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾ أي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ ﴿٧٥﴾ مانعاً منه ونزل لما قال له اليهود

له الندم، قال تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ الخ. قوله: ﴿**أَعْمَى**﴾ **(عن الحق)** أي فالمراد أعمى القلب لا يبصر رشده. قوله: **(وقراءة الكتاب)** أي قراءة سارة، وإلا فهو يقرؤه قراءة يحصل له بها الندم والحسرة والحزن. قوله: ﴿**وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ أي لأنهم حينئذ لا ينفعهم الإيمان. قوله: **(عنه)** أي عن طريق النجاة. قوله: **(ونزل في ثقيف)** أي وهم قبيلة يسكنون الطائف، وحاصله أنهم قالوا للنبي ﷺ: لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب، لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا، فالمراد بقولهم لا نعشر، لا نعطي العشر من الزكاة، وبقولهم لا نحشر، لا نؤمر بالجهاد، وبقولهم لا نجبى بضم النون وفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة مكسورة، لا نركع ولا نسجد في صلاتنا، والمراد لا نصلي، وكل رباً لنا فهو لنا، وكل رباً علينا، فهو موضوع عنا، وأن تمتعنا باللات سنة، حتى نأخذ ما يهدى لها ، فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا، وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة، فإن قالت العرب: لم فعلت ذلك؟ فقل: إن الله أمرني، فسكت النبي وطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله ﴿**وَإِنْ كَادُوا**﴾ الخ. قوله: **(مخففة)** أي واسمها ضمير الشأن. قوله: **(يستنزلونك)** أي يطلبون نزولك عن الحكم الذي أوحيناه إليك من الأوامر والنواهي. قوله: ﴿**لِتَفْتَرِيَ**﴾ أي تختلق وتكذب. قوله: ﴿**غَيْرَهُ**﴾ أي غير ما أوحينا إليك.

قوله: ﴿**وَإِذاً**﴾ هي حرف جواب وجزاء تقدر بلو الشرطية كما قال المفسر. قوله: ﴿**لاَتَّخَذُوكَ**﴾ جواب قسم محذوف تقديره والله لاتخذوك، وهو مستقبل في المعنى، لاقتضاء المجازاة الاستقبال. قوله: **(وهو صريح)** أي قوله: ﴿**لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ**﴾. قوله: **(لم يركن)** أي بالطريق الأولى، وقوله: **(ولا قارب)** أي بمنطوق التركيب. والمعنى امتنع قربك من الركون لوجود تثبيتنا إياك، وإذا امتنع القرب من الركون، فامتناع الركون أولى. قوله: **(لو ركنت)** المناسب أن يقول: لو قاربت الركون، لأن جواب لولا هو المقاربة، ولأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فإن المقاربة من فعل القبيح لا عذاب عليها عموماً، والكاملون يشدد عليهم على قدر مقامهم قال العارف:

وإذا منحت القرب فاعرف قدره ... إن السخي لمن يحب شحيح

قوله: **(أي مثلي ما يعذب غيرك)** أي من جميع الخلق، والمعنى لو قاربت الركون، لأنزلنا عليك عذاباً في الدنيا والآخرة، مثل عذاب الخلق مرتين. قوله: **(مانعاً منه)** أي من العذاب المضاعف. قوله: **(لما قال له اليهود)** الخ، وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة، كره اليهود مقامه فيها حسداً، فأتوه فقالوا: يا

إن كنت نبياً فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾ لو أخرجوك ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝٧٦﴾ ثم يهلكون ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝٧٧﴾ تبديلاً ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ أي من قوت زوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ إقبال ظلمته أي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ فصل ﴿بِهِۦ﴾ بالقرآن

أبا القاسم، لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء، فإن أرض الأنبياء الشام، وهي الأرض المقدسة، وكان بها إبراهيم والأنبياء، فإن كنت نبياً مثلهم فائت الشام، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافة الروم، وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله، فسار النبي بجيشه على ثلاثة أميال من المدينة، وفي رواية إلى ذي الحليفة، حتى يجتمع إليه أصحابه، ويأتي الإذن من الله فيخرج، فنزلت هذه الآية، فرجع، وسلطه الله عليهم، فقتل منهم بني قريظة، وأجلى بني النضير بعد زمن قليل، وهذا مبني على أن الآية مدنية، وأما على أن الآية مكية، فالمراد بالأرض أرض العرب، والمعنى همّ المشركون أن يخرجوه منها، فمنعهم الله عنه، ولم ينالوا منه ما أملوه.

قوله: ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ أي يزعجونك بمكرهم وعداوتهم. قوله: ﴿وإذاً لا يَلْبَثُونَ﴾ العامة على ثبوت النون، ورفع الفعل لعطفه على قوله: ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ وقرىء شذوذاً بحذف النون وخرجت على أنه منصوب بإذاً. قوله: ﴿خَلْفَكَ﴾ وفي قراءة خلافك وهما سبعيتان والمعنى واحد. قوله: ﴿إلاَّ قَلِيلاً﴾ صفة لمصدر أو لزمان محذوف، أي إلا لبثاً أو زماناً قليلاً. قوله: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ سنة منصوب بنزع الخافض، كما أشار له المفسر بقوله: (أي كسنتنا) والمعنى يفعل باليهود من إهلاكهم لو أخرجوك، كسنتنا فيمن قد مضى من الرسل، حيث نهلك من أخرجهم، وهذا على أن الآية مدنية وعلى أنها مكية، فالمعنى نفعل بأهل مكة الذين عزموا على إخراجك، كما فعلنا بمن مضى قبلهم، وقد قطع الله دابرهم بسيفه ﷺ في بدر وغيرها.

قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ﴾ أي دم على أداء الصلاة التي فرضها الله عليك، وهي الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وآدابها. قوله: ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ مادة الدلوك تدل على التحول والانتقال، ومنه الدلاك لعدم استقرار يده، وفي الزوال انتقال الشمس من وسط السماء إلى ما يليه، ويستعمل في الغروب أيضاً. قوله: (أي من وقت زوالها) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى من الابتدائية، والكلام على حذف مضاف، والدلوك بمعنى الزوال، ويصح أن تكون اللام على بابها للتعليل، ويصح أن تكون بمعنى بعد، والأسهل ما قاله المفسر.

قوله: ﴿إِلَى غَسَقِ الَّيْلِ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل أقم، والتقدير أقم الصلاة، مبتدئاً من دلوك الشمس، منتهياً إلى غسق الليل. قوله: ﴿وَقُرْآنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بالنصب عطف على الصلاة. قوله: (صلاة الصبح) أي وسميت قرآناً، لأنه أحد أركانها، فسميت باسم بعضها. قوله: (تشهده ملائكة الليل) إلخ، أي تحضره الملائكة الحفظة لما في الحديث «إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم،

﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧٩) يحمدك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء، ونزل لما أمر بالهجرة ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ المدينة ﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ إدخالاً

ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، فيجتمعون عند صلاة الصبح، وعند صلاة العصر، فيصعد الذين باتوا فيكم، فيسألكم الله وهو أعلم بهم فيقول: ماذا تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون، وأخذ مالك من الآية، أن الصلاة الوسطى هي الصبح.

قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ الجار والمجرور متعلق بتهجد، و ﴿مِنَ﴾ بمعنى بعض، والتهجد في الأصل من الهجود، وهو النوم بالليل، ثم استعمل في الصلاة بالليل، بعد الانتباه من النوم، فهو من تسمية الأضداد، يستعمل في النوم وضده، والمعنى انتبه من نومك، وصل في جوف الليل والناس نيام. قوله: **(بالقرآن)** أي فالضمير عائد على القرآن، لا بالمعنى المتقدم ففيه استخدام. قوله: **(فريضة زائدة لك)** هذا مبني على أن قيام الليل، كان واجباً عليه دون أمته، وحينئذ فيكون معنى النافلة الزيادة اللغوية. قوله: **(أو فضيلة)** تفسير ثان، وهو مبني على أنه في حقه مندوب، فالنافلة على بابها. إن قلت: على هذا التفسير لا خصوصية للنبي ﷺ بذلك، بل هم مندوب لأمته كذلك. أجيب: بأنها له علو درجات، وشكر لله على نعمائه لما في الحديث «كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه» فقالت له عائشة: أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟» ولغيره تكفير لذنوبه وخطراته، وتهجده ﷺ لم يزد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة اثنتان خفيفتان، وما بقي طوال.

قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ﴾ الخ ﴿عَسَى﴾ في كلام الله للتحقيق، لأنه وعد كريم وهو لا يتخلف. قوله: ﴿مَقَاماً﴾ منصوب بيبعثك لأنه مضمن معنى يقيمك، وإليه يشير المفسر بقوله: **(يقيمك في الآخرة)** ﴿مَقَاماً﴾. قوله: **(وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء)** أي حين يجمع الله الناس في صعيد واحد، وتدنو الشمس، حتى يكون بينها وبين رؤوس الخلائق قدر المرود، وتحيط النار بهم، والملائكة تحدق بهم سبع صفوف، حتى يكون على القدم ألف قدم، أو مائة ألف قدم على قدم، فيشتد الكرب على الخلائق، فيذهبون إلى آدم فيسألونه الشفاعة فيقول: إني أكلت من الشجرة، ولكن ائتوا نوحاً، فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقول: إني دعوت على قومي، ولكن ائتوا إبراهيم، فيأتونه فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات، ولكن ائتوا موسى، فيأتونه فيقول: إن قتلت نفساً، ولكن ائتوا عيسى، فيأتونه فيقول: إن قومي عبدوني من دون الله، ولكن ائتوا محمداً ﷺ، فيأتونه فيقول: أنا لها، أنا لها، فيستأذن الله فيؤذن له، ثم يخر ساجداً، ويثني على الله بثناء عظيم، فيقال: ارفع رأسك وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعط، فيرفع رأسه، فحينئذ ينفض الموقف، ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يشفع ثانياً، فيخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وفي الحديث «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي». قوله: **(لما أمر بالهجرة)** فيه أن الآية مدنية، إلا أن يقال إنا ما هنا مرور على القول بأن السورة كلها مكية، وهو ما مشى عليه البيضاوي أول السورة كما تقدم.

قوله: ﴿أدخلْني﴾ **(المدينة)** أي وتسمى طيبة وقبة الإسلام، وقد استنارت به ﷺ. قوله:

مرضياً لا أرى فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ قوة تنصرني بها على أعدائك ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ بطل الكفر ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ مضمحلاً زائلاً، وقد دخلها ﷺ وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت، رواه الشيخان ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ﴾ للبيان ﴿الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ لكفرهم به ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى

﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ المدخل بضم الميم، والمخرج كذلك، لأن فعلهما رباعي مصدران بمعنى الإدخال والإخراج. قوله: **(مرضياً)** أي تطمئن به نفسي بحيث لا يزعجني شيء. قوله: **(لا ألتفت بقلبي إليها)** أي إلى مكة لبلوغ الآمال بغيرها، وما تقدم من شرح تلك الآية، هو ما مشى عليه المفسر، وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق، وأخرجني من الدنيا، وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق، وقيل أدخلني في طاعتك مدخل صدق، وأخرجني من المناهي مخرج صدق، وقيل أدخلني حيثما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، ولا تجعلني ممن يدخل بوجه، ويخرج بوجه، فإن ذا الوجهين لا يكون أميناً عند الله، ولورود تلك المعاني، استعملتها الصوفية على حسب مقاصدهم، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: **(قوة تنصرني بها على أعدائك)** أي وقد أجاب الله دعاءه، فوعده بملك فارس والروم وقال له: ﴿والله يعصمك من الناس﴾، وقال: ﴿ليظهره على الدين كله﴾. قوله: **(وقل عند دخولك مكة)** أي يوم الفتح.

قوله: **﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾** يقال زهق اضمحل، وزهقت روحه خرجت. قوله: **(يطعنها)** أي يطعن كلاً منها في عينه. قوله: **(حتى سقطت)** أي مع أنها كانت مثبتة بالحديد والرصاص، وبقي منها صنم خزاعة فوق الكعبة، وكان من نحاس أصفر، فقال النبي: يا علي ارم به، فصعد فرمى به فكسره. قوله: **﴿مِنَ﴾ (للبيان)** أي لبيان الجنس، وقدم على المبين اهتماماً بشأنه، فالقرآن قليله وكثيره، شفاء من الأمراض الحسية الظاهرية، بدليل ما ورد في حديث الفاتحة: وما يدريك أنها رقية وشفاء من الأمراض المعنوية الباطنية، كالاعتقادات الباطلة، والأخلاق المذمومة، كالكبر والعجب والرياء وحب الدنيا والحرص والبخل وغير ذلك لاشتماله على التوحيد وأدلته، وعلى مكارم الأخلاق وأدلتها، وما مشى عليه المفسر من أن ﴿مِنَ﴾ **(للبيان)** هو التحقيق لما ورد: خذ من القرآن ما شئت لما شئت، وورد: من لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله، وقيل إنها للتبعيض، والمعنى أن منه ما يشفي من الأمراض، كالفاتحة وآيات الشفاء. قوله: **(من الضلالة)** أي سوء الاعتقاد، وخصت بالذكر مع أنه شفاء من الأمراض الحسية أيضاً، لأن الضلالة رأس الأمراض. قوله: **﴿وَرَحْمَةٌ﴾** أي بركة دنيوية وأخروية، فهو عطف عام. قوله: **﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** أي فهم المنتفعون به دون غيرهم، ولكن يشترط حسن النية، والاعتقاد والجزم بالإجابة. قوله: **﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾** أي نقصاً وطغياناً، لأنهم لا يصدقون به، فحرموا من الانتفاع به.

قوله: **﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ﴾** أي بأن أعطيناه الصحة والغنى. قوله: **(الكافر)** أي فهذه

﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ ثني عطفه متبختراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ قنوطاً عن رحمة الله ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ طريقاً فيثيبه ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي اليهود ﴿عَنِ

الأوصاف في حقه، وكل ما ورد في حق الكفار من الذم، فإنه يجر بذيله على عصاة الأمة المتصفين بتلك الأوصاف. قوله: ﴿أَعْرَضَ﴾ (عن الشكر) أي عن صرف النعم في مصارفها وتكبر وتعاظم. قوله: **(ثنى عطفه)** ألوى جانبه. قوله: **(متبختراً)** أي متكبراً. قوله: **﴿كَانَ يَؤُوساً﴾** أي غير راج رحمة الله، ولا ينافي ما هنا قوله تعالى في الآية الأخرى **﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾** فذو دعاء عريض لأن الكفار مختلفون، فبعضهم في حال الشر يكثر الدعاء، وبعضهم يقنط من رحمة الله، أو يقال: إنهم وإن أكثروا الدعاء ظاهراً هم قانطون في الباطن من رحمة الله.

قوله: **﴿عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾** أي كل واحد منا ومنكم، ويعمل على حالته وطبيعته وروحه التي جبل عليها، فالروح السعيدة صاحبها يعمل عمل السعداء، وتظهر منه الأخلاق المرضية، والأفعال الجميلة، وصاحب الروح الشقية، يعمل عمل الأشقياء، وتظهر منه الأخلاق القبيحة، والأفعال الخبيثة، وفي هذه الآية دليل على أن الظاهر عنوان الباطن. قوله: **﴿أَهْدَى﴾** يجوز أن يكون من اهتدى على حذف الزوائد، وأن يكون من هدى المتعدي، وأن يكون من هدى القاصر بمعنى اهتدى، و **﴿سَبِيلاً﴾** تمييز على كل حال، وفي الآية اكتفاء، أي بمن هو أضل سبيلاً.

قوله: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾** سبب نزولها كما قال ابن عباس: أن قريشاً اجتمعوا وقالوا: إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق، وما اتهمناه بكذب، وقد ادعى ما ادعى، فابعثوا نفراً إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه، فإنهم أهل كتاب، فبعثوا جماعة إليهم فقالت: سلوه عن ثلاثة أشياء، فإن أجاب عن كلها، أو لم يجب عن شيء منها فليس بنبي، وإن أجاب عن اثنين، ولم يجب عن واحد فهو نبي، فاسألوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجيب. وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره؟ وعن الروح. فسألوا النبي ﷺ فقال: أخبركم بما سألتم غداً، ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي اثني عشر، وقيل خمسة عشر، وقيل أربعين يوماً، وأهل مكة يقولون: وعدنا محمد غداً، وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء، حتى حزن رسول الله ﷺ من مكث الوحي، وشق عليه ما يقول أهل مكة، ثم نزل جبريل عليه السلام: بقوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن شاء الله﴾ ونزل في الفتية ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ الآيات. ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ الآيات. ونزل في الروح قوله تعالى **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾** الآية، فأصل السؤال من اليهود، والناقل له قريش. قوله: **﴿عَنِ الرّوحِ﴾** أي عن حقيقة الروح الذي به حياة البدن، وهذا هو الأصح، وقيل الروح التي سألوه عنها هو جبريل، وقيل ملك له سبعون الف وجه، لكل وجه سبعون الف لسان، يسبح الله تعالى بجميع ذلك، فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكاً، وقيل إنهم جند من جنود الله على صورة بني آدم، لهم أيد وأرجل ورؤوس، ليسوا بملائكة ولا أناس يأكلون الطعام، وقيل ملك عظيم عن يمين العرش، لو شاء أن يبتلع السماوات السبع في

ٱلرُّوحِۖ﴾ الذي يحيا به البدن ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ أي علمه لا تعلمونه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ ﴿إِلَّا﴾ لكن أبقيناه ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴿٨٧﴾﴾ عظيماً حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا

لقمة واحدة لابتلعها، ليس شيء أعظم منه إلا العرش، يشفع يوم القيامة في أهل التوحيد، متحجب عن الملائكة، لو كشف لهم عنه لاحترقوا من نوره، وقيل عيسى، وقيل القرآن.

قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي بما استأثر الله بعلمه وهذا هو الصحيح، وقيل الروح هي الدم، وقيل النفس، ونقل عن بعض أصحاب مالك أنها صورة كجسد صاحبها، وفي الآية اقتصار على وصف الروح، كما اقتصر موسى في جواب قول فرعون: وما رب العالمين، على ذكر صفاته، فإن إدراكه بالكنه على ما هو عليه لا يعلمه إلا الله. قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ رد لقول اليهود: أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير، بدليل القراءة الشاذة وما أوتوا، وقيل الخطاب عام لجميع الخلق، أي إن الخلق عموماً، وإن أعطوا من العلم ما أعطوا، فهو قليل بالنسبة لعلمه تعالى.

قوله: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا﴾ هذا امتنان من الله تعالى على نبيه ﷺ بالقرآن، وتحذير له عن التفريط فيه، والمقصود غيره، والمعنى حافظوا على العمل بالقرآن، واحذروا من التفريط فيه، فإننا قادرون على إذهابه من صدوركم ومصاحفكم، ولكن إبقاؤه رحمة بكم. قوله: (لام قسم) أي وجوابه قوله: ﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه. قوله: (لكن أبقيناه) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وقدره بلكن على طريقة البصريين، وعند الكوفيين يقدر ببل، وقوله: (أبقيناه) إلى أقرب قيام الساعة، فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور لما في الحديث «لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل، له دوي حول العرش، فيقول الله: مالك؟ فيقول: أتلى فلا يعمل بي، ولا يرفع القرآن حتى تموت حملته العاملون به، ولا يبقى إلا لكع بن لكع، فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور، ويفيضون في الشعر، فتخرج الدابة، وتقوم القيامة بأثر ذلك». قوله: (حيث أنزله) علة لقوله: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً﴾. قوله: (وغير ذلك) أي ككونك خاتم المرسلين، وسيد ولد آدم، ونحو ذلك.

قوله: ﴿قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنْسُ وَٱلْجِنُّ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، وجوابه قوله: ﴿لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ ولم يقل والملائكة، مع أنه معجز لهم أيضاً، لأنهم مسلمون منقادون، فلا يحتاج للرد عليهم. قوله: ﴿لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ أي لأنه خارج عن طوق البشر، لأن الكلام على حسب علم المتكلم، وهو قد أحاط بكل شيء علماً، وقوله: ﴿بِمِثْلِهِ﴾ أي كلا أو بعضاً، قال بعضهم: إن أقل الإعجاز يقع بآية، قال البوصيري:

أعجز الجن آية منه والإنس فهلا تأتي به البلغاء

وقال بعضهم: إن أقل الإعجاز يكون بأقصر سورة، لأنه لم يكن في القرآن آية مفردة، بل الآية

﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ﴿٨٨﴾ معيناً نزل رداً لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينّا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمحذوف أي مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٨٩﴾ جحوداً للحق ﴿وَقَالُوا۟﴾ عطف على أبى ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ ﴿٩٠﴾ عيناً ينبع منها الماء ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾ ﴿٩١﴾ ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قطعاً ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ ﴿٩٢﴾ مقابلة وعياناً فنراهم ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾ تصعد ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ بسلم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَٰبًا﴾ فيه تصديقك

تستلزم مناسبة لما قبلها وما بعدها، فتكون ثلاث آيات. قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ﴾ الخ، عطف على محذوف تقديره: لا يأتون بمثله، ولو لم يكن بعضهم لبعض ظهيراً، ولو كان الخ **(قوله نزل رداً)** الخ مرتبط بما قبله. قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ أي كررنا وأظهرنا، ومن زائدة في المفعول، أي صرفنا للناس كل مثل، والمثل المعنى الغريب. قوله: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي امتنعوا. قوله: **(جحوداً للحق)** الجحود الإنكار مع العلم والمعاندة، فهو أخص من مطلق إنكار.

قوله: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ الخ، لما أقام الحجة عليهم ولم يستطيعوا ردها، أخذوا يطلبون أشياء على وجه العناد فقالوا ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ الخ، روى عكرمة عن ابن عباس، أن نفراً من قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة، وطلبوا رسول الله ﷺ فجاءهم، فقالوا: يا محمد، إن كنت جئت بهذا الحديث، يعنون القرآن، تطلب به مالاً، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد الشرف سودناك علينا؛ وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي بك رئياً من الجن تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه، وكانوا يسمون التابع من الجن رئياً، فقال رسول الله ﷺ: ما بي شيء مما تقولون، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني، فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ، أصبر لأمر الله عز وجل، حتى يحكم الله بيني وبينكم، فقالوا: يا محمد، إن كنت صادقاً فيما تقول، فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذا الجبل الذي قد ضيق علينا، ويبسط لنا بلاداً، ويفجر لنا فيها الأنهار، إلى آخر ما قص الله عنهم.

قوله: ﴿حَتَّى تَفْجُرَ﴾ بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مكسورة، وبفتح التاء وضم الجيم مخففة، قراءتان سبعيتان هنا فقط، وأما قوله فتفجر، فبالقراءة الأولى لا غير. قوله: ﴿يَنْبُوعاً﴾ أي عيناً لا يغور ماؤها ولا يذهب. قوله: ﴿جَنَّةٌ﴾ أي بستان. قوله: ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ أي قلت: إن نشأ نخسف بهم الأرض، أو نسقط عليهم كسفاً من السماء. قوله: ﴿كِسَفاً﴾ بسكون السين وفتحها، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿قَبِيلاً﴾ حال من الله والملائكة، أي حال كونهم مرئيين لنا. قوله: ﴿أَوْ تَرْقَى﴾ هو بفتح القاف مضارع رقي بكسرها، والمصدر رقياً ومعناه الصعود الحسي، وأما في المعاني فبفتح القاف في الماضي والمضارع، يقال رقى في الخير، وأما الرقيا للمريض فماضيها رقى كرمى. قوله: **(لو رقيت)** بكسر

﴿نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ﴾ لهم ﴿سُبۡحَانَ رَبِّي﴾ تعجب ﴿هَلۡ﴾ ما ﴿كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ كسائر الرسل ولم يكونوا يأتون بآية إلا بإذن الله ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ أي قولهم منكرين ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤﴾ ولم يبعث ملكاً ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥﴾ إذ لا يرسل إلى قوم رسول إلا من جنسهم ليمكنهم مخاطبة والفهم عنه ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ على صدقي ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٩٦﴾ عالماً ببواطنهم وظواهرهم ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ يهدونهم ﴿مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ماشين ﴿عَلَىٰ

القاف. قوله: ﴿نقرؤه﴾ حال مقدره من الضمير في علينا أو نعت لكتاب. قوله: (تعجب) أي من اقتراحاتهم، وتنزيه له سبحانه وتعالى عن أن يشاركه أحد في ألوهيته. قوله: ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً﴾ أي وليس في طاقتي الإتيان بما تطلبونه.

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان لمنع، والتقدير وما منع الناس الإيمان، وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ في تأويل مصدر فاعل ﴿مَنَعَ﴾. وقوله: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ ظرف لقوله: ﴿مَنَعَ﴾ والمعنى لا يمنع الناس من الإيمان وقت مجيء الهدى لهم إلا قولهم ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾ وخص بالذكر مع أن الموانع لهم كثيرة لأنه أعظمها. قوله: ﴿قُلْ﴾ (لهم) أي رداً لشبهتهم. قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ﴾ الخ. أي فجرت عادة الله في خلقه، أنه لا يرسل لخلقه رسولاً إلا من جنسهم، لأنهم يألفونه ويستطيعون خطابه، بخلاف ما إذا أرسل لهم رسولاً من غير جنسهم، فإنهم لا يستطيعون رؤيته ولا خطابه، لعدم الإلفة بينهم، فلو كان في الأرض ملائكة يمشون مثلكم وتألفونهم، لأنزل عليكم ملكاً رسولاً. قوله: ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ أي مستوطنين بها، لا يعرجون إلى السماء. قوله: ﴿شَهِيداً﴾ أي على أني رسول الله إليكم، وقد بلغتكم ما أرسلت إليكم، وأنكم كذبتم وعاندتم. قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾ فيه تسلية له ﷺ، ووعيد للكفار.

قوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ أي من يخلق فيه الهدى، وقوله: ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ أي يكون كذلك في الدنيا، بمعنى أنه يكون حاله في الدنيا مطابقاً لما قدره الله له أزلاً، وبذلك اندفع ما يقال: إن فيه اتحاد الشرط والجزاء، والمهتد بحذف الياء من الرسم هنا وفي الكهف، فإنها في الموضعين من ياءات الزوائد، وأما في النطق، فتحذف وصلاً ووقفاً عند بعض القراء، ووقفاً لا وصلا عند بعضهم. قوله: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي أنصاراً. قوله: ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء في ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ قدره المفسر بقوله: (ماشين)، روي عن أنس، أن رجلاً قال: يا رسول الله، قال الله: الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم، أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا، قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ وروي أيضاً: يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة، وصنفاً راكباً، وصنفاً على وجوههم، قيل يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم، قادر أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يلقون بوجوههم كل حدب وشوك» والحدب ما ارتفع من الأرض.

وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكن لهبها ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿٩٧﴾ تلهباً واشتعالاً ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ منكرين للبعث ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي الأناسي في الصغر ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ للموت والبعث ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٩٩﴾ جحوداً له ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ من الرزق والمطر ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ لبخلتم ﴿خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾ خوف نفادها بالإنفاق فتقتروا ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾ ﴿١٠٠﴾ بخيلاً ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات وهي: اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص الثمرات ﴿فَاسْأَلْ﴾

قوله: ﴿عُمْياً وَبُكْماً وصُمّاً﴾ أي لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون، إن قلت: كيف وصفهم الله بذلك هنا، وأثبت لهم ضد تلك الأوصاف في قوله: ﴿ورأى المجرمون النار﴾، ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾، ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾؟أجيب: بأن المعنى عمياً لا يرون ما يسرهم، وبكماً لا يتكلمون بحجة، وصماً لا يسمعون ما يسرهم، أو المعنى يحشرون معدومي الحواس، ثم تعاد لهم. قوله: ﴿مَأْواهُمْ جَهَنَّمَ﴾ أي مسكنهم ومقرهم. قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ أصله خبوت كقعدت، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، حذفت الألف لالتقائهما. قوله: (سكن لهبها) أي بأن أكلت جلودهم ولحومهم. قوله: ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ أي بدلناهم جلود غيرها، فتعود ملتهبة متسعرة.

قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ أي ما ذكر من أن مأواهم جهنم، وإعادتهم بعد فنائهم. قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾. قوله: ﴿خَلْقاً جَدِيداً﴾ إما مصدر من معنى الفعل، أو حال أي مخلوقين. قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾ رد لإنكارهم البعث. قوله: ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي فلا يستبعد عليه إعادتهم بأعيانهم. قوله: (أي الأناسي) جمع إنسي وهو البشر. قوله: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً﴾ معطوف على جملة ﴿أو لَمْ يَرَوْا﴾ فليس داخلا في حيز الإنكار. قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك في ذلك الأجل.

قوله: ﴿قُلْ﴾ لهم) أي شرحاً لحالهم التي يدعون خلافها حيث قالوا﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا﴾ الخ، أي لأجل أو ننبسط ونتسع في الرزق ونوسع على المقلين، فبين الله لهم، أنهم لو ملكوا خزائن الله، لداموا على بخلهم وشحهم. قوله: ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ يجوز أن المسألة من باب الاشتغال، و ﴿أَنْتُمْ﴾ مرفوع بفعل مقدر، يفسره الظاهر لأن لو لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً، والأصل لو تملكون، فحذف الفعل لدلالة ما بعده عليه، فانفصل الضمير وهو الواو. قوله: ﴿إذاً لأَمْسَكْتُمْ﴾ أي منعتم حق الله فيها. قوله: ﴿خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ﴾ علة للإمساك. قوله: (بخيلًا) أي ممسكاً عن بذل ما ينبغي فيما ينبغي، فالأصل في الإنسان الشح، والخارج عنه خالف أصله كما قال تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ موطئة لقسم محذوف. قوله: ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ إما منصوب بالكسرة صفة لتسع، أو مجرور بها صفة لآيات. قوله: (واضحات) أي ظاهرات دالة على صدقة. قوله: (وهي اليد) أي التي كان يضمها إليه ويخرجها، فتخرج بيضاء لها شعاع. قوله: (والعصا) أي التي يلقيها، فتصير حية عظيمة.

يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك فقلنا له اسأل وفي قراءة بلفظ الماضي ﴿إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ ﴿١٠١﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقلك ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ عبراً

قوله: **(والطوفان)** أي الماء حتى ملأ بيوتهم ومساكنهم، فكانوا لا يستطيعون أن يوقدوا ناراً أصلاً. قوله: **(والجراد)** أي فأكل زروعهم وحبوبهم. قوله: **(والقمل)** تقدم أنه قيل هو السوس، وقيل هو القمل المعروف. قوله: **(والضفادع)** أي فملأ بيوتهم وطعامهم وشرابهم. قوله: **(والدم)** أي فانقلبت مياههم دماً، حتى كادوا يموتون عطشاً. قوله: **(والطمس)** أي مسخ الأموال حجارة. قوله: **(والسنين ونقص الثمرات)** هذان شيء واحد، لأن نقص الثمرات لازم للسنين، وما ذكره المفسر في عد الآيات التسع هو المشهور، لأن هذه التسع هي التي ظهرت على يد موسى، تهديداً لفرعون وقومه رجاء إيمانهم، وقيل إن التسع هي: اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الجبل وفيه بعد، لأن انفجار الماء من الحجر، وانفلاق البحر، ونتق الجبل، لم تكن مقصودة لفرعون، بل البحر كان لهلاكه، والباقي بعده، وقيل: إن يهودياً سأل النبي ﷺ عنها فقال: «إن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت»، فقبل اليهودي يده ورجله، وعلى هذا فالمراد بالآيات، الأحكام التي كلفوا بها، وهي عامة ثابتة في جمع الشرائع، وقوله عليكم الخ، حكم زائد مخصوص باليهود.

قوله: **﴿فَاسْأَلْ﴾ (يا محمد) ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** أي ليكون قولهم الموافق لك حجة على المشركين، وعلى هذا، فالجملة معترضة بين قصة موسى وفرعون. قوله: **(عنه)** أي عن ما جرى بين موسى وفرعون. قوله: **(سؤال تقرير)** أي سؤالاً يترتب عليه التقرير من بني إسرائيل، وقوله: **(للمشركين)** اللام للتعليل أي لأجل المشركين، والمعنى اسأل يا محمد بني إسرائيل، عما جرى بين موسى وفرعون، ليكون ذلك داعياً لإيمان المشركين وانقيادهم. قوله: **(أو فقلنا له)** معطوف على قوله: **(يا محمد)**، والمعنى أن الخطاب لموسى، وحينئذ فيكون القول مقدراً، والمفعول محذوف، والتقدير اسأل فرعون بني إسرائيل، أي اطلبهم منه لنذهب بهم إلى الشام، يدل عليه قوله في الآية الأخرى ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾. قوله: **(وفي قراءة)** المناسب أن يقول وقرىء لأنها شاذة، وإنما القراءة السبعية بالأمر، وفيها وجهان الهمز وتركه، بنقل حركة الهمزة إلى الساكن. قوله: **(بلفظ الماضي)** أي بلا همز بوزن قال.

قوله: **﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾** ظرف لآتينا على الاحتمال الأول، وعلى الثاني فقد تنازعه كل من آتينا وقلنا. قوله: **﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ﴾** معطوف على مقدر، والتقدير إذ جاءهم فبلغهم الرسالة، ووقع بينهم ما وقع من المحاورات، فقال الخ. قوله: **(مغلوباً على عقلك)** أشار بذلك إلى أن **﴿مَسْحُوراً﴾** باق على معناه الأصل، أي أنك سحرت فغلب على عقلك، ويصح أن يكون بمعنى فاعل كمشؤوم، أي أظنك ساحراً لإتيانك بالغرائب والعجائب.

قوله: **﴿لَقَد عَلِمْتَ﴾** هو بفتح التاء خطاب لفرعون، أي فقال له موسى: يا فرعون والله لقد

ولكنك تعاند وفي قراءة بضم التاء ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ ﴿١٠٢﴾ هالكاً أو مصروفاً عن الخير ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ يخرج موسى وقومه ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ ﴿١٠٤﴾ جميعاً أنتم وهم ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ أي القرآن ﴿وَبِٱلْحَقِّ﴾ المشتمل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أنزل لم يعتره تبديل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من آمن بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ ﴿١٠٥﴾ من كفر بالنار ﴿وَقُرْءَانًا﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَقْنَـٰهُ﴾ نزلناه مفرقاً في عشرين سنة أو وثلاث ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ مهل وتؤدة ليفهموه ﴿وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا﴾ ﴿١٠٦﴾ شيئاً

علمت أن هذه الآيات، ما أنزلها إلا رب السماوات والأرض عبراً، وإنما عناد، خوفاً على ضياع ملكك ورياستك. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً، وقوله: **(بضم التاء)** أي والضمير لموسى، ويكون المعنى: لقد أيقنت وتحققت أن هذه الآيات التي جئت بها، منزلة من عند الله تعالى. قوله: **﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾** أي أتحققك وعبر بالظن مشاكلة، فإن ظن فرعون كذب، وظن موسى حق وصدق لظهور أماراته. قوله: **(أو مصروفاً عن الخير)** أي ممنوعاً منه. قوله: **(يخرج موسى وقومه)** أي بقتلهم جميعاً.

قوله: **﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾** أي ففعلنا بهم ما أرادوه بموسى وقومه: **﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾** أي بعد إغراقه. قوله: **﴿ٱسْكُنُوا ٱلأَرْضَ﴾** أي أرض مصر والشام. قوله: **(أي الساعة)** أي القيامة ووعدها وقتها، وهو النفخة الثانية. قوله: **﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾** أي أحييناكم وأخرجناكم من القبور. قوله: **(جميعاً)** أشار بذلك إلى أن **﴿لَفِيفاً﴾** اسم جمع لا واحد له من لفظه، وقيل مصدر لف لفيفاً، والمعنى جئنا بكم منضماً بعضكم لبعض. قوله: **﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾** معطوف على قوله **(ولقد صرفنا)** وهذا على أسلوب العرب، حيث ينتقلون مما كانوا بصدده لشيء آخر، ثم يرجعون له، واختلف المفسرون في الحق الأول والثاني، فمشى المفسر على أن المراد بهما الحكم والمواعظ والأمثال التي اشتمل عليها القرآن، وإنما التكرير للتأكيد، إشارة إلى أنه لم يتغير ولم يتبدل إلى يوم القيامة، كما تغيرت التوراة والإنجيل، وقيل المعنى وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله لا عبثاً، وما نزل إلا بالحكم والمواعظ، لاشتماله على الهداية إلى سبيل الرشاد، فالحق الأول كناية عن سبب نزوله، والحق الثاني هو ما اشتمل عليه من المعاني. قوله: **(المشتمل عليه)** أي المحتوي عليه القرآن.

قوله: **﴿إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾** حالان من الكاف في أرسلناك. قوله: **(منصوب بفعل)** أي فهو من باب الاشتغال، وعليه فجملة **﴿فَرَقْنَاهُ﴾** لا محل لها من الأعراب، والتنوين للتعظيم أي قرآناً عظيماً. قوله: **﴿فَرَقْنَاهُ﴾** هو بالتخفيف في القراءة المشهورة، وقرىء شذوذاً بالتشديد. قوله: **(نزلناه مفرقاً)** هذا أحد أقوال في تفسير قوله: **﴿فَرَقْنَاهُ﴾**، وقيل بينا حلاله وحرامه، وقيل فرقنا به بين الحق والباطل. قوله: **(أو وثلاث)** أو لحكاية الخلاف، أي أنه اختلف في مدة نزول القرآن، هل هي عشرون سنة، أو ثلاث وعشرون، وهو المبني على الخلاف في تعاقب النبوة والرسالة وتقارنهما.

قوله: **﴿لِتَقْرَأَهُ﴾** متعلق بفرقنا، وقوله: **﴿عَلَى النَّاسِ﴾** متعلق بتقرأه، وكذا قوله: **﴿عَلَى مُكْثٍ﴾** ولا يلزم عليه تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد، لأن الأول في محل المفعول به، والثاني

بعد شيء على حسب المصالح ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ قبل نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧﴾ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ تنزيهاً له عن خلف الرعد ﴿إِن﴾ مخففة ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا ۝١٠٨﴾ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا ۝١٠٩﴾ تواضعاً لله وكان ﷺ يقول: يا الله يا رحمن، فقالوا: ينهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعو إلهاً آخر معه، فنزل ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ أي

في محل الحال أي متمهلاً فاختلف المعنى. قوله: **(مهل وتؤدة)** أي سكينة وتأن. قوله: **(ليفهموه)** أي ليسهل حفظه وفهمه. قوله: **(على حسب المصالح)** أي الوقائع التي تقتضي نزوله، فالحاصل أنه نزل مفرقاً لحكمتين: الأولى ليسهل حفظه، والثانية اقتضاء الوقائع، لذلك قال تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾. قوله: **(تهديد لهم)** أي فالمعنى أن إيمانكم لا يزيد القرآن كمالاً، وامتناعكم لا يورثه نقصاً.

قوله: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ**﴾ تعليل لقوله: ﴿**آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا**﴾ والمعنى إن لم تؤمنوا به، فقد آمن به من هو خير منكم، وفيه تسلية له ﷺ، أي لا تحزن على إعراضهم وعدم إيمانهم، وتسل بإيمان هؤلاء العلماء. قوله: **(وهم مؤمنوا أهل الكتاب)** أي كعبدالله بن سلام، وسلمان والنجاشي وأقرانهم. قوله: ﴿**لِلأَذْقَانِ**﴾ اللام بمعنى على، أو على بابها متعلقة بيخرّون، ويكون بمعنى يدلون، وخصت الأذقان بالذكر لأنها أول جزء من الوجه تقرب من الأرض عند السجود، و﴿**سُجَّداً**﴾ حال، أي ساجدين لله على انجاز وعده الذي وعدهم به في الكتب القديمة، أنه يرسل محمداً ﷺ، وينزل عليه القرآن.

قوله: ﴿**وَيَقُولُونَ**﴾ أي في حال جودهم. قوله: **(عن خلف الوعد)** أي الذي رأيناه في كتبنا، بإنزال القرآن وإرسال محمد ﷺ. قوله: **(مخففة)** أي واسمها ضمير الشأن، وقوله: ﴿**لَمَفْعُولاً**﴾ أي موفى ومنجزاً. قوله: **(بزيادة صفة)** أي وهي البكاء، ومراده بهذا دفع التكرار، وهو معنى قوله تعالى في سورة المائدة ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾ الخ. قوله: ﴿**وَيَزِيدُهُمْ**﴾ **(القرآن)** أي فالضمير يعود على القرآن، ويصح عوده على البكاء. قوله: **(وكان ﷺ)** أشار بذلك إلى سبب نزولها وحاصله أنه سجد ﷺ ذات ليلة، فجعل يقول في سجوده: يا الله، يا رحمن، فقال أبو جهل: إن محمداً ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين. قوله: **(إلهاً آخر)** أي وهو الرحمن، ظناً منهم أن المراد به مسيلمة الكذاب، لأن قومه كانوا يسمونه رحمان اليمامة، قال بعضهم في حقه:

سميت بالمجد يا ابن الأكرمين أباً وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

وهجاه بعض المسلمين بقوله:

سميت بالخبث يا ابن الأخبثين أباً وأنت شر الورى لا زلت شيطانا

قوله: **(أي سموه بأيها)** أي اذكروا في غير نداء. قوله: **(أو نادوه)** تفسير ثان لقوله: ﴿**ادْعُوا**﴾ فعلى الأول يكون ناصباً لمفعولين: أولهما محذوف تقديره معبودكم، وعلى الثاني يكون ناصباً لمفعول واحد.

سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا: يا الله يا رحمن ﴿أَيًّا﴾ شرطية و﴿مَّا﴾ زائدة أي أي هذين ﴿تَدْعُواْ﴾ فهو حسن دل على هذا ﴿فَلَهُ﴾ أي لمسماهما ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهذان منها فإنها كما في الحديث. هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن،

قوله: **(بأن تقولوا يا الله يا رحمن)** أشار بذلك إلى أن أسماء الله توقيفية، فلا يجوز لنا أن نسميه باسم غير وارد في الشرع، قال صاحب الجوهرة: واختبر أن أسماء توقيفية. قوله: **﴿أَيًّا﴾ (شرطية)** أي منصوبة بتدعو، فهي عاملة ومعمولة، والمضاف إليه محذوف قدره المفسر بقوله: **(أي هذين)**. قوله: **﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾** هذه الجملة جواب الشرط، وهو ما اشتهر على ألسنة المعربين، وقدر المفسر جوابه بقوله: **(فهو حسن)** فتكون الجملة دليل الجواب، والأسماء جمع اسم، وهو اللفظ الدال على ذات المسمى، وأسماؤه تعالى كثيرة، قيل ثلاثمائة وقيل ألف وواحد، وقيل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن كل نبي تمده حقيقة اسم خاص به، مع امداد بقية الأسماء له لتحققه بجميعها، وقيل ليس لها حد ولا نهاية لها على حسب شؤونه في خلقه، وهي لا نهاية لها، والحسنى إما مصدر وصف به، أو مؤنث أحسن، كأفضل وفضلى، فأفرد لأنه وصف جمع القلة لما لا يعقل، فيجوز فيه الإفراد والجمع، وإن كان الأحسن الجمع، قال الأجهوري:

وجمع كثرة لما لا يعقل   الأفصح الإفراد فيه يافل
وغيره فالأفصح المطابقة   نحو هبات وأفرات لائقة

وحسن أسمائه تعالى، لدلالتها على معان شريفة هي أحسن المعاني، لأن معناها ذات الله أو صفاته. قوله: **(كما في الحديث)** أي ونصبه «إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو» إلى آخر الرواية التي ذكرها المفسر واختارها، وإن كان الحديث وارداً بأوجه خمسة، لكونها أصح الروايات الواردة، ومنها: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد، إنه وتر يحب الوتر، وما من عبد يدعو بها إلا وجبت له الجنة». ومنها: إن «لله تسعة وتسعين اسماً، من احصاها كلها دخل الجنة، أسأل الله تعالى، الرحمن الرحيم، الإله الرب» إلى آخره. ومنها: «إن لله عز وجل، تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، إنه وتر، يحب الوتر، من حفظها دخل الجنة، الله الواحد الصمد» الخ. ومنها: «إن لله تعالى مائة اسم غير اسم، من دعا بها استجاب الله له» وكلها في الجامع الصغير، في حرف الهمزة مع النون، عن علي، وعن أبي هريرة، والحفظ والاحصاء عند أهل الظاهر، معرفة ألفاظها ومعانيها، وعند أهل الله، هو الاتصاف بها، والظهور بحقائقها، والعثور على مدارج نتائجها. قوله: **(هو)** ليس من الأسماء الحسنى، بل هو عند أهل الظاهر ضمير شأن يفسره ما بعده، وعند أهل الله اسم ظاهر يتعبدون بذكره، وعلى كل فهو زائد على التسعة والتسعين. قوله: **(الله)** هو أعظم الأسماء المذكورة، لكونه جامعاً لجميع الأسماء والصفات، وهو علم على الذات الواجب المسمى لجميع المحامد، وأل لازمة له، لا لتعريف ولا غيره، وهو ليس بمشتق على الصحيح. قوله: **(الذي لا إله إلا هو)** نعت للاسم الجليل، أي الذي لا معبود غيره. قوله: **(الرحمن)** أي المنعم بجلائل النعم، كما وكيفاً، دنيوية وأخروية، ظاهرة وباطنة. قوله: **(الرحيم)** أي المنعم بدقائق النعم كماً وكيفاً، دنيوية وأخروية، ظاهرية وباطنية، والدقائق ما تفرعت عن الجلائل، كالزيادة في الإيمان، والعلم والمعرفة والتوفيق والعافية والسمع والبصر. قوله:

المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارىء، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع،

(الملك) أي المتصرف في خلقه بالإيجاد والإعدام وغير ذلك، وتسمية غيره تعالى به مجاز. قوله: (القدوس) أي المنزه عن صفات الحوادث، وأتى به عقب الملك، لدفع توهم يطرأ عليه نقص كالملوك. قوله: (السلام) أي المؤمن من المخاوف والمهالك، أو الذي يسلم على عباده. قوله: (المؤمن) أي المصدق لرسله بالمعجزات، ولأوليائه بالكرامات، ولعباده المؤمنين على ايمانهم واخلاصهم، لأنه لا يطلع على الأخلاص نبي مرسل ولا ملك مقرب، وإنما يعلم من الله. قوله: (المهيمن) أي المطلع على خطرات القلوب. قوله: (العزيز) من عز بمعنى غلب وقهر، فهو من صفات الجلال، أو من عز بمعنى قل، فلم يوجد له مثيل ولا نظير، فهو من صفات السلوب. قوله: (الجبار) أي المنتقم القهار، فيكون من صفات الجلال أو المصلح للكسر، يقال: جبر الطبيب الكسر أصلحه، فيكون من صفات الجمال. قوله: (المتكبر) من الكبرياء وهو التعالي في العظمة، وهي مختصة به تعالى، لما في الحديث القدسي: «العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما قصمته». قوله: (الخالق) أي الموجد للمخلوقات من العدم. قوله: (البارىء) أي المبرىء من الأسقام، أو المظهر لما في الغيب، من برىء بمعنى أظهر ما كان خفياً، فيرجع لمعنى الخالق. قوله: (المصور) أي المبدع للأشكال على حسب إرادته، فأعطى كل شيء من المخلوقات، صورة خاصة، وهيئة منفردة، يتميز بها على اختلافها وكثرتها. قوله: (الغفار) إما مأخوذ من الغفر بمعنى الستر، لأنه يستر على عباده قبائحهم، فيحجبها في الدنيا على الآدميين، وفي الآخرة عن الملائكة، ولو كانت موجودة في الصحف، أو من الغفر بمعنى المحو من الصحف، وهو مرادف للغفور والغافر، وقيل: إن الغافر هو الذي يغفر بعض الذنوب، والغفور الذي يغفر أكثرها، والغفار الذي يغفر جميعها، والصحيح الأول، لأنه لا مبالغة في أسماء الله، بل صيغتها صيغة نسبة، كتمار نسبة للتمر. قوله: (القهار) أي ذو البطش الشديد، فهو من صفات الجلال. قوله: (الوهاب) أي ذو الهبات العظيمة لغير غرض ولا علة، فالطاعات لا تزيد في ملكه شيئاً، وإنما رتب الثواب عليها من فضله وكرمه، وهذا الاسم من صفات الجمال. قوله: (الرزاق) أي معطي الأرزاق لعباده، دنيا وأخرى، قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ وهو بمعنى الرازق، والرزق قسمان: ظاهر وهو الأقوات من طعام وشراب ونحو ذلك، وباطن وهو العلوم والأسرار والمعارف، فالأول رزق الأبدان، والثاني رزق الأرواح، وكل من عند ربنا. قوله: (الفتاح) أي ذو الفتح لما كان مغلوقاً، حسياً أو معنوياً، فهو المسهل لكل عسير، من خيري الدنيا والآخرة، فضلاً منه واحساناً، وهذا وما قبله من صفات الجمال. قوله: (العليم) أي ذو العلم، وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات، تعلق احاطة وانكشاف، لا يوصف بنظر ولا ضرورة ولا كسب. قوله: (القابض) أي ذو القبض ضد البسط، فهو جل وعز، قابض للأرزاق والأرواح وغير ذلك، فيكون من صفات الجلال. قوله: (الباسط) أي ذو البسط ضد القبض، فهو سبحانه وتعالى باسط الأرزاق في الدنيا والآخرة والقلوب وغير ذلك، قال تعالى: ﴿والله يقبض ويبسط﴾ وهذان الاسمان يظهر أثرهما في العبيد. وللعارفين مقدمات في القبض والبسط، فالمبتدىء يسمون تجليه قبضاً وبسطاً، والمتوسط يسمونه أنساً وهيبة، والكامل يسمونه جلالاً وجمالاً. قوله: (الخافض) أي لمن

البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود،

أراد خفضه، أي فهو خافض لكلمة الكفر وللظالمين ولكل متكبر وغير ذلك. قوله: **(الرافع)** أي ذو الرفع لأهل الإسلام والعلماء والصديقين والأولياء والسماوات والجنة وغير ذلك من الحسي والمعنوي، والأول من صفات الجلال، والثاني من صفات الجمال. قوله: **(المعز)** أي خالق العز لمن يشاء من خلقه. قوله: **(المذل)** أي خالق الذل لمن أراد من عباده، والأول من صفات الجمال، والثاني من صفات الجلال. قوله: **(السميع)** أي ذو السمع، وهو صفة أزلية تتعلق بجميع الموجودات، تعلق احاطة وانكشاف. قوله: **(البصير)** أي ذو البصر، وهو صفة أزلية تتعلق بجيمع الموجودات، تعلق احاطة وانكشاف، فهي مساوية في التعلق لصفة السمع، ولا يعلم حقيقة اختلافهما إلا الله تعالى، وهما مخالفان لتعلق العلم، لأن العلم يتعلق بالمعدومات والموجودات، وهما إنما يتعلقان بالموجودات فقط، وكل منها منزه عن صفات الحوداث، قال بعض العارفين: من أراد خفاء نفسه عن أعين الناس بحيث لا يرونه، فليقرأ عند مروره عليهم ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ تسع مرات. قوله: **(الحكم)** أي ذو الحكم التام. قوله: **(العدل)** أي ذو العدل أو العادل، فلم يظلم مثقال ذرة، فأحكام الله لا جور فيها، بل دائرة بين الفضل والعدل، لأن الجور التصرف في ملك الغير بغير إذنه، ولا ملك لأحد معه، وأردف الحكم بالعدل، دفعاً لتوهم أن حكمه تارة يكون بالعدل، وتارة يكون بالجور. قوله: **(اللطيف)** أي العالم بخفيات الأمور، أو معطي الإحسان في صورة الامتحان، كإعطاء يوسف الصديق الملك في صورة الابتلاء لرقيه، وآدم الفوز الأكبر في صورة ابتلائه بأكله من الشجرة واخراجه من الجنة، ونبينا ﷺ الفتح والنصر المبين في صورة ابتلائه بإخراجه من مكة، وهي سنة الله في عباده الصالحين.

ـ **فائدة** ـ من قرأ قوله تعالى: ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز﴾ في كل يوم تسع مرات، لطف الله به في أموره، ويسر له رزقاً حسناً، وكذلك من أكثر من ذكر اللطيف.

قوله: **(الخبير)** أي المطلع على خفيات الأشياء، فيرجع لمعنى اللطيف على التفسير الأول، أو القادر على الإخبار بما عجزت عنه المخلوقات، قال بعضهم: من أراد أن يرى شيئاً في منامه، فليقرأ قوله تعالى ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ تسع مرات عند نومه. قوله: **(الحليم)** هو الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه وكفر به بل يمهله، فإن تاب محا عنه خطاياه، ومن أقبح ما تقول العامة: حلم ربنا يفتت الكبود، إذ معناه اعتراض على سعة حلمه، ولا يدرون أنه لولا حلمه علينا لخسف بنا، فسعة حلمه من أجلّ النعم علينا، قال العارف: الحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته. قوله: **(العظيم)** أي الذي يصغر كل شيء عند ذكره، ولا يحيط به إدراك، ولا يعلم كنه حقيقته سواه، ففي الحديث: «سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته»، فهو من الصفات الجامعة. قوله: **(الغفور)** تقدم معناه عند تفسير اسمه الغفار. قوله: **(الشكور)** أي الذي يشكر عباده، أي يثني عليهم في الدنيا والآخرة، فيعطي الثواب الجزيل على العمل القليل، ويرفع ذكرهم في الملإ الأعلى. قوله: **(العلي)** أي المرتفع المنزه عن كل نقص، المتصف بكل كمال، المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه. قوله: **(الكبير)** هو والعظيم بمعنى واحد قوله: **(الحفيظ)** أي الحافظ للعالم العلوي والسفلي، دنيا وأخرى،

المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدىء، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر،

قال تعالى: ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾. قوله: (**المقيت**) أصله المقوت، نقلت حركة الواو إلى الساكن، قبلها فقلبت الواو ياء لمناسبة ما قبلها، أي خالق القوت للأجساد والأرواح، دنيا وأخرى، وقوت الأجسام: الطعام والشراب ونفعها بذلك وتلذذها به، وقوت الأرواح: الإيمان والأسرار والمعارف وانتفاعها بها، والكافر لا قوت لروحه. قوله: (**الحسيب**) أي الكافي من توكل عليه، أو الشريف الذي كل من دخل حماه تشرف، أو المحاسب لعباده على النقير والفتيل والقطمير، في قدر نصف يوم من أيام الدنيا أو أقل. قوله: (**الجليل**) أي العظيم في الذات والصفات والأفعال، فيرجع لمعنى العظيم والكبير. قوله: (**الكريم**) أي المعطي من غير سؤال، أو الذي عم عطاؤه الطائع والعاصي. قوله: (**الرقيب**) أي المراقب الحاضر المشاهد لكل مخلوق المتصرف فيه، وهو أعم من المهيمن، لأنه المطلع على خطرات القلوب، والرقيب المطلع على الظاهر والباطن. قوله: (**المجيب**) أي لدعوة الداعي، قال تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾. وفي الحديث: «ما من عبد يقول يا رب إلا قال الله لبيك يا عبدي». قوله: (**الواسع**) السعة في حقه تعالى، ترجع لنفي الأولية والآخرية والإحاطة، فهو من صفات السلوب، أو يراد منها: أن رحمته وسعت كل شيء، فيكون من صفات الجمال. قوله: (**الحكيم**) أي ذو الحكمة، وهي العلم التام والصنع المتقن. قوله: (**الودود**) أي المحبب لعباده الصالحين المحبين الراضي عليهم، قال تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ أو الودود بمعنى المحبوب، لأنه محب ومحبوب، فمحبته لعباده: إنعامه عليهم، أو إرادة إنعامه، فترجع لمعنى الرضا، ومحبة عباده له: ميلهم إليه، وشغلهم به عمن سواه. قوله: (**المجيد**) أي الشريف، ومثله الماجد. قوله: (**الباعث**) أي الذي يبعث الأموات، أي يحييهم للحساب، ويبعث الرسل لعباده، لإقامة الحجة عليهم، والأرزاق الدنيوية والأخروية. قوله: (**الشهيد**) أي المطلع على الظاهر والباطن، فيرجع لمعنى الرقيب، وأما قوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ فتسميته غيباً بالنسبة لنا، وإلا فالكل شهادة عنده. قوله: (**الحق**) أي الثابت الذي لا يقبل الزوال، أزلاً ولا أبداً، فيرجع لمعنى واجب الوجود. قوله: (**الوكيل**) أي المتولي أمور خلقه، دنيا وأخرى. قوله: (**القوي**) أي ذو القدرة التامة، التي يوجد بها كل شيء ويعدمه على طبق مراده. قوله: (**المتين**) أي صاحب القوة العظيمة التي لا تعارض، ولا يعتريها نقص ولا خلل. قوله: (**الولي**) أي الموالي والمتابع للإحسان لعبيده، أو المتولي للخير والشر، بمعنى صدور الكل منه، فيرجع لمعنى الوكيل، ويشهد للأول قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ الآية، وللثاني قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾ فالله هو الولي، وأما الولي من الخلق، فمعناه الموالي لطاعة ربه، والمداوم عليها، أو من تولى الله أمره، فلم يكله لغيره، وقوله: (**الحميد**) أي المحمود، أي المستحق الحمد كله، والحامد لعبيده الصالحين، ولنفسه بنفسه. قوله: (**المحصي**) أي الضابط لعدد مخلوقاته، جليلها وحقيرها، قال تعالى: ﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾. قوله: (**المبدىء**) بالهمزة أي المنشىء من العدم إلى الوجود، وأما بغير همزة فمعناه المظهر، وليس مراداً هنا لكون الرواية بالهمزة. قوله: (**المعيد**) أي الذي يعيد الخلق بعد انعدامهم، قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ وهو أهون عليه، واختلف أهل السنة في تلك الإعادة، قيل عن عدم محض، وقيل عن تفريق أجزاء، قال صاحب الجوهرة:

المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم،

وقل يعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق

قوله: (المحيي) أي المقوم للأبدان بالأرواح للخلائق من العدم، أي الناقل لهم من حالة العدم لحالة الحياة. قوله: (المميت) أي الخالق للموت، وهو عدم الحياة عما من شأنه الحياة، قال تعالى: ﴿خلق الموت والحياة﴾. قوله: (الحي) أي ذو الحياة، وهي في حقه تعالى، صفة أزلية قائمة بذاته يستلزمها اتصافه بالمعاني والمعنوية. قوله: (القيوم) أي القائم بذاته تعالى، المستغني عن غيره، أي المقوم لغيره بقدرته، فهو المتصرف في العالم دنيا وأخرى. قوله: (الواجد) أي الغني، من الوجدان، وهو عدم نفاد الشيء، بمعنى أنه لو أغنى الخلق جميعاً، وأعطاهم سؤلهم، لم ينقص من ملكه، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. قوله: (الماجد) هو بمعنى المجيد المتقدم، وهو الشريف أو واسع الكرم. قوله: (الواحد) أي الذي لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فهو مستلزم لنفي الكموم الخمسة: المتصل والمنفصل في الذات، والمتصل والمنفصل في الصفات، والمنفصل في الأفعال، والمتصل فيها لا ينفى، بل هو تعلق القدرة والإرادة في سائر الكائنات ايجاداً واعداماً، فلا غاية له، قال تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ أي كل لحظة ولمحة في شؤون يبديها ولا يبتديها، والوحدة في غيره نقص، وفي حقه كمال، كما ورد أنه واحد لا من قلة، بل وحدة تعزز وانفراد وتكبر، لانعدام الشبيه والنظير والمثيل، وفي بعض النسخ زيادة لفظ الأحد، وهو بمعنى الواحد، والصواب اسقاطه، لأنه ليس ثابتاً في حديث الترمذي الذي نسب الحديث إليه. قوله: (الصمد) أي الذي يقصد في الحوائج، فهو كالدليل للوحدانية. قوله: (القادر) أي ذو القدرة التامة، وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، تتعلق بالممكنات ايجاداً واعداماً على وفق الإرادة. قوله: (المقتدر) مبالغة في القدرة التي لا شبيه لها ولا مثيل ولا نظير، فيرجع لمعنى القوي المتين. قوله: (المقدم) بكسر الدال، أي لمن أراد من عباده. قوله: (المؤخر) أي لمن أراد تأخيره، قال تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾ الآية. قوله: (الأول) أي الذي لا افتتاح لوجوده. قوله: (الآخر) أي الذي لا انتهاء لوجوده. قوله: (الظاهر) أي الذي ليس فوقه شيء، ولا يغلبه شيء، أو الظاهر بآثاره وصنعه، ومن الحكم: هذه آثارنا تدل علينا، قال تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾. قوله: (الباطن) أي الذي ليس أقرب منه شيء، أو الذي تحجب عنا بجلاله وهيبته، فلا تراه الأبصار في الدنيا، ولا تدرك حقيقته لأحد، دنيا ولا أخرى، وقد جمعت هذه الأسماء الأربعة في قوله ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر». قوله: (الوالي) أي المتولي على عباده، بالتصرف والقهر والإيجاد والإعدام، فيرجع لمعنى الملك. قوله: (المتعالي) أي أي المنزه عن صفات الحوادث، فيرجع لمعنى القدوس، وأتى به عقب الوالي، لدفع توهم طرو نقص عليه كالولاة. قوله: (للبر) أي المحسن لعباده، الطائعين والعاصين. قوله: (التواب) أي كثير التوبة لعباده المذنبين، أي يقبل توبتهم إن تابوا، أو الذي يخلق التوبة في العبد فتظهر فيه، قال تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾، وقال تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾. قوله: (المنتقم) أي المرسل للنقم والعذاب على الكفار والجبابرة، الذين ماتوا مصرين على ذلك، فهو من صفات الجلال كقهار. قوله:

العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور. رواه الترمذي. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا

(العفو) أي الذي لا يؤاخذ المذنب بالذنوب، بل يمحوها ويبدلها بحسنات. قوله: **(الرؤوف)** من الرأفة وهي شدة الرحمة، ومعناها بحقه تعالى: الانعام أو إرادته. قوله: **(مالك الملك)** أي المتصرف فيه على ما يريد ويختار، قال تعالى: ﴿يحكم لا معقب لحكمه﴾. قوله: **(ذو الجلال)** أي صاحب الهيبة والعظمة، وقوله: **(والإكرام)** أي الانعام والاحسان. قوله: **(المقسط)** أي الذي يحكم بالانصاف بين خلقه، وضده القاسط بمعنى الجائر. قوله: **(الجامع)** أي لكل كمال أو للخلق يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ أو ما هو أعم وهو أولى. قوله: **(الغني)** أي ذو الغنى المطلق، وهو المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه. قوله: **(المغني)** أي المعطي الغنى لمن يشاء، دنيا وأخرى، قال تعالى: ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾. قوله: **(المانع)** أي الرافع عن عبيده المضار الدنيوية والأخروية، قال تعالى: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾. قوله: **(الضار)** أي خالق الضر ضد النفع، وهو إيصال الشر لمن شاء من عباده. قوله: **(النافع)** أي خالق النفع ضد الضر، وهو إيصال الخير لمن شاء من عباده، دنيا وأخرى. قوله: **(النور)** أي الظاهر في نفسه المظهر لغيره، أو خالق النور. قوله: **(الهادي)** أي خالق الهدى والرشاد، الموصل له من أحب من عباده. قوله: **(البديع)** أي المبدع والمحكم كل شيء صنعه، أو المخترع الأشياء على غير سابقة مثال، قال تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ أي محكمهما ومتقنهما ومخترع لهما على غير مثال سابق. قوله: **(الباقي)** أي الدائم الذي لا يزول ولا يحول. قوله: **(الوارث)** أي الباقي بعد فناء خلقه، أو الذي يرجع إليه كل شيء، قال تعالى: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾ ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾. قوله: **(الرشيد)** أي صاحب الرشد، وهو الذي يضع الشيء في محله، أو خالق الرشد في عباده، فيرجع لمعنى الهادي. قوله: **(الصبور)** أي الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، فيرجع لمعنى الحليم، والله أعلم بحقيقة معاني أسمائه وأسرارها. قوله: **(رواه الترمذي)** أي عن أبي هريرة، وأعلم أن للعارفين في استعمال هذه الأسماء طرقاً، فمنهم من يستعملها نثراً، ومنهم من يستعملها نظماً، كالشيخ الدمياطي، وسيدي مصطفى البكري، وغيرهما، وأجل ما تلقيناه، منظومة أستاذنا بركة الوقت والزمان، وإمام العصر والأوان، القطب الشهير والشهاب المنير، أبو البركات، مهبط الرحمات، الذي عم فضله الكبير والصغير، شيخنا الشيخ أحمد بن محمد الدردير، فإنها عديمة النظير، لاحتوائها على الدعوات الجامعة، والأسرار اللامعة، بمظاهر تلك الأسماء، وهي آخر العلوم الإلهية التي ظهرت على لسانه، وقد ألقيت عليه في ليلة واحدة، فقام من فراشه وكتبها، وكان يقرؤها في كل سوم وليلة ثلاث مرات، فمن أراد الفوز الأكبر، والظفر بالمقصود، من خيري الدنيا والآخرة، فعليه بحفظها والمواظبة عليها، صباحاً ومساء، ومن أراد الاطلاع على بعض معانيها وفوائدها، فعليه بشرحنا عليها، فإن فيه النفع التام إن شاء الله تعالى.

قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ سبب نزولها كما قال ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان مختفياً بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه، رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون، سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به،

﴿ تُخَافِتْ ﴾ تسر ﴿ بِهَا ﴾ لينتفع أصحابك ﴿ وَٱبْتَغِ ﴾ اقصد ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ الجهر والمخافتة ﴿ سَبِيلًا ﴾ ﴿١١٠﴾ طريقاً وسطاً ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ في الألوهية ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ ﴾ ينصره ﴿ مِّنَ ﴾ أجل ﴿ ٱلذُّلِّ ﴾ أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ ﴿١١١﴾ عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل، وكل ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك، للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد، لكمال ذاته وتفرده في صفاته، روى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: آية العز ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾ إلى آخر السورة، والله تعالى أعلم. قال مؤلفه: هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم، الذي ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحليّ الشافعي رضي الله عنه، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه، في نفائس

فقال الله لنبيه ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم، وابتغ بين ذلك سبيلاً، وهذا الأمر قد زال من يوم إسلام عمر والحمزة فهو منسوخ، فللمصلي الجهر في الصلاة الجهرية، ولا يزيد على سماع المأمومين، وقيل نزلت في الدعاء، وروي ذلك عن عائشة وجماعة، ومثل الدعاء سائر الأذكار، فلا يجهر بها، ولا يخافت بها، بل يكون بين ذلك قواماً، وعلى هذا القول فالآية غير منسوخة، بل العمل بها، مستمر. قوله: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ المخافتة عدم رفع الصوت، يقال خفت الصوت إذا سكن. قوله: (**لينتفع أصحابك**) علة للنهي عن المخافتة.

قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي الثناء بالجميل واجب لله. قوله: ﴿الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾ أي لم يكن له ولد لاستحالته عليه. قوله: (**الألوهية**) أي لم يكن له مشارك في ألوهيته، إذ لو كان معه مشارك فيها، لما وجد شيء من العالم، قال تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ وقال تعالى: ﴿ما اتخذ من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾. قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ أي لم يكن له ناصر يمنع عنه الذل، لاستحالته عليه عقلاً، واستفيد من الآية أن له أولياء، لا من أجل الذل، بمعنى أنه ينصرهم ويتولى أمورهم، مع استغنائه عنهم كاستغنائه عن الكفار، وإنما اختيارهم وتسميتهم أولياء وأحباباً، فمن فضله واحسانه، وكما أنه يستحيل عليه الولي، بمعنى الناصر له من الذل، يستحيل عليه العدو، بمعنى الموصل الأذى إليه، وأما بمعنى أنه مغضوب عليه وليس راضياً بأفعاله فهو واقع. قوله: (**أي لم يذل**) أي لم يجر عليه وصف الذل، لا بالفعل ولا بالقوة. قوله: (**عظمة عظمة**) أي نزهه عن كل نقص. قوله: (**وترتيب الحمد**) الخ، دفع بذلك ما يقال: إن المقام للتنزيه لا للحمد، لأن الحمد يكون في مقابلة نعمه، وهنا ليس كذلك. أجيب: بأن الله كما يستحق الحمد لأوصافه، يستحقه لذاته. قوله: (**آية العز**) أي التي من قرأها مؤمناً بها حصل له العز والرفعة، وورد في عدة استعمالها، أنها ثلاثمائة وأحد وخمسون كل يوم، ويقول قبلها: توكلت على الحي الذي لا يموت، الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً إلى آخرها. قوله: (**جلال الدين المحلي**) كان على غاية من العلم والعمل والزهد والورع والحلم، حتى كان من أخلاقه أنه يقضي حوائج بيته بنفسه، مع كونه كان عنده الخدم والعبيد. قوله: (**وقد أفرغت فيه**) والضمير عائد على ما في قوله: (**آخر ما كملت به**) وكذا بقية الضمائر. قوله: (**جهدي**) بفتح الجيم

أراها إن شاء الله تعالى تجدي، وألفته في مدة قدر ميعاد الكليم وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول، فرحم الله امرأً نظر بعين الإنصاف إليه، ووقف فيه على خطإ فأطلعني عليه وقد قلت:

حمدت الله ربي إذ هداني ... لما أبديت مع عجزي وضعفي
فمن لي بالخطا فأرد عنه ... ومن لي بالقبول ولو بحرف

هذا ولم يكن قط في خلدي أن أتعرض لذلك، لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك، وعسى الله أن ينفع به نفعاً جماً، ويفتح به قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً وآذاناً صمّاً، وكأني بمن

وضمها أي طاقتي. قوله: **(وبذلت فكري)** الفكر قوة في النفس، يحصل بها التأمل. قوله: **(في نفائس)** أي دقائق ونكات مرضية. قوله: **(أراها)** بفتح الهمزة وضمها. قوله: **(تجدي)** أي تنفع. قوله: **(قدر ميعاد الكليم)** أي وهو أربعون يوماً، لأنه سيأتي أنه ابتدأ فيه أول يوم رمضان، وختمه لعشرة من شوال، وفي ذلك إشارة إلى أن في هذه المدة، حصل لموسى الفتح، وإعطاء التوراة وهي كلام الله، فقد خلعت عليّ خلعة من خلعه، حيث فتح عليّ في تلك المدة، بخدمة كلام الله، والأخبار بذلك من باب التحدث بالنعمة، فإن هذا الزمن عادة، لا يسع هذا التأليف إلا بعناية من الله، سيما مع صغر سن الشيخ حينئذ، فإنه كان عمره أقل من ثنتين وعشرين سنة بشهور. قوله: **(وهو)** أي ما كملت به. قوله: **(مستفاد من الكتاب المكمل)** هذا تواضع من الشيخ، وإشارة إلى أنه حذا حذوه واقتفى أثره، فالشيخ المحلي قدس الله روحه، قد سن سنة حسنة للشيخ السيوطي، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. قوله: **(وعليه)** أي الشيخ أو الكتاب المكمل، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، و **(الاعتماد)** مبتدأ مؤخر، وقوله: **(في الآي)** الخ، متعلق بالاعتماد **(والمعول)** معطوف على الاعتماد، عطف مرادف. قوله: **(بعين الانصاف)** إما على حذف مضاف، أي بعين صاحب الانصاف، أو في الكلام استعارة بالكناية، حيث شبه الانصاف بإنسان ذي عين، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو العين، فإثباته تخييل واحترز بعين الانصاف من عين الاعتساف، فإنها لا ترى محاسن أصلاً كما قال العارف:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا

قوله: **(ووقف على خطأ)** أي اطلع عليه. قوله: **(فأطلعني)** أي دلني عليه وعرفني به. قوله: **(وقد قلت)** أي شاكراً لله سالكاً سبيل الاعتذار. قوله: **(إذ هداني)** أي لأجل هدايته لي. قوله: **(لما أبديت)** متعلق بهداني. قوله: **(فمن لي بالخطأ)** أي من يتكفل لي بإظهار الخطأ. قوله: **(فأرد عنه)** أي أجيب عنه أو أصلحه. قوله: **(ومن لي بالقبول)** أي من يبشرني بالقبول من الله لهذا التأليف ولو حرفاً، لأن القبول من رحمة الله ومن رحمه لا يعذبه. قوله: **(هذا)** أي افهم وتأمل ما ذكرته لك. قوله: **(في خلدي)** بفتحتين معناه البال والقلب. قوله: **(لذلك)** أي لتأليف تلك التكملة. قوله: **(المسالك)** أي مسالك التفسير الذي هو أصعب العلوم، لاحتياجه إلى الجمع بين المعقول والمنقول. قوله: **(وعسى الله)** هذا ترج من الشيخ رضي الله عنه، وقد حقق الله رجاءه. قوله: **(جماً)** بفتح الجيم أي كثيراً. قوله: **(غلفاً)** أي معطاة ممنوعة من فهم علم التفسير لصعوبته قوله: **(عمياً)** أي لا تبصر، فإذا نظرت فيه وتأملته فأرجو أن يزول عنها العمى لتبصره

اعتاد المطولات، وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسماً، وعدل إلى صريح العناد، ولم يوجه إلى دقائقها فهماً، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقاً، واطلاعاً على دقائق كلماته وتحقيقاً، وجعلنا به من الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. ـ وفرغ ـ من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة، وكان الابتداء فيه يوم الأربعاء، مستهل رمضان من السنة المذكورة، وفرغ من تبييضه يوم الأربعاء، سادس صفر، سنة إحدى وسبعين وثمانمائة، والله أعلم. قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحليّ، أخو شيخنا الشيخ الإمام جلال الدين المحليّ رحمهما الله تعالى، أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النور، وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها، ويقول لمصنفها المذكور: أيهما أحسن، وضعي أو ضعك؟ فقال: وضعي، فقال: انظر، وعرض عليه مواضع فيها، وكأنه

وتدركه. قوله: **(وآذاناً صماً)** أي فبسماعه يزول عنها الصمم، وتصير مستمعة لدقائق التفسير. قوله: **(وكأني بمن اعتاد المطولات)** أي ملتبس بمن اعتاد، فالباء للملابسة، ويصح أن تكون بمعنى من، والمعنى وكأني قريب ممن اعتاد الخ. قوله: **(وقد أضرب)** أي أعرض. قوله: **(وأصلها)** أي وهي قطعة الجلال المحلي. قوله: **(حسماً)** الحسم المنع والقطع، وهو مفعول مطلق مؤكد لعامله المعنوي الذي هو أعرض، كأنه قال وقد أعرض إعراضاً. قوله: **(وعدل)** أي مال. قوله: **(إلى صريح العناد)** من إضافة الصفة للموصوف، أي العناد الصريح. قوله: **(ومن كان في هذه)** أي التكملة مع أصلها، وفي بمعنى عن، وقوله: **(أعمى)** أي معرضاً عنها، وغير واقف على دقائقها، وقوله: **(فهو في الآخرة)** المراد بها المطولات، وقوله: **(أعمى)** أي غير فاهم لها، وهو اقتباس من الآية الشريفة، والاقتباس تضمين الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه. قوله: **(رزقنا الله)** الخ، هذا الضمير وما بعده لما كمل به. قوله: **(هداية)** أي وصولاً للمقصود. قوله: **(على دقائق كلماته)** أي القرآن. قوله: **(مع الذين أنعم الله عليهم)** المراد بالمعية أنه يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم، وإن كان كلٌّ في منزلته. قوله: **(فرغ من تأليفه)** أي جمعه وتسويده بدليل قوله: **(وفرغ من تبييضه)**. قوله: **(سنة سبعين وثمانمائة)** أي وذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين. قوله: **(وفرغ من تبييضه)** أي تحريره ونقله من المسودة. قوله: **(سادس صفر)** أي فكانت مدة تحريره أربعة أشهر إلا أربعة أيام. قوله: **(السيوطي)** بضم السين نسبة لسيوط قرية بصعيد مصر، واعلم أنه قد وجد بعد ختم هذه التكملة، مما هو منقول عن خط السيوطي ما نصه: قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي، أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي الخ، فليس من تأليف السيوطي، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، قال مؤلفه: وكان الفراغ من تسويد هذا الجزء، يوم الخميس المبارك، ثالث عشر شعبان، سنة خمس وعشرين ومائتين وألف من هجرة من له العز والشرف، عليه أفضل الصلاة والسلام بمشهد الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه وعنا.

يشير إلى اعتراض فيها بلطف، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئاً يجيبه والشيخ يبتسم ويضحك. قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: الذي أعتقده وأجزم به، أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحليّ رحمه الله تعالى في قطعته، أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة، كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه، لا مرية عندي في ذلك، وأما الذي رئـي في المنام المكتوب اعلاه، فلعل الشيخ أشار بـه إلى المواضع القليلة التي خالفت وضعه فيها لنكتة وهي يسيرة جداً، ما أظنها تبلغ عشرة مواضع، منها: أن الشيخ قال في سورة ص: والروح جسم لطيف، يحيا به الإنسان بنفوذه فيه، وكنت تبعته أولاً، فذكرت هذا الحد في سورة الحجر، ثم ضربت عليه لقوله تعالى: ﴿ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ الآية، فهي صريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه، فالإمساك عن تعريفها أولى، ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في جمع الجوامع: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ فنمسك عنها. ومنها أن الشيخ قال في سورة الحج: الصابئون فرقة من اليهود، فذكرت ذلك في سورة البقرة وزدت أو النصارى بياناً لقول ثان، فإنه المعروف خصوصاً عند أصحابنا الفقهاء، وفي المنهاج: وإن خالفت السامرة اليهود، والصابئة النصارى في أصل دينهم حرمن، وفي شروحه: أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى، ولا أستحضر الآن موضعاً ثالثاً، فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

تمَّ الجزء الثالث من كتاب حاشية الصاوي على تفسير الجلالين
ويليه الجزء الرابع وأوله سورة الكهف

فهـرس الجزء الثالث
مـن
حاشية الصاوي على تفسير الجلالين

الفهـرس

تفسير سورة الأنفال

تفسير سورة التوبة

تفسير سورة يونس

تفسير سورة هود

تفسير سورة يوسف

تفسير سورة الرعد

تفسير سورة إبراهيم

تفسير سورة الحجر

تفسير سورة النحل

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير
هاتف: ٨٣٨١٥٧-٨٣٧٧٠٢ - بيروت - لبنان